



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

كِتَاب

الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ

كِتَابِيك

المشايخ أئمة أهل السنة والجماعة

القرن الثامن عشر

تأليف

عبد الرحمن الشاذلي

« ٢ »

دار المطبوعات

١٤١١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفرج بعد الشده

كاتب:

محسن بن على التنوخى

نشرت فى الطباعة:

دار صادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	الفرج بعد الشده المجلد ٢
١١	اشاره
١١	اشاره
١٥	الباب الخامس
١٥	اشاره
١٥	١٥١
١٩	١٥٢
٢١	١٥٣
٢٤	١٥٤
٢٨	١٥٥
٣١	١٥٦
٣٧	١٥٧
٤٠	١٥٨
٤٣	١٥٩
٤٥	١٦٠
٥٤	١٦١
٥٤	اشاره
٦٢	ماء الأكارع
٦٣	١٦٢
٦٤	١٦٣
٦٤	اشاره
٧٠	دار مؤنس
٧٢	١٦٤

٧٢	اشاره
٧٢	أ-سيّد العرب أحمد بن أبي دؤاد
٧٥	ب-إطلاق الكتاب من حبس الوراق
٧٨	ج-انقاذ أبي دلف من موت محقق
٨٨	١٦٥
٩٧	١٦٦
١٠٤	١٦٧
١١٣	١٦٨
١١٣	اشاره
١١٤	عبيد الله بن زياد
١١٦	١٦٩
١٢٠	١٧٠
١٢٤	١٧١
١٢٦	١٧٢
١٢٨	١٧٣
١٣٢	١٧٤
١٣٤	١٧٥
١٣٦	١٧٦
١٣٧	١٧٧
١٣٩	١٧٨
١٤٣	١٧٩
١٥٠	١٨٠
١٥٤	١٨١
١٥٧	١٨٢
١٥٧	اشاره
١٥٩	سياسه الحجّاج المخزبه

١٦٢	١٨٣
١٦٥	١٨٤
١٦٧	١٨٥
١٦٩	١٨٦
١٧١	١٨٧
١٧٢	١٨٨
١٧٣	١٨٩
١٧٥	١٩٠
١٧٧	١٩١
١٨١	١٩٢
١٨٥	١٩٣
١٨٨	١٩٤
١٩٣	١٩٥
١٩٣	اشاره
١٩٦	الكوز
١٩٧	١٩٦
١٩٧	اشاره
٢٠٣	طريق خراسان
٢٠٤	١٩٧
٢١٩	١٩٨
٢٢٢	الباب السادس
٢٢٢	اشاره
٢٢٢	١٩٩
٢٢٦	٢٠٠
٢٣٠	٢٠١
٢٣٥	٢٠٢

٢٣٧	٢٠٣
٢٤٧	٢٠٤
٢٥٣	٢٠٥
٢٥٥	٢٠٦
٢٥٥	اشاره
٢٦٤	السكر
٢٦٦	٢٠٧
٢٦٨	٢٠٨
٢٧٣	٢٠٩
٢٧٣	اشاره
٢٧٦	النبيد
٢٧٨	٢١٠
٢٨٠	٢١١
٢٨٢	٢١٢
٢٨٤	٢١٣
٢٩٠	٢١٤
٢٩٣	٢١٥
٢٩٦	٢١٦
٣٠٣	٢١٧
٣٠٦	٢١٨
٣٠٨	٢١٩
٣١٠	٢٢٠
٣١١	٢٢١
٣١١	اشاره
٣١٥	الرحبه
٣١٧	٢٢٢

٣٢١	٢٢٣
٣٢٤	٢٢٤
٣٢٩	٢٢٥
٣٣٠	٢٢٦
٣٣٢	٢٢٧
٣٣٥	٢٢٨
٣٣٥	اشاره
٣٣٧	المستجبه
٣٤٠	٢٢٩
٣٤٢	٢٣٠
٣٤٤	٢٣١
٣٤٥	٢٣٢
٣٤٦	٢٣٣
٣٤٨	الباب السابع
٣٤٨	اشاره
٣٤٨	٢٣٤
٣٤٨	اشاره
٣٥٢	يزيد بن معاويه
٣٥٤	٢٣٥
٣٥٨	٢٣٦
٣٥٩	٢٣٧
٣٦١	٢٣٨
٣٦٦	٢٣٩
٣٧٠	٢٤٠
٣٧٢	٢٤١
٣٧٥	٢٤٢

٣٧٨	٢٤٣
٣٨٠	٢٤٤
٣٨٣	٢٤٥
٣٨٨	٢٤٦
٣٩٤	٢٤٧
٣٩٤	اشاره
٣٩٧	المسجد الحرام
٣٩٨	٢٤٨
٤٠٣	٢٤٩
٤٠٥	٢٥٠
٤١٢	٢٥١
٤١٣	٢٥٢
٤١٩	٢٥٣
٤٢١	محتويات الكتاب
٤٢٨	تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور: الفرج بعد الشده/محسن بن علی التنوخی ؛ مصحح- شالجي، عبود

مشخصات نشر: بیروت- لبنان: دارصادر

مشخصات ظاهری: ۵ج.

کد کنگره: ۳۹۱۰ PJA / ف ۴

موضوع: تربیت اخلاقی -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع: تربیت اخلاقی -- جنبه های قرآنی

موضوع: نثر عربی - قرن ۴ق.

موضوع: داستانهای عربی - قرن ۴ق.

در کتاب به داستان هایی پرداخته شده که موضوعش فرج بعد از شدت است و دعاهایی نیز در این باب ذکر شده است.

ص: ۱

الفرج بعد الشده

محسن بن على التنوخى ؛ مصحح - شالجي، عبود

ص: ٣

من خرج من حبس أو أسر و اعتقال

إلى سراح و سلامه و صلاح حال

(١)

١٥١

رسول الله يمين علي هوازن

و يطلق لهم أسراهم و يردّ عليهم ما غنم منهم

حدّثنا الأمير أبو بكر محمّد بن بدر (٢)، قال: حدّثنا الأمير أبو النّجم بدر الكبير المعروف بالحمامي (٣)، قال: حدّثنا محمّد بن عبد الله العبسي الجشمي

ص: ٥

- ١- ورد في غ، في صدر هذه القصّه: بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين، أوّل الجزء الثاني من كتاب الفرج بعد الشّدّه.
- ٢- أبو بكر محمّد بن بدر الحمامي المعروف ببدر الكبير: كان أبو بدر أميرا على فارس، و لما توفّي تقلّد الولاية على فارس في محله، و دامت ولايته مدّه، ثم قدم بغداد و توفّي بها سنه ٣٦٤ (الأعلام ٢٧٤/٦ و [٢] تاريخ بغداد للخطيب ١٠٨/٢) و [٣] كانت داره على دجلة بمحله باب البستان (بستان الزاهر) (وزراء ٣٣١)
- ٣- أبو النجم بدر بن عبد الله، المعروف بالحمامي، نسبه لطير الحمام، و يقال له بدر الكبير: من كبار القوّاد الأتراك في الدّوله العباسيّة، نشأ بمصر، و ولى ولايات، ثم انتقل لخدمه العباسيين، فولّى أصبهان، و توفّي في شيراز سنه ٣١٠ و هو عامل على فارس، و كان شجاعا، جوادا، عادلا (الأعلام ١٢/٢ و [٤] تاريخ بغداد للخطيب ١٠٥/٧) [٥] راجع القصّه ١٥٦/٢ من نشوار المحاضر، و [٦] كان المقتدر متزوّجا بابنته (راجع القصّه ٢/٥ من نشوار المحاضر).

من قواد فلسطين (١)، قال: حدّثنا أبو عمر زياد بن طارق، قال: قال لى ابن الرماحى، و كانت قد أتت عليه عشرون و مائه سنه (٢)، و هو يصعد يلقط التين، قال: سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى (٣)، يقول:

أسرنا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم [يوم حنين و] (٤) يوم هوازن (٥)، و ذهب يفرق السبى، فقمت، فأشدته: [٥٢ ر]

امن علينا رسول الله فى كرم فإنك المرء نرجوه و ننتظر

امن على بيضه، قد عاقها قدر مفرق شملها، فى دارها غير

أبقت لنا الحرب هيافا (٦) على حزن على قلوبهم الغماء و الغمر

إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلما حين يختبر

امن على نسوه قد كنت ترضعها [إذ فوك يملؤه من محضها الدرر] (٧)

[إذا أنت طفل صغير كنت ترضعها] ١٠ و إذ يريبك (٨) ما تأتي و ما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعمته (٩) و استبق منا فإننا معشر زهر

ص: ٦

١- كذا ورد فى غ، و لعلّ الصحيح: من قراء فلسطين.

٢- ورد السند فى تاريخ بغداد للخطيب ١٠٥/٧ [١] كما يلى: أخبرنا أبو نعيم، قال: حدّثنا أبو بكر محمّد ابن بدر الأمير مولى المعتضد ببغداد، قال: حدّثنا أبى أبو النجم بدر الكبير، قال: حدّثنا عبيد الله ابن محمّد بن رماحس، قال: حدّثنا أبو عمرو زياد بن طارق، و كانت قد أتت عليه عشرون و مائه سنه، قال: سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى... الخ.

٣- فى الطبرى ٨٦/٣، [٢] إنه زهير بن صرد، يكتى أبا صرد.

٤- الزيادة من غ.

٥- أخبار غزوه هوازن بحنين فى الطبرى ٧٠/٣-٨٢ و ٨٦-٩٤.

٦- الهيف: العطش الشديد.

٧- الزيادة من تاريخ بغداد للخطيب ١٠٦/٧.

٨- فى تاريخ بغداد للخطيب: و [٥] إذ يزينك ص ١٠٦/٧.

٩- شالت نعمته: مات، و شالت نعمته القوم: أدخلوا منازلهم، و تفرقوا، و ذهب عزهم.

إِنَّا لَنشكر للنعماء إذ كفرت (١) و عندنا بعد هذا اليوم مدّخر

يا خير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر

إِنَّا نؤمّل عفوًا منك تلبسه هذى البريّه إذ تعفو و تنتصر

عفوًا عفا الله عمّا أنت راهبه يوم القيامه إذ يهدى لك الظفر

قال: فلما سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الشعر، قال: ما كان لي و لبنى عبد المطلب، فهو لكم.

فقال قريش: ما كان لنا فهو لله و لرسوله.

و قالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله و لرسوله.

فأطلقهم جميعاً (٢).

و حدّثنا أبو العباس محمّد بن أحمد المعروف بالأثرم، المقرئ الخياط البغدادي، بالبصره، قال: حدّثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار

العطاردى (٣)، قال: حدّثنا يونس بن بكير الشيبانى (٤)، عن محمّد بن إسحاق (٥)، قال:

ص: ٧

١- فى تاريخ بغداد للخطيب ١٠٦/٧: [١] إِنَّا لَنشكر للنعمى إذا كفرت.

٢- وردت القصّه فى الطبرى ٨٦/٣ و ٨٧ و [٢] فى تاريخ بغداد للخطيب ١٠٥/٧ و ١٠٦ و [٣] فى حلّ العقال ص ٣٧، و فى نفتح الطيب ٥٦٢/٢ و ٥٦٣.

٣- أبو عمر أحمد بن عبد الجبار بن محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زراره التميمي، المعروف بالعطاردى: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٢٦٢/٤-٢٦٥ و قال: إنّه توفّى سنة ٢٧٢.

٤- أبو بكر يونس بن بكير بن واصل الشيبانى الحافظ: ترجم له صاحب الخلاصه ٣٧٩ و قال: إنّه توفّى سنة ١٩٩.

٥- أبو بكر محمّد بن إسحاق بن يسار: صاحب السير، أقدم مؤرّخى العرب، زار الإسكندريه، و أقام ببغداد، توفّى سنة ١٥١ (الأعلام ٢٥٢/٦).

حدّثني عمرو بن شعيب (١)، عن أبيه (٢)، عن جدّه (٣)، قال:

كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بحنين، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم و سبائهم، أدر كته هوازن بالجعرانه، و قد أسلموا.

فقالوا: يا رسول الله، لنا أهل و عشيره، و قد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامن علينا من الله عليك.

و قام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنّ ما في الحظائر من النساء، خالاتك، و عماتك، و حواضنك اللاتي تكفلنك، و لو أننا ما لحنا (٤) ابن أبي شمر (٥)، أو النعمان بن المنذر (٦)، ثم أصابنا مثل الذي أصابنا منك، رجونا عائدتهما، و عطفهما. أنشد أبياتا قالها.

و ذكر من الأبيات ثمانية، فقال في الأوّل: و ندخر (٧)، و قال في الثاني:

ممزق، و قال في الثالث: نهّافا (٨)، و قال في السادس: نعماتهم، و قال في السابع: إنّنا لنشكر آلاء و إن كفرت.

ص: ٨

١- أبو إبراهيم عمرو بن شعيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي المدني، نزيل الطائف: ترجم له صاحب الخلاصه ٢٤٦ و قال إنه توفّي سنة ١١٨.

٢- شعيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي: ترجم له صاحب الخلاصه ١٤١.

٣- محمّد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي: ترجم له صاحب الخلاصه ٢٨٥، و أحسب أنّ المقصود بالجدّ أبا محمّد عبد الله بن عمرو بن العاص، ترجم له صاحب الخلاصه ١٧٦ و قال: كان بينه و بين أبيه إحدى عشره سنه.

٤- الممالحه: المؤاكلة، و هو يشير هنا إلى رضاع النبي صلوات الله عليه في بني سعد.

٥- الحارث بن أبي شمر الغساني: من أمراء غسان في أطراف الشام، أدرك الإسلام، و مات سنه ٨ للهجره.

٦- أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللّخمى: ممدوح النابغه الذبياني، من أشهر ملوك الحيره في الجاهليه، قال صاحب الأعلام ١٠/٩ [١] إليه تنسب مدينه النعمانيه على ضفه دجله، أقول: أنا أشكّ كثيرا في كون مدينه النعمانيه من بناء النعمان بن المنذر، و أرجح ما أثبتته ياقوت في معجمه ٧٩٦/٤ إذ قال: كأنّها منسوبه إلى رجل اسمه النعمان.

٧- في الأصل: و ترخر، و هو تصحيف.

٨- في الأصل: نهانا، و هو تصحيف، و النهاف: المتحIRON.

الوزير القاسم يعتقل ثلاثة أمراء عباسيين

أخبرنا أبو بكر الصولي، قال:

كان القاسم بن عبيد الله (١)، قد تقدّم عند وفاه المعتضد، إلى صاحب الشرطه مؤنس الخازن (٢)، أن يوجه إلى قصي بن المؤيد (٣) و عبد العزيز بن المعتمد (٤)،

ص: ٩

١- أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي (٢٥٨-٢٩١) ستوزره المعتضد العباسي، بعد وفاه والده عبيد الله، سنة ٢٨٨، و لما استخلف المكتفي في السنة ٢٨٩، أخذ له البيعه، و استمرّ على وزارته له، إلى أن مات، و الأبيات التي قالها ابن بسام فيه، عند وفاته، تدلّ على أنه توفّي مصابا باسهال الدوزنطاريا (ابن الأثير ٥٣٣/٧ و ٥٣٤)، و [١] كان جبارا، سفاكا للدماء، مطعوناً في دينه، و أنّهم بأنّه قتل ابن الرّومي بالسم (الفخرى ٢٥٧ و [٢] مروج الذهب ٥٣١/٢).

٢- مؤنس الخازن: و يقال له مؤنس الفحل، تميّزا له عن مؤنس الخادم، القائد العباسي المعروف بالمظفر، كان مؤنس الخازن صاحب الشرطه ببغداد، و لما خرج المعتضد لقتال أحمد بن عيسى بن شيخ في السنة ٢٨٥ استخلفه على بغداد (تاريخ الحكماء ٧٧)، راجع القصّه ٤٧/٣ من كتاب نشوار المحاضر.

٣- قصي بن المؤيد إبراهيم بن جعفر المتوكّل: كان أبوه إبراهيم أحد أولاد المتوكّل الثلاثة الذين عقد لهم العهد في السنة ٢٣٥، ثمّ قتله أخوه المعتز في السنة ٢٥٢، و ترجمه المؤيد في حاشية القصّه ٢٨٤ من الكتاب، و يظهر من اعتقال هؤلاء الثلاثة، أنّهم كانوا في مقدّمه الأمراء العباسيين المرشحين للخلافه في ذلك الحين.

٤- للمعتمد على الله أربعة أولاد، أكبرهم جعفر الملقّب بالمفوّض، و كانت إليه ولايه العهد، و عبد العزيز، و أبو عبد الله محمّد، و أبو أحمد إسحاق مات في حياه أبيه (خلاصه الذهب المسبوك ٢٣٤) و [٤] لما حلّ المعتضد محلّ أبيه الموقّق، في السنة ٢٧٨، أجبر عمّه المعتمد على أن يبايع له بولايه العهد، بعد المفوّض، و بعد سنه واحده، خلع المفوّض من ولايه العهد، و حلّ المعتضد محلّه، و توفّي المعتمد بعد ذلك بسبعه أشهر، و المفوّض إذ ذاك محجور عليه، في دار المعتضد، لا يخرج و لا يظهر، و توفّي في السنة ٢٨٠، بعد وفاه أبيه بقليل (الطبري ٢١/١٠ و ٢٢ و ٢٨ و [٥] ٢٩ و ٣٣)، أمّا أبو عبد الله

و عبد الله بن المعتز (١)، فيحبسهم في دار ٦، و يوكل بهم، ففعل ذلك، و كانوا محبوسين خائفين، إلى أن قدم المكتفى ٧ ببغداد فعرف خبرهم، فأمر بإطلاقهم، و وصل كل واحد منهم بألف دينار.

قال: فحدثني عبد الله بن المعتز، قال: سهرت في الليلة التي في صبيحتها دخل المكتفى إلى بغداد ٨، فلم أنم، خوفا على نفسي، و قلقا لوروده، فمَرَّت بي في السحر طير، فصاحت، فتمنيت أن أكون مخلى مثلها، لما جرى عليّ من النكبات ٩.

ثم فكّرت في نعم الله تعالى عليّ، و ما خارته لي من الإسلام و القرابه من رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و ما أوّمله من البقاء الدائم في الآخرة [٦٦ م] فقلت:

يا نفس صبرا لعلّ الخير عقباك خانتك من بعد طول الأمن دنياك

مَرّت بنا سحرا طير فقلت لها: طوباك يا ليتني إياك طوباك

لكن هو الدهر فالقيه على حذر فربّ مثلك ينزو تحت أشراك

ص: ١٠

١- أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز بن المتوكل (٢٤٧-٢٩٦): ترجمته في حاشية القصّه ٥٠ من الكتاب.

البحترى و أبو معشر يؤصّلان عند المعتزّ أصلاً

حدّثنى على بن هشام بن عبد الله الكاتب (١)، قال: حدّثنى أبو القاسم سليمان ابن الحسن بن مخلد (٢)، قال:

لما أنفذ (٣) أبى إلى مصر، اجتذبت أبا عباده البحترى (٤)، و أبا معشر المنجم (٥)، و كنت [٩٣ غ] آنس بهما فى وحدتى، و ملازمتى البيت، فكانا أكثر الأوقات عندى، يحادثانى و يعاشرانى.

فحدّثانى يوماً: إنهما أضاقا إضاقة شديده، و كانا مصطحبين، فعنّ (٦) لهما أن يلقيا المعتزّ بالله (٧)، و هو محبوس، فيتودّدان إليه [٦٦ ظ] أو يؤصّلان

ص: ١١

١- أبو الحسين على بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبى قيراط.

٢- أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح.

٣- فى غ: أبعد.

٤- أبو عباده الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى البحترى (٢٠٦-٢٨٤): أحد ثلاثة كانوا أشعر أهل عصرهم: المتبى، و أبو تمام، و البحترى، و قال أبو العلاء المعزى: المتبى و أبو تمام حكيمان، و الشاعر البحترى، مدح جماعه من الخلفاء أولهم المتوكل، و عاد فأقام بمنبج مسقط رأسه، و مات بها.

٥- أبو معشر جعفر بن محمّد بن عمر البلخى الفلكى: عالم فلكى مشهور كان أولاً من أصحاب الحديث، و تعلّم النجوم و هو ابن ٤٧ سنة، راجع فى القصّه ٣٥/٤ من نشوار المحاضره [١] كيفيه تعلّمه النجوم، و كان أعلم الناس بتاريخ الفرس و سائر الأمم، و عمّر طويلاً، و مات بواسط سنة ٢٧٢ (الأعلام ١٢٢/٢) [٢] بشأن أبى معشر راجع القصص ١٧٠/٢ و ١٧١/٢ من نشوار المحاضره.

٦- فى غ: فعرض.

٧- أبو عبد الله محمّد المعتز بن جعفر المتوكل (٢٣٢-٢٥٥): ولد بسامراء، و بويع بولايه العهد سنة ٢٣٥، و لما ولى المستعين سنة ٢٤٨ سجن المعتز، فأخرجه الأتراك سنة ٢٥١ و بايعوه بالخلافه، و كانت أيامه أيام فتن و قلاقل، و قتله الأتراك بعد أن عدّبوه (الأعلام ٢٩٦/٦).

عنده أصلاً، فتوصلاً إليه، حتى لقيه في حبسه.

قال البحتري: فأنشده أبياتي التي كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري (١)، [لما حبس] (٢)، وخطبت بها المعتر، كأني عملتها له في الحال، وهي:

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك من الحادث المشكو و النازل المشكى (٣)

و ما هذه الأيام إلا منازل فمن منزل رحب و من منزل ضنك

و قد هذبتك الحادثات و إنما

صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك (٤) [٥٣ ر]

أما في رسول الله يوسف أسوه لمثلك محبوسا على الظلم و الإفك

أقام جميل الصبر في السجن برهه قال به الصبر الجميل إلى الملك

على أنه قد ضيم في حبسك العلى و أصبح عز الدين في قبضه الشرك (٥)

ص: ١٢

١- أبو سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الثغري الطائي الصامتي: كان من القواد الشجعان، اشترك في جميع الحملات التي جردت لحرب بابك الخرمي منذ السنة ٢١٤، وهو الذي أسر بابك، و سلمه للأفشين سنة ٢٢٢ (الكامل ٤١٢/٦-٤٧٤)، و [١] لقب بالثغري: نسبه إلى الثغر، و هو الموضع المواجه للعدو (اللباب ١/١٩٥)، و كان الثغري شديد النكايه في الروم (راجع ديوان البحتري ٢٤٥-٢٥٥) و غضب عليه المتوكل فصرفه عن حرب الثغور (ديوان البحتري ٢٤٩ سطر ٣) ثم اعتقله (ديوان البحتري ٦٥١) و قتل أبو سعيد بأرسناس و هو يقاتل الروم، و رثاه البحتري، ديوان البحتري ٤٨٨، ٤٩٣، ٤٩٠.

٢- الزيادة من غ و من القصه ١٩/٨ من نشوار المحاضر، و [٢] كان المتوكل لما اعتقل الثغري، سلمه إلى كاتب نصراني لسعيد الحاجب، و أمره بتعذيبه و الغلظه عليه في المطالبه و الاستخراج، (ديوان البحتري ٦٥١).

٣- ديوان البحتري ص ٧٣٥.

٤- في الديوان يوجد بيت بعد هذا البيت لم يذكر في القصه، و هو: و ما أنت بالمهزوز جأشا على الأذى و لا المتفرى الجلدين على الدلك

٥- هذا البيت في غ: و أضحيت يد الإسلام في قبضه الشرك، و في الديوان: على أنه قد ضيم في حبسك الهدى و أضحى بك الإسلام في قبضه الشرك

قال: فأخذ الرّقعته الّتي فيها الأبيات، فدفعها إلى خادم كان واقفا على رأسه، و قال له: احتفظ بهذه الرّقعته، فإن فرّج الله عنّي، فأذكرني بها، لأقضى حقّ هذا الرّجل الحرّ.

و قال لي أبو معشر: وقد كنت أنا أخذت مولده، و وقت عقد له العهد، و وقت عقدت البيعه للمستعين (١) بالخلافه، فنظرت في ذلك، و صحّحت الحكم للمعتزّ بالخلافه بعد فتنه تجرى و حروب، و حكمت على المستعين بالقتل، فسلمت ذلك إلى المعتز، و انصرفنا.

و ضرب الزّمان ضربه (٢)، و صحّ الحكم بأسره.

قال أبو معشر: فدخلت أنا و البحتري جميعا إلى المعتزّ، و هو خليفه، بعد خلع المستعين (٣) [و تغريقه] (٤)، فقال لي: لم أنسك، و قد صحّ حكمك، و قد أجريت لك في كلّ شهر مائه دينار، و ثلاثين دينارا نزلا، و جعلتك رئيس المنجّمين في دار الخلافه، و أمرت لك عاجلا بإطلاق ألف دينار صلّه، فقبضت ذلك كلّه في يومى.

ص: ١٣

١- أبو العباس أحمد المستعين بن محمّد بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢١٩-٢٥٢): ولد بسامراء، و بويع بالخلافه بعد وفاه المنتصر سنة ٢٤٨، و كان الحكم في زمانه للأتراك، كان المسيطر أو تامش التركي، فقتل، و تسلّط أتراك آخرون، و انتقل إلى بغداد، فغضب الأتراك المسيطرون و طالبوه بالعوده، فامتنع، فخلعوه، و أخرجوا المعتز من سجنه فبايعوه، و حاربوا المستعين، و انتصروا عليه فخلع نفسه، ثمّ قتلوه (الأعلام ١/١٩٤، و [١] مروج الذهب ٢/٤٤٧ و ٤٤٨).

٢- في غ: و ضربت الأيام ضربها.

٣- بشأن خلع المستعين راجع الكامل لابن الأثير ١٦٧/٧.

٤- هذه الكلمه لم ترد في غ، و ثمه اختلاف في كيفية قتل المستعين، و في موضع القتل: ففي تاريخ بغداد للخطيب ٨٥/٥ [٣] إنّه قتل بموضع يقال له: القادسيه، في طريق سرمن رأى، و في الكامل لابن الأثير ١٧٣/٧ [٤] أنّ سعيد بن صالح أدخله إلى منزله، و ضربه حتى مات، و قيل: جعل في رجله حجرا و ألقاه في دجله، و قيل ضربه بالسيف، فصاح، و صاحت دايته، فقتلها معا.

و قال لى البحترى: و تقدّمت أنا، فأنشدت المعتزّ قصيده مدحته بها، و هنأته بالخلافه، و هجوت المستعين، أوّلها:

يجانبنا فى الحبّ من لا نجانبه و يبعد عنّا فى الهوى من نقاربه (١)

فلما بلغت فيها إلى قولى، [و المعتزّ يستمع] (٢):

فكيف رأيت الحقّ قرّ قراره و كيف رأيت الظلم آلت عواقبه

و لم يكن المغتّر بالله إذ سرى ليعجز و المعتزّ بالله طالبه

رمى بالقضيب عنوه و هو صاغر و عرّى من برد النّبي مناكبه

و قد سرّنى أن قيل و جّه غاديا (٣) إلى الشّرق تحدّى سفنه و ركائبه

إلى واسط حيث الدجاج و لم تكن لتنشب إلّا فى الدجاج مخالفه (٤)

فاستعادنى هذه الأبيات مرارا، فأعدتها عليه، فدعا الخادم الذى كان معه فى [٩٤ غ] الحبس، و طلب منه الرّقععه الّتى كنت أنشدته الشّعرا الذى كان فيها، فى حبسه، فأحضره إيّاها بعينها.

فقال: قد أمرت لك بكلّ بيت منها بألف دينار، و كانت ستّة أبيات، فأخذت ستّة آلاف دينار.

ثمّ قال لى: كأتى بك، و قد بادرت، فاشتريت منها جاريه، و غلاما، و فرسا، و أتلفت المال، لا تفعل، فإنّ لك فيما تستأنفه معنا من أيّامك، و مع

ص: ١٤

١- فى ظ و م و ر: ورد الشطر الأوّل من البيت وحده، و الإضافة من غ و من نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتوخى ١٩/٨.

٢- لا توجد فى غ.

٣- فى ظ: غازيا، و فى م: عاريا، و فى ر: عازبا، و فى غ: عاديا، و فى نشوار المحاضره ١٩/٨ [٢] مسرعا.

٤- لم أجد فى ديوان البحترى من هذه الأبيات السّتّه سوى بيت المطلع: يجانبنا فى الحب، و البيت الّذى أوّله: فكيف رأيت الحق، راجع الديوان ص ١٣٥ و ١٣٦.

وزرائنا و أسبابنا، إذا عرفوا موضعك عندنا، غناء عن ذلك، و لكن افعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات (١) بالمال الذي أعطاه عبد الله بن جعفر، و اشترى به ضيعه، فاشتر أنت أيضا به ضيعه تنتفع [٦٧م] بغلتها، و يبقى عليك و على ولدك أصلها.

فقلت: السمع و الطاعة، و خرجت فاشترت بالمال ضيعه جليله بمنيج (٢)، ثم ارتفعت حالي معه و زادت (٣).

ص: ١٥

-
- ١- عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، المعروف بابن قيس الرقيات: ترجمته في حاشيه القصه ٤٦٢ من هذا الكتاب.
 - ٢- راجع بشأن هذه الضيعه، القصه ٢٠/٨ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتوخى.
 - ٣- وردت هذه القصه في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتوخى ١٩/٨.

أبو سعيد الثغرى يعتقل و يعذب

قال مؤلف هذا الكتاب: و للبحترى فى هذه الأبيات الكافيه، خبر آخر حسن، نذكره لأنه أيضا يدخل فى هذا الباب، أخبرنى أبو بكر الصولى [إجازه، و نقلته من خطه، قال: حدثنى أحمد بن إبراهيم الفنوى،] (١) قال:

طوب أبو سعيد الثغرى، بمال، بعد غزواته المشهوره، و سلم إلى أبى الحسين النصرانى الجهبذ [٥٤ ر] ليستخرج منه المال، فجعل يعذبه [٦٧ ظ] فشق ذلك على المسلمين، و قالوا: يأخذ بثأر النصرانيه.

فقال البحتري:

يا ضيعه الدنيا و ضيعه أهلها و المسلمين و ضيعه الإسلام

طلبت ذحول الشرك فى دار الهدى بين المداد و ألسن الأقلام

هذا ابن يوسف فى يدى أعدائه يجزى على الأيام بالأيام (٢)

نامت بنو العباس عنه و لم تكن عنه أميه - لو رعت - بنيام

فقرئ هذا الشعر على المتوكل، فأمر بإطلاق أبى سعيد، و توليته، [و أمر بإحضار قائل الأبيات، فأحضر] (٣) البحتري، و اتصل به، فكان أول شعر أنشده، قوله فى أبى سعيد:

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك

[و ذكر الأبيات، إلا أنه قال فى البيت الثالث، بدل الحادثات: النائبات،

ص: ١٦

١- الزيادة من غ.

٢- لم يرد هذا البيت فى ظ.

٣- كذا ورد فى غ، و فى بقيه النسخ: و استدعى.

و قال فى البيت الذى أوّله:

على أنه قد ضيم فى حبسك العلى و أضحى بك الإسلام فى قبضه الشّرك [١]

ص: ١٧

١- الزيادة من غ، و توفى أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى فى السنه ٢٣٦، و كان قد ولى أذربيجان و أرمينيه، فعسكر بكرخ فيروز، و هو كرخ سامراء (المفترق صقعا ٣٦٩)، و أراد الركوب، فلبس أحد خفيه، و مدّ الآخر ليلبسه، فسقط ميتا (الطبرى ١٨٥/٩، و [١] تجارب الأمم ٥٤٦/٦) و رثاه البحترى (ديوان البحترى ٤٨٨-٤٩٣).

البحترى يهنئ إبراهيم بن المدبر

و من محاسن شعر البحترى العذى يتعلّق بهذا الباب، وإن كان تعلقاً ضعيفاً، [إلا أنّ الشىء بالشىء يذكر، ولا سيّما إذا قاربه] (١)، ما أخبرنيّه الصولى، إجازته، قال:

ذكر إبراهيم بن المدبر (٢)، يوماً، البحترى، فقال: ما رأيت أتمّ طبعاً منه، و لا أحضر خاطراً، فقد مدحني حين تخلّصت من الأسر (٣)، [يعنى أسر صاحب الزنج بالبصرة] (٤) و ذكر الضربه الّتى فى وجهي (٥)، و تخلّصى، و مدح المأسور شىء ما راعاه قبله أحد.

قال الصولى: و الأبيات من قصيده أولها:

قد كان طيفك مرّه يغرى بى (٦)

ص: ١٨

١- كذا ورد فى غ، و فى بقيه النسخ: و لكنّه يقاربه.

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن عبيد الله بن المدبر: ممدوح البحترى، راجع ديوان البحترى ٢١١-٢٣٣، كاتب، شاعر، تولى الولايات، الحليله، و استوزره المعتمد العباسى لما خرج يريد مصر سنة ٢٦٩، و كان غزلاً، و كانت بينه و بين عريب حال مشهوره، و كان يهواها و تهواه، انظر أخبارهما فى الأغاني، طبعه بولاق ١١٤/١٩، [١] توفى ببغداد سنة ٢٧٩ و هو يتقلّد ديوان الضياع للمعتضد، راجع ترجمته فى الأعلام ٥٦/١، و [٢] راجع القصّه ١٤٥/١ من كتاب نشوار المحاضر و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى.

٣- انظر كيفيه تخلّص إبراهيم بن المدبر من الأسر فى الكامل لابن الأثير ٢٤٢/٧.

٤- الزيادة من غ.

٥- لما هاجم صاحب الزنج الأهواز، هرب من فيها من الجند و من أهلها، و لم يبق إلا القليل، فدخلها الزنج، و أخربوها، و كان بها إبراهيم بن المدبر متولّى الخراج، فأخذه أسيراً، بعد أن جرح، و نهب جميع ماله، و كان ذلك يوم ١٢ رمضان سنة ٢٥٦ (الكامل لابن الأثير ٢٣٧/٧).

٦- ديوان البحترى ص ٢٢٠، و تتمّه البيت: يعتاد ركبي طارقاً و ركابى.

قال فيها:

لو أنه استام التّجاه لنفسه وجد التّجاه (١) رخيصة الأسباب

و ميينه شهد المنازل رسمها و الخيل تكبو في العجاج الكابي

كانت بوجهك دون عرضك دراه إنّ الوجوه تصان بالأحساب [٩٥ غ]

و لئن أسرت فما الإسار على امرئ لم يأل صدقا في اللقاء بعاب (٢)

نام المضلل عن سراك و لم يخف حرس الرقيب و قسوه البواب (٣)

و رأى بأنّ الباب مذهبك الذي يخشى و همك كان غير الباب

[قال ذلك لأنه نقب نقبا، و خرج منه. (٤)]

فركتبها هولاً متى تخبر بها يقل الجبان أنيت غير صواب

ما راعهم إلا امترائك مصلتا عن مثل برد الأرقم المنساب

تحمي أغيلمه و طائشه الخطى تصل التلقّت خشيه الطلاب

[قال ذلك لأنه أخرج معه من الحبس امرأه، و أخرج ابن أخيه] ١٠

ما زال يوم ندى بطولك زاهرا حتّى أضفت إليه يوم ضراب (٥)

[ذكر من البأس استعدت إلى الذي أعطيت في الأخلاق و الآداب

و روى غير الصولي، في البيت الذي قبل هذا الآخر:

لم ترض يوم ندى بطولك... [١٠

ص: ١٩

١- في الأصل: الحياه، و التصحيح من الديوان.

٢- في الديوان: نصر الأسار على الفرار بعاب.

٣- كذا ورد في غ، و في الديوان: سنه الرقيب و نشوه البواب.

٤- الزيادة من غ.

٥- فى الءىوان: قد كان يوم نءى بطولك راهن.

يمنع ابن أبي سبره علنا و يجيزه سرا

[حدّثنا أحمد بن عبد الله الورّاق، من كتاب نسب قريش للزبير بن بكار، قال: حدّثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: أخبرني عمّي مصعب بن عبد الله، و حدّثني سعيد بن عمرو، جاء بهما الزبير خبرين مفردين فيهما تكرير و زياده في أحدهما على الآخر، و أنا هنا أجمع بينهما، و أجعلهما سياقه واحده، و أسقط التكرير، قال: (١)]

كان أبو بكر محمّد بن أبي سبره [بن أبي ريم بن عبد العزّي بن أبي قيس ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن نصر بن مالك بن النضر بن كنانه] اعاملا لرياح بن عثمان (٢)، على مسعا (٣) أسد و طيّع.

فلما خرج محمّد بن عبد الله بن الحسن [بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام] (٤) جاء بما صدّق من المال إليه، و مبلغه أربعة و عشرون ألف دينار (٥)،

ص: ٢٠

١- الزيادة من غ.

٢- رياح بن عثمان بن حيّان بن معبد المرّي: كان أبوه عاملا على المدينة للوليد الأمويّ و كان ظالما جائرا، و سار ولده رياح على طريقته في الظلم و الجور، فعسف الناس عسفا شديدا من أجل القبض على محمّد و إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، فظهر محمّد، و استولى على المدينة، و قتل رياحا (الطبرى ٥١٧/٧، ٥٩١، ٥٣١).

٣- المسعا: الولاية على الصدقات، يقال: استسعى الرجل، أى استعمله على الصدقات، و ولاه استخراجها من أربابها.

٤- أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، الملقّب بالنفس الزكيّة (٩٣-١٤٥): عالم، شجاع، سخي، حازم، رشّحه الهاشميون، من عبّاسيين و علويّين، للخلافه، و بايعوه سرا في العهد الأمويّ، و كان السفاح و المنصور من دعائه، فلمّا باولى المنصور، ألحّ في طلبه حتى اضطرّه للخروج عليه، فخرج بالمدينة، و خرج أخوه إبراهيم بالبصرة، فقبض المنصور على والدهما و على اثني عشر رجلا من أقاربهما، و عذبهم أشدّ العذاب، حتى ماتوا في حبسه بالكوفة (راجع حاشية القصة ٣١٨ من هذا الكتاب)، و بعث المنصور عيسى بن موسى لقتال محمّد، فقتله بالمدينة، و قتل أخوه إبراهيم بباخمري، بين الكوفة و واسط (معجم البلدان ١/٤٥٨، [٢] الأعلام ٧/٩٠).

٥- الطبرى ٧/٦٠٩.

فدفع ذلك إليه، فكانت قوّه لمحمّد.

فلما قتل عيسى بن موسى (١) محمّدا بالمدينه، قيل لأبى بكر: اهرب، قال:

ليس مثلى يهرب، فأخذ أسيرا، فطرح فى حبس المدينه، و لم يحدث عيسى بن موسى فى أمره شيئا غير حبسه، فأمر المنصور بتقييده، فقيّد (٢).

فقدم المدينه بعد ما شخص عيسى بن موسى، عبد الله بن الربيع المدنى (٣) و معه جند، فعاثوا فى المدينه و أفسدوا (٤)، فوثب عليه سودان المدينه و الرعاع، فقتلوا جنده، و طردوهم، و انتهبوا عبد الله بن الربيع، فخرج حتّى نزل ببئر المطلب، يريد العراق، على خمسه أميال من المدينه (٥).

و كبس السودان السجن، فأخرجوا أبا بكر.

و قال سعيد: فأخرج القرشيون أبا بكر، فحملوه على منبر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، فنهى عن معصيه أمير المؤمنين، و حثّ على طاعته.

و قيل له: صلّ بالناس.

فقال: إنّ الأسير لا يؤمّ، و رجع إلى محبسه.

ص: ٢١

١- أبو موسى عيسى بن موسى بن محمّد (١٠٢-١٦٧): [١] ابن أخ السفّاح العبّاسى، أمير، من الولاة القاده، كان يلى الكوفه، و كانت إليه ولايه عهد المنصور، ففتحاه المنصور للمهدى، و نحاه المهدي لولديه موسى و هارون، و خلعه من ولايه العهد (الأعلام ٢٩٦/٥).

٢- فى غ: فأمر المنصور بتحديدده، فحدّد.

٣- فى غ: عبد الله بن الربيع الحارثى.

٤- قدم عبد الله بن الربيع المدينه واليا عليها من قبل أبى جعفر المنصور، فى يوم السبت ٢٥ شوال سنه ١٤٥ (الطبرى ٦١٠/٧).

٥- بئر المطلب: قال ياقوت فى معجم البلدان ١/٤٣٤ [٤] إنّها على سبعة أميال من المدينه، على طريق العراق، منسوبه إلى المطّلب بن عبد الله المخزومى.

فلما ولى المنصور، جعفر بن [٦٨ م] سليمان (١)، على المدينة، قال له:

بيننا وبين أبي بكر رحم، وقد أساء و أحسن، فإذا قدمت المدينة، فأطلقه، و أحسن جواره.

[و قال سعيد: فأمره بإطلاق ابن أبي سبره [٩٦ غ]، و أوصاه به، و قال: إن كان قد أساء فقد أحسن.] (٢)

فأطلقه جعفر.

فسأل جعفر أن يكتب له بوصاه إلى معن بن زائده [٥٥ ر]، و هو إذ ذاك على اليمن، فكتب له بوصاه إليه.

فلقى الرابعي، فقال: هل لك في الخروج معي إلى عمره؟

فقال: أما و الله، ما أخرجني من منزلي إلا طلب شيء لأهلي، فما تركت عندهم شيئاً، فأمر له ابن أبي سبره بنفقته [٦٩ ظ] أنفذها إلى عياله (٣)، و خرج معه.

فلما قضيا عمرتهما، قال للرابحي: هل لك أن تأتي معن بن زائده؟

قال: نعم.

فأمر له بنفقته أنفذها إلى عياله، و أخرجته معه، حتى قدما على معن بن زائده.

فدخل عليه ابن أبي سبره وحده، فدفع إليه كتاب جعفر بالرضا عنه، فلمّا قرأه، قال: كان جعفر أقدر على صلتك منّي، انصرف، فليس لك عندي شيء، فانصرف مغموماً.

ص: ٢٢

١- جعفر بن سليمان بن عليّ العباسي: ابن عمّ المنصور، ولى المدينة في السنه ١٤٦ على أثر مقتل النفس الزكيه، و عزل في السنه ١٥٠، و ولى مكه و الطائف و اليمامة، و توفى في السنه ١٧٧ و هو أمير البصره للرشيد (ابن الأثير ٥/٥٧٦ و ٥٩٣ و ٢١٤، ١٤٠، ٥٦/٦).

٢- الزيادة من غ.

٣- في غ: فقال له ابن أبي سبره: تكفاهم، و أمر لهم بما يصلحهم.

فلما انتصف النهار، أرسل إليه، فجاءه، فقال له: يا ابن أبي سيره ما حملك على أن قدمت عليّ، و أمير المؤمنين عليك واجد؟

ثم سأله: كم دينك؟

قال: أربعه آلاف دينار.

فأعطاه أربعه آلاف دينار، و أعطاه ألفى دينار أخرى، و قال: أصلح بهذه أمرك.

فانصرف إلى منزله، فأخبر الربحي، بما صنع معن معه، فراح الربحي إلى معن، فأنشده:

الربحيّ يقول في مدح لأبي الوليد أخى الندى الغمر

ملك بصنعاء الملوك له ما بين بيت الله و الشحر (١)

لو جاودته الرّيح مرسله لجرى بجود فوق ما تجرى

حملت به أمّ مباركه و كأنّها بالحمل لا تدرى

فقال له معن: فكان ما ذا ويحك؟

فقال:

حتّى اذا ما تمّ تاسعها ولدته مولد ليله القدر

[فقال له معن: ثمّ ما ذا ويحك؟] (٢)

فقال:

فأتت به بيضا أسرته يرجي لحمل نواب الدهر

ص: ٢٣

١- الشحر، بكسر الشين و سكون الحاء: صقع على ساحل بحر الهند من ناحيه اليمن، بين عدن و عمان (معجم البلدان ٣/٣٦٣).

٢- الزيادة من غ.

مسح القوابل وجهه فبدا كالبدر بل أبهى من البدر

فندرن حين رأين غرّته إن عاش أن يوفين بالثذر

لله صوما شكر أنعمه و الله أهل الحمد و الشكر

فقال له معن: ثمّ ما ذا؟

فقال:

فنشا بحمد الله حين نشا حسن المروء نابه الذّكر

[فقال معن: ثمّ ما ذا؟] (١)

فقال:

حتّى إذا ما طرّ شاربه خضع الملوّك لسيد بهر (٢)

فإذا و هي ثغر يقال له: يا معن أنت سداد ذا الثغر

فقال معن: أنا أبو الوليد، أعطوه ألف دينار.

فأخذها و رجع إلى ابن أبي سبره، فخرجا جميعا إلى مكّه.

فقال ابن أبي سبره: أمّا الأربعة آلاف دينار، فلقضاء ديني، و أمّا الألفان الفاضله، فلك منها ألف.

قال الرّابحي: قد أعطاني ألف دينار، و هي تجزيني، فلا تضيق على نفسك، في الألفي الدينار [٩٧ غ].

فقال له: أقسمت عليك لتأخذنها، فأخذها، و أنفق عليه، حتّى أتى المدينة.

و نمي الخبر إلى المنصور، فكتب إلى معن: ما حملك على أن أعطيت

ص: ٢٤

١- الزيادة من غ.

٢- بهر الرجل: فاق أقرانه.

ابن أبي سبره ما أعطيته، وقد علمت ما صنع؟

فكتب إليه معن: إنَّ جعفر بن سليمان كتب إليَّ يوصيني به، ولم أظنَّ أنَّ جعفرًا يكتب في رجل لم يرض عنه أمير المؤمنين.

فكتب المنصور إلى جعفر، يبيِّته بذلك.

فكتب إليه جعفر: أنت، يا أمير المؤمنين أوصيتني به، ولم يكن في استيصائي به شيء أيسر من كتاب وصاه إلى معن (١).

ص: ٢٥

١- قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٥٤/٥: [١] من المراثي النادرة، أبيات الحسين بن مطير الأسدی في معن، وهي من أبيات الحماسه، قال: أَلَمَّا على معن، و قولاً لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعاً فيا قبر معن أنت أول حفره من الأرض خطت للسماحه مضجعاً و يا قبر معن كيف وارىت جوده و قد كان منه البرّ و البحر مترعاً بلى! قد وسعت الجود و الجود ميّت و لو كان حيّاً ضقت حتّى تصدّعا فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعاً و لما مضى معن مضى الجود و انقضى و أصبح عرنين المكارم أجدعا

بال في ثيابه خوفا منه ثم بال على قبره

[وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي، عن أبي طالب الجعفرى، أنه سمع رجلا] (١) يحدث عن محمد بن الفضل الجرجاني (٢) [في وزارته للمعتصم (٣)، قال: (٤)]

كنت أتولى ضياع عجيف (٥)، بكسكر (٦)، فرفع على أنى خنته، وأخرت

ص: ٢٤

١- كذا ورد في غ، وفي ر: وحكى أن محمد بن الفضل الجرجاني، في وزارته، حدث أنه... الخ و في م: وحديث أبو طالب الجعفرى، أن محمد بن الفضل الجرجاني، حدث... الخ.

٢- أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجاني: كاتب، ظريف، حسن الأدب، كتب للفضل بن مروان، ثم وُزِّر للمتوكل، ثم للمستعين، توفي سنة ٢٥١ نسبته إلى جرجايا، مدينه من أعمال النهروان الأسفل، بين واسط و بغداد في الجانب الشرقى، خربت مع ما خرب من النهروان (الأعلام ٢٢١/٧ و [١] معجم البلدان ٥٤/٢).

٣- كذا ورد في غ، وفي الجرجاني لم يوزر للمعتصم، وإنما وُزِّر للمتوكل، ثم للمستعين (الأعلام ٢٢١/٧)، و [٣] أحسب أن هذا من أغلاط النسخ، وقد وردت هذه الفقرة في نسخه م: حدث أبو طالب الجعفرى أن محمد بن الفضل الجرجاني حدث أنه كان في ولاية المعتصم يتولى ضياع عجيف... الخ. وفي نسخه ظ: حدث محمد بن الفضل الجرجاني أنه كان يتولى ضياع عجيف... الخ. وفي نسخه ر: وحكى أن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته حدث أنه كان يتولى ضياع عجيف... الخ.

٤- الزيادة من غ.

٥- عجيف بن عنبسه: من قواد الدولة العباسية، كان من أصحاب رافع بن الليث الخارج على الدولة العباسية بخراسان، وفارقه، وانحاز إلى القائد العباسى هرثمه بن أعين، وقمع للمأمون ثوره قم. و هارون الشارى، و قاتل على بن هشام و أسرته و قدم به على المأمون فقتله. و في السنه ٢١٩ ووجه المأمون لحرب الزط الذين قطعوا الطريق من كسكر إلى البصره و عاثوا فيها، فقتل منهم، و استسلم له الباقون و قدرهم سبعة و عشرون ألفا، فأصعدهم إلى بغداد، و أنزلهم بالزعرانيه، و هى قريه قرب بغداد، تحت كلواذى (معجم البلدان ٦٣١/٢) و [٤] ما زال هذا اسمها إلى الآن، و فيها الآن مزرعه نموذجيه حكوميه، أما كلواذى، فقد حُرِف اسمها الآن إلى: گراره، بالكاف الفارسيه، ثم ان عجيف نقلهم إلى عين زربه و كانت من الثغور، فأغارت الروم عليهم و اصطلمتهم، و كان أحد قواد المعتصم فى فتح عموريه، ثم اشترك فى المؤامره لخلع المعتصم و نصب العباس بن المأمون، فاعتقله المعتصم، و سلّمه إلى إيتاخ، فلما صار باعيناثا-فوق بلد قليلا- مات فى المحمل، فطرح عند صاحب المسلحه، فجاء به إلى جنب حائط، فطرحه عليه، فقبره هناك (الطبرى ٦٢٧.٦١٤.٣٤٠/٨.١٠-٨/٩. ٥٧.٦٩-٧١.٧٧).

٦- كسكر: كوره واسعه قصبته واسط، و قبل واسط كانت قصبته خسرو سابور، تنسب إليها الفراريج الكسكريه، قال ياقوت رحمه الله فى معجم البلدان ٢٧٤/٤: [٦] رأيت الفراريج تباع بكسكر، أربعة و عشرين فوجا كبارا بدرهم واحد.

الضباع، فأنفذ إليّ [٦٩ م] من قيّدني، و أدخلت عليه في داره بسرّ من رأى، على تلك الحال، فإذا هو يطوف على صنّاع فيها.

فلما نظر إليّ شتمني، و قال: أخربت الضباع، و نهبت الارتفاع، و الله لأقتلنك، هاتوا السياط.

فأحضرت، و سلّحت للضرب (١).

فلما رأيت ذلك، ذهب عليّ أمرى، و بليت على ساقى.

فرآنى كاتبه، فقال لعجيف: أعزّ الله الأمير، أنت مشغول القلب بهذا البناء، و ضرب هذا و قتله في أيدينا، ليس يفوت، فتأمر بحبسه، و انظر في أمره، فإن كانت الرّفيعة (٢) [٦٩ ظ] صحيحة، فليس يفوتك عقابه، و إن كانت باطله، لم تتعجل الإثم، و تنقطع عمّا أنت مهتمّ [٥٦ ر] به (٣).

فأمر بى إلى الحبس، فمكثت فيه أيّاماً.

ص: ٢٧

١- التشليح: التعريه، و هذا التعبير ببغداد الآن مقصور على من انكشفت عورته، و يقولون عنه: مشلّح، بتشديد اللّام، أمّا المتعزّى، فيقولون عنه: مصلّح، بالصاد و اللّام المشدده، و فصيحها بالسين، يقال: انسلخ من ثيابه إذا تجرّد و تعزّى. و فى م: سحبت للضرب.

٢- الرفيعة: ما يرفع على الإنسان من التهم.

٣- فى غ: و تنقطع عمّا أنت بسبيله من المهمّ.

و غزا أمير المؤمنين المعتصم، عموريّه (١)، و كان من أمر عجيف ما كان (٢)، فقتله، و أتصل الخبر بكاتبه، فأطلقني.

فخرجت من الحبس، و ما أهدى إلى حبه فضه، فما فوقها.

فقصدت صاحب الديوان بسرّ من رأى، و كان صديقي، فلما رأني سرّ بإطلاقي و توجّع لي من سوء حالي، و عرض عليّ مالا.

فقلت: بل تفضل بتصريفى (٣) فى شىء أستتر بجاريه (٤).

فقلّدتني عملا بنواحي ديار ربيعه (٥)، فاقترضت من التجار لما سمعوا بخبر ولايتي، ما تحمّلت به إلى العمل، و خرجت.

و كان فى ضياع عملى، ضيعه تعرف بكرائشا (٦)، فنزلت بها فى بعض طوافى بالعمل، و حصلت فى دار منها، فلما كان السحر، وجدت المستحّم (٧) ضيقا غير نظيف، فخرجت من الدار إلى تلّ فى الصحراء، فجلست أبول عليه.

فخرج إلى صاحب الدار، فقال لى: أ تدرى على أى شىء تبول؟

قلت: على تلّ تراب.

فضحك، و قال: هذا قبر رجل يعرف بعجيف، قائد من قواد السلطان، كان قد سخط عليه، و حمله معه مقيدا، فلما بلغ إلى هاهنا قتل، فطرح فى هذا المكان تحت حائط، فلما انصرف العسكر، طرحنا عليه الحائط، لنواريه من الكلاب، فهو - و الله - تحت هذا التلّ التراب.

فعجبت من بولى خوفا منه، و من بولى على قبره.

ص: ٢٨

١- غزا المعتصم عموريّه، فى السنه ٢٢٣ (الطبرى ٥٧/٩).

٢- راجع تفصيل ذلك فى الطبرى (٥٧/٩-٧٧).

٣- صرّف الرجل: وجهه إليه عملا له رزق أى راتب.

٤- فى ظ: بجائزته، و التصحيح من م، و ر، و غ.

٥- ديار ربيعه: ما بين الموصل إلى رأس عين، و ما بين ذلك من المدن و القرى (معجم البلدان ٦٣٧/٢).

٦- كرائشا: قرية من قرى الموصل، بينها و بين جزيره ابن عمر (معجم البلدان ٢٤٥/٤).

٧- المستحّم: كناية عن المرحاض.

لقاء بين الجدّ الرومي النصراني و الحفيد العربيّ المسلم

[و روى ابن دريد] (١) عن أبي حاتم، عن أبي معمر، عن رجل من أهل الكوفة، قال:

كنا مع مسلمة بن عبد الملك (٢)، ببلاد الروم، فسبا سبايا كثيرة، و أقام ببعض المنازل، فعرض السبي على السيف، فقتل خلقا، حتّى عرض عليه شيخ كبير ضعيف، فأمر بقتله.

فقال له: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلي؟ إن تركتني حيّا، جئتك بأسيرين من المسلمين شايين.

قال له: و من لي بذلك؟

قال: إنني إذا وعدت وفيت.

قال: لست أثق بك.

فقال له: دعني حتّى أطوف في عسكريك، لعلّي أعرف من يتكفّل [٩٨ غ] بي إلى أن أمضي و أعود أجيء بالأسيرين.

فوكّل به من يطوف به، و أمره بالاحتفاظ به، فما زال الشّيخ يطوف، و يتصفّح الوجوه، حتّى مرّ بفتى من بني كلاب، قائما يحسّ فرسه (٣).

ص: ٢٩

١- الزيادة من غ.

٢- أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك بن مروان الأمويّ: أمير، قائد، من أبطال عصره، كان يلقّب بالجراده الصفراء، له فتوحات مشهوره، توفّي بالشام سنة ١٢٠، قال الذهبيّ: كان أولى بالخلافه من سائر إخوته (الأعلام ١٢٢/٨)، [١] أقول: حال بينه و بين الخلافه أنه ابن أمه، راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في حاشيه القصّه ٨١ من هذا الكتاب.

٣- حسّ الدابّه: نفّض التراب عنها بالمحسّه، ما زال هذا التعبير مستعملا في بغداد.

فقال له: يا فتى، اضمنى للأمير، و قصّ عليه قصّته.

فقال له: أفعل، و جاء الفتى إلى مسلمه، فضمه، فأطلقه مسلمه.

فلما مضى، قال للفتى: أتعرفه؟

قال: لا، و الله.

قال: فلم ضمنتها؟

قال: رأيتّه يتصفّح الوجوه، فاخترني من بينهم، فكرهت أن أخلف ظنّه فيّ.

فلما كان من الغد، عاد الشيخ، و معه أسيران شابان من المسلمين، فسلمهما إلى مسلمه، و قال: إن رأى الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معي إلى حصني لأكافئه على فعله.

فقال مسلمه للفتى الكلابي: إن شئت فامض معه.

فلما صار إلى حصنه، قال له: يا فتى، تعلم - و الله - أنك ابني؟

قال له: و كيف أكون ابنك، و أنا رجل من العرب مسلم، و أنت رجل من الروم نصراني.

فقال له: أخبرني عن أمك، ما هي؟

قال: روميّه.

قال: فإني أصفها لك، فبالله إن صدقت، إلا صدقتني.

قال: أفعل.

فأقبل الرومي، يصف أم الفتى، ما حرم من صفتها شيئاً.

فقال له الفتى: هي كذلك، فكيف عرفت أنّي ابنها؟

قال: بالشبه، و تعارف الأرواح (1)، و صدق الفراسه.

ص: ٣٠

ثم أخرج إليه امرأه، فلمّا رآها الفتى لم يشكّ فيها أنّها [م ٧٠] أمّه، لتقارب الشبه، وخرجت معها عجوز كأنّها هي، فأقبلتا تقبلان رأس الفتى، ويديه، و تترشّفانه.

فقال له: هذه جدّتك، وهذه خالتك.

ثمّ اطلع من حصنه، فدعا بشباب في الصّحراء، فأقبلوا، فكلمهم بالزّوميه، فأقبلوا يقبلون رأس الفتى و يديه، فقال: هؤلاء [٧٠] ظ [أحوالك، و بنو خالاتك، و بنو عمّ والدتك.

ثمّ أخرج إليه حليا كثيرا، و ثيابا فاخره، و قال: هذا لوالدتك عندنا منذ سيّت، فخذ معك، و ادفعه إليها، فإنّها ستعرفه، ثمّ أعطاه لنفسه مالا كثيرا، و ثيابا، و حليا، و حملة على عدّه دواب، و ألحقه بعسكر مسلمه، و انصرف.

و أقبل الفتى قافلا- حتّى دخل إلى منزله [٥٧] فأقبل يخرج الشىء بعد الشىء ممّا عرّفه الشّيوخ أنّه لأمه، و تراه أمّه، فتبكي، فيقول لها: قد وهبته لك.

فلما كثر عليها، قالت له: يا بنى، أسألك بالله، من أى بلد صارت إليكم هذه الثّياب، و هل تصف لى أهل هذا الحصن الذى كان فيه هذا؟

فوصف لها الفتى صفه البلد و الحصن، و وصف لها أمّها و أختها، و الرّجال الذين رأهم، و هى تبكى و تقلق.

فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: الشّيوخ و اللّهُ والدى، و العجوز أمى. و تلك أختى.

فقصّ عليها الخبر، و أخرج بقيّه ما كان أنفذه معه أبوها إليها، فدفعه إليها.

ص: ٣١

يحتال لإخراج أحد أصحابه من الحبس

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق التنوخي، قال:

كان إسماعيل الصّفّار البصري (١)، أحد شيوخ المعتزلة الأجلاد، و كان الثّاس -إذ ذاك- يتشدّدون على المعتزله (٢)، و ينالونهم بالمكاره.

فتقلّد البصره نزار بن محمّد الضّبّي (٣)، فرفع إليه عن رجل أنه معتزلي،

ص: ٣٢

١- إسماعيل الصّفّار: قال عنه التنوخيّ في نشوار المحاضره، كان إسماعيل الصّفّار البصري، أحد شيوخ أصحابنا المعتزله، راجع القصّه ١٠٧/٢ و ١٠٨/٢ من النشوار.

٢- المعتزله: و يسمّون أصحاب العدل و التوحيد، مذهب ضمّ كثيرا من المفكرين مثل واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد، و أبي الهذيل العلاف، و النّظام، و ثمامه بن أشرس، و الجاحظ، و أحمد بن أبي دؤاد، و الجبائيان أبو علي و أبو هاشم (راجع أسماءهم في الفهرست ص ٢٠١-٢٢٢) و [٢] المعتزله يقولون: إنّ الله تعالى قديم، و القدم أخصّ وصف ذاته، و نفوا الصفات القديمه أصلا، و إنّ كلام الله محدث مخلوق، و إنّ العبد قادر خالق لأفعاله خيرها و شرّها، و يقولون بالمنزله بين المنزلتين، و هذا القول سبب تسميتهم بالمعتزله، فإنّ واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري، و حصلت المناقشه بشأن مركبي الكبائر، فقال الخوارج: هم كافرون، و قال الجماعه: هم مؤمنون و إن فسقوا بارتكاب الكبائر، فخرج واصل عن الفريقين، و قال: إنّ مرتكب الكبيره باعتباره فاسقا، لا- مؤمن و لا- كافر، منزله بين منزلتين، فنفاه الحسن عن مجلسه، فاعتزله، و اجتمع و أصحابه في موضع آخر، فسمّوا المعتزله، راجع اللباب ١٥٦/٣ [٣] بحث «المعتزلي»، و للتفصيل عن المعتزله: راجع كتاب الملل و النحل للشهرستاني ١/٥٣-٩٦ و [٤] راجع كذلك حاشيه القصّه ٤٥٩ من هذا الكتاب، و خطط المقرئ ٢/٣٤٥-٣٤٨.

٣- أبو معد نزار بن محمّد الضّبّي: من عمّال الدوله العباسيّه، كان في السنه ٢٨٨ عاملا على إحدى جهات الثغر، و في السنه ٢٩٢ كان عاملا على البصره، و في السنه ٢٩٤ على الكوفه، ثم ولى شرطه بغداد، و في السنه ٣٠٦ عزل عنها (الطبري ١٠/٨٥ و ١١٨ و ١٣٥ و [٦] الكامل ٧/٥١٠، و ٨/١١٣)، راجع القصّه ١٢/٤ من كتاب نشوار المحاضره.

فحبسه، فاستغاث الرجل بإسماعيل، فكلمه غير واحد من رؤساء البلد، أن يكلم نزارا فيه، فتجنبوا ذلك بسبب المذهب، فبات إسماعيل قلقا.

ثم بكر من غد، فطاف على كل معتزلي بالبصرة، وقال [٩٩ غ] لهم:

إن تم هذا عليكم هلكتم متفرقين، وحبستم، و أتى على أموالكم و نفوسكم، فاقبلوا مني، و اجتمعوا، و تدبروا برأيي، فإن الرجل يتخلص و تعزّون.

فقالوا: لا نخالف عليك.

فوعدهم ليوم بعينه، و وعد معهم كل من يعرفه من العوام، و أصحاب المذاهب (١) ممن يتبع قصاص المعتزله، و من يميل إليهم.

فلما كان ذلك اليوم، اجتمع له منهم أكثر من ألف رجل، فصار بهم إلى نزار، و استأذن عليه، فأذن له و لهم.

فقال: أعز الله الأمير، بلغنا أنك حبست فلانا، لأنه قال: إن القرآن مخلوق (٢)، و قد جئناك، و كلنا نقول: إن القرآن مخلوق، و خلفنا ألوف يقولون كما نقول، فأما حبستنا جميعا، و إما أطلقت صاحبنا، و إذا كان السلطان -أطال الله بقاءه- قد ترك المحنة، و قد أقرّ الناس على مذاهبهم، فلم نؤخذ نحن بمذهبنا، من بين سائر المقالات؟

فنظر نزار فإذا فتنه تشور، لم يؤذن له فيها، و لم يدر ما تجرّ، فأطلق الرجل، و سلّمه إليهم.

فشكره إسماعيل، و انصرف و الجماعة (٣).

ص: ٣٣

-
- ١- كذا وردت في ر، و في ظ و م: أصحاب المدات، و في غ: أصحاب المداب.
 - ٢- القول بأن القرآن مخلوق، تبناه المأمون، و أخذ الناس بأن يتابعوه في ذلك، و أتبعه المعتصم و الواثق، و امتحنوا المخالفين لهم و آذوهم.
 - ٣- وردت القصه في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتونخي برقم ١٠٨/٢.

شامى عظيم الجاه من بقايا بنى أميه

[وجدت فى كتاب أبى الفرج المخرزومى الحنطى، عن أبى أميه الهشامى، عن أبى سليمان داود بن الفضل العبدى، قال: أخبرنى أبى، عن محمّد بن الحسن بن بشر الأدمى، قال: حدّثنى] (١) مناره، خادم الخلفاء (٢)، قال:

رفع إلى هارون الرشيد، أنّ رجلا- بدمشق، من بقايا بنى أميه، عظيم الجاه واسع الدّنيا، كثير المال و الأملاك، مطاعا فى البلد، له جماعه أولاد و مماليك و موالى، يركبون الخيل، و يحملون السّلاح، و يغزون الرّوم، و أنّه سمح جواد، كثير البذل و الضيافه، و أنّه لا يؤمن منه فتق لا يمكن رتقه، فعظم ذلك على الرشيد.

قال مناره: و كان وقوف الرشيد على هذا و هو بالكوفه، فى بعض خرجاته إلى الحجّ سنه ست و ثمانين و مائه (٣)، و قد عاد من الموسم، و قد بايع للأمين ثمّ المأمون ثمّ المؤمن (٤).

ص: ٣٤

١- الزيادة من غ، و فى بقيه النسخ: قال مناره..

٢- مناره خادم الخلفاء: مولى المنصور، و كان مع المنصور عند وفاته فى طريقه إلى الحجّ سنه ١٥٨، فقدم على المهدي بمدينة السلام، بخبر وفاه أبيه، و البيعه له، و أحضر معه القضيبي و البرده و خاتم الخلافه (ابن الأثير ٣٤/٦ و [١] الطبرى ١١٢/٨)، و [٢] استمرّ فى خدمه الخلفاء إلى آخر حياته.

٣- شخص هارون الرشيد من الرقه فى رمضان سنه ١٨٦ و أخرج معه الأمين و المأمون وليى عهده و قواده و وزراءه و قضاته، فلمّا قضى مناسك الحجّ، كتب ببيعه الأمين و المأمون و جعل الكتاب فى البيت الحرام، راجع تفصيل ذلك مع نصّ كتاب البيعه فى الطبرى ٢٧٣/٨-٢٨٦، و لمّا عاد من حجّه أوقع بالبرامكه، راجع تفصيل ذلك فى الطبرى ٢٨٧/٨-٣٠٢.

٤- لمّا حجّ الرشيد فى السنه ١٨٦ لم يكن قد بايع للقاسم، فإنّه بايع للأمين فى السنه ١٧٥ و هو ابن خمس سنين (تاريخ يعقوبى ٤٠٨/٢) و فى السنه ١٨٣ بايع للمأمون (تاريخ يعقوبى ٤١٥/٢) و لمّا حجّ

فدعاني و هو خال، فقال لي: دعوتك لأمر أهمني و قد منعي النوم، فانظر كيف تكون؟ ثم قصّ عليّ خبر الأموي.

و قال: اخرج السِّداعه، فقد أعددت لك الجَمَّازات (١)، و أزحت علّتك في الزاد و النَّفقه و الآلات، و ضممت إليك مائه غلام، فاسلك البريه، و هذا كتابي إلى أمير دمشق، و هذه قيود، فادخل، و ابدأ بالرجل [٧١ م]، فإن سمع و أطاع، فقيده، و جئني به [٧١ ظ] و إلا فتوكل به أنت و من معك

ص: ٣٥

١- الجمز: العدو السريع، و الجَمَّازات: إبل بختيه، تدرّب على نوع من السير السريع، يرتاح إليه الراكب، و يأنس به، و أوّل من اتّخذ الجَمَّازات أمّ جعفر زبيده، كانت في سفر مع الرشيد، ففاتها، فأمرت الرّحّالين، أن يزيدوا في سير البختيه، فلمّا حرّكوها، مشت ضروبا من المشى، و جمزت خلال ذلك، فوجدت لذلك النوع من السير راحه، فأمرتهم أن يدربوها على الجمز، فما زالوا بها حتى تمّ ذلك و استوى (لطائف المعارف ٢٠ و ٢١).

حتى لا يهرب، و أنفذ الكتاب إلى أمير دمشق، ليركب في جيشه فيقبض عليه، و تجيئني به، و قد أجلتلك لذهابك ستاً، و لعودك ستياً، و يوماً لمقامك، و هذا محمل، تجعله -إذا قيده- في شقه، و تجلس أنت في الشق الآخر، و لا تكل حفظه إلى غيرك، حتى تأتيني به في اليوم الثالث عشر من خروجك، و إذا دخلت داره فتفقدها، و جميع ما فيها، و أهله، و ولده، و حاشيته، و غلمانه، و قدر النعمه، و الحال، و المحل، و احفظ [٥٨ ر] ما يقوله الرجل حرفاً بحرف، بجميع ألفاظه، منذ وقوع طرفك عليه، إلى أن تأتيني به، و إياك أن يشد عليك شيء من أمره، انطلق مصاحباً.

قال مناره: فودّعته و خرجت، فركبنا الإبل، و طوينا المنازل، أسير الليل و النهار، و لا أنزل إلا للجمع بين الصلاتين، و البول، و تنفيس الناس قليلاً.

إلى أن دخلت دمشق في أول الليله السابعه، و أبواب البلد مغلقه، فكرهت طرقها، فنمت بظاهر البلد، إلى أن فتح بابها في [١٠٠ غ] الغد، فدخلت على هيأتي، حتى أتيت باب دار الرجل، و عليه صفف (١) عظيمه، و حاشيه كثيره، فلم أستأذن، و دخلت بغير إذن.

فلما رأى القوم ذلك، سألوا بعض أصحابي عنى، فقالوا لهم: هذا مناره، رسول أمير المؤمنين إلى صاحبكم، فأمسكوا.

فلما صرت في صحن الدار، نزلت، و دخلت مجلساً، رأيت فيه قوماً جلوساً، فظننت أن الرجل فيهم، فقاموا إلى، و رحبوا بى، و أكرموني.

فقلت: أفيكم فلان؟

قالوا: لا، نحن أولاده، و هو فى الحمام،

ص: ٣٦

١- الصفف، و الصفات، و الصفاف: مفردها صفه، موضع للجلوس مظلل بسقف من جريد النخل و غيره، و البغداديون يسمونها: سقيفه، فان كانت أعمدها مرادى، و ظللها بوارى، فيسمونها: چرداغ. (بالجيم المثلثه) و أحسبها فارسىه: چارطاق أى الطاقات الأربع.

فقلت: استعجلوه.

فمضى بعضهم يستعجله، و أنا أتفقّد الدّار، و الأحوال، و الحاشيه، فوجدت الدّار قد ماجت بأهلها موجا شديدا.

فلم أزل كذلك، حتّى خرج الرّجل، بعد أن أطل، و استربت به، و اشتدّ قلقي و خوفي من أن يتواري.

إلى أن رأيت شيخا قد أقبل بزىّ الحَمَام، يمشى فى الصّحن، و حوله جماعه كهول، و أحداث، و صبيان، هم أولاده، و غلمان كثيره، فعلمت أنه الرّجل.

فجاء حتّى جلس، و سلّم علىّ سلاما خفيفا، و سألتني عن أمير المؤمنين، و استقامه أمر حضرته، فأخبرته بما وجب.

فما انقضى كلامه حتّى جاءوه بأطباق الفاكهه، فقال لى: تقدّم يا مناره فكل معنا.

فقلت: ما بى إلى ذلك حاجه.

فلم يعاودنى، و أقبل يأكل هو و الحاضرون معه، ثمّ غسل يديه، و دعا بالطعام، فجاءوه بمائده حسنه جميله (١)، لم أر مثلها إلاّ للخليفه [٢]، فقال:

تقدّم يا مناره فساعدنا على الأكل، لا يزيد على أن يدعونى باسمى، كما يدعونى الخليفه.

فامتنت، فلم يعاودنى، و أكل هو و أولاده، [و كانوا تسعه، عددتهم، و جماعه كثيره من أصحابه، و حاشيته، و جماعه من أولاده و أولاد أولاده] ٢.

فتأمّلت أكله فى نفسه، فرأيتّه أكل الملوك، و وجدت جأشه رابطا، و ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن، و وجدته لا يرفع من بين يديه

ص: ٣٧

١- فى غ: عظيمه.

٢- الزيادة من غ.

شيء، كان على المائدة، إلا وهب (١).

و قد كان غلمانة، لما نزلت الدار، أخذوا جمالي، و جميع غلmani، فعدلوا بهم إلى دار له، فما أطاقوا ممانعتهم، و بقيت وحدى، ليس بين يدي إلا خمسة أو ستة غلمان ووقوف على رأسي.

فقلت في نفسي: هذا جبار عنيد، فإن امتنع علي من الشخوص، لم أطق إشخاصه بنفسي، و لا بمن معي، و لا حفظه إلى أن يلحقني أمير البلد، و جزعت جزعا شديدا، و رابني منه استخفافه بي، و تهاونه بأمرى، و أن يدعوني باسمي، و قلّه اكتراثه بامتناعي من الأكل و الشرب، و لا يسألني عما جئت له، و يأكل مطمئنا.

و أنا أفكر في ذلك، إذ فرغ من طعامه، و غسل يديه، و استدعى بالبخور، فتبخّر، و قام إلى الصلاة، فصلّى الظهر صلاه حسنه، و أكثر من الدعاء و الابتهاال.

فلما انفتل من محرابه، أقبل عليّ، و قال: ما أقدمك يا مناره؟

فقلت: أمر لك من أمير المؤمنين، و أخرجت الكتاب، فدفعته إليه، ففضّه، و قرأه [٧٢ ظ]، فلمّا استتمّ قراءته، دعا أولاده، و حاشيته، فاجتمعوا، فلم [٧٢ م] أشكّ أنه يريد أن يوقع بي.

فلما تكاملوا، ابتداء فحلف أيما نا غليظه، فيها الطلاق، و العتاق، [و الحجّ، و الصدقه، و الوقف، و الحبس] (٢)، إن اجتمع اثنان منهم في موضع، و أن يتفرّقوا، و يدخلوا منازلهم، و لا يظهر منهم أحد [١٠١ غ]، إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه.

ص: ٣٨

١- في غ: نهب.

٢- الزيادة من غ.

ثم قال: هذا كتاب أمير المؤمنين يأمرني بالمصير إلى بابه، ولست أقيم بعد نظري فيه لحظه واحده:

و قال لغلمانه، و أولاده: [٥٩ر] استوصوا بمن ورائي من الحرم خيرا، و ما بي حاجة أن يصحبنى غلام، هات أقيادك يا مناره.

فدعوت بها، و كانت في سفظ، فأحضر حدادا، و مدّ ساقيه، فقيدته، و أمرت غلmani بحمله حتى حصل في المحمل، و ركبت في الشقّ الآخر، و سرت من وقتي، و لم ألق أمير البلد، و لا غيره.

و سرت بالرجل، ليس معه أحد، إلى أن صرنا بظاهر دمشق، فابتدأ يحدثني بانبساط، حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطه، فقال: ترى هذا؟

فقلت: نعم.

قال: هو لي، و فيه من غرائب الأشجار كيت و كيت، ثم انتهى إلى آخر، فقال مثل ذلك، ثم انتهى إلى مزارع حسان، و قرى سرّيه، فأقبل يقول: هذا لي، و يصف كل شيء فيها.

فاشتدّ غيظي منه، فقلت له: هل علمت أنّي شديد التعجب منك؟

قال: و لم؟

قلت: أ لست تعلم أنّ أمير المؤمنين قد أهّمه أمرك، حتى أرسل إليك من انتزعك من بين أهلك، و ولدك، و مالك، و أخرجك عن جميع حالك، و حيدا، فريدا، مقيدا، لا تدري ما يصير إليه أمرك، و لا كيف تكون، و أنت مع هذا، فارغ القلب، تصف بساتينك و ضياعك، [هذا و قد رأيتك، و قد جئت، و أنت لا تعلم فيم جئت، و أنت] ١٠ ساكن القلب، قليل الفكر، و قد كنت عندى شيخا عاقلا.

فقال مجيبا لي: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، أخطأت فراستي فيك يا مناره، قدّرتك رجلا كامل العقل، و أنّك ما حللت من الخلفاء هذا المحلّ، إلّا بعد أن

ص: ٣٩

عرفوك بذلك، فإذا عقلك و كلامك يشبه كلام العوام و عقلهم، فالله المستعان.

أما قولك في أمير المؤمنين، و إزعاجه لي من داري، و إخراج إياي إلى بابه على هذه الصورة، فأنا على ثقة بالله عزّ و جلّ، الذي بيده ناصيه أمير المؤمنين، فلا يملك معه لنفسه، و لا لغيره، ضراً و لا نفعاً، إلا بإذن الله و مشيئته، و لا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه، و بعد، فإذا عرف أمير المؤمنين أمري، و علم سلامه جانبي، و صلاح ناحيتي، و أنّ الأعداء و الحسده، رموني عنده بما لست في طريقه، و تقولوا على الأباطيل الكاذبه، لم يستحلّ دمي، و تحرّج من أذاي و إزعاجي، فردّني مكرّماً، أو أقامني ببابه معظّماً، و إن كان سبق في قضاء الله تعالى، أنّه يبدر إليّ ببادره سوء، و قد حضر أجلي، و حان سفك دمي على يده، فلو اجتهدت الملائكه و الأنبياء و أهل السماوات و الأرض، على صرف ذلك عني، ما استطاعوا، فلم أتعجلّ الهّم، و أتسلّف الفكره و الغمّ، فيما قد فرغ الله منه، و أنا حسن الظنّ بالله المذّي خلق و رزق، و أحيا و أمات [و فطر و جبل، و أحسن و أجمل، و أين الصبر و الرضا، و التفويض و التسليم إلى من يملك الدنيا و الآخره] ١٠ و كنت أحسب أنّك تعرف هذا، فإذا قد عرفت مبلغ فهمك، فيأتي لا- أكلمك بكلمه، حتّى تفرّق بيننا حضره أمير المؤمنين.

ثمّ أعرض عني، فما سمعت له لفظه بغير القرآن و التسييح، أو طلب ماء أو حاجه تجرى مجراه، حتّى شارفنا الكوفه في اليوم الثالث عشر بعد الظهر، فإذا التّجب (١) قد استقبلتنا على فراسخ (٢) من الكوفه، يتجسّسون خبري.

ص: ٤٠

١- النّجب: جمع نجيب، من النّجابه، و البعير النّجيب: هو الكريم العتيق.

٢- الفرسخ: في اللّغه: السكون، و أطلق الاسم على مسافه معيّنه، لأنّ من سار تلك المسافه قعد و استراح، فكأنّه سكن، و جاء في الغيث المسجم ١٢٣/٢: أنّ الفرسخ: ثلاثه أميال، و الميل: ألف باع، و الباع: أربعه أذرع، و الذراع: أربعه و عشرون إصبعا، و الإصبع: ستّ شعيرات، و الشعيره: ستّ شعرات من ذنب بغل، و أنّ البريد: أربعه فراسخ.

فلما رأوني رجعوا بخبري إلى أمير المؤمنين، فانتهيت إلى الباب آخر النهار، فدخلت على الرّشيد، فقُبِلت [١٠٢ غ] الأرض، ووقفت بين يديه.

فقال: هات ما عندك، وإياك أن تغفل منه لفظه واحده.

فسقت [٧٣ ظ] إليه الحديث من أوله، حتّى انتهيت إلى ذكر الفاكهه و الطّعام و الغسل و الطهور و البخور [٧٣ م]، و ما حدّثت به نفسى من امتناعه منى، و الغضب يظهر فى وجهه و يتزايد، حتّى انتهيت إلى فراغ الأموى من الصّلاه، و انفتاله، و سؤاله عن سبب مقدمى، و دفعى الكتاب إليه، و مبادرته إلى إحضار ولده و أسبابه، و يمينه أن لا يتبعه أحد منهم، و صرفه إياهم، و مدّ رجله حتّى قيّده، فما زال [٦٠ ر] وجه الرّشيد يسفر.

فلما انتهيت إلى ما خاطبنى به فى المحمل، عند توبيخى إياه، قال:

صدق و الله، ما هذا إلاّ رجل محسود على النّعمه، مكذوب عليه، و لقد آذيناها، و لعمرى لقد أزعجناه، و روّعناه، و روّعنا أهله، فبادر بنزع قيوده عنه، و اتنتنى به.

فخرجت، فنزعت قيوده، و أدخلته على الرّشيد، فما هو إلاّ أن رآه، حتّى رأيت ماء الحياء يدور فى وجه الرّشيد، و دنا الأموى، فسلم بالخلافه، و وقف، فردّ عليه الرّشيد ردّا جميلا، و أمره بالجلوس، فجلس.

و أقبل عليه الرّشيد، ثم قال له: إنّه بلغنا عنك فضل همّه، و أمور، أحببنا معها أن نراك، و نسمع كلامك، و نحسن إليك، فاذا ذكر حوائجك.

فأجاب الأموى جوابا جميلا، و شكر، و دعا ثم قال: أمّا حاجتى، [فما لى إلاّ حاجه] ١٠ واحده.

فقال: مقصّيه، فما هى؟

قال: يا أمير المؤمنين، تردّنى إلى بلدى، و أهلى، و ولدى.

فقال: نحن نفعل ذلك، و لكن سل ما تحتاج إليه من صلاح جاهك و معاشك، فإنّ مثلك لا يخلو أن يحتاج إلى شىء من هذا.

ص: ٤١

فقال: عمّال أمير المؤمنين منصفون، وقد استغنيت بعدله عن مسألته، و أموري منتظمه، و أحوالي مستقيمه، و كذلك أمور أهل بلدي [بالعدل الشّامل في دوله أمير المؤمنين] ١٠.

فقال له الرّشيد: انصرف محفوظا إلى بلدك، و اكتب إلينا بأمر إن عرض لك، فودّعه الأموي.

فلما ولى خارجا، قال لى الرّشيد: يا مناره، احمله من وقتك، و سر به راجعا كما أتيت به، حتّى إذا أوصلته إلى المجلس الذى أخذته منه، فارجع و خله.

ففعلت ذلك (١).

ص: ٤٢

١- نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٤.

ابن الفرات يتحدث عن اعتقاله و تعذيبه

حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب، و يعرف هشام بأبي قيراط، قال:

كنت حاضرا مع أبي رحمه الله، في مجلس أبي الحسن بن الفرات، في شهر ربيع الأوّل سنة خمس و ثلاثمائة، في وزارته الثانية (١)، فسمعتة يتحدث، قال:

دخل عليّ أبو الهيثم العباس بن محمّد بن ثوابه الأنباري (٢)، في محبسي بدار المقتدر (٣)، فطالبنى بكتب خطّي بثلاثة عشر ألف ألف دينار.

فقلت: و الله، ما جرى قدر هذا المال، على يدي للسلطان، في طول وزارتي، فكيف أصادر على مثله؟

فقال: قد حلفت بالطلاق أنّه لا بدّ من أنّك تكتب خطّك بذلك، فكتبت ثلاثة عشر ألف ألف، من غير ما أذكر ما هي، أو ضمنا فيها.

ص: ٤٣

١- وزاره أبي الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات الثانيه للمقتدر ٣٠٤-٣٠٦ راجع نشوار المحاضره ج ٥ ص ٥٠ سطر ٦ و [١]الوزراء ١١٨.

٢- في ظ، و ر: أبو العباس بن ثوابه الأنباري، و في م: أبو العباس بن محمّد بن ثوابه الأنباري، و التصحيح من تجارب الأمم ١/٨٨ و من كتاب الوزراء ص ١١٨، راجع كتاب نشوار المحاضره للتوخّي، القصّه ٢٧/٥ ج ٥ ص ٥٠.

٣- لَمّا عزل ابن الفرات من وزارته الأولى في السنه ٢٩٩ ظلّ معتقلا في دار المقتدر، حتى خرج ليعود وزيرا في وزارته الثانيه، و كذلك لَمّا عزل من وزارته الثانيه، أعيد اعتقاله، حتى خرج ليكون وزيرا في وزارته الثالثه التي قتل في آخرها، و كان في دار الخلافه، دار لاعتقال الوزراء، و [٣] كبار رجال الدوله، تشرف عليها زيدان القهرمانه، و في هذه الدار اعتقل الوزير ابن الفرات، و ظلّ معتقلا- خمس سنين أولا ٢٩٩-٣٠٤ و خمس سنين ثانيا ٣٠٦-٣١١ و حاول حامد في وزارته أن يتسلّم ابن الفرات، فقال له المقتدر: أنا أسلمه إليك، و أوكل به خادما يحفظه، يعني أنّه يخشى عليه أن يقتله خصمه غيله أو بالسّم (تجارب الأمم ١/٦٦ و ١٩٨).

قال:فاكتب ديناراً،لتبريني من يميني.

فكتبت ديناراً،ثم ضربت عليه،و أكلت الرّقعه،و قلت له:قد برئت من يمينك،و لا سبيل لك إلى غير هذا منّي.

فاجتهد بي،فلم أجبه إلى شيء،فحبسني.

فلما كان من[١٠٣غ]الغد،دخل إلى الحبس،و معه أمّ موسى (١)، فطالبني بذلك،و أسرف في سبّي و شتمّي،و رمانى بالزّنا.

فحلفت بالطلاق،و العتاق،و الأيمان المغلظه،أنّي ما دخلت في محظور من هذا الجنس،من نيف و ثلاثين سنه،و سمته أن يحلف بمثل تلك اليمين أنّ غلامه القائم على رأسه،لم يأت في ليلته تلك (٢)،فأنكرت أمّ موسى هذا الحال، و غطت وجهها حياء منه.

ص:٤٤

١- أمّ موسى الهاشميه القهرمانه:كانت إحدى السيدات المسيطرات على أمور الدوله في عهد المقتدر، قهرمتها السيده أمّ المقتدر في السنه ٢٩٩ على أثر غرق فاطمه القهرمانه في طيارها تحت الجسر في يوم ريح عاصف،و كانت تنقل رسائل السيده،و رسائل المقتدر إلى الوزير،و تمكّنت من الدوله،تمكّنا عظيمًا،و أثرت إثراء فاحشًا،و كان لها أخ اسمه أحمد بن العباس،ارتفع بارتفاعها،و كان يجلس فيلقاه الناس و يأخذ رقاعهم و قصصهم إلى أمّ موسى،و كان المقتدر ينفذه في أموره التي يحرص على كتمانها،و قد أنفذه في السنه ٣٠٠ إلى ابن أبي البغل،عامل الأهواز،يدعوه لتولّي وزاره،و لما توفّي في السنه ٣٠٢ أحمد بن عبد الصمد بن طومار الهاشمي،نقيب بني هاشم،عباسيين و طالبيين،قلده المقتدر النقبه،فضجّ الهاشميون من ذلك،فاضطرّ المقتدر إلى عزله،و بلغ من مكانته في الدوله أنّ راتبه الشهري بلغ سبعة آلاف دينار،و ولّاه المقتدر في السنه ٣٠٩ إقامه موسم الحجّ،و في السنه ٣١٠ دالت دوله أمّ موسى،إذ اتّهمها المقتدر بأنّها تسعى في إزاحته و استخلاف أبي العباس محمّد بن إسحاق ابن المتوكّل الذي زوّجته بابنه أخيها،فقبض عليها و على أخيها و أختها،و أسلمهم إلى ثمل القهرمانه، و كانت موصوفه بالشزّ،فاستخرجت منهم ألف ألف دينار(المنتظم ١٦٦/٦ و [١]تجارب الأمم ٢٠/١ و ٨٣ و ٨٤ و الوزراء ٣٠١ [٢] وصله الطبري ٤٤،٥٦،٦٧،٣١،٢١).

٢- راجع تجارب الأمم ٢٢/١ و ٩٠.

فقال ابن ثوابه (١): إنَّ هذا إنَّما تبطره الأموال التي وراءه، ومثله في ذلك، كمثل المزيّن (٢) مع كسرى، والحجّاج مع الحجاج، فتستأمرين السّاده، في إنزال المكروه به، حتّى يذعن بالأموال.

قال أبو الحسين: و يعنى بالسّاده:المقتدر، و والدته (٣)، و خالته (٤) [٧٤ م]

ص: ٤٥

١- أبو الهيثم العباس بن محمّد بن ثوابه الأنبارى الكاتب: كان من شرار الناس، اشترك في حادثه ابن المعتز، فاعتقله ابن الفرات لمّا وّر للمقتدر، فحقدها على ابن الفرات، و انتصب لمحاسبته لمّا عزل من الوزارة، و عدّبه، و أهانه، و كان يتقرّب للمقتدر بالسعيات، و التحريض على المصادرات، مما أدّى بالوزير على بن عيسى إلى أن يعتقله لما عاد إلى الوزارة، و مات و هو معتقل في سجن الكوفه (تجارب الأمم ٢٢/١ و ٢٧ و ٨٨).

٢- المزيّن: الحلاق، و البغداديون من أقدم الأزمان يسمّون الحلاق: المزيّن، و على ذلك وردت قصّه: مزيّن بغداد.

٣- السيّد شغب، والده المقتدر: كان إليها، و إلى أختها خاطف، و إلى دستبويه أم ولد المعتضد، تدبير أمور الدوله، و كان هؤلاء الثلاثة يسمّون: الساده (الوزراء ١١٩) و [١] كان الوزير يخاطبها في الأمور البالغه الأهميه (وزراء ٣٠٨) و يعنون رسالته إليها، بان يكتب لها: عبدها فلان (وزراء ١٧٢)، و كان في حيازتها خيره الأراضي و الضياع المعروفه بالارتفاع الوافر، في واسط (وزراء ٣٨) و السيب الأسفل و جنبله (وزراء ١٢٢) و في الأهواز (نشوار المحاضر و أخبار المذاكره رقم القصّه ١١٧/٨)، و كان واردها من ضياعها يبلغ ألف ألف دينار في السنه (المنتظم ٢٥٣/٦)، و [٢] كانت تتدخّل في أمور الوزراء و كبار الموظّفين و تشد أزهرهم (وزراء ٣٢١، ٢٩٥، ٥٦، ٤٥، ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٤٣) و تقبل هداياهم (وزراء ٣٤٧)، و كان موظفو الدوله كافّه، من الوزراء فنازلا، يسعون إلى كسب رضاها (وزراء ١١١ و ١١٢ و ٢٩٤)، بحيث أنّ الوزير ابن الفرات، أظهر في وزارته الثالثه عدم اهتمام بها، فقال أصحابه: هذا آخر عهد الوزير بالحياه، فما مضت مديده حتى عزل و قتل (وزراء ٧٧)، و لما قتل ولدها، و استخلف أخوه محمّد القاهر، طالبها بأن تخرج أموالها، و ضربها بيده مائه مفرعه، و علّقها برجل واحده منكسه، و اجبرها على بيع أملاكها، و حلّ أوقافها، و باعها، و ماتت بعد مقتل ولدها بسبعه أشهر و ثمانية أيام، في السنه ٣٢١ (المنتظم ٢٥٣/٦).

٤- خاطف: خاله المقتدر، واحده من الثالث النسائي الذي سيطر على أمور الدوله خلال حكم المقتدر، و كانت تتدخّل حتى في تعيين الوزراء (تجارب الأمم ١٤٣، ٩٠/١، راجع القصّه ٣٧٨ من هذا الكتاب).

خاطف، و دستنویه (١) أم ولد المعتضد، لأنهم كانوا- إذ ذاك- يدبرون الأمور، لحدائه سنّ المقتدر (٢).

قال ابن الفرات: فمضت أم موسى، ثم عادت، فقالت لابن ثوابه:

الشّاده يقولون لك: صدقت فيما ذكرت، و يدك مطلقه فيه.

و كنت في دار ضيقه، في حرّ شديد [٧٤ ظ] فأمر بكشف البواري (٣) حتّى صرت في الشمس، و نحى الحصار من تحتى، و أغلق أبواب البيوت، حتّى حصلت في الصّحن (٤)، ثمّ قيدنى بقيد ثقيل، و ألبسنى جبّه صوف قد نعتت في ماء الأكارع (٥)، و غلّنى بغلّ (٦)، و أقفل باب الحجره و انصرف، فأشرفت على التّلف.

و عدّدت على نفسى ذنوبى، فوجدتنى قد عوملت بما عاملت به النّاس، من المصادره، و نهب المنازل، و قبض الضياع، و تسليم النّاس إلى أعدائهم، و حبسهم، و تقييدهم، و إلباسهم جباب الصّوف، و هتك حریمهم، و إقامتهم فى الشّمس، و أفرادهم فى الجبوس.

ثمّ قلت: ما غلّلت أحدا، فكيف غلّلت؟

ثمّ تذكّرت أنّ النرسى (٧)، كاتب الطائى (٨)، كان سلّمه إلى عبيد الله بن

ص: ٤٦

١- دستنویه أم ولد المعتضد: واحده من الثالث النسائى الذى سيطر على أمور الدوله فى أيام المقتدر، و كانت تأخذ الرشى و تنصب الوزراء ([١] وزراء ٢٨٨، ٢٨٧).

٢- كان سنّ المقتدر، وقت حصول هذه القضیّه ١٧ سنه.

٣- الباريه، و الجمع بواری: الحصار المنسوجه من القصب، و ما يزال هذا اسمها ببغداد.

٤- صحن الدار: الساحة تكون فى وسط الدار، و تحيط بها البيوت أى الحجر، و ما زال هذا اسمها ببغداد.

٥- ماء الأكارع: راجع التفصيل فى آخر القصّه.

٦- الغلّ، بضم الغين، و جمعه أغلال و غلول: طوق من الحديد أو الجلد، يجعل فى اليد أو العنق.

٧- عبيد الله بن الحسن النرسى: النسبه إلى النرس، نهر من أنهار الكوفه عليه عدّه من القرى (اللباب ٢/٢٢١)، كان عبيد الله و أخوته يتقلّدون عدّه نواح من سقى الفرات، و كان عبيد الله فى السنه ٢٨٢ عاملا على السيب الأعلى، و كان أبو العبّاس بن الفرات على ديوان الخراج، يخلفه عليه أخوه أبو الحسن، و كانا يستقصيان على آل النرسى استقصاء غليظا، فخاصموهما، و صاحبوا أعداءهما، و سعوا عليهما عند الوزير عبيد الله بن سليمان، و وزير المعتضد، و لكنهما انتصرا عليهم، راجع تفاصيل ذلك فى الوزراء ١٨٣، ١٨٤، ١٩١، ١٩٤.

٨- أبو جعفر أحمد بن محمّد الطائى: ولى فى السنه ٢٦٩ الكوفه و سوادها، معاونا، و خراجا، و فى السنه ٢٧١ ولى مكه و المدينه، و غضب عليه الموقّق فى السنه ٢٧٥ فاعتقله، ثمّ أطلقه، و أعاده إلى ولايته فى الكوفه، و توفى فى السنه ٢٨١ بالكوفه، و دفن بمسجد

السهله (الطبرى ٦٢١/٩ و ٣٦-٧/١٠ و [٣]الكامل لابن الأثير ٤١٧/٧-٤٦٧ و [٤]الوزراء ١٥، [٥]الأعلام ١/١٩٥)، و [٦]هو أحد
الذين ذكرهم ابن بسام فى قصيدته التى هجا فيها رجال الدوله، راجع مروج الذهب ٥٤٢/٢.

سليمان (١)، لَمال عليه، فسَلَّمته إلى الحسن، المعروف بالمعلوف، المستخرج، و كان عسوفاً، و أمرته بتقييده، و تعذيبه، و مطالبته بمال ذكرته له، فألَطَّ به، فأمرت به أن يغَلَّ، ثم تحوَّبت بعد أن غلَّ مقدار ساعتين من النَّهار، فأمرت بأخذ الغلِّ عنه.

فلَمَّا جازت السَّاعتان، تذكَّرت شيئاً آخر، و هو أنَّه لما قرب سبكري (٢) من الجبل (٣)، مع رسول صاحب خراسان (٤)، مأسورا، [٦١ ر] كتبت إلى بعض عمَّال المشرق (٥)، بمطالبته بأمواله و ودائع، فكتب إليَّ بالطَّاهة، فكتبت

ص: ٤٧

- ١- أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، وزير المعتضد.
- ٢- سبكري: من قواد الدولة العباسية، كان حاكماً على فارس في السنة ٢٩٧، و انتقض على الدولة، فحاربه الجند العباسي، و فرَّ فاعتقله صاحب خراسان و ما وراء النهر، أحمد بن إسماعيل الساماني، و بعث به إلى بغداد (تجارب الأمم ١٦١-١٩).
- ٣- الجبل: إقليم عراق العجم، راجع حاشيه القصه ٦٥ من هذا الكتاب.
- ٤- صاحب خراسان: أبو نصر أحمد بن إسماعيل الساماني ملك ما وراء النهر و عاصمته بخارى، و استولى على خراسان، و هراه، و الرى، و سجستان، لُقِّب بالشهيد، لأنَّ غلمانه قتلوه سنة ٣٠١ (الأعلام ١/٩٣).
- ٥- المشرق: ذكر الجهشيارى في أخبار الوزراء: أنَّ الرشيد ولى جعفر بن يحيى، المغرب كلَّه، من الأنبار إلى إفريقيه، و قلَّد الفضل المشرق كلَّه، من شروان إلى أقصى بلاد الترك (وفيات الأعيان ٤/٢٩).

بأن يغلّ، و كنت أتغديّ، فلمّا غسلت يديّ، تندّمت، و تحوّبت، فكتبت بأن يحلّ الغلّ عنه إن كان قد غلّ، فوصل الكتاب الأوّل فغلّ، و وصل الكتاب الثّاني بعد ساعتين، فحلّ عنه، على ما كتبت به.

فلمّا مضت أربع ساعات، إذا بصوت غلمان مجتازين في الممرّ الّذي فيه الحجّره الّتي أنا محبوس فيها، فقال لي الخدم الموكّون بي: هذا بدر الحرّمي (١) و هو لك صنيعه.

فاستغثت به، و صحت: يا أبا الخير، الله، الله، فيّ، لي عليك حقوق، و قد ترى حاليّ، و الموت أسهل ممّا أنا فيه، فتخاطب السّاده في أمرى، و تذكّرهم حرمتى، و خدمتى في تثبيت دولتهم، إذ خذلهم النّياس (٢)، و افتتاحتى البلدان المنغلقة (٣) و إثارتى الأموال المنكسره، فإن كان ذنبيّ يوجب القتل، فالسيّيف أروح لي، فرجع، فدخل إليهم، فخاطبهم و رقّهم، و لم يبرح حتّى أمروا بأخذ حديديّ، و إدخالى الحّمّام، و أخذ شعريّ (٤)، و تغيير لباسى، و تسليمى إلى زيدان (٥)، و ترفيهى.

ص: ٤٨

١- أبو الخير بدر الحرّميّ: النسبه إلى حرم الخليفه، أى أنّه من الخدم المرخّص له بالدخول و الخدمه في دار حريم الخليفه، و كان بدر من الخدم ذوى المكانه عند المقتدر.

٢- يشير إلى وقوفه إلى جانب المقتدر لما خذله الناس في فتنه ابن المعتز (تجارب الأمم ١/٥).

٣- يشير إلى افتتاحه فارس (تجارب الأمم ١/١٩).

٤- أخذ الشعر: قصّه و حلّقه.

٥- زيدان القهرمانه: كان لها دار خاصه، في دار الخلافه، تعرف بدار زيدان القهرمانه، يحبس فيها وجوه الدوله، و الوزراء، و كبار العمّال، و قد حبس عندها في السنه ٣٠٤ الحسين بن حمدان التغلبيّ، و الوزير أبو الحسن عليّ بن عيسى، و الأمير يوسف بن أبي الساج، كما اعتقل عندها في السنه ٢٩٩ الوزير أبو الحسن بن الفرات، و اعتقل عندها كذلك في السنه ٣٠٦، و اعتقل عندها في السنه ٣١٤ الوزير الخصيبى، و في السنه ٣١٦ الوزير عليّ بن عيسى، و كانت زيدان تتعصّب لابن الفرات، و تتخبّر له، و كان ابن الفرات عند ما يكتب إليها، يضيف إلى الدعاء، كلمه: يا أختى، و لما عزل المقتدر،

فجاءني بذلك، وقال [١٠٤ غ]: يقولون لك، لن ترى بعدها بأسا، و أقمت عند زيدان، إلى أن رددت إلى هذا المجلس (١).

ص: ٤٩

١- يعنى أنه ردّ إلى الوزاره، و كان الوزير ابن الفرات معروفا بالكرم و النبل فى معامله الناس، حتى خصومه و لكنّه فى وزارته الثالثه، أنكر الناس أخلاقه، و ما كان يعرف من كرمه و نبله (تجارب الأمم ١١٣/١). فإِنَّه اعتقل كثيرا من خصومه، و سلّمهم إلى ولده المحسن، و كان سادى الطبع، قاسيا، فقتل منهم قوما (تجارب الأمم ١١٣/١ و ١٢٣)، فنقم عليه الخاصّه (تجارب الأمم ١١٥/١ و ١١٦ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٦)، و حدث ان اجتاح القرمطىّ الحجاج فى وقعه الهبير (تجارب الأمم ١٢١/١) فنقمت عليه العامّه أيضا، و رجمت طيّاره، و طيّار ولده المحسن بالآجر، و منعت من الصلاه فى المساجد (تجارب الأمم ١٢٢/١ و ١٢٦)، فاعتقل الخليفه المقتدر، الوزير ابن الفرات، و ولده، و أراد أن يحبسهما فى داره، فهذد القواد بخلع الطاعه إن أبقاهما، فأمر بقتلهما، فقتل الابن أولا، و حمل رأسه و وضع بين يديّ أبيه، ثم قتل الأب، و حمل رأسهما إلى الخليفه، فأمر برميهما فى النهر (تجارب الأمم ١٣٧/١ و ١٣٨).

الكرّاع، في الدوابّ ما دون الكعب، و في الإنسان، ما دون الركبه من مقدّم الساق، و يطلق الكرّاع كذلك، على مستدقّ الساق من ذوات الظلف، و في بغداد، يكتّون عن النساء، بقولهم: أمّهات كراع، و ربما كان ذلك، لدقّه ساق المرأه و رقّته، و ماء الكرّاع:

الماء الذي يطبخ به الكرّاع، و هو طعام يستطيه العرب قديما و حديثا، و قد روى عن النبيّ صلوات الله عليه، أنّه قال: لو دعيت إلى كراع لأجبت، و الكرّاع يؤكل في جميع البلاد العربيّه، و يسمّى في مصر: كوارع، و في الشام: مقادم، و في لبنان: غمّي، محرّف:

غممه، بالإماله، و أمّا في بغداد، فيسمّى: پاچه، بالباء و الجيم الفارسيّتين، و الكلمه فارسيّه، بمعنى كراع الماشيه (المعجم الذهبى)، و البغداديون يتأتّقون في صنع پاچه، و هى عندهم تشتمل على الكرّاع، و الرأس، و اللسان، و الكرّش، و هم يقطّعون الكرّش قطعاً، و يحشون كلّ قطعه بمخلوط من الأرز و اللحم و اللوز و التوابل، ثم يخيطنونها، و يسمّونها: كيبايات، مفردها: كيبايه، و في بغداد دكاكين عديده، عمل أصحابها مقصور على صنع پاچه، و يسمّى صاحبها: پاچه چى، و چى، فارسيّه تفيد النسبه، و يقصد الناس هذه الدكاكين، و يأكلون پاچه في داخل الدكان، و قد استعدّد صاحبه لذلك، بمناضد، و صوانى، و صحون، و كراسى، و مغاسل، و مناديل، و المتعارف أن يكون بجانب كلّ پاچه چى، طرشچى، أى بائع الطرشى، و الطرشى، هو الكبيس، أصل الكلمه فارسيّه، ترش بمعنى الحمامض، أو ما فيه خل، و إذا طلب القاصد پاچه، أحضر له الطرشچى المجاور، كأساً من الطرشى، يشتمل على أنواع الكبيس، كالشलगم (اللفت)، و الباذنجان، و الخيار، و ثوم العجم، و أنواع أخرى يطول ذكرها، و أهل الكرخ من بغداد، أكثر رغبه في الباچه، و إقبالاً عليها، و كان في الكرخ عدد كبير من پاچه چيه، أشهرهم: ابن طوبان، و بجواره طرشچى، يعرف بحنانش، و كان الناس يقصدونهما من أطراف بغداد، و في السنه ١٩٢٩-١٩٣٠، عند ما كنت كاتباً في مجلس التّواب العراقى، و كان المجلس في جانب الكرخ، في البناء الذى شاده مدحت باشا رحمه الله، على شاطئ دجله، و اتّخذه مستشفى، كنت أنا و أصحابى من الكتاب، مولعين بباچه ابن طوبان، و طرشى حنانش، أمّا في أيامنا هذه فقد انتقل سوق پاچه، إلى جانب الرصافه، فاتّخذ لها أصحابها دكاكين في منطقه الشيخ عمر، و ضعفت شهره ابن طوبان، و حنانش، و جميع پاچه چيه الكرخ.

[و حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ هِشَامِ بْنِ أَبِي قِيْرَاطٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الْحَسَنِ بْنِ الْفِرَاتِ.... فذَكَرَ نَحْوَ هَذَا الْحَدِيثِ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ] (١):

أَنَّ ابْنَ الْفِرَاتِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الشَّدَائِدِ الْهَائِلَةِ، إِلَى الْوِزَارَةِ الثَّانِيَةِ، أَمَرَ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرَ بْنَ ثَوَابِهِ، صَاحِبَ دِيْوَانِ الرِّسَالِ (٢)، أَنْ يَكْتُبَ عَنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، إِلَى أَصْحَابِ الْأَطْرَافِ، بِرَدِّهِ إِتْيَاهُ إِلَى الْوِزَارَةِ، فَكُتِبَ إِلَى جَمِيعِهِمْ كِتَابًا [بِنَسْخِهِ وَاحِدَةٍ، سَمِعْتُ أَبِي وَغَيْرِهِ مِنْ مَشَايِخِ الْكِتَابِ - إِذْ ذَاكَ - يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ] (٣) مَا سَمِعُوا فِي مَعْنَاهُ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَأَعْطَانِيهِ أَبِي، وَأَمَرَنِي بِحِفْظِهِ، وَتَلَاهُ عَلَيَّ الْقَاسِمُ، فَحَفِظْتُ مِنْهُ فَصْلًا، وَهُوَ:

لَمَّا لَمْ يَجِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَدَا مِنْهُ، وَ لَمْ يَكُنْ بِالْمَلِكِ غَنِيًّا عَنْهُ، انْتَضَاهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَمْدِهِ، فَعَاوَدَ مَا عَرَفَ مِنْ حَدِّهِ، وَ دَبَّرَ الْأُمُورَ كَأَنَّ لَمْ يَخُلْ مِنْهَا، وَ أَمْضَاهَا كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ عَنْهَا، إِذْ كَانَ الْحَوْلُ الْقَلْبَ، الْمَحْنُوكَ الْمُدْرَبَ، الْعَالِمَ بِدَرِّهِ الْمَالَ كَيْفَ تَحْلُبُ، وَ وَجْهَهُ مِنْ أَيْنَ [٧٥ م] تَطْلُبُ، وَ كَانَ الْكُتَيْبَ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ، وَ تَبَايُنِ مَرَاتِبَاتِهِمْ، يَقْفُونَ عِنْدَهُ إِذَا اسْتَبَقُوا، وَ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ إِذَا احْتَكَمُوا، وَ كَانَ هَذَا الْأَسْمَ حَقًّا مِنْ حَقُوقِهِ، اسْتَعِيرَ مِنْهُ، ثُمَّ رَدَّ إِلَيْهِ.

ص: ٥١

١- الزيادة من غ، و في بقيه النسخ: و قيل في غير هذه الروايه.

٢- أبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد بن ثوابه بن خالد الكاتب: كان على ديوان الرسائل، و لَمَّا تَوَفَّى فِي السَّنَةِ ٣١٢ خَلْفَهُ وَلَدَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ ثَوَابِهِ: مَا قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، أَكْتُبُ مِنْ جَدِّكَ، وَ كَانَ أَبُوكَ، أَكْتُبُ مِنْهُ، وَ أَنْتَ أَكْتُبُ مِنْ أَبِيكَ (معجم الأدباء ٨٠/٢، [١] راجع القصه ١٧/٤ و ٦٢/٨ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتونخي).

٣- الزيادة من غ.

خرج من حبس المقتدر و نصب

مستشارا للوزير ابن مقله

حدّثني علي بن هشام أبي قيراط الكاتب، من حفظه، و كتبت بإملائه، قال:

تطاول الحبس بأبي الحسن عليّ بن عيسى (١) في دار المقتدر (٢)، حتّى أيس منه، فلمّا اجتمع أبو الهيجاء (٣)، و نازوك (٤)، و الطبقة الذين تجمّعوا و خلعوا المقتدر

ص: ٥٢

١- أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح (٢٤٤-٣٣٤): وُزّر للمقتدر، و للقاهر، أحد العلماء الرؤساء من أهل بغداد، نشأ كاتباً كأبيه و جدّه، و لى الوزارة للمقتدر سنة ٣٠٠، فحمدت سيرته، و عزله سنة ٣٠٤ و حبسه، و نفاه إلى مكة، ثم إلى صنعاء، ثم و لاه الأطلاع على أعمال مصر و الشام، ثم أعاده للوزارة سنة ٣١٤ ثم عزله سنة ٣١٦ و قبض عليه، ثم أناط به الإشراف على الدواوين و النظر في المظالم، قال عنه الصولي: لا- أعلم انه و زّر لنبي العباس مثله في عفته و زهده و علمه (الأعلام ١٣٤/٥)، و [١] قال عنه في كتابه: الأوراق- أخبار الراضى و المتقى ص ٦٥-٦٧ و ص ١٨٧ و ١٨٨: إنّه جمال بغداد، و من لا يرى الناس مثله، و وصفه بأنّه تاج الدولة و جمالها و شيخ الإسلام.

٢- لمّا عزل المقتدر أبا الحسن عليّ بن عيسى في السنة ٣١٦ بعد وزاره دامت سنة واحدة و أربعة أشهر، اعتقله عند زيدان القهرمانه و قلّد الوزارة ابن مقله، و في السنة ٣١٧ جرت الفتنه التي أدّت إلى خلع المقتدر و نصب القاهر، راجع تفصيل ذلك في تجارب الأمم ١٨٩، ١٨٥، ١٤٩/١-٢٠١.

٣- أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ العدويّ: و ولد الأمير سيف الدولة الحمداني، من القاده المقدمين في العصر العباسي، و لى الموصل و أعمالها للمكتفى سنة ٢٩٣، و عزله المقتدر سنة ٣٠١ فقدم بغداد فخلع عليه المقتدر و أعاده، و قلّده في السنة ٣٠٨ طريق خراسان و الدينور، و ضمن في السنة ٣١٥ أعمال الخراج و الضياع بالموصل (الأعلام ٢١٣/٤)، و [٢] كان شجاعاً (القصة ٥٠/٣ من كتاب كتاب نشوار المحاضره)، جواداً (تجارب الأمم ١١٢/١ سطر ١٧-٢٠)، حميّ الأنف، كان مع القاهر لمّا هاجمه الجند، فقال له: أنا في ذمامك، فأقسم أن لا يتركه، و حامى عنه حتى قتل (الكامل ٢٠٤/٨)، [٣] تجارب الأمم ١٩٦/١، و بالرغم من كون أبي الهيجاء شارك في خلع المقتدر، فقد حزن المقتدر عليه لما قتل، و ظهر عليه من الكآبه أمر عظيم (تجارب الأمم ١٩٩، ١٩٨/١).

٤- أبو منصور نازوك، صاحب الشرطه ببغداد؛ ترجمته في حاشيه القصة ٧٦ من الكتاب.

و أجلسوا القاهر، و حصّـلوا المقتدر في دار مؤنس (١)، كسرت الحبوس، و نهب بعض دار المقتدر، فأفلت عليّ بن عيسى من الموضوع المذى كان فيه محبوسا، فخرج، فاستتر تلك الأيام الثلاثة التي كان فيها المقتدر محبوسا عند مؤنس (٢)، و القاهر متّسم (٣) بالخلافه.

فلمّا جاءت الرّجاله، بغير مراسله من المقتدر لهم، و لا حيله منه في أمر نفسه، و إنّما كان بصنع طريف، و سوء تدبير نازوك في خطابهم بما كرهوا، فتاروا، و قتلوا أبا الهيجاء، و نازوك، و كبسوا دار [٧٥ ظ] مؤنس، و أخذوا المقتدر من يده، و أعادوه للخلافه، و ردّوا القاهر إلى دار ابن طاهر (٤)، و ظهر ابن مقله، و كان وزير المقتدر، و كان قد استتر.

ص: ٥٣

١- دار مؤنس: أنظر التفصيل في آخر القصّه.

٢- مؤنس المظفر (٢٣١-٣٢١): من أكابر القوّاد الأتراك في دولة العباسيين، كان شجاعا، من الدهاه، دامت إمارته ستين سنه، و لى دمشق للمقتدر، و تولّى الفداء بين المسلمين و الروم سنه ٢٩٧. و لما حصلت وقعه الهبير (أنظر حاشيه القصّه ١٠٨/١ من كتاب نشوار المحاضره) كتب إليه المقتدر بالعوده، و لما عاد إلى بغداد اتّهم المقتدر بأنّه قد دبّر عليه، فخلعه و نصب أخاه القاهر بدلا منه، و بعد يومين هاج الجند، و أعادوا المقتدر، و فى السنه ٣٢٠ حارب المقتدر و قتله، و نصب القاهر خليفه، ثم أنّ القاهر قبض على مؤنس بحيله و قتله فى السنه ٣٢١ (الكامل ١٥/٨-٢٧٩ و [١] تجارب الأمم ٦/١-٣٩٦).

٣- فى غ: مرتسم.

٤- دار ابن طاهر أو الحرّيم الطاهرى: موضعها بأعلى مدينه السلام فى الجانب الغربى، على دجله (معجم البلدان ٢/٢٥٥)، و [٢] كانت متصله من الغرب بمحلّه دار الرقيق (معجم البلدان ٢/٨٠٤) و [٣] بينها و بين باب التبن (الكاظميه) محلّه تدعى ربض أبى حنيفه، نسبه إلى أحد قوّاد المنصور (معجم البلدان ٢/٧٥٠)، [٤] فيكون موضعها اليوم «العطيفيه» و سمّيت حرّيما لأنّ كلّ من لجأ إليها أمن، و أول من جعلها حرّيما أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين، و كان عظيما فى دوله بنى العباس، و كانت إليه الشرطه ببغداد، و خراسان، و الجبال، و طبرستان، و الشام، و مصر (معجم البلدان ٢/٢٥٥)، [٥] ثم أصبح الحرّيم الطاهرى محل سكنى الأمراء العباسيين الذين يرى الخليفه ضروره بقائهم تحت رقابته، و كان يحيط بالحرّيم سور (معجم البلدان ٢/٢٥٥) و [٦] عليه موكل يحفظه،

[قال: فحدّثني أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل زنجي الكاتب، وأبو الحسين محمد بن عبد الرحمن الروذباري، صاحب الفضل بن جعفر، قالوا: كُنَّا] (١) في دار مؤنس، والناس يهَنُونَهُ، وعلّي ابن عيسى مستتر، فلم يشعر إلا وقد جاء علّي بن عيسى بطيلسان (٢)، وأحفي المسأله (٣) أن يردّ إلى الحبس، خوفاً من عواقب الاستتار، وأن يولد عليه أكثر من الحبس.

فتلقاه مؤنس أحسن لقاء وأجمله، واستصوب رأيه في الظهور، وراسل

ص: ٥٤

١- الزيادة من غ.

٢- الطيلسان: لباس المشايخ والفقهاء، وهو قطعه من القماش مدوّره الشكل أو مربعه، تطوى فتكون بشكل نصف دائره أو مثلث، وتلقى على الكتف، وفي بعض الأحيان على العمامه، والطيلسان ما يزال شائع الاستعمال في اليمن، ولكنّه قليل الاستعمال ببغداد، يرتديه بعض المعمّمين المتقدّمين في السنّ، ويسمونه: شاله، ويتخذونه من قطعه مربعه من الصوف الأنيق الفاخر، وتكون في الغالب مطرّزه، وتطوى حتى تصير مثلثه الشكل، ثم توضع على الكتفين فوق الجبّه، وربما وضعت فوق العمامه ولفّ بها الرأس، راجع معجم دوزي بأسماء الملابس عند العرب ٢٢٩، والقصّه ٦٧/٧ من كتاب نشوار المحاضره للتوخّي.

٣- أحفي المسأله: ردّها.

المقتدر في الحال، فعاد الجواب من المقتدر، بأجمل قول و أحسنه، و أنه قد ردّ إلى عليّ بن عيسى الإشراف على ابن مقله، و الاجتماع معه على سائر أمور المملكة، و أمر أن يصل بوصوله (١)، و أن لا ينفرد ابن مقله بتدبير أمر دونه، و أفرد عليّ بن عيسى بالمظالم، من غير أن يكون لابن مقله فيها نظر.

فقال له مؤنس: ليس يجوز مع هذا أن تلبس الطيلسان، و عليك أن تتلقّى هذا [١٠٥ غ] الإنعام بالشكر.

فانصرف عليّ بن عيسى، و عاد عشياً و عليه درّاعه (٢)، و جلس في دار مؤنس، منتظراً مجيء الوزير ابن مقله، إلى أن جاء، فاجتمعا يتفاوضان في أمور الأموال و الأعمال.

فقال له ابن مقله: إنّ أبا بكر محمّد بن عليّ المادرائيّ (٣) يطيعك، و هو من أكبر صنائعك، فاكتب إليه، بحمل مال.

فقال عليّ بن عيسى: إنّ مصر مع الاضطراب الواقع، ستفور ناراً، لكثرة الجيش بها، و عظم مال صله البيعه، و الوجه أن يكتب الوزير أعزّه الله.

فقال مؤنس لابن مقله: افعل ما أشار به أبو الحسن.

ص: ٥٥

- ١- يعني أن يدخل على الخليفة مع الوزير.
- ٢- الدرّاعه: ثوب له جيب يلبسه الكتّاب، و لا- تكون الدرّاعه إلّا- من الصوف، و تشبه ما يسمّى الآن ببغداد: الدشدشه، و في مصر: الجلاييه، و ذكر صاحب الأغاني ١٨٥/٥: [١] أنّ موسى الهادي طرب يوماً فمدّ يده إلى جيب درّاعته فحطّها ذراعاً، ثمّ ضرب بيده إليها ثانياً، فحطّها ذراعاً آخر، راجع معجم دوزي بأسماء الملابس عند العرب ١٤٦.
- ٣- أبو بكر محمّد بن عليّ بن أحمد بن رستم المادرائيّ (٢٥٨-٣٤٥): وزير من الكتّاب، و صفه المقرّيزي بأنّه أحد عظماء الدنيا، أصله من مادرايا، من قرى البصره، دخل مصر سنه ٢٧٢ و خلف أباه في ولايه النظر في أمور خمارويه بن أحمد بن طولون، ثمّ استوزره هارون بن خمارويه، و لمّا انقرضت دوله بنى طولون قدم العراق، ثمّ ولى خراج مصر، ثمّ جعل له الاخشيد أمور مصر كلّها، توفّي بالقاهره (الأعلام ١٥٨/٧).

فقال: لا يحسن أن أكتب في شيء من هذا، وهذا الشيخ حاضر.

فقال أبو الحسن: فأنا أكتب بخطي عنك، إلى محمد بن علي، فإنك أنت الوزير، وكلنا أعوانك و أتباعك، فسرّ بذلك ابن مقله جدًا، و صارت له عند الناس جميعا منزله.

و دعا عليّ بن عيسى بثلاث قرطاس، و كتب فيه، في الحال، بغير نسخه، كتابا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، أعزّك الله، و أطال بقاك، و أكرمك، و أتمّ نعمته عليك، و زاد في إحسانه إليك، قد عود الله أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - في تصارييف أحواله، و معقبات أعماله، و عند الخطوب إذا ألمت، و الحوادث إذا أظلت، أن لا يخليه من نظر يتيحه له، و نعم يجددها عنده، و منح يضاعفها لديه، لما يعرفه [٧٦ م] من صفاء نيته، و خلوص طويته، و حسن سريرته، لسائر رعيتته، عادته في الصّلاح و الإصلاح، هو - عزّ و جلّ - متممها، و موزع الشّكر عليها، و كان جماعه من الأولياء، و جمهور الرّجال و الأصفياء، عدلوا عن طريق السّلامه، و زالوا عن مذهب الاستقامه، و حادّوا (١) ما توالى عليهم من النّعمه، و وصل إليهم من الإحسان في طول المدّه، و حملهم الحين المتاح لأمثالهم، و ما قرّب الله من آجالهم، [على الخروج عن مدينه السّلام، بغير تدبير و لا نظام] ٩، و المطالبه بما لا يستحقّون من الأرزاق، على سبيل السطوه و الاقتدار، غير مفكرين في ذميم المذاهب، و وخيم العواقب، متردّدين في بغيهم، متسكّعين في جهلهم و غيهم، و أمير المؤمنين - أدام الله عزّه - يعدهم بنظره الّمدى لا - يخلفه، و العطاء الّمدى لا يؤخّره، و يتوخّاهم بالموعظه الحسنه، و ينهاهم عن الأفعال القبيحه المنكره، و هم يأبون ما يدعوهم

ص: ٥٦

١ - حادّ: عادى.

إليه، و يسرفون في التحكّم و البغى عليه، إلى أن أذاهم الجهل و الطغيان، و التمردّ و العصيان، إلى إحضارهم دار المملكه من لقبوه بالخلافه يوما واحدا، ثم صرف عنها، و أمير المؤمنين-أيده الله تعالى-يعمل فكره و رويته في حلّ نظامهم، و حسم موادّ اجتماعهم، و تشتيت كلمتهم، و تفريق جماعتهم، حتّى يتمكن منهم تمكّنا يفتّ في أعضادهم، و يوهن من عنادهم، ثم يعفو عمّن يرى العفو عنه، و يوقع القضيّة اص على من يوجب الحقّ القضيّة اص منه، فلم تكن إلا-وقعه من الوقعات، و ساعه من الساعات، حتّى أخلف الله آمالهم، و أكذب أطماعهم [٧٦ ظ] أو بدّد شملهم، و خيب سعيهم، و أكبى زندهم، و انفضّوا بعد أن استلحم (١) من كان مضرما للفتنه، و ملهبا للنائره (٢)، و عاد أمير المؤمنين-أيده الله-على الباقيين بالصّ فح الشامل، و الإنعام الكامل، و تغمّد هفوتهم، و أقال عثرتهم، و أحسن صلتهم، و استأنف أفضل [١٠٦ غ] الأحوال بهم، و عادت الأمور كما كانت، و تكشّفت الخطوب و زالت، و خلصت التّيّات و صلحت، و هدأت الرعيّه و سكنت، و قد تكفّل الله-عزّ و جلّ-بنصر أمير المؤمنين، و تشييد أركان عزّه، و الله يحقّ الحقّ، و يبطل الباطل، و لو كره المجرمون، فأجر أعمالك-أعزّك الله-على أجمل ما تجريها عليه، و أحسن سيرتك فيها، مستعملا فيها أجدّ الجدّ، و أبلغ التشمير، حتّى تسهل صعابها، و تدرّ أحلابها، و تجري على أحسن مجاريها، و أجمل تأتيها، و احذر أن ترخص لنفسك في تأخير الحمل، فتخرج إلى التأييب و العذل، و بادر الجواب عن هذا الكتاب، لأعرضه على أمير المؤمنين-أطال الله بقاءه-

ص: ٥٧

١- استلحم الرجل: نشب في الحرب فلم يجد مخلصا.

٢- النائره: الهائجه و الفتنة.

فإنه يتوَكَّفُه (١) و يراعِيه، و يتشَوِّفه (٢) و الدعاء له (٣) و كتب يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة و ثلاثمائه.

دار مؤنس

كانت دار مؤنس على شاطئ دجله، مجاوره لدار الخلافه (رسوم دار الخلافه ١٣٦) و كان الجسر بحضرتها (المنتظم ١٧١/٧) و كانت بسوق الثلاثاء (المنتظم ٢٠٦/٦ و التكملة ١١٠) و هو سوق البرازين (معجم البلدان ١٩٣/٣) و من دار مؤنس اقتطعت المدرسه النظاميه (التكملة ١٤٨) و كانت فى آخر سوق الثلاثاء (ابن بطوطه ١٧٥) و اقتطعت كذلك المدرسه المستنصريه، و كانت فى آخر سوق الثلاثاء (ابن بطوطه ١٧٥)، و يبدو من هذه الدلالات أن دار مؤنس كانت واقعہ على دجله شمالى دار الخلافه، يفصلها عنها السوق الذى ينزل من دجله من قهوه الشط ماژا بخان دلّه و الممتد إلى الشورجه، أمّا طرفها الثانى فقد كان مطلقاً على الجسر، و قد كان فى موضعه الذى هو فيه الآن، و لا يستغرب أن تكون دار مؤنس بهذه السعه، فقد كان القائد العام للجيش، و كانت سلطته تزيد على سلطه الخليفه، و كانت داره تشتمل على كتيابه و عماله و حرسه و غلمانه مع دوابهم و ما يقتضى إعداده لإيوائهم و إطعامهم، و أصبحت هذه الدار من بعد مقتل مؤنس، مقراً للحكام المتسلطين على بغداد، فنزلها ابن رائق لما أصبح أميراً للأمرء فى السنه ٣٢٤، و نزلها من بعده بحكم فى السنه ٣٢٦ (التكملة ١١٠) و نزلها من بعدهما أبو الحسين البريدى لما استولى على بغداد فى السنه ٣٣٠ فى عهد المتقى (التكملة ١٢٧) كما نزلها توزون لما نصب أميراً للأمرء فى السنه ٣٣١ (التكملة ١٣٤) و أقام بها من بعده سيف الدوله الحمدانى فى السنه ٣٣١ (التكملة ١٣٤) و أقام بها كذلك معز الدوله البويهى لما استولى على بغداد فى السنه ٣٣٤

ص: ٥٨

- ١- يتوَكَّفُه: ينتظره و يسأل عنه.
- ٢- التشَوِّف: التطاع، من الشوف، أى الجلاء، و الشوف هو الرؤيه، لأنها تجلو حقيقه الشىء، تقول: شاف يشوف شوفاً، أى رأى، يرى، رؤيه، و البغدادى، لا يقول: رأيت، و إنما يقول: شفت.
- ٣- يريد به الدعاء المقرّر للعامل فى المراسله، و كان الدعاء المقرّر لعامل مصر الذى أرسلت إليه الرساله: أدام الله عزك، و أطل بقاءك، و أكرمك، و أتم نعمته عليك و إحسانه إليك (الوزراء ١٧٥).

(التكملة ١٤٨) إلى أن بنى داره بالشَّماسية فانتقل إليها في السنة ٣٥٠ قبل أن يتمّ بناءها (تجارب الأمم ١٨٣/٢ و التكملة ١٧٩)، و بعد أن تركها معزّ الدولة، أصبحت مقراً للأمرء من أولاده (التكملة ٢١٤)، إنّ المدرسة المستنصرية ما تزال ماثله تحدّد لنا الجانب الشمالي من دار مؤنس، أمّا المدرسة النظامية و سوقها الملاصق لها، فيبدو أنّها كانت على قطعه الأرض المستطيلة المنتظمة التي يحدّها من الشرق سوق الجوخجية (باعه الجوخ) و من الغرب سوق المصبغة، و من الشمال: سوق اليمنجية، و هم صنّاع الأحذية الحمراء الصرّاره المسّماه باليمتّيات، مفردّها: يمني، و من الجنوب: السوق النازل من دجله، من قهوه الشطّ، مارا بخان دلّه، و الممتد إلى سوق العطارين، و على هذا فإنّ المدرسة النظامية التي كانت الأمثال تضرب بحسنها (ابن بطوطه ١٧٥) لم يبق منها الآن إلّا قطعه صغيره من الأرض، بين الدكاكين، لعلّها لا- تزيد في المساحة على حجره واحده من حجراتها الماضية، اتّخذت كتيّابا للصبيان، كان فيه مؤدّب يعلمهم الكتابه و قراءه القرآن اسمه الملاً أحمد، لم أدركه، و أدركت ولده الملاً إبراهيم، توفّي، و خلفه أخوه الملاً مسلم، و لَمّا مات أغلق بابها، و ظلّت سنين مهجوره، ثم أقدم بعض البزازين من أصحاب الدكاكين المحيطه بهذه القطعه، ففتحوا بابها، و رمّوا شعثها، و فرشوها بالحصر و البواري، و جهّزوها بالماء و النور، و اتّخذوها مصلى لأهل سوقهم.

أقول: ورد في البحث ذكر سوق اليمنجية: نسبه إلى اليمنى، و هو حذاء أحمر صرّار، ينسب إلى اليمن، معروف من القديم بهذا الاسم، و قد أدركت هذا السوق، و جميع دكاكينه عامره ببائعي هذا الصنف من الأحذية، أمّا الآن فقد انقرض هذا الصنف، و لم يبق من بائعيه أحد، و حلّ محلهم في السوق الخياطون و السقطيون، و لمحمّد بن دانيال الموصلي في وصف اليمنى (فوات الوفيات ٣٨٤/٢):

من اليمتّيات التي حرّ وجهها يفوق صقالا صفحه الصارم الهندي

و من عجبى أنّي إذا ما وطئتها تننّ أنينا دونه أنّه الوجد

و لم أر وجهها قبلها كلّ ساعه على التراب ألقاها معقره الخدّ

من مكارم القاضى أحمد بن أبى دؤاد

أ- سيد العرب أحمد بن أبى دؤاد

أخبرنى محمد بن الحسن، قال: أخبرنى أبو بكر الصولى، قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن خالد (١)، قال:

رفع بعض العمّال إلى المعتصم، و كان يلى الخراج بموضع يلى فيه خالد بن يزيد (٢) الحرب، أنّ خالد بن يزيد اقتطع الأموال و احتجن بعضها.

فغضب المعتصم، و حلف ليأخذنّ أموال خالد، و يعاقبه.

ص: ٦٠

١- أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خالد بن ياسر، المعروف بأبى العيناء (١٩١-٢٨٣): أديب، فصيح، ذكّي، من ظرفاء العالم، من أسرع الناس جوابا، حسن الشعر، جيّد العارضه، مليح الكتابه و الترسل، بليغ الخطابه، حاضر النادره، أضرب بعد الأربعين، نشأ بالبصره، و أقام ببغداد طويلا، ثم انحدر إلى البصره، فمات فيها، و من أنبل صفات أبى العيناء: الوفاء، فإنّه رثى الحسن بن سهل لما مات، أجمل رثاء (القصّه ٣٥/٦ من نشوار المحاضره)، [١] مع أنّ الحسن بن سهل توفّي و الدهر عنه منصرف، و كذلك كانت حاله مع السيد العربى النبيل القاضى أحمد بن أبى دؤاد، فقد أثنى عليه بعد وفاته، مع أنّه توفّي مشلولاً منكوبا، و من بديع أقواله: أنّ رجلا وقف عليه، فلما أحسّ به، قال له: من أنت؟ قال: رجل من بنى آدم، فقال له أبو العيناء: مرحبا بك أطل الله بقاءك، كنت أظنّ أنّ هذا النسل قد انقطع (وفيات الأعيان ٣٤٤/٤)، و [٢] مرّ يوما بدار أحد أصحابه، و كان مريضا، فسأل: كيف حال فلان؟ فقالوا: كما تحبّ، فقال: فما لى إذن لا أسمع الصراخ فى الدار (الديارات ٨٤)، [٣] راجع أخبار أبى العيناء فى كتاب الملح و النوادر للحصرى ٦٢-١٢٩، ٢٩٢، ٢٣١، ١٩٩، ١٩٧، و فى وفيات الأعيان ٣٤٣/٤-٣٤٨، و [٤] فى الديارات ٧٩-٩٢، و [٥] فى المنتظم ١٥٦/٥، و [٦] فى الأعلام ٢٢٦/٧.

٢- أبو يزيد خالد بن يزيد بن مزيد بن زائده الشيبانى: أحد الأمراء الأجواد فى العصر العباسى، مدحه أبو تمام، ولّاه المأمون مصر، ثمّ ولّاه الموصل و ديار ربيعه، و لما انتقضت أرمينية، جهّزه الواثق إليها، فمات فى طريقه سنة ٢٣٠ (الأعلام ٣٤٣/٢).

فلجأ خالد إلى أحمد بن أبي دؤاد القاضي (١) [١٣٨ م]، فاحتال حتى جمع بينه وبين خصمه، فلم تقم على خالد حججه.

فعرّف ابن أبي دؤاد المعتصم ذلك، وشفع إليه في خالد، فلم يشفعه.

و أحضر خالدًا، و أحضر آلات العقوبه، و قد كان قبل ذلك، قبض أمواله، و ضياعه، و صرفه عن العمل.

و حضر ابن أبي دؤاد المجلس، فجلس دون الناس.

فقال له المعتصم: ارتفع إلى مكانك.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما أستحقّ إلاّ دون هذا المجلس.

قال: و كيف؟

قال: الناس يزعمون أنّ ليس محلّي محلّ من شفع في رجل قرف بما لم يصحّ عليه فلم يشفع.

قال: ارتفع إلى موضعك.

قال: مشفعا أو غير مشفّع؟

ص: ٦١

١- أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي (١٦٠-٢٤٠): رجل كلّه محاسن، و فضائل، و مكارم أخلاق، و أخباره المنثوره في ثنايا كتب التاريخ و العلم و الأدب، تنبئ عن سيره تفيض خيرا، و تنفح عطرا، راجع مدائحه في ديوان أبي تميم، و أخباره في وفيات الأعيان ٦٣/١ و [١] شذرات الذهب ٩٣/٢ و مروج الذهب ٣٩٩/٢ و تاريخ بغداد ١٤١/٤ و دائره المعارف الإسلاميه ٤٥٤/١ و الكامل لابن الأثير في المجلدين ٦ و ٧ و في تاريخ الطبرى في المجلدين ٨ و ٩ و في هذا الكتاب و في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٤١ و ١٤٨ و ١٥٩ و ٢٠٦، و في القصص ٤٩/٢ و ٤٨/٣ و ١١٤/٧ و ١٤١/٧ و ١٤٢/٧ من نشوار المحاضره، و [٢] راجع ما قاله فيه أبو العيناء في نشوار المحاضره ج ٢ ص ١٠٢ و ج ٣ ص ٦٨، [٣] اتصل أولا بالمأمون، فقربه، ثم أوصى به المعتصم، فجعله قاضي قضااته، و أخذ يستشيره في جميع أموره، و لما استخلف الواثق، زاد تقريبا له، و تعويلا- على رأيه، و لما مات الواثق، أصرّ على مبايعه المتوكّل، فلقي جزاء خطيئته هذه، إذ عزله المتوكّل، و صادره، و حبس أولاده، و صادره، و شرّدهم.

قال: مشفعا، قد وهبت لك خالدا، ورضيت عنه.

قال: الناس لا يعلمون بهذا.

قال: وقد رددت عليه العماله، و الضياع، و الأموال التي له.

قال: و يشرفه أمير المؤمنين بخلع تظهر للعامه.

فأمر أن تفك قيوده و يخلع عليه، ففعل به ذلك، و ردّ إلى حضرته.

فقال ابن أبي دؤاد: قد استحقّ هو و أصحابه رزق ستّه أشهر، فإن رأى أمير المؤمنين، أن يجعلها صله له.

قال: لتحمل معه.

فخرج خالد، و الناس منتظرون الإيقاع به، فلمّا رأوه على تلك الحال، سرّوا، و صاح به رجل: الحمد لله على خلاصك يا سيّد العرب.

فقال: مه، سيّد العرب- و الله- ابن أبي دؤاد، [الذي طوّقني هذه المكرمه التي لا تنفكّ من عنقي أبدا] (١) لا أنا.

و في هذه القصّيه، يقول أبو تمام الطائي:

يا سائلي عن خالد و فعاله ردّ فاغترف علما بغير رشاء

قد كان خطب عاثر فأقاله رأى الخليفه كوكب الخلفاء

فخرجت منه كالشّهاب و لم تزل مذ كنت خرّاجا من الغمّاء [١٧٥ ظ]

ما سرّني بخروجه من حجّه ما بين أندلس إلى صنعاء (٢)

ص: ٦٢

١- الزيادة من المستجاد ص ١٦٠.

٢- لم ترد هذه القصّه في غ و لا ه، و وردت في كتاب نشوار المحاضره [١] رقم القصّه ١١٤/٧ و في كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٥٩-١٦٠.

حدّثني عليّ بن هشام، قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى، يتحدّث، قال: سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب، يقول: حدّثني أبي، قال:

كنت و أبو العباس أحمد بن الخصيب، مع خلق من العمّال و الكتاب.

معتقلين في يدي محمّد بن عبد الملك الزيّات، في آخر وزارته للواثق، نطالب ببقايا مصادراتنا (١)، و نحن آيس ما كُنّا من الفرّج، إذ اشتدّت علّه الواثق، و حجب سنّه أيام عن الناس، فدخل عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد القاضي.

فقال له الواثق: يا أبا عبد الله-و كان يكنّيه-ذهبت منّي الدنيا و الآخرة.

قال: كلاً يا أمير المؤمنين.

قال: بلى، أمّا الدّنيا، فقد ذهبت منّي بما ترى من حضور الموت [٧٧ م] و ذهبت منّي الآخرة، بما اسلفت من عمل القبيح، فهل عندك من دواء؟.

قال: نعم يا أمير المؤمنين، قد عزّك محمّد بن عبد الملك الزيّات في الكتيّاب و العمّال، و ملأ بهم الحبوس، و لم يحصل من جهتهم على كبير شيء، و هم عدد كثير، و وراءهم ألف يد ترفع إلى الله تعالى بالدعاء عليك، فتأمر بإطلاقهم، لترتفع تلك الأيدي بالدعاء لك، فلعلّ الله أن يهبّ لك العافية، و على كلّ حال، فأنت محتاج الى أن تقلّ خصومك.

فقال: نعم ما أشرت به، و وقع عنّي إليه بإطلاقهم.

فقال: إن رأى خطّي، عاند و لَجّ، و لكن يغتنم أمير المؤمنين الثواب، و يتساند، و يحمل على نفسه، و يوقّع بخطّه.

ص: ٦٣

١- راجع في الكامل لابن الأثير ١٠/٧ بحثاً مفصّلاً بأسماء المصادر من كتاب الواثق، و مقادير ما صودروا عليه.

فوقَّع الوثائق، بخطِّ مضطرب إلى ابن الزيات بإطلاقهم، وإطلاق كلِّ من في الحبس، من غير استثمار ولا مراجعه.

فقال ابن أبي دؤاد: يتقدّم أمير المؤمنين إلى إيتاخ (١) أن يمضى بالتوقيع، ولا يدعه يعمل شيئاً، أو يطلقهم، وأن يحول بينه وبين الوصول إليك، أو كتب رقعته، أو اشتغاله بشيء البتّه، إلا بعد إطلاقهم، وإن لقيه في الطريق أنزله عن دابّته، وأجلسه على غاشيته (٢) في الطريق، حتّى يفرغ من ذلك.

فتوجّه إيتاخ، فلقى ابن الزيات راكباً يريد دار الخليفة.

فقال له: تنزل عن دابّتك، وتجلس على غاشيتك.

فارتاع وظنّ أنّه قد وقع به الحال، فنزل، وجلس على غاشيته، فأوصل إليه التوقيع، فامتنع، وقال: إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الأموال، وأقيم الأنزال (٣)؟

فقال له: لا بدّ من ذلك.

فقال: أركب إليه وأستأذنه.

فقال: ما إلى ذلك سبيل.

قال: فدعني أكاتبه.

قال: ولا هذا.

قال: فما تركه يبرح من موضعه، حتّى وقّع بإطلاق الناس.

فصار إيتاخ إلينا، ونحن في الحبس، آيس ما كتبنا من الفرج، وقد بلغنا شدّه علّه الوثائق، وأن قد أرجف لابنه بالخلافه، وكان صبيّاً، فخفنا أن يتمّ

ص: ٦٤

١- إيتاخ: القائد الخزريّ: ترجمته في حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب.

٢- الغاشيه: كل ما يغطّي الشىء، و غاشيه السرج غطاؤه (مفردات الراغب ٣٦٦).

٣- النزل (بفتح النون و الزاى)، و جمعه أنزال: الأرزاق و الأعطيه.

[١٠٧ غ] ذلك، فيجعل ابن الزيات الصبي [٧٧ ظ] شبحا، ويتولى التدبير فيتلفنا، وقد امتنعنا لفرط الغم من الأكل.

فلما دخل علينا إيتاخ، لم نشك أنه قد حضر لبلية، فأطلقنا، وعرفنا الصورة، فدعونا للخليفة، ولأحمد بن أبي دؤاد، وانصرفنا إلى منازلنا لحظه، ثم خرجنا فوقفنا لأبي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق، ننتظر عوده من دار الخليفة عشيا.

فحين رأيناه ترجلنا له، فقال: لا تفعلوا، وأكبر ذلك، ومنعنا من الترجل، فلم نمتنع، ودعونا له وشكرناه.

فوقف حتى ركبنا وسائرناه، وأخذ يخبرنا بالخبر، ونحن نشكره، وهو يستصغر ما فعل، ويقول: هذا أقلّ حقوقكم، وكان الذي لقيه أنا وأحمد بن الخصب.

وقال لنا: ستعلمان ما أفعله مستأنفا.

ثم رجع ابن أبي دؤاد إلى دار الخليفة عشيا، فقال له الواثق: قد تبركت برأيك يا أبا عبد الله، وجدت خفة من العله، ونشطت للأكل، فأكلت وزن خمسة دراهم (١) خبزا بصدر دراج (٢).

فقال له أبو عبد الله: يا أمير المؤمنين، تلك الأيدي التي كانت تدعو عليك غدوه، صارت تدعو لك عشية، ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيتك،

ص: ٦٥

١- الدرهم: يونانية، دراخمه (تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٧)، تعادل في الوزن سبعة أعشار المثقال، أي أنّ المثقال الواحد يزن درهما و ثلاثة أسباع الدرهم (مفاتيح العلوم ١١).

٢- الدراج: طائر شبيه بالحجل، أكبر منه، قصير المنقار، يكثر في وسط العراق وجنوبه، واحده دراجه، للتفصيل راجع معجم الحيوان لأمين المعلوف ١٨٤ وقوله: صدر دراج، لأنّ المعروف أنّ أطيب ما في الدراج صدره، كما أنّ أطيب ما في الدجاج أفخاذه، راجع القصّه ١/١٧٨ من كتاب نشوار المحاضره وأخبار المذاكره للقاضي الشوخي ج ١ ص ٣٣٤ سطر ٤-٩.

إلا أنهم قد صاروا إلى دور خراب، و أحوال قبيحه، بلا فرش، و لا كسوه، و لا دواب، و لا ضياع، موتى جوعا و هزالا.

قال: فما ترى؟

قال: فى الخزائن و الاصطبلات بقايا ما أخذ منهم، فلو أمرت أن ينظر فى ذلك، فكلّ من وجد له شىء باق من هذا ردّ عليه، و أطلقت لهم ضياعهم، لعاشوا، و خفّ الألم (١)، و تضاعف الدّعاء، و قويت العافيه.

قال: فوقّع عنيّ بذلك، فوقّع عنه أحمد بن أبى دؤاد.

فما شعرنا من الغد، إلا و قد [٧٨ م] رجعت علينا نعمتنا، و مات الواثق بعد ثلاثه أيام.

و فرّج الله عنّا بآبن أبى دؤاد، و بقيت له هذه المكرمه العظيمة فى اعناقنا (٢).

[و قد ذكر محمّد بن عبدوس، هذا الخبر، فى كتاب الوزراء، عن محمّد بن داود بن الجراح، عن عبید الله بن سليمان، بما يقرب من هذه الالفاظ، و المعنى واحد، إلا أنّه لم يذكر أنّه كان معهم فى الحبس أحمد بن الخصيب.] (٣)

ج- انقاذ أبى دلف من موت محقق

حدّثنى أبى رضى الله عنه، فى المذاكره، بإسناد لست أقوم عليه، لأننى لم أكتبه فى الحال، قال:

كان ابتداء العداوه بين أبى عبد الله أحمد بن أبى دؤاد، و بين الأفشين،

ص: ٦٦

١- فى م: و خفّ الإثم.

٢- وردت القصّه فى المستجاد ص ١٤١-١٤٤ و نقلها باختصار صاحب حل العقال ص ٤٦.

٣- الزيادة من غ.

أنّ الأفشين (١) كان أغرى المعتصم بأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (٢)، لعداوه كانت بينهما (٣)، فسلمه إليه المعتصم، فأجمع على قتله من يومه ذاك.

و بلغ الخبر أبا دلف، فارتحل إلى ابن أبي دؤاد، فاستجار به، وعرفه ما قد أشرف عليه.

فجاء ابن أبي دؤاد إلى المعتصم ليسأله عن أمره، فوجده نائماً، فكره أن

ص: ٦٧

١- أبو الحسن خيذر بن كاوس، الملقّب بالإفشين: من أعظم القوَاد في الدولة العباسيّة، أصله من أشر و سنه، وهو الذي أخذ ثوره بابك الخرمي، اعتقله المعتصم في السنه ٢٢٥، واتّهم بالخيانة، و حوكم، ثم أخرج ميتاً، فصلب بباب العامه في السنه ٢٢٦ راجع تفاصيل محاكمته في الطبرى ١٠٤/٩-١١٤ و [١] الكامل لابن الأثير ٥١٠/٦-٥١٨ و [٢] العيون و الحدائق ٤٠٤-٤٠٧، و كان طاغية، لجوجاً، شديد العريده، راجع في وفيات الأعيان ٣٨٨/١ [٣] قصّته مع إبراهيم بن المهديّ.

٢- أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجليّ: أمير عربيّ، قائد، شجاع، جواد، شاعر، فارس، موسيقى، قلّمده الرشيد أعمال الجبل، و ارتفع شأنه في عهد المأمون و المعتصم، توفّي سنه ٢٢٦ (الأعلام ١٣/٦)، [٤] طعن مرّه فارساً فنفذت الطعنه فيه و في آخر وراءه رديفه، فقتلتها معاً، فقال بكر بن النطّاح [وفيات الأعيان ٧٥/٤] [٥] قالوا و ينظم فارسين بطعنه يوم الهياج و لا تراه كليلاً- لا- تعجبوا فلو أنّ طول قناته ميلاً- إذن نظم الفوارس ميلاً- و كان أبو عبد الله بن أبي دؤاد، قاضى القضاء، ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً، فأعلمه المعتصم، أنّ صديقه أبا دلف يغنى، فقال: ما أراه- مع عقله- يفعل ذلك، فستر أحمد بن أبي دؤاد في موضع، و أحضر أبا دلف، و أمره أن يغنى، ففعل ذلك، و أطال، ثم أخرج أحمد بن أبي دؤاد عليه من موضعه، و الكراهه ظاهره في وجهه، فلما رآه أحمد قال: سواه لهذا من فعل، بعد هذا السنّ، و هذا المحلّ، تضع من نفسك كما أرى؟ فحجل أبو دلف، و تشوّر، و قال: إنهم أكرهوني على ذلك، فقال: هبهم أكرهوك على الغناء، أ فأكرهوك على الإحسان و الإصابه؟ (الأغانى ٢٥١/٨).

٣- وردت مقدمه القصّه في وفيات الأعيان ٨٢/١ [٧] كما يلي: كان الأفشين يحسد أبا دلف، للعريه، و الشجاعه، فاحتال عليه حتى شهد عليه بجنايه و قتل، فأخذه ببعض أسبابه، فجلس له و أحضره، و أحضر السيّاف ليقتله، فبلغ ابن أبي دؤاد الخبر، فركب من وقته... الخ.

يقيمه و يتبّهه، و خاف أن يشرع الأفشين في قتل أبي دلف، فجاء إلى الأفشين فقال له: يقول لك أمير المؤمنين، بلغني أنك تريد أن تحدث على القاسم بن عيسى حادثه، و والله لئن فعلت لأقتلنك، و لم يكن المعتصم أرسله، و لا قال له شيئا [٤٠ ن].

فرهب الأفشين أن يقتل أبا دلف.

و عاد ابن أبي دؤاد إلى المعتصم، فقال له: يا أمير المؤمنين، قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سَلَّمَ: ليس الكذاب من أصلح بين الناس، فقال خيرا، و منى خيرا، و قد أدّيت عنك رساله أحبيت بها أهل بيت من المسلمين، و كفت بها أسياف خلق من العرب، بلغني أنّ الأفشين عزم على قتل القاسم بن عيسى العجلي، فأدّيت إليه عنك رساله هي كذا و كذا، فحقنت دم الرّجل، و نعشت عياله، و كفت عنك عصيان عجل و من يتبعها مّن يتعصّب له فيتفق عليك من ذلك ما تغتمّ به، و الرّجل في يده مشف على القتل.

فقال له المعتصم: قد أحسنت.

و وجّه الأفشين إلى ابن أبي دؤاد: لا تأتيّني، و لا تقرّبني.

فقال للرّسول: أ تؤدّي عنّي كما أدّيت إليّ؟

قال: قل.

قال: قل له: ما آتيك تعزّزا من ذلّه، و لا- تكثّرا من قلّه، و إنّما أنت رجل ساعدك زمان، و رفعك سلطان، فإن جنتك فله، و إن تأخّرت عنك فلنفسك.

أخبرني القاضي أبو طالب محمّد بن إسحاق بن البهلول التّونخي، فيما أجاز لي روايته عنه، بعد ما سمعته منه، قال: حدّثنا محمّد بن خلف، و كيع القاضي، قال: أخبرنا موسى بن جعفر، أخو يعس (١) الكاتب، قال:

ص: ٦٨

١- كذا وردت في الأصل، بلا نقط، و أحسب أنّ اسمه: يعيش.

كان أحمد بن أبي دؤاد حين ولي المعتصم الخلافة، عادى الأفشين و حرّض عليه المعتصم، و ذكر حديثاً طويلاً، ليس هذا موضعه.

ثمّ قال فيه: و كان سبب العداوه بين أحمد بن أبي دؤاد، و بين الأفشين، أنّ الأفشين أراد قتل أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، فاستجار بابن أبي دؤاد، ثمّ ذكر نحواً مما ذكرته عن أبي رضى الله عنه، إلّا أنّه لم يقل فى خبره أنّ ابن أبي دؤاد جاء إلى المعتصم فوجده نائماً، ثمّ عاد فوجده قد انتبه، و قال فى آخر حديثه: و إنّما أنت رجل رفعتك دوله، فإن جئت فلها، و إن قعدت فعنك.

و أخبرنى أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، قال: قال أحمد بن أبي طاهر:

كان أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، فى جملة من كان مع الأفشين خيذر بن كاوس لما خرج لمحاربه بابك، ثمّ تنكر له، فوجه من جاءه به ليقتله.

و بلغ المعتصم الخبر، فبعث إليه بأحمد بن أبي دؤاد، و قال له: أدركه، و ما أراك تدركه، و احتل فى خلاصه منه كيف شئت.

قال أحمد: فمضيت ركضاً، حتّى وافيته، فإذا أبو دلف واقف بين يديه، و قد أخذ بيده غلامان له تركيان، فرميت بنفسى على البساط، و كنت إذا جئته دعا لى بمصلّى.

فقال: سبحان الله، ما حملك على هذا؟

قلت: أنت أجلسنى هذا المجلس، ثمّ كلمته فى القاسم بن عيسى، و سألته فيه، و خضعت له، فجعل لا يزداد إلّا غلظه.

فلما رأيت ذلك منه، قلت، هذا عبد، و قد أغرقت فى الرّقّه معه فلم تنفع، و ليس إلّا أخذه بالرهبه.

فقلت: كم تراك قدّرت فى نفسك تقتل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، و تخالف أمره فى قائد بعد قائد؟ قد حملت إليك هذه الرّساله عن

أمير المؤمنين، فما تقول؟

فقلّ، وذلّ، حتّى لصق بالأرض، و بان لى الاضطراب فيه.

فلما رأيت ذلك، نهضت إلى أبى دلف، فأخذت بيده، و قلت: قد أخذته بأمر أمير المؤمنين.

فقال: لا تفعل، يا أبا عبد الله.

فقلت: قد فعلت، و أخرجت القاسم، و حملته على دابّه، و وافيت المعتصم.

فلما بصر بى، قال: بك يا أبا عبد الله وريت زنادى، ثمّ سرد علىّ خبرى مع الأفشين، حديثا ما أخطأ فيه حرفا.

ثمّ سألتى: هل هو كما قال؟ فاخبرته أنّه لم يخطئ حرفا واحدا.

و أخبرنى أبو على محمد بن الحسن بن المظفر، المعروف بالحاتمى، قال:

حدّثنى أبى، قال: حدّثنى جدّك المظفر بن الحسن، قال: حدّثنى أبو العباس ابن الفرات قال: حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن ثوابه، قال:

كان الأفشين نقم على أبى دلف العجلى، و هو مضموم إليه فى حرب بابك، فلما ظفر بابك، و قدم سرّ من رأى، شكاه إلى المعتصم، و سأله ليأمره به (١)، ففعل، ثمّ سأله أن يطلق يده عليه، فلم يفعل (٢)، و كان أحمد بن أبى دؤاد متعصبا لأبى دلف، يقول للمعتصم: إنّ الأفشين ظالم له، و إنّما نقم عليه نصيحتة فى محاربه بابك، و جدّه فيها، و دفعه ما كان الأفشين يذهب إليه من مطاوله الأيام، و إنفاق الأموال، و انبساط اليد فى الأعمال، و تركه متابعتة على ذلك،

فألحّ الأفشين على المعتصم بالله فى إطلاق يده عليه، و كان للأفشين قدر جليل عند المعتصم، يدخل عليه بغير إذن.

ص: ٧٠

١- كذا ورد فى الأصل.

٢- كذا ورد فى الأصل، و أحسب أنّ الصحيح: ففعل.

قال أبو إسحاق، و أنبأنا أبو عبد الله بن أبي دؤاد، قال: دخلت على المعتصم يوماً، فقال: يا أبا عبد الله، لم يدعني اليوم أبو الحسن الأفشين حتى أطلقت يده على القاسم بن عيسى.

فقلت من بين يديه، و ما أبصر شيئاً خوفاً على أبي دلف، و دخلني أمر عظيم، و خرجت فركبت دابتي، و سرت أشد سيرة من الجوسق إلى دار الأفشين بقرب المطيره، أو مئلاً أن أدرك أبا دلف قبل أن يحدث الأفشين عليه حادثه.

فلما وقفت ببابه، كرهت أن أستأذن فيعلم أنني قد حضرت بسبب أبي دلف، فيعجل عليه، فدخلت على دابتي إلى الموضع الذي كنت أنزل فيه، و أوهمت حاجبه أنني قد جئت برسالة المعتصم، ثم نزلت، فرفع الستر، فدخلت، فوجدت الأفشين في موضعه، و أبو دلف مقيد بالحديد بين يديه في نطع، و هو يقرعه، و يخاطبه بأشد غضب و أعظم مخاطبه.

فحين قربت منه أمسك، فسلمت، و أخذت مجلسي، ثم قلت للأفشين:

قد عرفت حرمتي بأمر المؤمنين، و خدمتي إياه، و موضعي عنده، و موقعي من رأيه، و تفرده بالصنيعه عندي و الإحسان، و علمت مع ذلك ميلي إليك، و محبتي لك، و قد رغبت إليك فيما يرغب فيه مثلي إلى مثلك، ممن رفع الله قدره، و أجل خطره، و أعلى همته.

فقال: كل ما قلت كما قلت، و كل ما أردت فهو مبذول لك، خلا هذا الجالس، فإني لا أشفعك فيه.

فقلت: ما جئتك [٤١ ن] إلا في أمره، و لا ألتمس منك غيره، و لو لا شدة غضبك، و ما تتوعد به من القتل، لكان في جميل عفوك ما يغني عن كلامك، و لكنتي لما عرفت غيظك، و ما تنقمه عليه، احتجت مع موقعه مني - إلى كلمه في أمره، و استيهاب عظيم جرمه، إذ كان مثلك في جلالتك إنما يسأل جلائل الامور.

فقال: يا أبا عبد الله، هذا رجل طلب دمي، و لم تقنعه إزاله نعمتي، و لا- سبيل إلى تشفيحك فيه، و لكن هذا بيت مالي، و هذه ضياعي، و كل ما أملك بين يديك، فخذ من ذلك كله ما أردت.

فقلت: بارك الله لك في أموالك و ثمرها، لم آتتك في هذا، و إنما أتيتك في مكرمه يبقى لك فضلها، و حسن أحوالها، و تعتقد بها منه في عنقي، و لا أزال مرتها في شكرها.

فقال: ما عندي في هذا شيء البتة.

فقلت له: القاسم بن عيسى فارس العرب و شريفها، فاستبقه، و أنعم عليه، فإن لم تره لهذا أهلا، فهبه للعرب كلها، و أنت تعلم أن ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب، و من ذلك ما كان من كسرى إلى النعمان حتى ملكه، و أنت الآن بقيه العجم و شريفها، و القاسم شريف العرب، فكن اليوم شريفا من العجم أنعم على شريف من العرب، و عفا عنه.

فقال: ما عندي في هذا جواب إلا ما سمعت، و تنكر، و تبينت الشر في وجهه.

فقلت في نفسي: أنصرف، و أدع هذا يقتل أبا دلف؟ لا- و الله، و لكن أمثل بين يديه قائما، و أكلمه، فله أن يستحي، فقامت، و توهمني أريد الانصراف، فتحفز لي.

فقلت: لست أريد الانصراف، و إنما مثلت بين يديك قائما، صابرا، راغبا، ضارعا، سائلا، مستوفا هذا الرجل منك.

فكان جوابه أغلظ.

فتحيرت، و قلت في نفسي: أنكب على رأسه، فأقبله. فدخلني من

ذلك أنف شديد (١)، وقلت في نفسي: أقبل رأس هذا الأقف (٢)؟ لا يكون هذا أبدا.

ثم راجعتني الشفقة على أبي دلف، فقبلت رأسه، وضرعت إليه، فلم يجبني، فأخذني ما قدم و ما حدث.

فجلست، وقلت له: يا أبا الحسن، قد طلبت منك، وضرعت إليك، ووضعت خدي لك، و مثلت بين يديك، وقبلت رأسك، فشققني، واصر فني شاكرا، فهو أجمل بك.

فقال: لا والله، ما عندي غير الذي قتلته لك.

فقلت له: أنا رسول أمير المؤمنين إليك، وهو يقول لك: لا تحدث في القاسم بن عيسى حدثا، فإنك إن قتلته قتلت به.

قال: أمير المؤمنين يقول هذا بعد أن أطلق يدي عليه؟

قلت: نعم، أنا رسوله إليك بما قتلته لك، فإن كنت في الطاعة فاسمع و أطع، و إن كنت قد خلعت، فقل: لا طاعة، و نفضت في وجهه يدي، و نهضت.

فاضطرب حتى لم يقدر أن يدعو لي بدائتي.

و ركبت، فأغذذت السير إلى المعتصم، لأخبره الخبر، و بما اضطرت إليه من تأديه رسالته، لأنني علمت أنه لم يقل لي ما قاله، إلا و هو يحب استبقاء أبي دلف.

فانتهيت إلى الجوسق في وقت حار، و الحجاب جميعا نيام، و الدار خاليه، فدخلت حتى انتهيت إلى ستر الدار التي فيها المعتصم، فجلست، و قلت:

ص: ٧٣

١- الأنف: الترفع و التنزه.

٢- الأقف: الذي لم يختن.

إن جاء الأفشين دخلت معه و تكلمت، و إن سأل الوصول، أخبرت أمير المؤمنين الخبير كله.

فبينما أنا كذلك، إذ خرج خادم من وراء الستر، فعرفته، ثم دخل و خرج فقال: ادخل.

فدخلت، و قلت: يا أمير المؤمنين، أ ما لي حرمه؟ أ ما لي ذمام؟ أ ما لي حق؟ أ ما في فضل أمير المؤمنين عليّ، و نعمته عندي، ما تجب رعايته؟

فقال: ما لك يا أبا عبد الله؟ ما قصّتك؟ اجلس، فجلست.

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، قلت لي اليوم في القاسم بن عيسى قولاً علمت معه أنك أردت استبقاءه و حقن دمه، فمضيت من فوري إلى أبي الحسن الأفشين، ثم قصصت عليه القصّة إلى موضع الرسالة التي أدّيتها عنه إليه، و هو في كلّ ذلك يتغيظ، و يفتل سباله (1)، حتّى إذا أردت أن اعرفه الرسالة التي أدّيتها عنه، قطع، و قال: يمضى قاضى، و صنيعتى أحمد بن أبى دؤاد إلى خيذر، فيخضع له، و يقف بين يديه، و يقبل رأسه، فلا يشفعه؟ قتلنى الله إن لم أقتله، يكررها.

فما استوفى كلامه، حتّى رفع الستر و دخل الأفشين، فلقية بأكبر البرّ و الإكرام، و أجلسه بقربه، و قال: فى هذا الوقت الحازّ يا أبا الحسن؟

فقال: يا أمير المؤمنين، رجل قد عرف ما نالنى منه، و أنّه طلب دمي، و قد اطلقت يدي عليه، يجيئنى هذا، و يقول لي إنك بعثت إليّ تأمرنى أن لا أحدث فيه حدثاً، و أنّى إن قتلته قتلت به؟

قال: فغضب، و قال: أنا أرسلته إليك، فلا تحدث على القاسم بن عيسى حدثاً.

فنهض الأفشين مغضباً يدمدم، و اتبعته لأتلافاه، فصاح بى المعتصم:

ص: ٧٤

ارجع يا ابا عبد الله، فرجعت، وقلت: يا أمير المؤمنين، إنه كان بقي شيء مما جرى مني قطعني بكلامك عن ذكره لك.

قال: تعني رساله؟

قلت: نعم.

قال: قد فهمتها، والقاسم يوافيك العشيه، فاحذر أن تفوه بشيء مما جرى.

و مضى الأفشين، فأطلق القاسم، و خلع عليه، و حمله، فجاءني القاسم من العشيه.

و ما أخبرت بالحديث حتى قتل الأفشين و مات المعتصم (١).

ص: ٧٥

١- انفردت بهان.

الصريفيني الكاتب يعلم العمال حسن الصرف

[حدّثني أبو الحسين علي بن هشام، قال: سمعت أبا الحسن علي بن عيسى، و أبا الحسن الإيادي الكاتب، يقولان: إنهما سمعا] (١) عبيد الله بن سليمان (٢)، يقول:

كنت بحضره أبي (٣)، في ديوان الخراج بسرّ من رأى، وهو يتولّاه - إذ ذاك - إذ دخل علينا أحمد بن خالد الصريفيني الكاتب (٤)، فقام له أبي قائما في مجلسه، و أقعده في صدره، و تشاغل به، و لم ينظر في عمل حتّى نهض، ثمّ قام معه، و أمر غلماناه بالخروج بين يديه.

فاستعظمت أنا، و كلّ من في الدّيونان ذلك، لأنّ رسم أصحاب الدواوين، صغارهم و كبارهم، أن لا يقوموا في الدّيونان لأحد من خلق الله عزّ و جلّ، ممّن يدخل إليهم.

ص: ٧٦

١- الزيادة من غ، و الإيادي: نسبه إلى إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان (الباب ١/٧٧).

٢- أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، وزير المعتمد و المعتضد.

٣- أبو أيّوب سليمان بن وهب الحارثي، وزير المهدي و المعتمد.

٤- أبو الوزير أحمد بن خالد الصريفيني: نسبه إلى صريفين، علي ما ورد في الباب ٢/٥٤، و إلى صريفون، علي ما ورد في معجم البلدان ٣/٣٨٤، و جاء في المعجم و في المفترق صقعا ٢٨٢: أنّ الاسم يطلق على ثلاثة مواضع الأول: قريه قرب عكيرا، و الثاني: قريه تحت واسط، و الثالث: قريه من قرى الكوفه، كان أحمد بن خالد يكتب للمعتصم (الطبري ٩/١٧) و [٢] صادره الوثائق (الطبري ٩/١٢٥) و الكامل ٧/١٠ و تجارب الأمم ٦/٥٢٨) و كان ممن أشار بتوليّه محمّد بن الواثق، لما توفي والده (الطبري ٩/١٥٤) و [٣] الكامل لابن الأثير ٧/٣٣ و [٤] تجارب الأمم ٦/٥٣٥) فحقدها عليه المتوكّل و صادره و صادر أخاه و كاتبه (الطبري ٩/١٦٢) و الكامل لابن الأثير ٧/٣٩) [٥] ثم ولى خراج مصر (الولاه و القضاء للكندي ص ٢٠٠ سطر ١٦).

و تبين ذلك أبى فى وجهى، فقال لى: يا بنى، إذا خلونا، فسلنى عن السبب فىما عملته مع هذا الرجل.

قال: و كان أبى يأكل فى الديوان، و ينام فىه، و يعمل عشيًا.

فلما جلسنا نأكل، لم أذكره، إلى أن رأيت الطعام قد كاد ينقضى، فقال لى: يا بنى شغلك الطعام عن إذكارى بما قلت لك أن تذكرنى به؟.

فقلت: لا، و لكن أردت أن يكون ذلك على خلوه.

فقال: يا بنى، هذا وقت خلوه، ثم قال: أليس قد أنكرت، أنت و الحاضرون، قيامى لأحمد بن خالد، فى دخوله و خروجه، و ما عاملته به؟.

فقلت: بلى.

قال: كان هذا يتقلد مصر (١)، فصرفته عنها (٢)، و قد كانت [١٠٨ غ] طالت مدته فىها، فتتبعته، فوطئت آثار رجل لم أجد أجمل منه آثارا، و لا أعف عن أموال السلطان و الرعيه، و لا رأيت رعيه لعامل أشكر من رعيته له.

و كان الحسين الخادم المعروف بعرق الموت صاحب البريد بمصر (٣)، من أصدق الناس له، و كان مع هذا من أبغض الناس، و أشدهم اضطرابا فى أخلاقه، فلم أتعلق عليه بحجه.

و وجدته قد أخرج رفع الحساب لسنه متقدمه و لسنته التى هو فيها، و لم يستتمها لصرفى له عنها، و لم ينفذه إلى الديوان، فسمته أن يحط من الدخل، و أن يزيد فى التفقات و الأرزاق، و يكسر من البقايا، فى كل سنه مائه ألف دينار،

ص: ٧٧

١- راجع كتاب الولاة و القضاء للكندى ص ٢٠٠ سطر ١٦.

٢- راجع كتاب الولاة و القضاء للكندى ص ٢٠٣ سطر ١٤ و ١٥ و ص ٥٠٨ سطر ٢ و ٣.

٣- حسين الخادم: الطواشى، المعروف بعرق الموت، كان على بريد مصر أيام المتوكل (كتاب الولاة و القضاء للكندى ٢٠٨ و ٤٤٢) ثم عاد إلى بغداد، و استقر فى خدمه المعتمد (الطبرى ٤٧٥/٩ و [١] الكامل ٢٣٨/٨).

لأخذها لنفسى، فامتنع من ذلك، فأغلظت له، و توعدته [٧٨ ظ] و نزلت معه إلى مائه ألف واحده للسنتين، و حلفت بأيمان مؤكده (١)، أنى لا أقنع منه بأقل منها.

فأقام على امتناعه، و قال: أنا لا أخون لنفسى، فكيف أخون لغيرى، و أزيل ما قام به جاهى من العفاف؟

فقيدته و حبسته، فلم يجب، و أقام مقيدا فى الحبس شهورا.

و كتب عرق الموت، صاحب البريد، إلى المتوكل يضرب على (٢) و يحلف أن أموال مصر لا تفى بنفقتى و مئونتى، و يصف أحمد بن خالد، و يذكر ميل الرعيه إليه، و عفته.

فبينما أنا ذات يوم على المائدة آكل، إذ وردت على رقعته أحمد بن خالد، يسألنى استدعاءه لمهم يلقيه إلى، فلم أشك أنه قد غرض (٣) بالقيد و الحبس، و قد عزم على الاستجابة لمرادى.

فلما غسلت يدى دعوته، فاستخلانى، فأخلىته، فقال: أما آن لك يا سيدي أن ترقى لى مما أنا فيه، من غير ذنب أذنبته إليك، و لا جرم، و لا قديم ذحل (٤)، و لا عداوه.

ص: ٧٨

١- فى غ: بأيمان مغلظه.

٢- كان الحسين الخادم طواشيا، و كان سليمان بن وهب، من أصل نصرانى، و كانا يتباغضان، فزار سليمان بن وهب، الحسين الخادم مره، و طلب ماء، فلما شرب، أمر الغلام بان يحضر له عود خلال يخلل به أسنانه، يعرض بالحسين الخادم، أن الطواشى إذا شاخ، تنسبك، و أخذ يبرى أعواد الخلال، و شعر الحسين بالغمزه، فقال للغلام: أحضر عودين من أعواد الخلال، و صنع باصبعه إشارة الصليب، يعرض بسليمان أنه نصرانى من عائله نصارى، و أنه أنما يتظاهر بالإسلام تقاه.

٣- غرض، بكسر الراء: ضجر و مل.

٤- الذحل: الثأر، العداوه و الحقد.

فقلت: أنت اخترت لنفسك هذا، و لو أجبته إلى ما قد سمعت يميني عليه، لتخلصت، فاستجب لما أريد منك.

فأخذ يستعطفني، فجاءني ضد ما قدرته فيه، و غاظني، فشتمته، و قلت:

هذا الأمر المهم الذي ذكرت في رقتك أنك تريد أن تلقيه إلي هو أن تستعطفني، و تسخر مني (١)، و تخدعني.

فقال: يا سيدي، فليس عندك الآن غير هذا؟

فقلت: لا.

فقال: إذا كان ليس غير هذا، فاقراً يا سيدي هذا،

و أخرج إلي كتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قرطاس، ففضضته [٧٩ م]، فإذا هو بخط المتوكل الذي أعرفه، إلي، بالانصراف، و تسليم ما أتولاه إلى أحمد بن خالد، و الخروج إليه مما يلزمني، و رفع الحساب إليه، و الامتثال لأمره.

فورد علي ذلك أقبح مورد، لقرب عهد الرجل بشتمى له، و أنه في الحال تحت مكارهي و حديدي، فأمسكت مبهوراً.

و لم ألبث أن دخل أمير البلد في أصحابه و غلمانه، فوكل بداري، و جميع ما أملكه، و بأصحابي، و غلmani، و جهابذتي، و كتابي، و جعلت أزحف من الصدر، حتى صرت بين يدي أحمد بن خالد و هو في قيوده.

فدعا أمير البلد بحداد، ففك قيوده، [فمددت رجلي، ليوضع فيهما القيد، فقال لي: يا أبا أيوب، ضم أقدامك] (٢) و وثب قائماً، و قال لي: يا أبا أيوب: أنت قريب عهد بعماله هذا البلد، و لا منزل لك فيه، و لا صديق، و معك حرم و حاشيه كبيره، و ليس تسعك إلا هذه الدار - و كانت دار العمال -

ص: ٧٩

١- في المستجد: و تستجير بي ص ٣٨.

٢- الزيادة من كتاب المستجد ص ٣٨.

و أنا أجد عدّه مواضع، و ليس لى كبير حاشيه، و من نكبه خرجت، فأقم بمكانك.

و خرج، و صرف التوكيل (١) عني، و عن الدار، و أخذ كتابي و أسبابي إليه.

فلما انصرف، قلت لغلماني: هذا الذي نراه فى النوم، انظروا من وكل بنا؟ فقالوا: ما وكل بنا أحد.

فعجبت من ذلك عجباً شديداً، و ما صلّيت العصر حتّى عاد إليّ جميع من حمّله معه من المتصرّفين و الكتّاب و الجهابذه، و قالوا: أخذ خطوطنا برفع الحساب، و أمرنا بالملازمه، و أطلقنا، فازداد عجبى.

فلما كان من الغد، باكرنى مسلماً، و رحّت إليه فى عشيه ذلك اليوم [١٠٩ غ] مسلماً عليه.

فأقمت على ذلك ثلاثين يوماً، يغدو إليّ، و أروح إليه، و ربما غدوت أنا، و راح هو (٢)، و هداياه و أطافه تأتيني فى كلّ يوم من الفاكهه، و الثلج، و الحيوان، و الحلوى.

فلما كان بعد ثلاثين يوماً، جاءنى، فقال لى: قد عشقت مصر يا أبا أيوب، و الله ما هى طيبه الهواء. و لا عذبه الماء، و إنّما تطيب بالولايه و الاكتساب، و لو دخلت إلى سرّ من رأى، لما أقمت إلا شهراً حتّى تتقلّد أجلّ الأعمال.

فقلت له: و الله، ما أقمت إلا توقّعا لأمرك فى الخروج.

فقال: أعطنى خطّ كاتبك، بأنّ عليه القيام بالحساب، و اخرج فى حفظ الله، فأحضرت كاتبى، و أخذ خطّه كما أراد، و تسلّمه، و قال: اخرج فى أى وقت شئت.

ص: ٨٠

١- التوكيل: مصطلح عباسى، يراد به حجز الحرّيه، فيقال: و كلّ به، إذا نصب عليه حارساً يحول بينه و بين الفرار.

٢- فى غ: و أقمت ثلاثين يوماً إن سبقنى إلى المجيء، و إلا رحّت إليه، و إن راح، و إلا باكرته.

فخرجت من غد، فخرج [٧٩ ظ] هو و أمير البلد و خاصّيته (١)، و وجوه أهله، فشيعوني إلى ظاهر البلد، و قال لي: تقيم في أول منزل على خمسة فراسخ، إلى أن أزيح عنه (٢) قائد يصحبك إلى الرملة، فإنّ الطريق فاسد.

فاستوحشت من ذلك، و قلت: هذا إنّما غرّني حتّى أخرج كلّ ما أملكه، فيتمكّن منه في ظاهر البلد، فيقبضه، ثمّ يرّدني إلى الحبس و التوكيل و المطالبه، و يحتجّ على بكتاب يذكر أنّه ورد عليه ثانياً.

فخرجت، و أقمت بالمرحلة التي أمر بها، مستسلماً، متوقّعا للشرّ، إلى أن رأيت أوائل عسكر مقبل من مصر.

فقلت: لعلّ القائد الذي يريد أن يصحبني، أو لعلّ الذي يريد أن يقبض عليّ به، فأمرت غلمانى بمعرفه الخبر.

فقالوا: قد جاء أحمد بن خالد العامل بنفسه.

فلم أشكّ إلاّ أنّ البلاء قد ورد بوروده، فخرجت من مضربى، فلقيته و سلّمت عليه، فلمّا جلس، قال: أخلونا، فلم أشكّ أنّه للقبض علىّ، فطار عقلى، فقام من كان عندى، و لم يبق غيرى و غيره.

فقال: أعلم أنّ أيامك لم تطل بمصر، و لا حظيت بكبير فائده، و ذلك الباب الذى سألتني في ولايتك فلم أستجب إليه، إنّما أخرت الإذن لك في الانصراف من أول الأمر إلى الآن، لأنّى تشاغل بالفراغ لك منه، و قد حطّطت من الارتفاع (٣)، و زدت في التّفقات، في كلّ سنه خمس عشر ألف دينار، تكون للستين ثلاثين ألف دينار، و هو يقرب و لا يظهر [٨٠ م]،

ص: ٨١

١- في غ، و في المستجد ص ٤٠: و قاضيه.

٢- إزاحه العله: مصطلح عباسى، يعنى القيام بجميع ما يحتاج إليه من يراد إزاحه عله، فالجيش مثلاً، يعتبر مزاح العله، إذا كان أفرادهم قد أعطوا أرزاقهم، و سدّت نفقاتهم، و عرضت دوابّهم و بغالهم.

٣- الارتفاع: الوارد.

و يكون أيسر مما أردته منى ذلك الوقت، وقد تشاغلته به حتى جمعته لك، و هذا المال على البغال قد جئتك به، فتقدم إلى من يتسلمه.

فتقدمت بقبضه، و قبلت يده، و قلت: و الله، قد فعلت يا سيدي ما لم تفعله البرامكة (1)، فأنكر ذلك، و تفتبض منه، و قبل يدي.

و قال: هاهنا شيء آخر أريد أن تقبله.

فقلت: و ما هو؟

قال: خمسة آلاف دينار (2) قد استحققتها من أرزاقى، فامتنعت من ذلك، و قلت: فيما تفضلت به كفايه.

فحلف بالطلاق، أنى أقبلها منه (3)، فقبلتها.

ثم قال: و هاهنا أطاف من هدايا مصر، أحببت أن أصحبك إياها، فإنك تمضى إلى كتاب الدواوين و رؤساء الحضرة، فيقولون لك: و ليت مصر، فأين نصيبنا من هداياها؟ و لم تطل أيامك، فتعد لهم ذلك، و قد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت.

و أخرج اللى درجا فيه ثبت جامع لكل شيء فى الدنيا حسن طريف، جليل القدر، من ثياب ديبقى، و قصب، و خدم، و بغال، و دواب، و حمير، و فرش، و طيب، و جوهر، حتى أقلام و مداد، ما يكون قيمته مالا كثيرا.

فأمرت بتسلمه، و زدت فى شكره.

فقال لى: يا سيدي، أنا [غ ١١٠] مغرى بحب الفرش (4)، و قد استعمل

ص: ٨٢

١- البرامكة: راجع حاشيه القصه ٣٠٠ من الكتاب.

٢- فى غ: خمسة عشر ألف دينار.

٣- الزيادة من غ، و من المستجاد ص ٤١.

٤- فى م: أنا مغرم بحب الفرش.

لى فرش بيت أرمنى (١)، و هو عشر مصليّات بمخادّها، و مساندها، و مساورها، و مطارحها، و بسطها، و هو مذهب، بطرز مذهبه، قد قام علىّ بخمسه آلاف دينار، علىّ شدّه احتياطيّ، و قد أهديته لك، فإن أهديته للوزير عبدك، و إن أهديته للخليفه ملكته به، و إن أبقيته لنفسك و تجملت به، كان أحبّ إليّ.

قال: و حملة، فما رأيت مثله قط، و لا سمحت نفسي بإهدائه إلى أحد،

ص: ٨٣

١- الفرش: مصطلح يطلق على البسط و الطنافس، و تسمى اليوم ببغداد زوالى، مفردا زوليه، محرّفه عن: زليّه، فصيححه، و يبدو من هذه القصّه، و من القصّه ١٧/٨ من نشوار المحاضره للتوخى، أنّ الفرش الأرمنى -إذ ذاك- كان أعلى أنواع الفرش التى يرغب فيها الناس، أمّا الآن، فإنّ المرغوب فيه هو الفرش الإيرانى، و أغلاّه ثمنا، و أدقّه صنعا: الأصبهانى، و النائى، و يليه الكرمانى، و أرخصها ثمنا: التبريزى، و كان الفرش الكامل للبيت، يشتمل على عدّه من الطنافس متماثله فى اللّون و النقش، مختلفه فى المساحه، فالصدر، و هى أكبرها مساحه، تفرش فى وسط القاعه، و تسمى الآن ببغداد: أورطه، و يفرش على جانبي الصدر: النّخان، المفرد: نخ، سجاده مستطيله، قليله العرض، اسمها الآن ببغداد: يان، و جمعها: يانات، و إنّما سميت نّخا، تشبيها لها بنخى الطائر، أى عظمى جناحه، و أذكر استطرادا، أنّ القاهر محمّد بن المعتضد، لما خلع و سمل، ثم خلع من بعده المتقى إبراهيم بن المقتدر، و سمل، كتب القاهر إلى الخليفه المطيع يتبأ له بالخلع و السمل، قال: صرت و إبراهيم نّخى عمى لا بدّ للنّخين من صدر ما دام توزون له إمره مطاعه فالميل فى الجمر و المخاد: و ما يزال هذا اسمها ببغداد، هى الوسائد، و إنّما سميت مخدّه، لأنّ الإنسان يضع عليها خدّه عند النوم، و المساند: و سائد خاصه يستند إليها الجالس، و المساور: و سائد مرتفعه توضع وراء ظهر الإنسان، بينه و بين الحائط، يتكى عليها، راجع ما كتبه عنها أحمد تيمور فى مجله المجمع العلمى العربى بدمشق ١١/٢، و المطارح: بسط صغيره تطرح تحت الإنسان يجلس عليها، و لا- يكون فرش البيت كاملا- إلا- إذا كانت فى ضمنه ستائر مماثله لبقية القطع فى اللّون و النقش، و مصليّات: و هى قطع صغيره للصلاه.

و لا استعماله، و ما ابتذلت منه شيئاً غير هذا الصدر و مسنده و مساوره، يوم إعدارك (١)، أفتلومني على أن أقوم لهذا الرجل، يا بني؟

فقلت: لا و الله يا أبت، و لا على ما هو أكثر من القيام، لو كان مستطاعاً.

فكان أبي بعد ذلك، إذا صرف رجلاً، عامله بكلّ جميل، و يقول:

علمنا أحمد بن خالد، حسن الصرف، أحسن الله جزاءه (٢).

ص: ٨٤

١- الأصل في الإعدار أنه طعام يتخذ لسرور حادث، قال الشاعر: كلّ الطعام تشتهي ربيعه الخرس و الإعدار و النقيعه و الخرس: طعام يصنع عند ولاده الوليد، و النقيعه: طعام يتخذ للقادم من السفر، ثم أصبح الإعدار خاصاً بالاحتفال بختان الصبي.

٢- وردت القصة في كتاب المستجد من فعلات الأجواد للتنوخي ص ٣٥-٤٢.

الخليفه المعتضد يتخبّر على وزيره

[حدّثنا أبو عليّ الحسن بن محمّد بن عليّ بن موسى الكاتب، العديّ كان زوج ابنه أبي محمّد المهلبى، و خليفته على الوزاره، و كان جدّه محدّثا (١)، قال: (٢)]

حدّثنى شيوخ الكتّاب:

أنّ القاسم بن عبيد الله الوزير، لما انفرد بالوزاره بعد موت أبيه (٣)، كان يحبّ الشرب، و اللّعب، و يخاف أن يتّصل ذلك بالمعتضد، فيستنقصه، و ينسبه إلى الصبيانيه، و التهوّك (٤) فى اللذات، و التشاغل عن الأعمال، و كان لا يشرب إلّا فى الأحيين، على أخفى و أستر ما يمكنه.

و أنّه خلا- يوما مع جواريه، و لبس من ثيابهنّ المصبغات، و أحضر [٨٠ ظ] فواكه كثيره، و شرب، و لعب، من نصف النهار إلى نصف الليل، و نام بقيه ليلته، و بكر إلى المعتضد على رسمه للخدمه، [فما أنكر شيئا.

و بكر فى اليوم الثانى] ٢، فحين وقعت عين المعتضد عليه، قال له:

يا قاسم، ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك، و ألبستنا معك من ثيابك المصبغات.

قال: فقبل الأرض، و ورى عن الصّيدق، و أظهر الشكر على هذا البسط، و خرج و قد كاد أن يتلف غمّا لوقوف المعتضد على هذا السرّ، و كيف رقى إليه، و أنّه إذا لم يخف عليه هذا القدر من أمره، فكيف تخفى عليه مرافقه (٥)، فجاء إلى داره كئيبا.

ص: ٨٥

١- أبو القاسم عليّ بن موسى بن محمّد بن النضر الكاتب الانباريّ: ترجم له الخطيب فى تاريخه ١١٣/١٢.

٢- الزيادة من غ.

٣- كان انفراد القاسم بوزاره المعتضد، بعد موت أبيه عبيد الله، فى السنه ٢٨٨.

٤- التهوّك: التهوّر و الوقوع فى الشىء بلا مبالاه و لا رويّه.

٥- المرفق: الرشوه.

و كان له في داره صاحب خبر (١) جلد يرفع إليه الأمور، فأحضره، وعرفه ما جرى بينه وبين المعتضد، وقال له: ابحث لي عمّن أخرج هذا الخبر، فإن فعلت، زدت في رزقك و أجزتك بكذا و كذا [٦٢ ر]، و إن لم تخرجه، نفيتك إلى عمان، و حلف له على الأمرين.

فخرج صاحب الخبر من حضرته متحيراً كثيراً، لا يدري ما يعمل في يومه ذلك، مفكراً كيف يجتهد و يحتال، فما وقع له رأى يعمل عليه.

قال صاحب الخبر: فلما كان من الغد، بكرت إلى دار القاسم، زياده [٨١ م] بكور على ما جرى به رسمي، لفرط قلقي و سهري تلك الليلة، و محبتي للبحث (٢).

فجئت، و لم يفتح باب دار القاسم بعد، فجلست، فإذا برجل زمن يزحف، في ثياب المكدين (٣)، و معه مخلاه، كما تكون مع المكدين.

فلما جاء إلى الباب، جلس إلى أن فتح، فسأبقتني إلى الدخول، فولع به (٤) البوابون، و قالوا له: [أى شىء] (٥) خبرك يا فلان؟، و صفعوه (٦)، و مازحوه، و مازحهم، و طابيحهم (٧)، و شتموه، و شتمهم، و جلس في الدهليز.

ص: ٨٦

١- صاحب الخبر: راجع حاشية القصة ٣٥٥.

٢- في م: و حيلتي للبحث.

٣- المكدي، السائل، و الكديه: الاستعطاء، ما تزال الكلمة مستعملة ببغداد، و العامه ببغداد يلفظونها: الجديه، بالجيم، و بالكاف الفارسيه أيضاً، و يسمون المكدي: مجدي بالجيم، و بكاف فارسيه أيضاً.

٤- ولع: عبث.

٥- أى شىء: اختصرها البغداديون أولاً إلى: أيش، ثم أقاموا مقامها أحد حروفها، و هو الشين، فالبغدادى يقول: شلونك؟ تفصيلها: أيش لونك، للسؤال عن الحال، و يقول: شتريد؟ تفصيلها: أيش تريد.

٦- راجع بحث الصفح و المصافحه في حاشية القصة ٣٠٤ من هذا الكتاب.

٧- المطاييه: الممازحه.

فقال: [١١١ غ] الوزير يركب اليوم؟

قالوا: نعم، الساعه يركب.

قال: و أى وقت نام البارحه؟

قالوا: وقت كذا و كذا.

فلَمَّا رأته يسأل عن هذا، خَمَّنت عليه أَنه صاحب خبر، فأصغيت إليه، و لم أره أَنى حافل بأمره و هو يسأل، إلى أن لم يبق شيئاً يجوز أن يعلمه البوابون، عَمَّن وصل إلى الوزير، و من لم يصل، و متى خرجوا، إلا سألهم عنه، و حدّثوه هم، أحاديث آخر، على سبيل الفضول.

ثمّ زحف فدخل إلى حيث أصحاب الستور، فأخذ معهم فى مثل ذلك، و أخذوا معه فى مثله.

ثمّ زحف فدخل إلى دار العامه.

فقلت لأصحاب الستور: من هذا؟

فقالوا: رجل زمن (١) فقير أبله طيب، يدخل الدار يتصدّق و يتطايب، فيهب له الغلمان و المتصرّفون.

فتبعته إلى أن دخل المطبخ، فسأل عمّا أكل الوزير، و من كان معه على المائده، و كلّ واحد يخبره بشىء، ثمّ خرج يزحف، حتّى دخل حجره الشّراب، فلم يزل يبحث عن كلّ شىء، فيحدّث به، ثمّ خرج إلى خزانه الكسوه، فكانت صورته كذلك، ثمّ جاء إلى مجلس الكتاب فى الدّيون، فتصدّق، و أقبل يسمع ما يجرى، و يسأل الصّببى بعد الصّببى، و الحدّث بعد الحدّث، عن الشىء بعد الشىء، و يستخبر الخبر، فى كلّ موضع من تلك المواضع، و يستقيه، و يخلط الجدّ بالمزح و التّطايب بكلامه، و الأخبار تنجرّ إليه، و تتساقط

ص: ٨٧

١- الزمن: المصاب بعاهه تعطله عن العمل.

عليه، و القَطْع و الزلّات (١) تَجِيئُهُ، و هو يَمَلأُ المَخْلَاه، فلَمَّا فرغ من هذا، أقبل راجعا يريد الباب.

[إلى هنا باتفاق الروایتين، ثم قال أحدهما في حديثه] (٢)

فلَمَّا بلغ الباب، قبضت عليه، و أدخلته بيتا، و أقفلت عليه، و جلست على بابه، فلَمَّا خلا الوزير أعلمته به، فقال: أحضرني الرَّجل.

و قال الآخر: فلَمَّا بلغ الباب تبعته، فخرج حتّى جاء إلى موضع من الخلد (٣)، فدخل إليه، فوقف أنتظره، فإذا هو بعد ساعه، قد خرج شابا بتياب حسان، ماشيا، بغير قلبه (٤)، فتبعته حتّى جاء إلى دار بقرب دار الخادم الموكّل بحفظ دار ابن طاهر، فدخلها.

فسألت عنها، فقالوا: هذه دار فلان الهاشمي، رجل متجمل.

فرصدته إلى وقت المغرب، فجاء خادم من دار ابن طاهر، فدقّ الباب، فكلمه من خووخه (٥) له، ففتح له و رمى إليه برقعته لطيفه، فأخذها الخادم و انصرف.

فجئت، فطلبت من الوزير غلمانا، فسلم إليّ ما طلبت، فبكرت في السّبح إلى [٨١ ظ] الدّار التي في الخلد، فإذا بالرّجل قد جاء بزِيّه الذي

ص: ٨٨

١- الزلّة: ما يزلّه الإنسان من الطعام ليقدمه لآخر.

٢- الزيادة من غ.

٣- الخلد: قال ياقوت في معجمه ٢/٢٥٩: إنّه قصر بناه المنصور على شاطئ دجله، حلّ محلّه البيمارستان العضدي اليوم، أقول: يعنى أنّ موقعه هو في المنطقه حول رأس جسر الصرافيه من الجانب الغربى.

٤- القلبه: الأصل فيها: أنّها الداء الذي يتقلّب منه صاحبه على فراشه، ثم أصبحت تطلق على العاهه التي تزمن صاحبها، و في م: بغير عله.

٥- الخوخه: الباب الصغير في الباب الكبير، و قد أدركت الخانات ببغداد، و في باب كلّ واحد منها خووخه تفتح و تردّ بدلا من الباب الكبير الذي يصعب فتحه و رده في كلّ حين، و لكنّي لم أبصر خووخه في باب إحدى دور السكنى، لأنّ أبواب الدور لم تكن في أيماننا من الضخامة، ما بلغت أبواب الخانات.

دخل به داره بقرب دار ابن طاهر، فكبسته في الموضع، فإذا هو قد نزع تلك الثياب، ولبس ثياب المكدين التي رأيتها عليه أولاً.

فحملته، وغطيت وجهه، وكتمت أمره، حتى أدخلته دار القاسم، و دخلت إليه، فقصصت عليه الخبر.

[اتفقت الآن الروايتان] ١٥

فلما فرغ القاسم من شغله، استدعاه، فقال له: اصدقني عن أمرك، أو لا ترى ضوء الدنيا، و لا تخرج من هذه الحجره - و الله - أبدا.

قال: و تؤمنني؟

قال: أنت آمن، فنهض لا قلبه به.

فتحير القاسم، و قال له: خبرك؟

فقال: أنا فلان الهاشمي، و أنا رجل متجمل، و أنا أتخبر عليك للمعتضد، منذ كذا و كذا، و أنزل في درب يعقوب (١)، بقرب دار ابن طاهر، و يجري على المعتضد في كل شهر خمسين ديناراً، فأخرج كل يوم من بيتي، بالزى العدى لا ينكره جيرانى [٨٢ م ١١٢ غ] فأدخل داراً في الخلد، بيدي منها بيت بأجره، فيظن أهلها أنى منهم، و لا ينكرون تغيير الزى.

فأخرج [٦٣ ر] من هناك بهذه الثياب، و أتزامن من الموضع و ألبس لحيه فوق لحيتى، مخالفة للون لحيتى، حتى إذا لقينى فى الطريق - بالاتفاق - بعض من يعرفنى، أنكرنى.

فأمشى زحفا من الخلد إلى دارك، فأعمل جميع ما حكاه صاحب خبرك، و أستقى أخبارك من غلمانك، و هم لا يعرفون غرضى فيخرجون إلى من الأسرار - بالاسترسال - ما لو بذل لهم فيه الأموال ما خرجوا به.

ثم أخرج فأجىء إلى موضعى من الخلد، فأغير ثيابى، و أعطى ذلك الذى

ص: ٨٩

١- سمي هذا الدرب: درب يعقوب، لأن دار يعقوب بن المهدي كانت فيه.

اجتمع لى فى المخلاه للمكدين، و ألبس ثيابى التى يعرفنى بها جيرانى، و أعود إلى منزلى، فأكل، و أشرب، و ألعب، بقيه يومى.

فإذا كان المغرب جاءنى خادم من خدم دار ابن طاهر، مندوب لهذا، فأرمى إليه من روزنه لى (١)، رقععه فيها خبر ذلك اليوم، و لا أفتح له بابى.

[فإذا كان بعد تسعه و عشرين يوماً، جاءنى الخادم، فأنزل إليه، فأعطيه رقععه ذلك اليوم، و يعطينى جارى ذلك الشهر] ٢.

و لو لا أنى لم أر صاحب خبرك، و لا فطنت له، لما تمّ علىّ هذا، و لو كنت لحظته لحظه واحده، ما خفى علىّ أنه صاحب خبر، و لكنت أرجع من الموضع الذى أراه فيه، فلا يعرف خبرى، و بعد ذلك، فإنما تمّ علىّ هذا، لأنّ أجلى قد حضر، فالله، الله، فى دمى.

فقال له: اصدقنى عما رفعتة إلى المعتضد عنى، فحدّثه بأشياء رفعها، منها خبر الثياب المصبّغه.

قال: فحبسه القاسم أيّاماً، و أخفى أمره، و أنفذنى إلى منزله، و قال:

راع أمرهم، و أنظر ما يجرى.

فمضيت إلى داره التى وصفها بدر بن يعقوب، فجلست إلى المغرب، فجاء الخادم، فصاح به.

فقال له الجارى: ما رجعت اليوم، و هذه لم تكن عادته قط، و قد - و الله - [أشفقنا أن يكون قد حدث عليه حادث لا نعرفه] ١٥، و قامت قيامتنا، فانصرف الخادم، و انصرفت.

و عدت أيضاً المغرب من الغد، و جاء الخادم، فقالوا له: قد - و الله - أيسنا منه، و لا نشكّ فى أنّه قد هلك، و المأتم قد أقيم عليه فى منزل أبيه و عمومته.

ص: ٩٠

١- الروزنه: فارسىه: روزن، بمعنى كوّه أو منفذ، و البغداديون الآن يسمونها: رازونه، و يريدون بها تجويفاً فى الحائط غير نافذ توضع فيه الحاجيات.

فانصرف الخادم، و جئت إلى القاسم بالخبر.

فلَمَّا كان من الغد، ركب القاسم إلى المعتضد، فحين رآه استدناه، و سارّه، و قال له: يا قاسم، بحياتي، أطلق الهاشمي المترامن، و أحسن إليه، و أنت آمن بعدها أن أنصب عليك صاحب خبر، و والله لئن حدثت به حادثه، لا عرفت في دمه غيرك.

فقبل الأرض، و تلجلج، و انصرف، فعاد إلى منزله، و حمد الله إذ لم يعجل عليه بسوء، و أخبرنا الخبر، و جاء بالهاشمي، فخلع عليه، و وصله بمال له قدر، و صرفه.

و انقطعت أخباره عن المعتضد (١).

ص: ٩١

١- وردت القصة في كتاب نشوار المحاضر للتنوخي بالرقم ١٧٤/٣.

الوزير عبيد الله بن سليمان

[حدّثني أبو القاسم علي بن شهران، المتكلّم، القاصّ، من أهالي عسكر مكرم، بها، قال: أخبرني أبو الحسين الخصبي (١)، ابن بنت ابن المدبّر، ببغداد، قال: (٢) قال لي أبو عبد الله محمّد بن داود [٨٢ ظ] بن الجراح:

جلس عبيد الله بن سليمان، يوماً، للمظالم، في دار المعتضد، وهو وزير، فتقدّم إليه عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيات، يتظلم من أحمد بن إسرائيل [١١٣ غ] بسبب الضيعه المعروفه بتاصيت (٣)، فنظر في أمره، وقال له: أنت عمر بن محمّد؟

قال: نعم.

قال: و أين كنت؟، فقصّ عليه أمره و خبره.

[فقال له: أنت ابن سكران (٤)؟]

فقال: نعم. [٢

قال: فلمّا كان عشيه يومنا ذلك، خلا، و كنت أنا و ابناه بين يديه، فتحدّث، و قال: سبحان الله، ما أعجب ما كنت فيه اليوم، فلم نسأله عن ذلك إجلالا له.

ص: ٩٢

١- أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصبي: ترجمته في حاشيه القصّه ٨٢ من الكتاب.

٢- كذا ورد في غ، و في م، و ظ: حدّثني علي بن شيراز عن الخصبي، و في ر: حكى محمّد بن الجراح عن أبيه.

٣- ورد الاسم في م: تاصيت، و في غ: ناصفت، و في ظ: بلا- نقط، و لم يرد في ر، و لم أعثر في المراجع المتوفّره لديّ على ضيعه بهذا الاسم.

٤- سكران: اسم والدته.

فقال: قال لي أبو أيوب رحمه الله (١) إنه كان في أيام الولايق، في تلك الملازمه [والبلاء] (٢) و الضرب [و لبس الصوف] ٦ و القيد، و إنه حمل إلى محمّد ابن عبد الملك الزيأت ليناظره [٨٣م] و يرده إلى محبسه.

فوضع بين يديه على تلك الحال، فجعل يناظره، و الحسن بن وهب (٣)، كاتبه حينئذ، فربما تكلم بالكلمه يرققه بها عليه، و ربّما أمسك، و محمّد دائب في الغلظه على أبي أيوب، و التشفّي منه، إذ مرّ بعض الخدم بصبيّ يحمله، مزين، مخضوب [و عليه لبوس مثله من أولاد الملوك ٦].

فقال محمّد للخادم: هاته، فقرّ به إليه، فقبله، و ترشّفه، و ضمّه إليه، و جعل يلاعبه، فحانت منه التفاته إلى أبي أيوب، فإذا دمعتة قد سبقته، و هو يمسحها بالجبه الصوف التي كانت عليه.

فقال له محمّد: ما الذي أبكاك؟

فقال: خير، أصلحك الله.

فقال: و الله، لا تبرح، أو تخبرني بالأمر على حقيقته.

فلما رأى ذلك أبو على الحسن بن وهب، قال له: أنا أصدقك، إنه لما رأى عمر، متّعك الله به، و جعلنا جميعا فداه، ذكر ابنا له في مثل سنّه.

قال: و ما اسمه؟

قال: عبيد الله.

[قال: و كانا ولدا في شهر واحد] ٦.

فالتفت إليه كالهائز، فقال له: أ تراه يقدر أن يكون ابنه هذا وزيرا.

ص: ٩٣

١- أبو أيوب سليمان بن وهب، والد عبيد الله بن سليمان: ترجمته في حاشيه القصّه ٦٦ من هذا الكتاب.

٢- الزيادة من غ و م.

٣- أبو على الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي، شقيق أبي أيوب سليمان بن وهب: ترجمته في حاشيه القصّه ٦٦ من هذا الكتاب.

قال الحسن: فلما أمر بحمله إلى محبسه، التفت إليّ، وقال: لو لا- أنّ هذا الأمر من أمور السلطان العذى لا سبيل إلى التقصير في مثله، لما سؤتك فيه، و لو أعانني على نفسه لخلصته.

فقال له الحسن: والله، ما رأيته منذ حبس، فإن رأيت أن تأمر بالعدول به إلى بعض المجالس، والإذن في القيام إليه، والخلوه به، لأشير عليه بامثال أمرك.

فقال: افعل.

فقلت إلى أبي أيوب، وتعانقنا، و بكينا طويلا.

فقال لى: قبل كل شيء، رأيت أعجب من بغيه عليّ، و قوله بالتطائر (١) والهزاء: أ تراه يقدر أنّ ابنه هذا يكون وزيرا، فكيف يأمن أن يكون هذا؟ والله إننى لأرجو أن يبلغ الله ابني الوزاره، و يتقدم إليه عمر متظلما.

فلما كان اليوم، تقدم إليّ عمر متظلما، و ما كنت رأيته قبل ذلك، و لا عرفت له خيرا.

[و وقع إليّ هذا الخبر، من وجه آخر، فحدثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن الفتح المعروف بالمطوق، مناووله، من كتابه: كتاب مناقب الوزراء، و محاسن أخبارهم، قال:

حدثني أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن عمر بن حفص الكاتب، عن أبيه، أبي القاسم عبد الله، أو عن أبي القاسم ميمون بن إبراهيم بن يزيد- الشك من المطوق- قال: (٢)

كنا في مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان، و هو وزير، في يوم من

ص: ٩٤

١- التطائر: السخريه.

٢- الزيادة من غ، و في بقيه النسخ: و في روايه أخرى.

أيام جلوسه للمظالم، فوقعت بيده قصه، فقرأها، و توقّف ساعه كالمفكر، ثم قال: عمر بن محمد بن عبد الملك، فأدخل إليه.

فقال: أنت عمر؟

قال: نعم، أعزّ الله الوزير، أنا عمر بن محمد بن عبد الملك.

فتوقّف [١١٤ غ] أيضا ساعه، ثمّ قام إلى خلوته، و لم يطل، و عاد إلى موضعه، فوقّع له بجار، و نزل، و وصله، و لم يزل مفكرا، إلى أن تقوّض الناس، و خلا المجلس ممّن يحتشم.

فقال لنا: وقفتم على خبر هذا الرجل؟

قلنا: وقفنا على ما كان من أمر الوزير ببزه، و لم نقف على السبب.

فقال: أخبركم بحديثه، حدّثني أبو أيوب رحمه الله، قال: كنت في يد محمد بن عبد الملك الزيات، يطالبنى، و أنا منكوب، و كان يحضرني في كلّ يوم، بغير سبب، و لا - مطالبه، إلا - ليكيدي، و أنا في قيودي، و علىّ جبه صوف، و كان أخى الحسن يكتب بين يديه، و لم يكن يتهيا له شيء في أمرى، إلا أنه كان إذا رآني مقبلا استقبلني [٦٤ ر] فإذا رجعت إلى موضعي، شيعني، إذ أقبل في يوم من الأيام خادما لمحمد، و معه ابن له صغير، فوثب كلّ من في المجلس، إلى الصبيّ، يقبلونه، و يدعون له سواى، فأنتى كنت مشغولا بنفسى، فلم أتحرّك، و أخذ الصبيّ، و ضمّه إليه [٨٣ ظ] و قال لى: يا سليمان لم لم تفعل بهذا الصبيّ، ما فعله من في المجلس؟

فقلت: شغلنى ما أنا فيه.

فقال: لا، و لكنك [لم تطق ذلك] (١) عداوه لأبيه و له، و كآنى بك، و قد ذكرت عبيد الله، و أمّلت فيه الآمال، و الله، لا رأيت شيئا مما تؤمّله فيه،

ص: ٩٥

و أسرف بعد ذلك في الإسماع، فعلمت أنه قد بغى، و وثقت بجميل عاده الله تعالى، و أنه سيبلغني [ما آمله فيك] ١٠ عنادا لبغيه [٨٤ م].

قال: و لم تمض إلا- مدّه يسيره، حتى سخط المتوكّل على محمّد بن عبد الملك، و قلّدتني مناظرته، و إحصاء متاعه، فوافيت داره، فرأيت ذلك الخادم بعينه، و معه ذلك الصبّي يبكي.

[فقلت: ما خبر هذا الصبّي يبكي؟] ١٠.

فقيل: قد منع من كلّ ماله، و أدخل في الإحصاء.

فقلت: لا بأس عليه، و سلّمت إليه جميع ما كان باسمه.

فينبغى، يا بنى، إن تهَيّأت لك حال، و رأيت الصبّي عمر بن محمّد بن عبد الملك، أن تحسن إليه، و أن تقابل نعمه الله فيه و فيك، بما يجب لها.

فلما رأيت هذا الوقت، ذكرت ما قاله أبى، فامتثلت ما أشار به، و أنا أتقدّم بعد الذي فعلت به، إلى أبى الحسين (١) بتصرفه.

و كانت لعمر حركة قويت بها حاله عند أبى الحسين، إلى أن استخلفه في دار أبى النجم بدر، و بين يديه.

[حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب، قال: حدّثني أبو عليّ بن مقله، قال: حدّثني محمّد بن سعيد الدينارى.

قال أبو الحسين، و حدّثني أبو عبد الله زنجى، قال: حدّثني أبو العباس ابن الفرات، قال: (٢).

و حدّثني أبو عبد الله الباقر، قالوا كلّهم:

كنا بحضره عبيد الله بن سليمان، أوّل وزارته للمعتضد، و قد حضر رجل رثّ الهياه، بثياب غلاظ، فعرض عليه رقعه، و كان جالسا للمظالم، فقرأها

ص: ٩٦

١- يريد بأبى الحسين ولده القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب.

٢- الزيادة من غ، و فى م: و وقع لى هذا الخبر من وجه آخر على خلاف ذلك.

قراءه متأمل لها، مفكراً، متعجباً، ثم قال: نعم، وكرامه - ثلاث مرّات - أفعل ما قال أبي، لا ما قال أبوك، وكرّر هذا القول ثلاث مرّات.

ثم قال له: عد إليّ وقت العصر، لأنظر في أمرك [١١٥ غ].

و قال لبدر العدا مي حاجبه (١): إذا حضر، فأوصله إليّ.

[ثم قال: إذا خلونا، فذكروني خبر هذا، لأحدّثكم بحديث عجيب، و أتمّ المجلس.

ثم قام، و استراح، و دعانا للطعام، فلما حضرنا، و أكلنا أكثر الأكل، قال: ما أراكم أذكرتموني [حديث] صاحب الرقعه؟

فقلنا: أنسينا. [٢]

قال: حدّثني أبي، قال: كنت في محبس محمّد بن عبد الملك، في أيّام الواثق، لما صادرنى عن كتابه إيتاخ، على أربعمائه ألف دينار، و قد أدّيت منها [مائتي ألف و نيّفا و أربعين ألفا] (٣) فأحضرني يوماً، و طالبني بالباقي، و جدّ بي، و أرهقني، و لم يرض منّي إلى أن أجبته إلى أن أوّدّي خمسين ألف دينار، قاطعه للمصادره، على أن يطلق ضياعي.

قال: و نحن في ذلك، و لم يأخذ خطّي بعد، إذ خرج إليه خادم من دار الحرم برقعه، فقرأها، و نهض، و كان بحضرتة أخي أبو عليّ الحسن بن وهب، و هو غالب على أمره، إلاّ أنّه يخافه أن يكلمه في أمرى.

فلما قام الوزير، رمى إليّ أخي برقعه لطيفه، فوقع في حجري، فإذا فيها:

جاءني الخبر الساعه من دارك، أن قد رزقت ابناً، خلقاً سوياً، و هو جسم بغير اسم، فما تحبّ أن يسمّى و يكنى؟

ص: ٩٧

١- كذا ورد في غ، و في م: بدر القدا مي، و في بقيه النسخ: و قال لحاجبه.

٢- الزيادة من م، و في بقيه النسخ: فلما خلونا، قال: ألاّ أحدّثكم بحديث عجيب.

٣- كذا ورد في غ، و م، و في بقيه النسخ: و قد أدّيت ثلثيها.

فقلت: عبيد الله، أبو القاسم.

فكتب بذلك في الحال إلى منزلي.

قال: و تداخلني سرور بذلك، و قوه نفس، و حدثت نفسي، بأنك تعيش، و تبلغ، و أنتفع بك.

قال: و عاد محمد إلى مجلسه، و أعاد خطابي، فلم أستجب له، إلى ما كنت أجبته إليه، و أخذت أدافع.

فقال لي: يا أبا أيوب، ما الذي ورد عليك بعدى؟ أرى عينيك و وجهك، بخلاف ما فارقتك عليه منذ ساعه.

فقلت: ما ورد عليّ شيء.

فقال: و الله، لئن لم تصدقني، لأفعلن بك، و لأصنعن.

[فقلت: ما عندي ما أصدق عنه.

فأقبل عليّ أخي، فقال له: أخبرني ما شأنه؟ فخافه أخى] (١) فصدقه عن الصورة، فسكن.

ثم قال: أتعرف [٦٥ ر] لأيّ شيء قمت أنا؟.

قلت: لا.

قال: كوتبت بأن ولدا ذكرا سويا قد ولد لي، فدخلت، و رأيته، و سمّيته باسم أبي، و كنيته بأبي مروان.

قال سليمان: فقامت إليه، فهتأتها، و قبلت يديه، و رجله، و قلت:

أيها الوزير، هذا يوم مبارك، و قد رزقنا الله [٨٥ م] جميعا، ولدين، فارحمني، و اراع لي حقّ سالف خدمتي لك، و اجعل ابني

موسوما بخدمه ابنك، يسلم معه

ص: ٩٨

١- الزيادة من غ، و ر، و م.

فى المكتب، يتعلم معه، و ينشوان فى دولتك (١)، فىكون كاتبا له، فحملته الكزازة (٢)، و القسوه التى فىه، على أن قال: يا أبا أيوب، أ على تجوز (٣) و لى تستفز (٤) و تخاتل؟ قد حدثتكَ نفسك، أن ابنك هذا سيبلى المبالغ، و يؤهل للوزاره (٥)، و رجوت فى [٨٤ ظ] نوائب الزمان، و قلت: أرجو أن يحتاج ابنه إلى ابنى، حتى يطلب منه الإحسان و الفضل، و أنا استحلفك بالله، و أخرج عليك، إن بلغ ابنك هذه المنزله، إلا وصيته، إن جاءه ابنى لشيء من هذا، أن لا يحسن إليه.

ص: ٩٩

١- ينشوان: لغه بغداديه فى ينشآن، و قد درج البغداديون، منذ القديم، و ما زالوا إلى الآن، على حذف الهمزه إذا كانت فى آخر الكلمه، و إبدالها بالواو أو الياء، إذا كانت فى وسطها، و المثال على القسم الأول، و هو الحذف، أنهم يقولون: البيغا، و القبا، و الثراء، و الحبا، و الدعاء، و السما، و الهوا، و الرجا، بدلا من: البيغا، و القبا، و الثراء، و الحبا، و الدعاء، و السما، و الهوا، و الرجا، و يقول: جا، بدلا من: جاء، قال الشاعر (العقد الفريد ٣٤٤/٤): عشيّه جا أهل العراق كأنهم سحاب خريف صففته الجنائب و المثال على القسم الثانى: أى الإبدال، أنهم يقولون: رئاسه، بدلا من: رئاسه، و جيت، بدلا من: جئت، و وطيت، بدلا من: وطئت، و شايب، بدلا من: شائب، و ذيب، بدلا من: ذئب، و بير، بدلا من: بئر و حايم، و قائم، و نائم، و صايم، بدلا من: حائم، و قائم، و نائم، و صائم، و يقولون: جناين، و مداين، و ضغايين، بدلا من: جنائن، و مدائن، و ضغائن، و يقولون: حسن النشوه، بدلا من: حسن النشأه، و لياقوت رحمه الله، تحليل أورده فى شرح لفظه المدائن، فى معجم البلدان ٤٤٥/٤، ذكر فيه أن الكلمه إذا أريد بها جمع المدن، فهى مهموزه، و إذا أخذت من دان يدين، لا تهمز، و ليس الأمر كذلك.

٢- الكز: المتقبض اليابس.

٣- الجواز: المرور و العبور، و استعملها هنا اصطلاحا، يريد أنه لا تجوز عليه الحيله، و لا يمكن أن يخادع، و قد تغير التعبير البغدادى الآن، فهو يقول لمن يريد أن يخادعه: هذا الكلام ما يعبر على.

٤- الاستفزاز: الإزعاج و الإثارة.

٥- فى غ: و تؤمل له الوزاره.

قال: فأعظمت هذا الخطاب، و تنصّلت، و اعتذرت، و وقع في قلبي، في الحال، أنّ هذا غاية البغي، و أنّ الله - سبحانه و تعالى - سيحوج ابنه إلى ابني، و يتحقّق ما قاله، فما مضت مديده، حتّى فرّج الله عنّي.

ثمّ قال لي: يا بنيّ، إن رفعتك الزمان، و وضع ابنه، حتّى يحتاج إليك.

فأحسن إليه.

قال: و ضرب الدهر ضربه، فما عرفت لأبي مروان خبراً، حتّى رأيته اليوم [فكان ما شاهدتم، ثمّ أمر بطلب أبي مروان، فأحضر، فوهب له مالاً] (١)، و خلع عليه، و حمّله، و قلّده ديوان البريد و الخرائط.

قال أبو الحسن: فما زال يتقلّده منذ ذلك الوقت، إلى آخر وزاره ابن الفرات الثالثه، فإنّه مات فيها، و قد تقلّده ثلاثين سنه أو أكثر.

و كان يكتب إلى [١١٦ غ] عبيد الله، أوّل ما كاتبه، بعد تقليده الديوان، عبد الوزير و خادمه، عبد الملك بن محمد، فأراد عبيد الله ان يتكرّم عليه، فقال له: أنت ابن وزير، و ما أحبّ أن تتعبّد لي، فاكتب اسمك فقط على الكتب.

فقال: لا تسمح نفسي بذلك، و لكن أكتب: عبد الملك بن محمّد، عبد الوزير و خادمه (٢).

فقال: افعل، فكتب ذلك، فصارت عاده له يكتب بها إلى جميع الوزراء من بعده، إلى أن مات في وزاره ابن الفرات الثالثه، فصار كالمتربّ عليهم بما عامله به من ذلك عبيد الله، و غلب عليه أن عرف بأبي مروان الخرائطي، و نسي نسبه إلى ابن الزيات، إلاّ من كان يعرفه من الكتاب و غيرهم، [أخبرني بذلك جماعه من الشيوخ] (٣).

ص: ١٠٠

١- الزيادة من غ و م.

٢- في م: عبد الملك بن محمّد، خادم الوزير.

٣- الزيادة من غ.

أسد كالح و كبش ناطح و كلب نابح

وجدت في بعض الكتب، بغير أسانيد: أن عبيد الله بن زياد (١)، لما بنى داره البيضاء بالبصرة، بعد قتل الحسين عليه السلام (٢)، صور على بابها رءوسا مقطّعة، و صور في دهليزها، أسدا، و كبشا، و كلبا، و قال: أسد كالح، و كبش ناطح، و كلب نابح.

فمرّ بالباب أعرابي، فرأى ذلك، فقال: أما إن صاحبها لا يسكنها إلا ليله واحده لا تتم.

فرجع الخبر إلى ابن زياد، فأمر بالأعرابي، فضرب، و حبس.

فما أمسى حتّى قدم رسول ابن الزبير، إلى قيس بن السكون (٣)، و جوه أهل البصرة، في أخذ البيعه له، و دعا الناس إلى طاعته، فأجابوه، و راسل بعضهم بعضا في الوثوب عليه من ليلتهم، فأنذره قوم كانت له صنائع عندهم، فهرب من داره في ليلته تلك، و استجار بالأزد، فأجاروه، و وقعت الحرب المشهورة بينهم

ص: ١٠١

١- عبيد الله بن زياد بن أبيه: أنظر ترجمته في آخر القصّة.

٢- لما أدخل رأس الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد، جعل ينكت بالخيزرانه ثنايا الحسين، و عنده زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلوات الله عليه، فقال له: مه، ارفع قضيبك عن هذه الثنايا، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يلثمها، ثم خنقته العبرة، فبكى، فقال له ابن زياد: ممّ تبكى؟ أبكى الله عينك، لو لا أنّك شيخ قد خرفت لضربت عنقك (الأخبار الطوال ٢٦٠، ٢٥٩).

٣- في غ و م: قيس بن السكن، و لم أعثر على شخص اسمه قيس بن السكن، أو ابن السكون، بين أهل البصرة في ذلك الحين، و أحسب أنّ المقصود قيس بن الهيثم السلمى (أنساب الأشراف ٥٧/٣، ١٦٠، ١٥٧، ١١٩، ٢١٢، ١٠٤) إذ أنّ قيس بن السكن بن قيس الأنصاري، قتل في السنة ١٣ هـ في وقعه الجسر عند فتح العراق (ابن الأثير ٢/٤٣٨-٤٤٠).

و بين بنى تميم بسببه، حتى أخرجوه، فألحقوه بالشام (١)، و كسر الحبس، فخرج الأعرابي.

و لم يعد ابن زياد إلى داره، و قتل في وقعه الخازر (٢).

عبيد الله بن زياد

عبيد الله بن زياد (٢٨-٦٧): والى العراقين لمعاوية بن أبي سفيان، و لولده يزيد من بعده، و كانت أمه مرجانه جاريه ولدته على فراش زياد، ثم تركها لمولى له أعجمي، اسمه شيرويه الأسواري، فنشأ عبيد الله في بيت الأسواري، فشب يرتضخ لكنه فارسيه (البيان و التبيين ١/٥٣ و ٥٤ و ١٦٧/٢) و كان الحسن البصري يسميه: الشاب المترف الفاسق، و قال فيه: ما رأينا شراً من ابن زياد (أنساب الأشراف ٥/٨٣ و ٨٦)، و قال الأعمش فيه: كان مملوءاً شراً و نغلاً (أنساب الأشراف ٥/٨٣)، و كان شديد القسوه في معاملته الناس، يتلذذ بتعذيب ضحاياه بيده، جيء إليه بسيد من سادات العراق، فأدناه منه، ثم ضرب وجهه بقضيب كان في يده، حتى كسر أنفه، و شق حاجبيه، و نثر لحم و جنته، و كسر القضيب على وجهه و رأسه (مروج الذهب ٢/٤٤) و غضب على رجل، تمثّل بآيه من القرآن، فأمر أن يبنى عليه ركن من أركان قصره (المحاسن و المساوي ٢/١٦٥)، و كان يقتل النساء في مجلسه، و يتشقى بمشاهدتهن يعدّبن، و تقطع أطرافهنّ (بلاغات النساء ١٣٤ و أنساب الأشراف ٥/٨٩)، فعاش مكروها عند أهل العراق (الإمامه و السياسه ٢/١٦ سطر ١٣، و مروج الذهب ٢/٤٣) مهينا عند أهل الحجاز

ص: ١٠٢

١- راجع تفصيل ذلك في الطبري ٥/٥٠٤-٥٢٣.

٢- الخازر: قال ياقوت في معجمه ٢/٣٨٨: الخازر نهر بين الزاب الأعلى و الموصل، و كانت عنده وقعه بين عبيد الله بن زياد و إبراهيم بن مالك الأشر النخعي، و يومئذ قتل ابن زياد الفاسق و ذلك سنه ٦٦ للهجره، و قال أيضا في معجمه في ماده: زاب ٢/٩٠٣: و على الزاب الأعلى كان مقتل عبيد الله بن زياد بن أبيه، راجع في الأخبار الطوال ٢٩٦ ما مدح به إبراهيم بن الأشر بعد انتصاره في هذه المعركه.

(الأغاني ٢٧٢/١٨ و ٢٨٢)، و شرّ ما صنع قتله الإمام الشهيد الحسين بن عليّ بن أبي طالب، في كربلاء، و لمّا مات يزيد بن معاوية، أغرى بعض البصريين أن يبائعوه، ثمّ جين عن مواجهه الناس، فاستتر، ثمّ هرب إلى الشام، و عاد إلى العراق صحبه جيش، فحاربه إبراهيم بن مالك الأشتر، قائد جيش المختار بن أبي عبيد الثقفي، رأس المطالبين بثار الحسين، فسقط قتيلًا في المعركة، فقال فيه الشاعر: (معجم البلدان ٩٠٣/٢)

إنّ الذي عاش ختّارًا بدمته و مات عبدًا، قتيل الله بالزّاب

أقول لما أتاني ثمّ مصرعه لابن الخبيثه و ابن الكودن الكابي

العبد للعبد لا أصل و لا ورق ألوت به ذات أظفار و أنياب

ما شقّ جيب و لا ناحتك نائحه و لا بكتتك جياذ عند أسلاب

إنّ المنايا إذا حاولن طاغيه و لجن من دون أستار و أبواب

و كان عبيد الله بن زياد من الأكلة، كان يأكل جديا، أو عناقا يتخيّر له في كلّ يوم، فيأتي عليه، و أكل مرّه عشر بطّات و زبيلا من عنب، ثمّ عاد فأكل عشر بطّات، و زبيلا من عنب، و جديا (أنساب الأشراف ٨٦/٥) و كان يأكل بعد الشبع أربع جرادق أصبهانيه، و جنبه، و رطلا عسلا (معجم الأدباء ٩٥/٦)، قال عبيد الله، لقيس بن عباد: ما تقول فيّ، و في الحسين؟ قال: اعفني، عافاك الله، قال: لا بدّ أن تقول، قال: يجيء أبوه يوم القيامة، فيشفع له، و يجيء أبوك، فيشفع لك، فقال عبيد الله: قد علمت غشّك، و خبثك، لأضعنّ يوما أكثرك شعرا بالأرض (العقد الفريد ١٧٥/٢)، راجع ترجمه عبيد الله المفصّله في أنساب الأشراف ٧٧/٣ - ١٢٣، و راجع كذلك صبح الأعشى ٤١٤/١ و ٤٢٥ و ٤٥٥ و الأغاني ٢٠٤/١٨، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٧٧ و معجم الأدباء ٩٠٣/٢ و رسائل الجاحظ ص ١٨.

القرمطي يبعث رسولا إلى المعتضد

[حدّثني القاضي أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشمي، قال: سمعت [١] العباس بن عمرو الغنوي (٢) يقول:

لما أسرنى أبو سعيد الجنّابي القرمطي (٣)، وكسر العسكر الّذي كان أنفذه المعتضد معي لقتاله (٤)، وحصلت في يده أسيرا، أيست من الحياه.

فإنّي يوما على تلك الصورة، إذ جاءني رسوله، فأخذ قيودي، وغَيّر

ص: ١٠٤

١- الزيادة من غ و م.

٢- العباس بن عمرو الغنوي: جاء في وفيات الأعيان ٣٥٠/٤ [١] أنّه كان يتولى اليمامة و البحرين، و سيّره المعتضد لحرب القرامطه في أوّل أمرهم، فقاتلوه، و كسروه، و أسروه، ثم أطلقوه، فرجع إلى المعتضد، و يتضح من القصّه ١٣١/٥ من نشوار المحاضرّه [٢] أنّه ولى إماره ديار ربيعه، و ذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٢٦٢/٥ [٣] أنّه توفّي سنه ٣٥٠ و هو خطأ، و الصحيح أنّه توفّي سنه ٣٠٥ كما ورد في الأعلام ٣٧/٤ [٤] قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ما ينقضى عجبى من ثلاثه أشياء: إفلات عباس بن عمرو، من القرمطي، و هلاك كلّ أصحابه، و وقوع الصّفّار، و إفلات كلّ أصحابه، و ولىه أبى الحسن، و أنا متعلّ (البصائر و الذخائر ٢٥/١) [٥] يريد بأبى الحسن ولده محمّد، استخلفه مؤنس على الشرطه ببغداد (الأغانى ٢٨٥/١٠).

٣- أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي القرمطيّ: كبير القرامطه، و [٧] معلن مذهبهم، كان دقّاقا، من أهل جنّابه بفارس، و نفى منها، و أقام يتاجر بالبحرين، و دعا إلى نحلته، فعظم أمره، و حاربه الخليفه، فظفر الحسن، و اضطرّ المقتدر إلى مصافاته، و استولى على هجر، و الأحساء، و القطيف، و سائر بلاد البحرين، و كان شجاعا، داهيه، قتله خادم له صقلىّ بالحّمّام، في السنه ٣٠١ (الأعلام ١٩٩/٢).

٤- قال صاحب وفيات الأعيان ٣٥٠/٤: [٩] من العجائب أنّ العباس بن عمرو الغنوي، توجّه لحرب القرامطه على رأس عشره آلاف، فقتل الجميع، و سلم وحده، و عمرو بن الليث الصّفّار، توجّه لحرب إسماعيل الساماني على رأس خمسين ألفا، فأخذ وحده، و نجا الباقيون.

ثيابي، و أدخلني إليه، فسلمت، و جلست.

فقال لي: أ تدرى لم استدعيتك؟

قلت: لا.

قال: أنت رجل عربي، و من المحال أن أستودعك أمانه فتخفها [٨٦ م]، و لا سيما مع منى عليك بنفسك.

فقلت: هو ذاك.

فقال: إنى فكرت، فإذا لا- طائل فى قتلك، و أنا فى نفسى رساله إلى المعتصد، لا- يجوز أن يؤديها غيرك، فرأيت إطلاقك، و تحميلك إياها، فإن حلفت لى أنك تؤديها، سيرتك إليه.

فحلفت له.

فقال: تقول له: يا هذا لم تخرق هيبتك، و تقتل رجالك، و تطمع أعداءك فى نفسك، و تتبعها فى طلبى، و إنفاذ الجيوش إلى، و إنما أنا رجل مقيم فى فلاه، لا زرع فيها و لا ضرع، و لا غله، و لا بلد، و قد رضيت لنفسى بخشونه العيش، و الأمن على المهجه، و العز بأطراف الرماح، و ما اغتصبتك بلدا كان فى يدك، و لا أزلت سلطانك عن عمل جليل، و مع هذا، فو الله لو أنفذت إلى جيشك [٨٥ ظ] كله، ما جاز أن تظفر بى، و لا تنالنى، لأنى رجل نشأت فى هذا القشف (١) و اعتدته أنا و رجالى، و لا مشقه علينا فيه، و نحن فى أوطاننا مستريحون، و أنت تنفذ جيشك من الخيوش و الثلج (٢)، و الرياحان و الند، فيجيئون من المسافه [١١٧ غ] البعيده، و الطريق الشاسع (٣)، و قد قتلهم السفر قبل قتالنا، و إنما غرضهم أن يبلوا عذرا فى موافقتنا ساعه، ثم يهربون، و إن ثبتوا فإن ما يلحقهم

ص: ١٠٥

١- القشف: ضد التنعم.

٢- يريد بالخيوش و الثلج: عيشه الترف و التنعم، راجع بحث الخيش فى حاشيه القصه ١٤٣.

٣- فى غ: الطريق الشاق.

من وعشاء السفر و شدّه الجهد، أكبر أعواننا عليهم،[فما هو إلا أن أحقق عليهم (١)] (٢) حتى ينهزمون، وإن استراحوا، فأقاموا، وكانوا عددا لا قبل لنا به، فيهمونا، لا يقدر جيشك على أكثر من هذا، فانهمز عنهم مقدار عشرين فرسخا، و أجول في الصحراء شهرا، ثم أكسبهم على غزه، فأقتلهم، وإن لم يستولى هذا، وكانوا متحرزين، فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري و الصحاري، ثم لا- يحملهم البلد في المقام، و لا- الزاد، إن كانوا كثيرين، فإن انصرف الجمهور منهم، و بقي الأقل، فهم قتلى سيوفى، فى أول يوم ينصرف الجيش، و يبقى من يتخلف، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد، و رداءه مائه و هوائه الذى لا طاقة لهم به، لأنهم نشئوا فى ضده، و ربوا فى غيره، و لا- عادة لأجسامهم بالصبر عليه، ففكر فى هذا، و انظر، هل يفى تعبك، و تغريك بجيشك و عسكريك، و إنفاقك الأموال، و تجهيزك الرجال، و تكلفك هذه الأخطار، و تحملك هذه المشاق، بطلبى، و أنا مع هذا خالى الذرع منها، سليم النفس و الأصحاب من جميعها، و هيبتك تنخرق فى الأطراف عند ملوكها، كلما جرى عليك من هذا شىء، ثم لا تظفر من بلدى بطائل، و لا تصل منه إلى مال و لا حال، فإن اخترت بعد هذا محاربتى، فاستخر الله عزّ و جلّ و أنفذ من شئت، و إن أمسكت، فذاك إليك.

قال: ثم جهّزنى، و أنفذنى مع عشره من أصحابه إلى الكوفه، فسرت منها إلى الحضرة.

و دخلت على المعتضد، فتعجب من سلامتى، و قال: ما خبرك؟

فقلت: شىء أذكره سرا لأمير المؤمنين.

ص: ١٠٦

١- حَقَّق الأمر: أكَّده و أوجبه، و حَقَّ العقده: شدَّها، و الحقَّه: الدايمه.

٢- الزيادة من غ.

فتشوف إليه، و خلا بي، فقصصت عليه القصه بأسرها، فرأيتہ يتمعط (١) في جلده غيظا، حتى ظننت أنه سيسير إليه بنفسه.

و خرجت من بين يديه، فما رأيتہ ذكره بعد ذلك بحرف (٢).

ص: ١٠٧

١- معط الريش: نتفه، و الذئب الأمعط: الذي سقط شعره، و تمعط في جلده: كناية عن شدّه الغيظ و الانزعاج.

٢- وردت القصه في كتاب نشوار المحاضرہ برقم ٤٦٢/٤ ج ٤ ص ١٣٠.

كفى بالأجل حارسا

حدّثني أبو محمّد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلي، قال: حدّثني بعض المواصلة (١)، من ثقات أهل الموصل:

أنّ فاطمه بنت أحمد بن عليّ الهزار مردّي الكرديّ (٢)، وزوجه ناصر الدوله (٣)، أمّ أبي تغلب ابنه (٤)، اتّهمت عاملا (٥) كان لها، يقال له ابن أبي قبيصه، من أهل الموصل، بخيانه في مالها، فقبضت عليه، وحبسته في [٦٦ ر] قلعته.

ثمّ رأت أن تقتله، [فكتبت إلى المتوكّل بالقلعه، بقتله] (٦)، فورد عليه الكتاب، و كان لا يحسن أن يقرأ ولا أن يكتب، وليس عنده من يقرأ و يكتب، إلّا ابن أبي قبيصه، فدفع المتوكّل به الكتاب إليه [٨٧ م] و قال له: اقرأه عليّ.

ص: ١٠٨

-
- ١- المواصلة: إذا نسب البغداديون الآن أحدا إلى الموصل، قالوا: موصلأوى، و الجمع: مواصلة، و ربما قالوا: مصلأوه.
 - ٢- فاطمه بنت أحمد بن عليّ الهزار مردّي الكرديّ: وزوجه ناصر الدوله، و أمّ أولاده أبي تغلب، و أبي البركات، و جميله، و كانت مالكة أمر ناصر الدوله (الكامل ٥٩٣/٨ و [١] تجارب الأمم ٢٥٥/٢) مسموعه الكلمه عنده (القصّه ١١/٣ من نشوار المحاضره) و [٢] ليا ساءت أخلاق ناصر الدوله، تطابقت مع أولادها عليه، و غلبوه على أمره، و لم تكن له بهم طاقه، فأخذ يدبّر في القبض عليهم، فأحسّوا به، فقبضوا عليه و اعتقلوه سنه ٣٥٨، فعاش معتقلا شهورا و مات (تجارب الأمم ٢٥٥/٢).
 - ٣- ناصر الدوله أبو محمّد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبيّ: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩٦ من هذا الكتاب.
 - ٤- عدّه الدوله أبو تغلب، فضل الله الغضنفر بن الحسن ناصر الدوله: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩٦ من هذا الكتاب.
 - ٥- في غ: غلاما.
 - ٦- الزيادة من غ.

فلما رأى فيه الأمر بقتله قرأ الكتاب بأسره، إلا حديث القتل، و ردّ الكتاب عليه.

قال ابن أبي قبيصه: ففكرت، و قلت أنا مقتول، و لا آمن أن يرد كتاب آخر فى هذا المعنى، و يتفق حضور من يقرأ و يكتب غيرى فينفذ فى الأمر، و سببلى أن أحتال بحيله، فإن تمت سلمت، و إن لم تتم، فليس يلحقنى أكثر من القتل الذى أنا حاصل فيه.

قال: فتأملت القلعه، فإذا فيها موضع يمكننى أن أطرح نفسى منه إلى أسفلها، إلا أن بينه و بين الأرض أكثر من ثلاثه آلاف ذراع، و فيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه.

قال: فلم أجسر، ثم ولّمت لى الفكر أن تأملت الثلج قد سقط عدّه ليال، و قد غطّى [١١٨ غ] تلك الصخور، و صار فوقها منه أمر عظيم، يجوز إن سقطت عليه و كان فى [٨٦ ظ] أجلى تأخير، أن تنكسر يدي أو رجلى و أسلم.

قال: و كنت مقتيدا، فقامت لى نام الناس، و طرحت نفسى من الموضع، قائما على رجلى، فحين حصلت فى الهواء، ندمت و أقبلت أستغفر الله، و أ تشهد، و أغمضت عينى حتى لا أرى كيف أموت، و جمعت رجلى بعض الجمع لأنى كنت سمعت قديما أن من اتفق له أن يسقط قائما من مكان عال، إذا جمع رجليه، ثم أرسلهما إذا بقى بينه و بين الأرض ذراع أو أكثر قليلا، فإنه يسلم، و تنكسر حدّه السقطه، و يصير كأنه بمنزله من سقط من ذراعين.

قال: ففعلت ذلك، فلما سقطت إلى الأرض، ذهب عنى أمرى، و زال عقلى، ثم تاب إلى عقلى، فلم أجد ما كان ينبغى أن يلحقنى من ألم السقطه من ذلك المكان، فأقبلت أجسّ أعضائى شيئا شيئا، فأجدها سالمه، و قمت و قعدت، و حرّكت يدي و رجلى، فوجدت ذلك سليما كله، فحمدت الله تعالى على هذه الحال.

و أخذت صخره، و كان الحديد الذى فى رجلي قد صار كالزجاج لشده البرد، قال: فضربته ضربا شديدا، فانكسر، و طنّ الجبل حتى ظننت أن سيسمعه من فى القلعه لعظمه، فيتنبهون على صوته، فسلم الله عزّ و جلّ من هذا أيضا، و قطعت تكّتى، فشددت ببعضها القيد على ساقى، و قمت أمشى فى الثلج.

فمشيت طويلا، ثمّ خفت أن يرى أثرى من غد فى الثلج على المحجّه (١)، فيطلبونى، و يتبعونى، فلا- أفوتهم، فعدلت عن المحجّه، إلى نهر يقال له:

الخابور (٢)، فلما صرت على شاطئه، نزلت فى الماء إلى ركبتي، و أقبلت أمشى [كذلك فرسخا، حتى انقطع أثرى، و خفى مكان رجلي، ثمّ خرجت لما] ٦ كادت أطرافى تسقط من البرد، فمشيت على شاطئه، ثمّ عدت أمشى فيه، و ربّما حصلت فى موضع لا أقدر على المشى فيه، لأنّه يكون جرفا، فأسبح.

فأمشى على ذلك أربع فراسخ، حتى حصلت فى خيم فيها قوم، فأنكرونى، و همّوا بى، فإذا هم أكراد، فقصصت عليهم قصّتى، و استجرت بهم، فرحمونى [و غطّونى، و أوقدوا بين يديّ نارا، و أطعمونى، و سترونى] ٦، و انتهى الطلب من غد إليهم، فما أعطوا خبرى أحدا.

ص: ١١٠

١- المحجّه: جاده الطريق، أى وسطه.

٢- الخابور: نهران، أحدهما يصبّ فى الفرات، ذكرته أخت الوليد بن طريف الشيبانى، فى رثائها أخاها، قالت: فيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف و الثانى، أحد روافد دجله، و يسمّى خابور الحسينيه، من أعمال الموصل، و إياه عنى عدىّ بن زيد، بقوله: و أخو الحضر إذ بناه و إذ دج له تجبى إليه و الخابور و الثانى، هو المقصود فى هذه القصّه، راجع معجم البلدان ٢/٢٨٤ و ٣٨٣ و ٣٨٤.

فلما انقطع الطلب، سيروني (١)، فدخلت الموصل مستترا.

و كان ناصر الدوله ببغداد- إذ ذاك- فأنحدرت إليه، فأخبرته بخبرته كله، فعصمني من زوجته، و أحسن إليّ، و صرّفني.

ص: ١١١

١- التسيار: مصطلح ببغداد، بمعنى البدرقه، و سيره: أوصله إلى مأمنه.

يرتجع من مال مصادرتة مائه ألف دينار

حدّثني أبو عليّ بن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهري (١)، قال: سمعت أبي (٢) يحدث، قال:

لما نكبتني المقتدر، وأخذ منّي تلك الأموال العظيمة (٣)، أصبحت يوماً في الحبس آيس ما كنت من الفرج.

فأتاني خادم، فقال: البشري.

فقلت: ما الخبر؟

قال: قم، فقد أطلقت.

فقت معي، فاجتاز بي في بعض الطرق [٦٧ ر] في دار الخلافه، يريد إخراجي إلى دار السيده، لتكون هي التي تطلقني، [٨٨ م] لأنها هي التي

ص: ١١٢

١- أبو علي بن أبي عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهري: ذكره المحسن التنوخي في كتابه نشوار المحاضره، و [١] قال: إنّه اجتمع به ببغداد في سنه نيف و خمسين و ثلاثمائه فرآه شيخاً طيباً حسن المحاضره، و إنّه سأله عن الحكايات التي تنسب إلى والده، و تلقى رده، و أثبتته، راجع القصّه ٩/١ من كتاب نشوار المحاضره.

٢- أبو عبد الله الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصّاص الجوهري: كان جوهرياً بمصر، و اتّصل بخمارويه بن أحمد بن طولون، أمير مصر، ثمّ توسّط في زواج قطر الندي ابنه خمارويه، بالمعتضد، ثم أقام ببغداد، و توفّي بها سنه ٣١٥، و كان عظيم الغنى، واسع الثروه، يتّهم بالتغفيل، و لكنّ ولده نفى عنه هذه التهمه، و أورد له قصّه (القصّه ٩/١ من كتاب نشوار المحاضره) تدلّ على ذكاء و نباهه، راجع القصص ٧/١ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١، و القصص ١٦٥، ١٦٤، ١٣/٢ من كتاب نشوار المحاضره.

٣- من قائل إنّها سته آلاف ألف دينار (القصّه ٧/١ من نشوار المحاضره للتنوخي) و [٣] من قائل إنّها عشره آلاف ألف دينار (الوزراء ٢٤٥)، و [٤] الرجل تاجر، لا- دخل له في السياسه، و كان ذنبه أن خصما سياسياً للخليفه، و هو ابن المعتزّ التجأ إليه فأواه (تجارب الأمم ٧/١ و التكملة ٥).

شفعت في، فوَقعت عيني في جوازي على أعدل خيش (١) لي أعرفها، و كان مبلغها مائه عدل.

فقلت للخادم: أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري؟

قال: بلى.

فتأملت، فإذا هو بشده و علاماته، و كانت هذه الأعدل قد حملت إلي من مصر، و في كل عدل منها ألف دينار، من مال كان لي بمصر، كتبت بحمله، فخافوا عليه من الطريق، فجعلوه في أعدل الخيش، لأنها مما لا يكاد يحمله [١١٩ غ] للصوص، لو وقعوا عليه، فلا يفتنون لما فيه، فوصلت سالمه، و لاستغنائي عن المال، لم أخرج من الأعدل، و تركته بحاله في بيت من داري، و اقلت عليه، و توخيت أيضا بذلك ستر حديثه، فتركته شهورا على حاله لأنقله في وقت آخر كما أريد.

و كبست، فأخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري، و لخشته عندهم تهاونوا به، و لم يعرف أحد ما فيه، فطرح في تلك الدار.

فلما رأته بشده، طمعت في خلاصه، و الحيله في ارتجاعه [٨٧ ظ] فسكت.

فلما كان بعد أيام من خروجي، راسلت السيده، و رقتها، و شكوت حالي إليها، و سألتها أن تدفع إلي ذلك الخيش، لأنه لا قدر له عندهم، و أنا أنتفع بشفته.

قال: فاستحمتني، و قالت: أي شيء قدر الخيش؟ ردوه عليه، فسلم إلي بأسره.

ففتحت، و أخذت منه المائه ألف دينار، ما ضاع لي منها دينار واحد، و أخذت من الخيش ما أحتاج إليه، و بعثت باقيه بجملة و افره.

فقلت في نفسي: قد بقيت لي بقيه إقبال جيده.

ص: ١١٣

١- الخيش: نسيج من القماش الخشن، و هو ما نسميه اليوم بالجنفاص، راجع حاشيه القصة ١٤٣ من هذا الكتاب.

قد ينتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير

حدّثني عليّ بن هشام، قال: سمعت حامد بن العباس (١)، يقول: ربّما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير، أكثر من منفعته بالكبير، فمن ذلك:

أنّ إسماعيل بن بلبل (٢)، لمّا حبسني، جعلني في يد بواب كان يخدمه قديما.

قال: و كان رجلا حراّ، فأحسنت إليه، و بررته، و كنت أعتد على عناية أبي العباس بن الفرات (٣) بي، و كان ذلك البواب، لتقديم خدمته لإسماعيل، يدخل إلى مجالسه الخاصّه، و يقف بين يديه، و لا ينكر عليه ذلك، لسالف خدمته (٤).

فصار إليّ في بعض الليالي، فقال: قد حرد الوزير علي ابن الفرات بسبيك،

ص: ١١٤

١- أبو محمّد حامد بن العباس: من كبار العمّال في الدولة العباسية، و ولي فارس للمعتضد (القصّه رقم ٥٣/٨ من كتاب نشوار المحاضر) و ولي واسط للمقتدر (القصّه ٧٨/٤ من نشوار المحاضر) [١] ثمّ ولى وزاره المقتدر في السنه ٣٠٦، ثمّ عزله، و تسلّمه المحسن بن الفرات، فبعث به إلى واسط، فمات فيها سنه ٣١١ (الأعلام ١٦٦/٢).

٢- أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني: من كبار الكتّاب في الدولة العباسية، استوزره الموفق لأخيه المعتمد، و بلغ من وزاره مبلغا عظيما، و جمع له السيف و القلم، و مدحه الشعراء كالبحرّيّ و ابن الروميّ، قتله المعتضد لما ولى الخلافه و استصفى أمواله (الفخرى ٢٥٢) [٣] أنظر أخباره في كتاب نشوار المحاضر ١٣٧، ٧٦/١، و ١٦٧/٢ و ٦٥/٣.

٣- أبو العباس أحمد بن محمّد بن الفرات: من أكتب أهل زمانه، و من أوفرهم أدبا، و هو من ممدوحى البحرّيّ، كان يلي ديوان الخراج في أيّام المعتضد، و يخلفه عليه أخوه أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات الذى وزّر أخيرا للمقتدر (القصّه ٣٣/٥ من كتاب نشوار المحاضر، و الوزراء ١٨٤) و [٥] كان حكيما (القصّه ٣٣/٥ من كتاب نشوار المحاضر) إلاّ أنّه كان حادّ الطبع (القصّه ٣٥/٨ من كتاب نشوار المحاضر)، توفّي سنه ٢٩١ (الأعلام ١٩٦/١).

٤- في غ و م: لسالف صحبته.

و قال له: ما يكسر المال على حامد غيرك، و لا بدّ من الجدّ في مطالبته بباقي مصادرتة، و سيدعوك الوزير في غد إلى حضرته و يهدّدك.

فشغل ذلك قلبي، فقلت له: هل عندك من رأى؟

قال: نعم، تكتب رقعه إلى رجل من معامليك تعرف شحّه و ضيق نفسه، تلتمس منه لعيالك ألف درهم، يقرضك إياها، و تلتمس منه أن يجيبك على ظهر رقعتك، لترجع إليك، فإنّه لشحّه، يرّدك بعدر، و تحتفظ بالرقعه، فإذا طالبك الوزير أخرجتها له على غير موأطأه، و قلت له: قد أفضت حالي إلى هذا، فلعلّ ذلك ينفعك.

قال: ففعلت ما قاله، و جاءني الجواب بالرّد كما خمّنا، فشددت الرقعه معي.

فلمّا كان من الغد، أخرجني الوزير، و طالبني، فأخرجت الرقعه، و أقرأته إياها، و رفقته، و تكلمت بما أمكن، فاستحيا، و كان ذلك سبب خفّه أمرى، و زوال محنتى.

فلمّا تقلّدت في أيام عبيد الله بن سليمان ما تقلّدت، سألت عن البوّاب، فاجتذبتة إلى خدمتى، و كنت أجرى عليه خمسين ديناراً في كلّ شهر، و هو باق إلى الآن (1).

ص: ١١٥

١- وردت القصّه في كتاب نشوار المحاضرّه للتنوخيّ برقم ٢٣/٨.

أبو العتاهيه يحبس لامتناعه عن قول الشعر

أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين الأصهباني، قال: حدثني عمي الحسن ابن محمّد، قال: حدثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمّد ابن أبي العتاهيه (١)، قال حدثني أبي (٢)، قال:

لما امتنعت من قول الشعر، وتركته، أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فأخرجت من بين يديه إلى الحبس.
فلما أدخلته [٦٨ ر] دهشت، وذهل عقلي، ورأيت منظرًا هالني.

فرميت [٨٩ م] بطرفي أطلب موضعا آوى فيه، أو رجلا آنس بمجالسته، فإذا أنا بكهل حسن السميت نظيف الثوب، تبين عليه سيماء الخير، فقصدته، فجلست إليه من غير أن أسلم عليه، أو أسأله عن شيء [١٢٠ غ] من أمره، لما أنا فيه من الجزع والحيره.

فمكثت كذلك مليًا، وأنا مطرق مفكر في حالي، فأنشد الرجل:

تعودت مسّ الضرّ حتى ألفتة و أسلمني حسن العزاء إلى الصبر

و صيرني يأسى من الناس واثقا بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال: فاستحسنت البيتين، وتبركت بهما، و تاب إليّ عقلي، فأقبلت على الرجل، فقلت له: تفضّل، أعزّك الله، بإعادة هذين البيتين.

ص: ١١٦

١- أبو عبد الله محمّد (الملقب عتاهيه) بن أبي إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد الملقب بأبي العتاهيه: شاعر ابن شاعر، هذا حذو أبيه أبي العتاهيه في القول في الزهد، ترجم له الخطيب في تاريخه ٣٥/٢.

٢- أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد، الملقب بأبي العتاهيه (١٣٠-٢١١): شاعر مكث، سريع الخاطر، من مقدّمي المولدين، ولد في عين التمر، و امتهن بيع الجرار، ثم اتّصل بالخلفاء، و علت مكانته، و تعشّق جاريه اسمها عتبه، و أكثر أشعاره في الزهديات (الأعلام ٣١٩/١).

فقال لي: ويحك يا إسماعيل -و لم يكننى- ما أسوأ أدبك، و أقل عقلك (١) و مروءتك، دخلت، فلم تسلّم عليّ تسليم [٨٨ ظ] المسلم على المسلم، و لا- توجّعت لي توجّع المبتلى للمبتلى، و لا سألتني مسأله الوارد على المقيم، حتّى إذا سمعت منى بيتين من الشعر الذى لم يجعل الله فيك فضلا (٢) و لا أدبا، و لا جعل لك معاشا غيره، لم تتذكّر ما سلف منك فتتلافاه، و لا اعتذرت ممّا قدّمته، و فرّطت فيه من الحق، حتّى استنشدتني مبتدئا، كأنّ بيننا أنسا قديما، أو معرفه سالفه، أو صحبه تبسط المنقبض.

فقلت له: تعذرني متفضّلا، فإنّ دون ما أنا فيه ما يدهش.

فقال: و فى أىّ شىء أنت؟ أنت إنّما تركت قول الشعر الذى كان به قوام جاهك عندهم، و سببك إليهم، فحبسوك حتّى تقوله، و أنت لا- بد أن تقوله، فتطلق، و أنا يدعى بى الساعه، فأطالب بإحضار عيسى بن زيد (٣)، و هو ابن رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، فإن دلت عليه، لقيت الله عزّ و جل بدمه، و كان رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، خصمى فيه، و إن لم أفعل، قتلت، فأنا أولى بالدهش و الحيره منك، و أنت ترى احتسابى و صبرى.

فقلت: يكفيك الله عزّ و جلّ، و أطرقت خجلا منه.

فقال لي: لا أجمع عليك التوبيخ و المنع، اسمع البيتين و احفظهما، فأعادهما عليّ مرارا حتّى حفظتهما.

ص: ١١٧

١- فى غ: و أقل معرفتك.

٢- فى غ و م: خيرا.

٣- أبو يحيى عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب: ثائر، من كبار الطالبين، ولد و نشأ بالمدينه، و صحب النفس الزكيه محمّد بن عبد الله بن الحسن، و اشترك معه فى الثوره على المنصور، و أوصى محمّد بأن يكون عيسى خلفا لأخيه إبراهيم، و لما قتل محمّد و إبراهيم، عاش بقيه حياته متواريا، و طلبه المهديّ العباسيّ فلم يقدر عليه، توفّي سنه ١٦٨ (الأعلام ٢٨٦/٥).

ثمّ دعى به و بي، فلما قمنا، قلت له: من أنت أعزك الله؟

قال: أنا حاضر، صاحب عيسى بن زيد.

فأدخلنا على المهدي، فلما وقفنا بين يديه، قال له: أين عيسى بن زيد؟ قال: ما يدريني أين عيسى بن زيد، طلبته، وأخفته، فهرب منك في البلاد، وأخذتني، فحبستني، فمن أين أقف على موضع هارب منك و أنا محبوس؟

قال له: فأين كان متوارياً، ومتى آخر عهدك به، وعند من لقيته؟

قال: ما لقيته منذ توارى، ولا أعرف عنه خبراً.

قال: والله، لتدلني عليه، أو لأضربن عنقك الساعة.

فقال: اصنع ما بدا لك، أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتقتله، وألقى الله عزّ وجلّ، ورسوله، وهما مطالبان لى بدمه؟، والله لو كان بين جلدي، و ثوبي، ما كشفت عنه.

فقال: اضربوا عنقه.

فقدّم، فضربت عنقه من ساعته.

ثمّ دعاني، فقال: أ تقول الشعر، أو ألحقك به؟

فقلت: بل أقول الشعر.

قال: أطلقوه (١).

قال محمد بن القاسم بن مهرويه: والبيتان اللذان سمعهما أبو العتاهيه، من حاضر، هما في شعره الآن.

ص: ١١٨

١- وردت القصّه في الأغاني ٩٢/٤-٩٣، و [١] فيه: أنّ الذي حبس أبا العتاهيه، هو هارون الرشيد، و الصحيح أنّه المهديّ، كما ورد في هذا الكتاب، إذ إنّ عيسى بن زيد توفّي في السنه ١٦٨ قبل أن يستخلف الرشيد.

قال القاضي أبو علي (١): و أنشدني بعض أصحابنا، بيتا آخر، زياده:

إذا أنا لم أقنع (٢) من الدهر بالأذى تكزّهت منه طال عتبي على الدهر

[و وجد على مسطره على بن أحمد (٣)، رحمه الله تعالى، بيت رابع لهذا، و هو: [٦٩ ر]

و وسّع صدرى للأذى كثره الأذى و قد كنت أحيانا يضيق به صدرى] (٤)

ص: ١١٩

١- القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم التنوخي، مؤلف الكتاب.

٢- في ظ: أرضى، و التصحيح من م، ر.

٣- علي بن أحمد الخراساني، حاجب معز الدولة (القصة ٧/٣ من نشوار المحاضره) [١] مدحه المتبى بقصيدته التي مطلعها:
حشاشه نفس ودّعت يوم ودّعوا فلم أدر أئى الظاعنين أشيع (ديوان المتبى، شرح الواحدى ٤٢).

٤- الزيادة من ر، راجع مقاتل الطالبين ٤٢٥-٤٢٨.

الفيض بن أبي صالح و مروءته

وجدت في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم، ابن حاجب النعمان (١)، وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبى، على ديوان السواد (٢)، و ذكر أنه نسخه من كتاب أعطاه إياه [١٢١ غ] أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبى، و كان فيه إصلاحات بخطّ أبي الحسين بن ما بنداد: قال أبو الحسن على بن الحسين ابن عبد الأعلى [٩٠ م] الإسكافى (٣):

كان داود، كاتب أمّ جعفر (٤)، قد حبس و كيلا لها، و جب لها عليه فى حسابها مائتا ألف درهم، فكتب الرجل إلى عيسى بن فلان، و إلى سهل بن الصباح، و كانا صديقين له، يسألهما الركوب إلى داود فى أمره، فركبا إليه.

فلقيهما الفيض بن أبي صالح (٥)، فسألهما عن خبرهما، فأخبراه، فقال لهما: أ تحبان أن أكون معكما.

ص: ١٢٠

- ١- أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم: ترجمته فى حاشية القصّه ٤٧٤ من هذا الكتاب.
- ٢- راجع القصّه ٢٨/١ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى.
- ٣- أبو الحسن على بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافى الكاتب: من الكتاب المعروفين فى دوله بنى العباس، و كان قوى الصله بالحسن بن سهل، كثير الروايه عنه، روى كثيرا من أخبار المأمون (تاريخ بغداد لابن طيفور ١١٥-١١٨) [١] ثم كتب لبغا الكبير (القصّه ١٩٠ من هذا الكتاب)، و الإسكافى: نسبه إلى إسكاف بنى الجنيد، ناحيه بغداد على صوب النهروان (اللباب ١/٤٥).
- ٤- أمه العزيز بنت جعفر بن المنصور الهاشميه العباسيه: كنيته أمّ جعفر، و لقبها زييده، لقبها به جدّها المنصور، لبياضها، و نعومتها، تزوّج بها هارون الرشيد سنه ١٦٥، و ولدت له محمّدا الأمين سنه ١٧٠، كانت وافر الغنى، و لها خيرات و مبرّات، توفيت سنه ٢١٦ (الأعلام ٧٣/٣) و [٣] قال عنها الجاحظ: كانت زييده من أعقل الناس، و أفصح الناس (الموشح ٥٣٨).
- ٥- أبو جعفر الفيض بن أبي صالح: من أهل نيسابور، كان أهله نصارى أسلموا، و تربّى الفضل فى الدّوله العباسيه، و تأدّب على عبد الله بن المقفّع، و برع، و كان سخيا، مفضالا، جوادا، عزيز النفس،

قالا: نعم.

فصاروا إلى داود، فكلموه في إطلاق الرجل، فقال: أكتب إلى أم جعفر، فكتب إليها، يعلمها خبر القوم و حضورهم، و مسألتهم إطلاق الوكيل.

فوقعت في الرقعه أن يعرفهم ما وجب لها عليه من المال، و يعلمهم أنه لا سبيل إلى إطلاقه دون أداء المال.

قال: فأقرأهم التوقيع، فقال عيسى و سهل بن الصباح: قد قضينا حق الرجل، و قد أبت أم جعفر أن تطلقه إلا بالمال، فقوموا ننصرف.

فقال لهما الفيض بن أبي صالح: كأننا أننا جئنا لنؤكد حبس الرجل.

قالا له: [٨٩ ظ] فماذا نصنع؟

قال: نؤدى المال عنه.

قال: ثم أخذ الدواء، فكتب إلى وكيله في حمل المال عن الرجل كتابا دفعه إلى داود كاتب أم جعفر، و قال: قد أرحنا علتك في المال، فادفع إلينا صاحبنا.

قال: لا سبيل إلى ذلك، حتى أعرفها الخبر.

قال: فكتب إليها بالخبر، فوقعت في رقعته: أنا أولى بهذه المكرمه من الفيض بن أبي صالح، فاردد عليه كتابه بالمال، و ادفع إليه الرجل، و قل له لا يعاود مثل ما كان منه.

قال: و لم يكن الفيض يعرف الرجل، و إنما ساعد عيسى و سهلا على الكلام في أمره (١).

ص: ١٢١

كيف تخلص أعشى همدان من أسر الديلم

[أخبرني أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، قال: أخبرني الحسن ابن علي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، عن محمّد بن معاوية الأسدي، عن ابن كناسة.

و حدثني مسعود بن بشر، عن أبي عبيده، والأصمعي.

و وافق روايتهم الهيثم بن عدى (١)، عن حمّاد الراويه (٢)، قال: (٣)

كان أعشى همدان، أبو المصبح (٤)، ممّن أغزاه الحجاج بلد الديلم (٥)، و نواحى دستبى (٦)، فأسر، فلم يزل أسيرا فى أيدي الديلم مدّه.

ثم إن بنتا للعلاج الذى كان أسره، رأته، فهويته، فصارت إليه ليلا، و أمكنته من نفسها، فأصبح، و قد واقعها ثمانى مرّات.

ص: ١٢٢

١- أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي (١١٤-٢٠٧): مؤرّخ، أديب، نسابه، جالس المنصور، و المهديّ، و الهادي، و الرشيد، و روى عنهم، و توفّي بقم الصلح عند الحسن بن سهل (الأعلام ١١٤/٩).

٢- أبو القاسم حمّاد بن سابور بن المبارك، الملقّب بالروايه (٩٥-١٥٥): من أعلم الناس بأيّام العرب، و أشعارها، و أخبارها، و أنسابها، و لغاتها، كان مقدّما عند بنى أمّيه، و جفى فى أيّام بنى العبّاس (الأعلام ٣٠١/٢).

٣- كذا وردت فى ظ و غ، و فى م ورد بدلا عنها: روى عن حمّاد الراويه، و فى ر: حكى أبو عبيده عن الأصمعي، و فى ه: روى أبو الفرج بالإسناد.

٤- أبو المصبح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني، المعروف بأعشى همدان: شاعر اليمن بالكوفه و فارسهم، و كان من الفقهاء القراء، انحاز إلى عبد الرحمن بن الأشعث، لما خرج على الحجاج، و نصره بسيفه و لسانه، قتله الحجاج سنة ٨٣ (الأعلام ٨٤/٤).

٥- الديلم: قوم من العجم، مقامهم بناحية جرجان.

٦- دستي: منطقه تشتمل على ما يزيد على مائتى قرية بين الرى و همدان (معجم البلدان ٥٧٣/٢).

فقال له الديلمى: يا معشر المسلمين، هكذا تفعلون بنسائكم؟

فقال لها: هكذا نفعل كلنا بنسائنا.

فقال له: بهذا العمل نصرتم، أفرأيت إن خلصتك، أن تصطفيني لنفسك؟

فقال لها: نعم، و عاهدنا.

فلما كان الليل، حلت قيوده، و أخذت به طريقا تعرفه، حتى خلصته.

فقال شاعر من أسراء المسلمين:

و من كان يفديه من الأسر ماله فهمدان تفديها الغداه أيورها

و قال الأعشى، يذكر ما لحقه من أسر الديلم له:

[لمن الطعائن سيرهنّ تزحف عوم السفين إذا تقاعس مجذف

و ذكر أبو الفرج الأصبهاني القصيده، و هى طويله، اخترت منها ما تعلق بالفرج بعد الشده، و هو قوله: [\(١\)](#)

أصبحت رهنا للعداه مكبلا أمسى و أصبح فى الأدهم أرسف [٩١ م]

و لقد أرانى قبل ذلك ناعما جذلان أبى أن أضام و آنف [١٢٢ غ]

و استنكرت ساقى الوثاق و ساعدى و أنا امرؤ بادى الأشاجع [\(٢\)](#) أعجف [\(٣\)](#)

و أصابنى قوم و كنت أصيهم فالآن أصبر للزمان و أعرف

و إذا تصبك من الحوادث نكبه فاصبر لها فلعلها تتكشّف

[و يروى: فكل مصيبه ستكشّف] [\(٤\)](#).

ص: ١٢٣

١- الزيادة من غ، و كذلك ورد الشطر فى الأغاني [١] ط. بولاق ١٤٨/٥.

٢- الأشاجع: عروق ظاهر الكف.

٣- الأعجف: الهزيل.

٤- الزيادة من غ.

يحتال للخلاص من حبس نجاح بن سلمه

و ذكر ابن عبدوس في أخبار الوزراء:

أن نجاح بن سلمه، حبس إبراهيم بن المدبر (١) مكايده لأخيه (٢)، وذلك في أيام المتوكل.

فلما طال حبس إبراهيم، ولم يجد حيله في الخلاص، عمل أبياتا، وأنفذها إلى المسدود الطنبورى (٣)، وسأله أن يعمل فيها لحنًا، ويغنى بها المتوكل، فإذا سأل عن قائلها، عرفه أنها له.

ف فعل المسدود ذلك، وسأله المتوكل، فقال: لعبدك إبراهيم بن المدبر، فذكره، وأمر بإطلاقه.

و الأبيات هي:

بأبى من بات عندى طارقا من غير وعد

بات يشكو ألم الشوق و أشكو فرط وجدى

و تجنى فبكى فان هلّ درّ فوق ورد

فيد تحت يد طوراً و خدّ فوق خدّ

ص: ١٢٤

١- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر الكاتب: ترجمته في حاشية القصّه ١٥٥.

٢- أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن المدبر الكاتب: ترجمته في حاشية القصّه ٨٢.

٣- أبو على الحسن الطنبورى المغنى: كان أبوه قصابا، ولقب بالمسدود، لأنه كان مسدود فرد منخر، و مفتوح الآخر، و كان يقول: لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم و الآداب (الأغاني ٣٦٨/٨)، [١] راجع قصّته مع الواثق فى الهفوات

النادره ص ١٨.

يهب أحد أتباعه خمسه آلاف ألف درهم

و ذكر أيضا أنّ إسحاق بن سعد، قال: حدّثني أبو عبد الله محمّد بن عيسى المروروذى صاحب يحيى بن خاقان (١)، [عنه]، قال:

كان المأمون ألزمني خمسه آلاف ألف درهم، فأعلمته أنّي لا أملك إلاّ سبعمائه ألف درهم، و حلفت له على ذلك، بأيمان مغلّظه، اجتهدت فيها، فلم يقبل منّي، و حبسني عند أحمد بن هشام (٢)، و كان بيني و بينه شرّ قد اشتهر و عرف، و كان يتقلّد الحرس.

فقال أحمد للموكلين بي: احفظوه، و احذروا أن يسمّ نفسه.

ففظن المأمون لمراده، فقال: لا يأكل يحيى بن خاقان، و لا يشرب [٩٠ ظ] إلاّ ما يؤتى به من منزله.

قال: فأقمت على ذلك [مدّه، فوجه إلى الحسن بن سهل بألف ألف درهم]، (٣)، و وجه إلى فرج الرخجى بألف ألف درهم، و وجه إلى حميد الطوسي

ص: ١٢٥

١- يحيى بن خاقان الخراساني: مولى الأزدي، أخو الفتح بن خاقان، وزير المتوكل (الملح و النوادر ٣٣٢) و [١] أخوهما الثالث عبد الرحمن بن خاقان و كان يلي البصره للمتوكل (البصائر و الذخائر م ١ ص ٣٥٩)، و [٢] والد عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي و زّر للمتوكل، كان يحيى من مشايخ كتاب الدوله العباسيه (الديارات ١٥٥، ١٥٤) و لآه المتوكل ديوان الخراج في السنه ٢٣٤ على قول صاحب الديارات ١٥٥، و في السنه ٢٣٣ على قول الطبري ١٦٢/٩، [٣] عزل به الفضل بن مروان، و توفي يحيى في السنه ٢٤٠ (البصائر و الذخائر م ١ ص ٣٥٩).

٢- أحمد بن هشام المروزي: هو و أخوه على، من أوائل القوادر الذين قاموا بدعوه المأمون، و حاربوا في جيشه، و لما فتح طاهر بن الحسين قائد المأمون بغداد، جعل أحمد على شرطته (الطبري ٣٩١/٨) [٥] ثم أصبح على شرطه المأمون لما قدم بغداد (تاريخ بغداد لابن طيفور ٥٥) راجع في تاريخ بغداد ٥٥ و ٥٦ قصّه له مع المأمون في أمر رفع الظلامه عن مظلوم.

٣- الزيادة من م.

بألف ألف درهم، وأضفت ذلك إلى ما كان عندي، واضطربت حتى جمعت خمسة آلاف ألف درهم.

فلما اجتمعت، كتبت إلى المأمون بحضور المال العذى ألزمني إتياءه، فأمر بإحضاري، فدخلت إليه و بين يديه أحمد بن أبي خالد، و عمرو بن مسعده، و علي بن هشام (١).

فلما رأني، قال لي: أ و لم تخبرني و تحلف لي أنك لا تملك إلا سبعمائة ألف درهم، فمن أين لك هذا المال؟
فصدقته عن أمره، و قصصت القصه عليه.

فأطرق طويلا، ثم قال لي: قد وهبته لك.

فقال له الحضور: أتهب له خمسة آلاف ألف، و ليس في بيت المال درهم واحد، و أنت محتاج إلى ما دون ذلك بكثير؟ فلو أخذته منه قرضا، فإذا جاءك مال رددته عليه.

فقال لهم: أنا على المال أقدر من يحيى، و قد وهبته له.

فرددت إلى القوم ما كانوا حملوه، و تخلّصت.

ص: ١٢٤

١- علي بن هشام المروزي: من أوائل القواد الذين قاموا بدعوه المأمون، و لما فتح طاهر بن الحسين بغداد و قتل الأمين، نصبه واليا عليها (الطبري ٥٤٣/٨) و [١] كان أثيرا عند المأمون جدّا (تاريخ بغداد ٥٧، ١١٩) و [٢] في السنه ٢١٦ ولأه المأمون بلاد الجبل و أذربيجان و أرمينية، فظلم و جار، فبعث إليه القائد عجيف ليحضره، فهم أن يبطش بعجيف، و لم يقدر، فأحضره المأمون و قتله (الطبري ٦٢٧/٨) و [٣] علّق في رأسه كتابا ذكر فيه سابقته و حسن بلائه، ثم ذكر السبب الذي أدى إلى قتله، و هو كتاب جدير بالمطالعه، أنظره في الطبري ٦٢٧/٨ و [٤] في تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٤٦.

يتنازل لأحد أتباعه عن عشرة آلاف ألف درهم

قال محمد بن عبدوس في كتابه «أخبار الوزراء» (١):

ذكر الفضل بن مروان (٢)، أن محمد بن يزيد (٣) سعى إلى المأمون بعمر بن بهنوي (٤).

فقال له المأمون: يا فضل، خذ عمرا إليك، وقيده، وضيّق عليه، ليصدق عما صار إليه من مال الفيء، فقد اختان مالا عظيما، و طالبه به.

فقلت [٩٢ م]: نعم، وأمرت بإحضار عمرو، فأحضر، فأخليت له حجره في داري [١٢٣ غ]، وأقمت له ما يصلحه، و تشاغلته عنه [٧٠ ر] بأمر السلطان، في يومي و في الغد.

فلما كان في اليوم الثالث، أرسل إلي عمرو يسألني الدخول عليه، فدخلت، فأخرج إلي رقعه، قد أثبت فيها كل ما يملكه من الدور، والضياح، والعقار، والأموال، والفرش، والكسوة، والجوهر، والقماش، والكراع (٥)، و ما يجوز

ص: ١٢٧

١- في غ: كتاب الوزراء.

٢- الفضل بن مروان (١٧٠-٢٥٠): كان من صغار الكتياب في الدواوين أيام الرشيد، و تعطّل لما وقعت الفتنة بين الأمين و المأمون، ثم اتصل بالمعتصم فاستكتبه، و خلطه بخدمه المأمون فولّاه ديوان الخراج إضافة إلى كتبه أخيه، و لما استخلف المعتصم تمكّن منه تمكّنا تاما، و استوزره، ثم صادره و عزله، و ظلّ يتنقل في الخدمات حتى مات في أيام المستعين، راجع الفخرى ٢٣٢ و [١] القصة ١٣/٨ و ١٤/٨ من كتاب نوار المحاضرة للتونخي.

٣- محمد بن يزيد بن سويد، وزير المأمون: ترجمته في حاشية القصة ١٣٩ من الكتاب.

٤- في ظ: عمرو بن صهنوي، و في م و ر و غ: عمرو بن بهنوي، و في كتاب نوار المحاضرة و أخبار المذاكره للقاضي التونخي في القصة ٦٨/١: عمرو بن نهوي.

٥- الكراع: هو مستدق الساق من البقر و الغنم، ثم أطلق على الدواب من الخيل و البغال و الحمير (المنجد).

بيعه من الرقيق، وكان قيمه ذلك عشرون ألف درهم، وسألني أن أوصل رقعته إلى المأمون، وأعلمه أن عمرا قد جعله من ذلك كله في حل وسعه.

فقلت له: مهلا، فإن أمير المؤمنين أكبر قدرا من أن يسلبك مالك كله، ونعمتك عن آخرها.

فقال عمرو: إنه لكما وصفت، في كرمه، ولكن الساعي لا ينام عني ولا عنك، وقد بلغني ما أمرت به في أمري من الغلظة، وما عاملتني بضد ذلك، وقد طبت نفسا بأن اشتري عدل أمير المؤمنين في أمري، ورضاه عني، بجميع مالي.

فلم أزل أنزله، حتى وافقته على عشرة آلاف ألف درهم، وقلت له:

هذا شطر مالك، وهو صالح للفريقين، وأخذت خطه بالتزام ذلك صلحا عن جميع ما جرى على يده.

وصرت إلى المأمون فوجدت محمدا بن يزيد و قد سبقني إليه وهو يكلمه، فلما رأني قطع الكلام و خرج.

فقال لي المأمون: يا فضل.

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: ما هذه الجراه منك علينا؟.

قلت: يا أمير المؤمنين، أنا عبد طاعتك و غرسك (١).

فقال: أمرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن بهنوي، فقابلت أمري بالضد، و وسعت عليه، و أقمت له الأنزال.

فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن عمرا يطالب بأموال عظيمه، و لم آمن أن أجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل مالا- يرغب في مثله، فيتخلص، فجعلت محبسه في داري، و أشرفت على طعامه و شرابه، لأحرس لك نفسه،

ص: ١٢٨

١- في م: غرس يدك.

فإن كثيرا من الناس خانوا السلطان، و تمتعوا بالأموال، ثم طولبوا بها، فاحتيل عليهم، أن يتلفوا، و يفوز بالأموال غيرهم.

قال الفضل: و إنما أردت بذلك تسكين غضب المأمون عليّ، و لم أعرض الرقعه عليه، و لا أعملته ما جرى بيني و بين عمرو، لأنني لم آمن سورتَه (١) في ذلك الوقت، لاشتداد غضبه.

فقال لي: سلّم عمرا إلى محمّد بن يزيد، [٩١ ظ] قال: فوجهت من ساعتى، من سلّم عمرا إلى محمّد بن يزيد، فلم يزل يعدّبه بأنواع العذاب، ليبدل له شيئا، فلم يفعل.

فلمّا رأى أصحابه و عمّاله، ما قد ناله، جمعوا له بينهم ثلاثه آلاف ألف درهم، و سألوا عمرا أن يبذلها لمحمّد بن يزيد، فبذلها، فصار محمّد إلى المأمون متبجحا (٢) بها، فأوصل الخطّ بها إلى المأمون، و أنا واقف.

فقال المأمون: يا فضل، أ لم أعلمك، أنّ غيرك أقوم بأمرنا منك، و أطوع لما نأمره به؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، أرجو أن أكون فى حال استبطاء أمير المؤمنين أعزّه الله، أبلغ فى طاعته من غيرى.

فقال المأمون: هذه رقعه [٩٣ م] عمرو بن بهنوى بثلاثه آلاف ألف درهم.

فقلت، و ما اجترأت عليه قطّ، جرأتى عليه فى ذلك اليوم، فإننى خرجت إلى إضبارَه كانت مع غلامى، فأخذت الرقعه منها مسرعا، و قلت: و الله، لأعلمنّ أمير المؤمنين، أنّى مع رفقى، أبلغ فى حياطه أمواله من غيرى مع غلظته، و أريته رقعه عمرو الّتى كان كتبها لى، و حدّثته بحديثه عن آخره.

ص: ١٢٩

١- السوره: الحده.

٢- تبجح و تباجح: افتخر و تباهى.

فلمّا تبين المأمون الخطين، و علم أنّهما جميعاً خطّ عمرو، قال: ما أدري أيكما أكرم، عمرو حين شكر برّك، و طاب نفسا بالخروج عن ملكه بهذا السبب، أم أنت، و محافظتك على أهل النعم، و سترك عليه في ذلك الوقت، [١٢٤ غ]، و اللّٰه، لا- كنتما يا نبطيّان، أكرم منّي [٧١ ر].

و دفع الرّقعته التي أخذها محمّد بن يزيد من عمرو إلى، و أمرني بتخريقها، و تخريق الأوّله (١)، و أنفذ من سلّم عمرا من محبسه إلى، و أمرني بإطلاقه.

فخرجت من بين يديه، و فعلت ذلك من وقتي.

ص: ١٣٠

١- الأوّله: تعبير بغدادى، بمعنى الأولى، راجع حاشيه القصّه ٤ من هذا الكتاب.

أبو عمر القاضى يشيب فى ليله واحده

حدّث أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عيَّاش الخرزى البغدادى (١)، و كان خليفه أبى رحمه الله على القضاء بسوق الأهواز، المشهور الذى كان صاهر أبى عمر القاضى (٢)، قال: حدّثنى القاضى أبو عمر رحمه الله، قال:

لما جرى فى أمر ابن المعتز ما جرى، حبست و ما فى لحيتى طاقه بيضاء،

ص: ١٣١

١- أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عيَّاش الخرزى البغدادى: ذكره القاضى التنوخى فى كتابه نشوار المحاضره، فقال: الجوهري، بدل الخرزى، و المعنى واحد، و كان خليفه القاضى أبى القاسم التنوخى على سوق الأهواز، ثم صاهر أبى عمر القاضى، و نقل عنه التنوخى قصصا متنوعه، عن أشخاص متباينين مختلفين، من وزراء، و ولاءه، و كتياب، و قضاءه، و تجاره، و صوفيه، و ندما، و منجمين، و زرايين، و مغنين، حتى المختنين، راجع القصص ١/٦ و ٧ و ١٥ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٣ و ٨٣ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٣٣ و ١٨٩ و ٣٤/٢ و ٤٩ و ٤١ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ من كتاب نشوار المحاضره.

٢- أبو عمر محمّد بن يوسف الأزدي القاضى (٢٤٣-٣٢٠): ترجم له التنوخى فى كتاب نشوار المحاضره، و [٢] أثنى عليه ثناء بالغاً، راجع القصّه ١٠١/٥ فى كتاب النشوار، و [٣] ممّا قال فيه: إذا بالغنا فى وصفه كنّا إلى التقصير فيما نذكره أقرب، و كان مضرب المثل فى العقل، و الحلم، إضافة إلى ما انضاف إلى ذلك من الجلاله و الرئاسة، و لى قضاء مدينه المنصور و الأعمال المتّصله بها فى السنه ٢٨٤ و جلس فى جامع المدينه، ثم استخلفه أبوه على القضاء بالجانب الشرقى، ثم صرف هو و أبوه عن القضاء لاشتراكه فى السنه ٢٩٦ فى مبايعه ابن المعتزّ و خلع المقتدر، و كاد أن يقتل لو لا أن تداركه الوزير ابن الفرات، راجع أخبار أبى عمر فى كتاب نشوار المحاضره فى القصص ١/١٠ و ١٨ و ٢٢ و ٣٣ و ٨٢ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ٢٢/٢ و ٢٣ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٢١٠ و ٤٠/٣ و ٤٠/٤ و ٨٦/٤ و ١٠١/٥ و ١٠٢، و أنا آخذ عليه أنّه كتب بإحلال دم الحلاج، مع أنّ محضر محاكمته المثبت فى القصّه ٥١/٧ من كتاب نشوار المحاضره، لم يظهر منه أنّه ارتكب ذنبا يستوجب العقوبه، فضلا عن القتل.

و حبس معي أبو المثنى القاضي (١) و محمد بن داود الجراح (٢) في دار واحده، في ثلاثه آيات متلاصقه، و كان بيتي في الوسط.

و كنا آيسين من الحياه، فكنت، إذا جئنا الليل، حدثت أبا المثنى تاره، و محمد بن داود تاره، و حدثاني من وراء الأبواب، و يوصي كل منا إلى صاحبه، و نحن نتوقع القتل ساعه بساعه.

فلما كان ذات ليله، و قد غلقت الأبواب، و نام الموكلون بنا، و نحن نتحدث في بيوتنا، إذ حسسنا بصوت الأفعال تفتح، فارتعنا، و رجع كل واحد منا إلى صدر بيته.

فما شعرنا إلا و قد فتح الباب عن محمد بن داود، فأخرج، و أضجع ليذبح، فقال: يا قوم، ذبحا كما تذبح الشاه، أين المصادرات، أين أنتم عن أموالى أفتدى بها نفسى؟ على كذا و كذا.

قال: فما التفتوا إلى كلامه، و ذبحوه، و أنا أراه من شق الباب، و قد أضاء الصيحن، و صار كأنه نهار من كثرة الشموع، و احتزوا رأسه، و أخرجوه معهم، و جزوا جثته، فطرح في بئر الدار، و غلقت الأبواب، و انصرفوا.

ص: ١٣٢

١- أبو المثنى أحمد بن يعقوب القاضي: اشترك في السنه ٢٩٦ في خلع المقتدر، و بايع ابن المعتز بالخلافه، و لما فشلت المؤامره، اعتقل، و أرادوه أن يقرّ على نفسه بأنه أخطأ، فأبى، و أدى إصراره إلى قتله رحمه الله، قال عنه صاحب شذرات الذهب ٢٢٤/٢ [١] إنه أحد من قام في خلع المقتدر تدينا، و ذبح صبيرا، و هو أول قاض قتل صبيرا في الإسلام (لطائف المعارف ٢٣).

٢- أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح الكاتب: عمّ الوزير على بن عيسى بن الجراح، قال عنه صاحب شذرات الذهب ٢٢٥/٢: [٢] كان أوحد أهل زمانه في معرفه أيام الناس، و كان صديقا لابن المعتز، و ترعم المؤامره التي قامت لاستخلافه و خلع المقتدر، و استوزره ابن المعتز، فلما فشلت المؤامره، اعتقل و قتل، راجع الأعلام ٣٥٥/٦، و تجارب الأمم ٥/١ و ٦ و ٩ و ١٠ و كتاب الوزراء للصابي ٢٩-١٤٨، ١٤٥، ١٤٣، ١٠٩، ١٠٠، ٣١-١٨٥، ١٦٦، ١٥٥، ١٥٣، ١٥٠، ٢٤٤، ٢٤٢، ١٩١، [٣] ٢٨٤، ٢٧٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٢. ٢٨٦، ٢٨٧.

قال: فأيقنت بالقتل، وأقبلت على الصّلاه، والدّعاء، والبكاء.

فما مضت إلّا ساعات يسيره، حتّى سمعت أصوات الأقفال تفتح، فعاودنى الجزع، وإذا هم قد جاءوا إلى بيت أبى المثنى القاضى [٩٤ م]، ففتحوه، وأخرجوه، وقالوا له: يقول لك أمير المؤمنين، يا عدوّ الله، يا فاسق، بم استحلتت نكث بيعتى، وخلع طاعتى؟

فقال: لأننى علمت، أنّه لا يصلح للإمامه.

فقالوا له: إنّ أمير المؤمنين، قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر، فإن تبت رددناك إلى محبسك، وإلّا قتلناك.

فقال: أعود بالله من الكفر، ما أتيت ما يوجب الكفر.

قال: وأخذ يتهوّس معهم بهذا الكلام وشبهه، ولا يرجع عنه.

فلما أيسوا منه، مضى [٩٢ ظ] بعضهم و عاد، فظننت أنّه يستثبت فى الاستئذان، قال: ثم أضجعوه، فذبحوه، وأنا أراه، و حملوا رأسه، و طرحوا جسّته فى البئر.

قال: فذهب علىّ أمرى، وأقبلت على البكاء، والدّعاء، والتضرّع إلى الله جلّ وعزّ.

فلما كان وجه السّحر (١)، و قد سمعت صوت الدبادب (٢)، و إذا صوت

ص: ١٣٣

١- السحر: آخر الليل، قبيل الصبح (المنجد)، و هو من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر (لسان العرب)، و [١] فى فقه اللّغه ٣٢٦: [٢] السحر، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم الصباح، ثم يأتى النهار، و أوّله الشروق، ثم البكور، أقول: قال متمم بن نويرة، يرثى أخاه مالكا: من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا، يندبنه بالصبح، قبل تبلّج الأسحار فهو فى البيت الأوّل، ذكر النهار، و جعله فى البيت الثانى، يشمل الصبح و السحر، كما جعل الصبح قبل السحر، مما لا يتفق و التسلسل المدوّن فى المعاجم، و فى فقه اللّغه، و تعليل ذلك، ما ورد فى لسان العرب، [٣] فى ماده: صبح، بأنّ العرب، إذا قربت من المكان الذى تريده، تقول: قد بلغناه، و إذا قرّبت للسارى، طلوع الصبح، و إن كان غير طالع، تقول: أصبحنا، و يقال: أصبح القوم، أى دنا وقت دخولهم فى الصباح، و هاهنا فائده أخرى، و هى قوله: تجد النساء حواسرا يندبنه، أى أنّهنّ يندبنه و قد كشفن عن رؤوسهنّ، و هذا لا يكون إلّا عند الفجيعه بعزير، و ما زال هذا التقليد ساريا عند البغداديات و لكّته أخذ فى الانحسار، فإنّ المرأه البغداديه، إذا فجعت بعزير، ناحت عليه قائمه، و لطمت، و هى مكشوفه الرأس، و إذا كانت فاجعتها به عظيمه، ناحت عليه قائمه، و قد كشفت عن رأسها و ثديها، و هذا عندهنّ نهايه فى إظهار الحزن، و كان من تقاليد النساء العربيات، أنّ المرأه إذا نذبت زوجها، و هى قائمه، فإنّها لا تتزوج بعده أبدا (نهايه الأرب ٢٧٨/٤).

٢- الدبادب: طول صغار، كانت تضرب على أبواب الخلفاء و الولاه فى أوقات الصلاه، و سميت بالدبادب، لأنّها حكايه صوتها

عند الضرب: دب، دب (لسان العرب)، و الدبداب: الطبل، و الدرداب: صوت الطبل، و الدبديه: كل صوت أشبه صوت وقع الحافر على الأرض الصلبه (لسان العرب).

الأقفال، فقلت: لم يبق غيري، و أنا مقتول، فاستسلمت، و فتحوا الأبواب عني، و أقاموني إلى الصّبح، و قالوا: يقول لك أمير المؤمنين، يا فاعل، يا صانع، ما حملك على نكث بيعتي؟.

فقلت: الخطأ، و شقوه الجدد، و أنا تائب إلى الله عزّ و جلّ من هذا الذنب.

قال: و أقبلت أتكلّم بهذا و شبهه، فمضى بعضهم، و عاد فقال: أجب، ثمّ أسرّ إليّ، فقال: لا بأس عليك، فقد تكلم فيك الوزير- يعنون ابن الفرات- و أنت مسلم إليه، فسكنت قليلاً- [و جاءوني بخفيّ، و طيلسانى، و عمامتى، فلبست ذلك] (١)، و أخرجت فجيء بي إلى الدار التي كانت برسم ابن الفرات [١٢٥ غ] في دار الخليفة (٢)، فلما رأني، أقبل [٧٢ ر] يخاطبني بعظم جنايتي و خطئي، و أنا أقرّ بذلك، و أستقيل، و أتصل.

ص: ١٣٤

١- الزيادة من غ و م.

٢- للوزاره في أيام المقتدر، داران، الدار الأولى، هي دار الوزاره، بالمخزّم (العلوازيه)، بالجانب الشرقي من بغداد، بين باب الطاق (الصرافيه) و الزاهر (القلعه) و كانت لسليمان بن وهب، فأخذها

ثم قال لي: قد وهب لي أمير المؤمنين ذنبك، وابتعت منه جرمك بمائه ألف دينار، ألزمتك إيّاها.

فقلت: أيها الوزير، ما رأيت بعضها قطّ مجتمعا.

فغمزني بأن أسكت، و جذبني قوم من وجوه الكتّاب، كانوا ورائي، فسكّتوني، فعلمت أنّ الوزير ابن الفرات، أراد تخليصي، وحقن دمي.

فقلت: عليّ كلّ ما يأمر الوزير أعزّه الله.

فقال: احمלוه إلى داري.

قال: فأخذت، و حملت إلى داره، فقرّر أمرى على مائه ألف دينار، على أن أوّدي منها النصف عاجلا، و يصير النصف في حكم الباطل على رسم المصادرات.

فلما صرت في دار ابن الفرات، وسّع عليّ في المطعم، و المشرب، و الملبس، و أدخلت الحمام، و رفّهت، و أكرمت.

فرأيت، لما خرجت من الحمام، وجهي في المرآه، فإذا طاقات شعر قد ابيضّت في مقدّم لحيّتي، فإذا أنا قد شبت في تلك الليله الواحده.

ص: ١٣٥

قال: و أديت من المال تيفاً و ثلاثين ألف دينار (1)، ثم نظر لي ابن الفرات بالباقي و صرفني إلى منزلي، و تخلص دمي.

و أقمت في بيتي سنين (2)، و بابي مسدود، لا أرى أحداً، إلا في الشاذ، و توفرت على دراسه الفقه، و النظر في العلم، إلى أن من الله بالفرج، فكشف ما بي، و أخرجت من بيتي إلى ولايه الأعمال. [٩٥ م]

ص: ١٣٦

١- في غ: ثلاثه و ثلاثين ألف دينار، و في تجارب الأمم ١٤/١: إنه أدى من المال تسعين ألف دينار.

٢- أقام أبو عمر في داره إلى السنه ٣٠١، فإن الوزير على بن عيسى تقلد في تلك السنه وزاره المقتدر، و كلم المقتدر بشأنه، فرضى عنه، و قلده القضاء، راجع القصه ١٠١/٥ من كتاب نشوار المحاضره.

قضى ليلته معلقاً في بادهنج

و يشبه هذا الحديث، و يقاربه، و إن لم يكن في الحقيقة من باب من خرج من حبس، إلا أنه من أخبار الفرّج في الجملة، ما حدّثني به أبو عليّ الحسن بن محمّد بن عليّ بن موسى الأنباري الكاتب (١)، صهر أبي محمّد المهلبى الوزير، قال: سمعت دلويه (٢)، كاتب صافى الحرّمى (٣)، يتحدّث، قال:

كان في دار المقتدر بالله، عريف على بعض الفرّاشين، يخدمنى و صافيا إذا أقمنا في دار الخليفة، ففقدته في الدار، و ظننته عيلاً، فلما كان بعد شهر، رأيت في بعض الطرق، بزىّ التجار، و قد شاب.

فقلت: فلان؟

قال: نعم، عبدك يا سيّدى.

فقلت: ما هذا الشيب في هذه الشهور اليسيره، و ما هذا الزىّ؟ و أين كنت؟ فجلج.

فقلت لغلمانى: احمّلوه إلى دارى، و قلت: حدّثنى حديثك.

ص: ١٣٧

١- أبو على الحسن بن محمّد الأنباري الكاتب: كان يكتب لأبى يوسف البريدى، ثم التحق بخدمه معزّ الدوله، و تحقّق بالوزير أبى محمّد المهلبى، و تزوّج ابنته، و استخلفه المهلبى بالحضره لما بارحها إلى البصره، راجع تجارب الأمم ١٢٤/٢ و القصّه ٢٩/١ و ١٩٢/٢ من كتاب نشوار المحاضره.

٢- أبو محمّد عبد الله بن على دلويه: كان يكتب لصافى الحرّمى الخادم، (القصّه ١٥٥/١ من كتاب نشوار المحاضره)، ثم كتب لنصر القشورى الحاجب (وزراء ٣٤١ و القصّه ١٠/٤ من كتاب نشوار المحاضره)، ثم كتب لسلامه المؤتمن حاجب القاهر (القصّه ١٠٧/٣ من كتاب نشوار المحاضره).

٣- صافى الحرّمى الخادم: مولى المعتضد، كان في أيام المعتضد صاحب الدوله كلّها، و إليه أمر دار الخليفه، و استمر على وجاهته في أيام المقتدر (وزراء ٣٢٥)، للاستدلال على مقدار علاقته بالخليفه راجع القصّه ١٥٥/١ من كتاب نشوار المحاضره، توفى صافى سنه ٢٩٨ (المنتظم ١٠٨/٦).

فقال: على أن لي الأمان و الكتمان.

فقلت: نعم.

فقال: كان الرّسم العذى تعرفه على كلّ عريف في الدّار من الفّراشين، أن يدخل يوما من الأيّام، هو و من معه في عرافته، إلى دور الحرم، لرشّ الخيوش التي فيها.

فبلغت التّوبه إلىّ، في يوم كنت فيه مخمورا، فدخلت، و معي رجالي، إلى دار فلانـهـ و ذكر حظّيه جليله من حظايا المقتدر باللهـ
لرّشّ الخيش.

فلعظم ما كنت فيه من الخمار، ما رششت قربتي، و لم أخرج بخروج الرّجال، و قلت لهم: امضوا، فهاتوا قربكم لإتمام الرّشّ، فإذا رششتموها فأنبهوني، فإنّي نائم هنا.

و دخلت خلف الخيش، إلى باب بادهنج (1) تخرج منه ريح طيبه، فنمت،

ص: ١٣٨

١- البادهنج: جاء في شفاء الغليل ٤١ [١] انه معرب بادخون أو بادكير، فارسيّه، تعنى المنفذ الذي يجيء منه الريح، قال أبو الحسن الأنصاري: و نفحه بادهنج أسكرتنا و جدت لروحها برد النعيم صفا جرى الهوا فيه رقيقا فسميناها راووق النسيم أقول: و يستعمل البادهنج أو البادكير في أيّام الصيف، حيث يلتجئ البغداديون للتخلّص من الحر إلى غرف تتخذ تحت مستوى أرض الدار، في موضع ينفذ إليه الضوء، و لا تصل إليه الشمس، تسمى السرداب، مفردها سرداب، فارسيّه، بمعنى الماء البارد (شفاء الغليل ١٠٥) و [٢] يجهّز السرداب بالبادهنج أو البادكير، و هو منفذ في الحائط يمتدّ من أعلاه إلى أسفله، عرضه متر، و عمقه بحيث ينفذ فيه بدن الإنسان، في راحه و يسر، و يبنى له في أعلاه فم واسع يستقبل الهوا و يجزّه إلى أسفل فينفذ إلى السرداب باردا عذبا، و ربما ساقوا الهوا إلى بئر في السرداب، فيمرّ بها، ثم يساق إلى أقنيه تتخلّل ساحه السرداب فينفذ من منافذ فيها، و يسمّيه البغداديون «زنبور»، راجع في مطالع البدور ١/٤٥-٤٩ ما قاله الشعراء في البادهنج.

و غلب على النوم، إلى أن جاء الفَرَّاشون، و فرغوا من رش الخيش، و خرجوا، و لم يتبهوني [٩٣ ظ].

و تمادى بى النوم، فما انتبهت إلا بحركه فى الخيش، فقمتم، فإذا أنا قد امسيت، و إذا صوت نساء فى الخيش، فعلمت أنى مقتول إن أحس بى، و تحيرت فلم أدر ما أعمل، فدخلت البادهنج، [و كان ضيقا، فجعلت رجلى على حائطى البادهنج] (١) و تسلقت فيه، و وقفت معلقا، أترقب أن يفتن لى، فأقتل.

و إذا بنسوه فزاشات يكنسن الخيش، فلما فرغن من ذلك فرشنه (٢)، و عىبى فيه مجلس الشراب.

و لم يكن بأسرع من أن جاء المقتدر بالله، و عدّه جوارى، فجلس و جلسن [٧٣ ر]، و أخذ الجوارى فى الغناء، و أنا أسمع ذلك كله، و روحى تكاد تخرج، فإذا أعيت، نزلت فجلست فى أرض البادهنج، فإذا استرحت، و خفت أن يفتن بى، عدت فتسلقت، إلى أن مضت قطعه من [١٢٦ غ] الليل، ثم عنّ للمقتدر أن جذب إليه حظيته التى هى صاحبه تلك الدار، فانصرف باقى الجوارى، و خلا- الموضوع، فواقع المقتدر بالله الجاربه، و أنا أسمع حركتهما و كلامهما، ثم ناما فى مكانهما، و لا سبيل لى إلى النوم لحظه واحده، لما أقاسى من الخوف.

ففكرت فى أن أخرج و أصعد إلى بعض السطوح، ثم علمت أنى إن فعلت ذلك، تعجلت القتل، و لم يجوز أن أنجو.

فلم تزل حالى تلك إلى أن انتبه المقتدر بالله فى السحر، و خرج من الموضوع.

ص: ١٣٩

١- لا توجد فى ظ، و لا فى غ.

٢- فى غ: رششنه.

فلما كان من غد نصف النهار، جاء عريف آخر من الفرّاشين، و معه رجاله، فرشوا الخيش، فخرجت فاختلطت بهم.

فقالوا: أيش تعمل هاهنا؟

فأومأت إليهم بالسكوت، و قلت: الله، الله، في دمي، فإنّ حديثي طويل، فتذمّموا أن يفضحوني.

و قال بعضهم: ما بال لحيتك قد شابت؟

فقلت: لا أعلم، و أخذت ماء من [٩٦ م] أقر به بعضهم، فرطّبت به قربتي، و خرجت بخروجهم.

فلما صرت في موضع من دار الخليفة، وقعت مغشيا عليّ، و ركبتني حمى عظيمه و ذهب عقلي، [فحملني الفرّاشون إلى منزلي، و أنا لا أعقل] (١)، فأقمت مبرسما مدّه طويله (٢).

و قد كنت عاهدت الله تعالى، و أنا في البادهنج، إن هو خلّصني، أن لا أخدم أحدا أبدا، و لا أشرب التّبيذ، و أقلعت عن أشياء تبت منها.

فلتّما تفضّل الله تعالى بالعافيه، و فیت بالتّندر، و بعت أشياء كانت لي، و ضممتها إلى دراهم كانت عندي، و لزممت دكانا لحميّ أتعلّم فيه التّجاره معه، و أتّجر، و تركت الدّار، فما عدت إليها إلى الآن، و لا أعود أبدا إلى خدمه الناس، و لا أنقض ما تبت منه.

قال: و رأيت لحيته و قد كثر فيها الشّيب.

ص: ١٤٠

١- الزيادة من غ و م.

٢- الاسم الصحيح للمرض: السرسام، قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، في كتابه القانون ٢/٤٤: و [١] من الناس، ممن لا يعرف اللّغات، يحسب أنّ البرسام اسم لهذا الورم، و أنّ السرسام أخفّ منه، و ليس ذلك بشيء، فإنّ البرسام يعنى ورم الصدر، و السرسام يعنى ورم الرأس، و وصف الشيخ الرئيس أعراض السرسام، بأنّها حمى لازمه يابسه، و هذيان، و كراهه للكلام، و اختلاط العقل، و عبث الأطراف، و نفس مضطرب غير منتظم، راجع التفصيل في كتاب القانون ج ٢ ص ٤٤-٥٤.

ابن الفرات يصفح عمّن أساء إليه

حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام (١)، قال:

كان أبو الحسن بن الفرات، لما ولي الوزارة الأولى (٢)، وجد سليمان بن الحسن (٣) يتقلّد مجلس المقابلة في ديوان الخاصّ به (٤)، من قبل علي بن عيسى، و الديوان كلّه - إذ ذاك - إلى علي بن عيسى، فقلّد أبو الحسن بن الفرات، سليمان، الديوان بأسره فأقام يتقلّده نحو سنتين.

فقام ليله في دار ابن الفرات يصلّي المغرب، فسقطت من كفه رقعه، فرآها بعض من حضر (٥)، فأخذها، و لم يفتن لها سليمان، و قرأها، فوجدها سعايه، بخطّه، بابن الفرات و أسبابه، إلى المقتدر بالله، و سعي لابن عبد الحميد، كاتب السيّد (٦)، في الوزارة، فتقرّب بها إلى ابن الفرات، فقبض علي سليمان في الوقت، و أنفذه في زورق مطبق إلى واسط، فحبسه بها، و صادره، و عدّبه، فكان في العذاب دهرا، و أيس منه،

فبلغ ابن الفرات، أنّ أمّ سليمان بن الحسن قد ماتت ببغداد، و أنّها كانت

ص: ١٤١

- ١- أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب، المعروف بابن أبي قيراط.
- ٢- ولي أبو الحسن علي بن محمّد بن الفرات، وزارته الأولى للمقتدر في السنة ٢٩٦.
- ٣- أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح.
- ٤- في ظ: ديوان الخلافة، و التصحيح من م و غ.
- ٥- في تجارب الأمم ٥٥/١ إنّه الصقر بن محمّد الكاتب، و قد كان يصلّي إلى جنبه، فأخذها و أقبل بها مبادرا إلى الوزير من وقته، و كذلك ورد في كتاب الوزراء ٣٣.
- ٦- أبو الحسن أحمد بن محمّد بن عبد الحميد: كاتب السيّد أمّ المقتدر، قال عنه التنوخي في كتاب نشوار المحاضر، [٢] القصّه ١٢٨/١، إنّه كان شيخا صالحا من شيوخ الكتّاب، و كان يكتب للسيّد أمّ المقتدر، و كان أثيرا عندها، مقبول الكلمه، ذا رأى في سياسه الدّولة، يستشيره الوزراء (٣] وزراء ١١٢، ١١١)، راجع تجارب الأمم ١٥/١.

تتمنى رؤيته قبل موتها، فاغتم لذلك، و تذكر الموده بينه و بين ابيه الحسن ابن مخلد، فبدأ، و كتب إليه بخطه كتابا أقرأنيه سليمان بن الحسن بعد سنين كثيره من تلك الحال، فحفظته، و نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، مئزت- أكرمك الله- بين حقمك و جرمك، فوجدت الحق يوفى على الجرم، و تذكرت من سالف [٩٤] ظ [حرمتك، فى المنازل التى فيها ربيت، و بين أهلها غذيت، ما ثنانى إليك، و عطفنى عليك، و أعادنى لك إلى أفضل ما عهدت، و أجمل ما ألفت، فثق- أكرمك الله- بذلك، و أسكن إليه، و عول فى صلاح ما اختل من أمرك عليه، و أعلم أنى أراعى فىك، حقوق أبيك، التى تقوم بتوكيد السبب، مقام اللحمه و النسب، و تسهل ما عظم من جنائتك، و تقلل ما كثر من إساءتك، و لن أدع مراعاتها [١٢٧ غ]، و المحافظه عليها بمشيئه الله تعالى، و قد قلدتك أعمال دستميسان لسنة ثمان و تسعين و مائتين، و بقايا ما قبلها، و كتبت إلى أحمد بن محمد بن حبش (١)، بحمل عشره آلاف درهم إليك، فتقدم هذه الأعمال، و أثر فيها أثرا جميلا يبين عن كفايتك و يؤدى إلى ما أبغيه من زيادتك، إن شاء الله تعالى (٢).

ص: ١٤٢

١- فى ظ: أحمد بن محمد بن حسن، و فى م: أحمد بن محمد بن حسين، و فى مخطوطه المتحف البريطانى للجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى: أحمد بن محمد بن حس، بلا نقط، و فى كتاب الوزراء للصابى ص ١١٨ [١] أحمد بن محمد بن حبش، و فى نسخه ه: أحمد بن محمد بن حبش.

٢- وردت هذه القصه فى نشوار المحاضره ٨/٨٢، و [٢] نقلها عن النشوار [٣] صاحب كتاب تجارب الأمم ١/١٥١ و كتاب الوزراء ١١٧ و ١١٨، و الظاهر أن جميل الوزير أبى الحسن بن الفرات، لم يلاق فى سليمان ابن الحسن، طبيعه طيبه تحفظ الجميل، فقد ظل على عداوته له، حتى بعد وفاته، فقد ذكر مفلح الأسود خادم المقتدر (كتاب الوزراء ٧٥ و [٤] رسوم دار الخلافه ٣٨): أن سليمان بن الحسن لما وزر للمقتدر، كان يكثر من ذكر أبى الحسن بن الفرات، و الطعن عليه، فلما كان فى بعض الأيام، عاود سليمان ذكر ابن الفرات، و الوقيعه فيه، فقال له المقتدر:

قال أبو الحسين: أحمد بن حبش هذا، كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسطة (١).

ص: ١٤٣

١- أحسب أنّ أحمد بن محمّد بن حبش، هذا، هو أخو أبي الحسن علي بن محمّد بن عبد الله الكاتب البغداديّ، المعروف بابن حبش، أبوه محمّد بن حبش، ابن خاله الوزير أبي الحسن بن الفرات (اللباب ٢٧٥/١ و الأنساب للسمعاني ١٥٥).

أراد أن يسير بسيره الحجاج فقتلوه

وجدت في بعض الكتب:

أن عمر بن عبد العزيز (١)، وولي محمد بن يزيد، مولى الأنصار (٢) [٩٧ م]، إفريقيه (٣)، فكان حسن السيرة فيها، فلما مات عمر بن عبد العزيز، وولي يزيد بن عبد الملك الأمر، صرفه، وولي يزيد ابن أبي مسلم كاتب الحجاج ابن يوسف.

فلما ورد يزيد إفريقيه، حبس محمد بن يزيد، و تسلط عليه (٤)، و طالبه بأموال لم تكن عنده.

ص: ١٤٤

١- أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي، الخليفة الصالح، و الملك العادل: ترجمته في حاشية القصة ١٠٥ من هذا الكتاب.

٢- محمد بن يزيد، مولى الأنصار: كان يكتب لعبد الملك بن مروان في السنه ٨٥، و كان غالبا على أمره، و كان أشار عليه بأن يعهد لسليمان بعد الوليد، فحقد لها عليه الوليد، و تركه عاطلا لما ولي، حتى إذا حكم سليمان ولّاه إفريقيه، و أقره الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز، و لما ولي الحكم يزيد بن عبد الملك، عمد إلى جميع إصلاحات عمر فأبطلها، و كان من جملة ذلك أن عزل محمد بن يزيد عن إفريقيه، و ولي عليها يزيد بن أبي مسلم، كاتب الحجاج الثقفي، فأراد يزيد أن يسير في أهل إفريقيه بسيره الحجاج في العراق، فقتله أهلها، و أعادوا محمد بن يزيد، و كتبوا إلى يزيد بن عبد الملك إننا لم نخلع يدا من طاعه، و لكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضاه الله، و لا المسلمون، فأقر يزيد توليه محمد، مضطرا، و لكنّه عزله بعد مدّه قصيره (الأعلام ١٤/٨ و [١] الطبري ٤١٤/٦ و ٤١٧).

٣- إفريقيه: حدّها عند الجغرافيين العرب، من طرابلس الغرب، من جهه برقه شرقا، إلى طنجه غربا، و عرضها من البحر إلى الرمال التي في بلاد السودان، راجع ما كتبه ياقوت عنها في معجم البلدان ٣٢٤/١.

٤- في م: انبسط عليه.

ثم إن يزيد بن أبي مسلم أجمع أن يصنع بأهل إفريقيه، مثل ما صنع الحجاج بن يوسف بأهل العراق، في رده من من الله عليه بالإسلام، إلى بلده و رستاقيه، وأخذهم بالخراج (١)، فبلغ ذلك أهل إفريقيه، فتراسلوا في قتله، و تساعوا فيه سرا حتى تم لهم أمرهم، فوثبوا عليه و هو يصلي، فقتلوه و قد سجد، و جاءوا إلى حبسه، فأخرجوا محمد بن يزيد، فردّوه إلى الإمارة، و كتبوا إلى يزيد بن عبد الملك: إننا لم نخلع يدا من طاعه، و لكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى به الله عزّ و جلّ، و لا المسلمون، من كيت و كيت، فقتلناه، و ولينا محمد بن يزيد، و صفوا جميل سيرته.

فكتب إليهم يزيد: إنني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم، و قد أمرت محمدا عليكم (٢).

و قد مضى هذا الخبر بروايات غير هذه الرواية، و سياقه غير هذه الشياقه، فيما تقدّم من هذا الكتاب (٣).

ص: ١٤٥

١- راجع التفصيل عن سياسه الحجاج المخزبه في آخر القصه.

٢- راجع الطبري ٦/١٧٦.

٣- راجع القصه ١٠٥ من هذا الكتاب.

تشير الفقرة (٥) إلى لون من ألوان السياسة المخزبه التي أتبعها الحجاج خلال مدّه حكمه، تلك السياسة التي كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط دوله بني مروان (السياده العربيّه، فان فلوتن ٤٤) وخرّبت العراق تخريبا تاما.

فقد فرض على أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار، ممن كان أصله من السواد، من أهل الذمه فأسلم، بالعراق، أن ردّهم إلى قراهم ورساتيقيهم، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم على كفرهم (وفيات الأعيان ٣١١/٦) إذ إنّ هؤلاء لما أسلموا، كتب عمال الحجاج إليه، بأنّ الخراج قد انكسر، وأنّ أهل الذمه قد أسلموا، و لحقوا بالأمصار، فأمر باخراج أهل القرى إلى قراهم، وأن تؤخذ منهم الجزية، على نحو ما كانت تؤخذ منهم و هم كفّار (ابن الأثير ٤٤٤/٤ و ١٠١/٥).

فاجتمع إلى ابن الأشعث، أهل الكوفه، وأهل البصره، والقراء، وأهل الثغور، والمسالح، وتضافروا على حرب الحجاج (ابن الأثير ٤٦٩/٤) و كان من جملتهم كتيبه تضمّ حمله القرآن، وتسمّى كتيبه القراء (ابن الأثير ٤٧٢/٤).

ولما ثار أهل العراق على الحجاج، واحتشدوا لحربه، استنجد بعبد الملك، فأمدّه بجند من أهل الشام (بلاغات النساء ١٢٥) فأنزلهم في بيوت أهل الكوفه، وهو أول من أنزل الجند في بيوت الناس (ابن الأثير ٤٨٢/٤).

ولمّا قتل ابن الأشعث، قال الحجاج: الآن فرغت لأهل السواد، فعمد إلى رؤسائهم، وأهل بيوتاتهم من الدهاقين، فقتلهم صبرا، و جعل كلّما قتل من الدهاقين رجلا، أخذ أمواله، وأضرّ بمن بقي منهم إضرارا شديدا، فخرّبت الأرض (أدب الكتاب للوصول ٢٢٠/٢).

وانبثقت في زمن الحجاج، بثوق، أغرقت الأراضي، فلم يعن الحجاج بسدّها، مضارّه للدهاقين، لأنّه كان اتّهمهم بممالأه ابن الأشعث حين خرج عليه (فتوح البلدان ٢٩١).

و كانت عاقبه هذه السياسة الخرقاء، أنّ جبايه سواد العراق، و كانت على عهد الخليفه عمر بن الخطاب مائه ألف ألف و ثمانيه و عشرين ألف ألف درهم، نزلت في عهد الحجاج إلى ثمانيه عشر ألف ألف درهم فقط، ثم ارتفعت في عهد الخليفه عمر بن عبد العزيز إلى مائه ألف ألف و أربعة و عشرين ألف ألف درهم (أحسن التقاسيم للمقدسى ١٣٣) فقال

عمر بن عبد العزيز: لعن الله الحجاج، فإنه ما كان يصلح للعالم، ولا للآخره، فإن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، جيبى العراق، بالعدل و النصفه، مائه ألف ألف، و ثمانيه و عشرين ألف ألف درهم، و جباه الحجاج مع عسفه و جبروته ثمانيه عشر ألف ألف درهم فقط، قال عمر: و ها أنا قد رجعت إلى على خرابه، فجيته مائه ألف ألف درهم و أربعه و عشرين ألف ألف درهم، بالعدل و النصفه (معجم البلدان ١٧٨/٣).

و ممّا يدلّ على عقليه الحجاج الفاسده، أنّه لما خرب السواد من جراء إفراطه فى الظلم و فى سوء الجبايه، تخيل أنّ الانقطاع عن الزراعه، إنّما كان لقله الماشيه التى تعين الفلاحين على حرث الأرض، فأصدر أمره بتحريم ذبح البقر، فقال الشاعر: [الأغاني ٣٧٨/١٦] شكونا إليه خراب السواد فحرم لنا لحوم البقر

فكنا كمن قال من قبلنا أريها السها و ترينى القمر

و قد سمى الناس سليمان بن عبد الملك، مفتاح الخير، لأنه أذهب عنهم سنه الحجاج، و أخلى السجون، و أطلق الأسرى (وفيات الأعيان ٢/٤٢٠)، و لما تولّى يزيد بن المهلب العراق، نظر فى نفسه، و قال: إنّ العراق قد أخربها الحجاج، و أنا اليوم رجاء أهل العراق، و متى أخذت الناس بالخراج، و عذبتهم عليه، صرت مثل الحجاج، أدخل على الناس الخراب، و أعيد عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها، (وفيات الأعيان ٦/٢٩٦ و ٢٩٧)، و لما خرج يزيد بن المهلب، بالعراق، بايعه الناس، على كتاب الله، و سنه نبيه، و أن لا تعاد عليهم سيره الفاسق الحجاج (وفيات الأعيان ٦/٣٠٤).

و ليس الحجاج هو المعلوم وحده على سياسته المخزبه، فإنّ عبد الملك بن مروان الذى سلطه على العراق، هو المعلوم الأوّل على ذلك، فالحجاج سيئه من سيئات عبد الملك (واسطه السلوك ٢٠٩)، و يحقّ لعبد الملك أن يحذر من الله تعالى لأنّ من يكن الحجاج بعض سيئاته، يعلم أى شىء يقدم عليه (ابن الأثير ٤/٥٢١).

و قد كان عبد الملك مطلعاً تمام الاطلاع على سياسته الحجاج المخزبه، و قد كتب إليه مرّه يقول: إنّ رأيك الذى يسؤل لك أنّ الناس عبيد العصا، هو الذى أخرج رجالا العرب إلى الوثوب عليك، و إذا أخرجت العامه بعنف السياسه، كانوا أوشك و ثوبا عليك عند الفرصه، ثمّ لا يلتفتون إلى ضلال الداعى، و لا هداه، إذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك، و قد ولى العراق قبلك ساسه، و هم يومئذ أحمرى أنوفاً، و أقرب من عمياء الجاهليه، و كانوا عليهم أصلح منك عليهم (العقد الفريد ٥/٤٥).

و ظَلَّت سيره الحجاج في الظلم و العسف، تدور مع التاريخ، و يتذاكرها الناس خلفا عن سلف، حتى حيكّت حولها الروايات، و رتبت بشأنها القصص، فذكروا أنّ أعرابيا سأله الحجاج: كيف سيره أميركم الحجاج؟ فقال: غشوم ظلوم، لا حياء الله، و لا يّياه، فقال له: لو شكوتموه إلى أمير المؤمنين، فقال الأعرابي: هو أظلم منه و أغشم، عليه لعنه الله (الملح و النوادر للحصري ١٥).

و ذكروا أنّ رجلا رأى في منامه الحجاج بن يوسف، فقال له: ما حالك؟ فقال:

ما أنت و ذاك، لا أمّ لك، فقال: سفيه في الدنيا، سفيه في الآخرة (المحاسن و المساوي ١٤/٢).

راجع ترجمه الحجاج في حاشيه القصه ٦٧ من هذا الكتاب، و بحثا عن ساديته في حاشيه القصه ١٤٩ من الكتاب، و راجع بقيه أخبار الحجاج في الطبرى ٢٠٢/٦ و ٣٢٠ و ٣٨٠-٣٨٨ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٨ و ٦٩/٨ و ابن الأثير ٤٨١/١ و ٣٥٩/٤ و ٤٣٤ و ٤٦٢ و ٥٠٤ و ٣٧/٥ و ٥١ و الأغاني ٦٧/٦ و ٦٨ و ١٤٥ و ١٩٢، ٢٠١ و ٢٠٦ و ٢٤٦ و ٧٥/٨ و العقد الفريد ١٧٤/٢ و ١٧٥ و ٣٢٤ و ٣٥٤ و ٤٧٧/٣ و ١١٩/٤ و ٣٧/٥ و ٥٩، ٥٧، ٥٥، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٣٨، ٤٦، و العيون و الحقائق ١٩ و البيان و التبيين ٢١/١ و ٢٢، ١٩٣ و ٢٩/٢، ٨٤ و شذرات الذهب ١٠٦/١-١٠٨ و مروج الذهب ١١٢/٢، ١٩٤، و لطائف المعارف ١٤١ و الإمامه و السياسه ٤٧/٢ و ٤٨ و تاريخ اليعقوبى ٢٧٤/٢، ٢٩١، ٢٩٥ و الامتاع و المؤانسه ١٧٨/٣ و ١٨٢ و المحاسن و المساوي ١٠٠/١، ٢٢٠ و المعارف لابن قتيبه ٥٤٨ و الفهرست ٢٠٢، تاريخ الخلفاء ١٧٩.

حدّثني البهلول بن محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التّونخي (١)، قال: حدّثني أبو عليّ، الوكيل على أبواب القضاة ببغداد (٢)، و يعرف بالناقد،

ص: ١٤٩

١- أبو القاسم البهلول بن محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التّونخي الأنباري (٣٣١-٣٨٠): ترجم له الخطيب في تاريخه ١١٠/٧.

٢- وكيل الدعاوى، أو وكيل الحكم، أو الوكيل على أبواب القضاة: هو من نسّميه اليوم: المحامي، و أحسب أنّ هذه الحرفه، بدأت مزاولتها في أيام العباسيين، إذ عمد قوم إلى الاحتراف بها، والحضور أمام القضاة، و كاله عن متخاصمين لم تكن المعرفه بأحكام الشريعة متيسّره لهم، أو لم تكن أعمالهم، و أشغالهم، تيسّر لهم الحضور أمام القاضي في كلّ حين. و الظاهر أنّ هذه الحرفه لم تكن من الأهميه، بالمكان الذي هي فيه الآن، و أنّ محترفيها، أو جلّهم، لم يكن تصرّفهم باعنا على احترامهم، قال الشاعر: ما وكلاء الحكم إن خاصموا إلاّ- شياطين، أو لو باس قوم غدا شرّهم فاضلا عنهم، فباعوه على الناس و لم يورد التّونخي، فيما تيسّر لنا من نشواره، عن وكلاء الدعاوى، إلاّ خبرا واحدا، أورده في القصّه ١٤٣/٣ عن وكيل دعاوى، و كلّه قوم، و ضمنوا له أجرا، فلمّا أنجز عمله، حبسوا عنه بعض أجره، فعرقل لهم سير القضيّه، حتى استوفى منهم أجره، و زياده، و هذه القصّه، تدلّ على أنّ التّونخي، و هو عريق في القضاة، لم يكن ينظر إلى وكيل الدعاوى نظره احترام. و مما يروى عن قاض أندلسي، أنّ وكلا في دعوى ترفع أمامه، و شرح مظلّمه موكله، و بكى، فنظر القاضي في صكّ الوكاله، و قال للوكيل ساخرا: أرى أنّ موكلك، لم يخوّلك في صكّ الوكاله، أن تبكى نيابه عنه، و ذكر التوحيدى في البصائر و الذخائر م ٣ ق ١ ص ٧٧: أنّ إسماعيل القاضي اطّلع على خله أحد الوكلاء على باب، فأمر غلامه بأن يخرج له عشرين درهما في كلّ شهر. و قال صاحب كتاب معيد النعم و مبيد النقم، في وكلاء دار القاضي، ص ٤٧: [١] مدحهم قوم، فقالوا: هم أناس نصبوا أنفسهم لخلاص حقوق الخلق، و ذمّهم آخرون، فقالوا: هم أناس، فضل عليهم الفضول، فباعوه لغيرهم، و الحقّ عندنا، أنّ من أراد منهم وجه الله تعالى، محمود،

قال:

كنت أقيم خبر المحبس (١) في المطبق بمدينة السلام، في أيام المقتدر بالله، فرأيت في المطبق (٢) رجلا مغلولا (٣)، على ظهره لونه من حديد، فيها ستون رطلا، فسألته عن قصته، فقال: أنا والله مظلوم.

فقلت له: كيف كان أمرك؟

قال: كنت ليله من الليالي، في دعوه صديق لي بسوق يحيى (٤)، فخرجت من عنده مغلسا، وفي الوقت فضل وأنا لا أعلم، فلما صرت في قطعه من الشارع، فإذا مشاعل الطائف (٥)، فرهبت، ولم أدر ما أعمل، فرأيت شريحه (٦) مشوشه،

ص: ١٥٠

- ١- يختار صاحب خبر المحبس، من الأختيار، ويعهد إليه أن يدخل الحبوس، ويتفقد أحوال المحبوسين، ويرفع خبرهم إلى الوزير، من أجل رفع الظلمات عن المظلومين منهم، راجع الملح و النوادر للحصرى ١٣٤ و ١٣٥.
- ٢- المطبق: الطبق: الغطاء، وأمّ طبق: الداهيه، و بنت طبق: الحيه، و المطبق: السجن تحت الأرض، سمى بذلك لأنه يطبق على المسجون فيحول بينه و بين رؤيه الضوء و يتركه في ظلام دامس و عزله موحشه، و يعدّ للمساجين السياسيين، و يكون عادة شديد الظلمه، سيئ التهويه، لا ينفذ إليه النور، و من مكث فيه زمنا، انطفاً بصره، و قد وصف يعقوب بن داود، وزير المهديّ المطبق الذي حبسه فيه المهديّ، بأنه بئر بنيت عليها قبه، لا يصعد منه و لا ينزل إليه، و كان يدلى إليه في كلّ يوم رغيف و كوز ماء، و كان من الظلمه بحيث لا يفرّق فيه بين الليل و النهار، بدليل أنه كان يؤذن بأوقات الصلاه، و قد بقى فيه ثلاث عشره سنه، فلما أريد إخراجة أدلى إليه جبل شدّ به وسطه، ثم أخرجوه، و إذا به قد عمى لطول المدّه التي قضاها في الظلمه، راجع القصّه ٢٠٤/١ من هذا الكتاب.
- ٣- الغلّ، و جمعه أغلال: طوق من الحديد يوضع في اليد أو العنق، راجع القصّه ١٦١ من هذا الكتاب.
- ٤- سوق يحيى: محلّه ببغداد، في الجانب الشرقي، على دجله، راجع حاشيه القصّه ٢٤٥ من هذا الكتاب.
- ٥- الطائف: العسس.
- ٦- الشريحه: جديله من القصب تجعل على أبواب الدكاكين.

ففتحتها، ودخلت، ورددتها كما كانت، و قمت في الدكان، ليجوز الطائف و أخرج.

و بلغ الطائف الموضوع، فرأى الشريجه مشوشه، فقال: فتشوا هذه الدكان.

فدخلت الرجاله بمشعل (١)، رأيت في ضوئه رجلا في أرض الدكان مذبوحا، على صدره سكين، فجذعت.

فرأى الرجاله ذلك الرجل، و رأوني قائما، فلم يشكوا في أنني القاتل.

فأخذني صاحب الشرطه فحبسني، ثم عرضت فضربت ضربا شديدا، و عوقبت أصنافا من العقوبات، و أنا أنكر، و عندهم أنني أتجلد، و هم يزيدونني.

فاجتمع أهلي، و كانت لهم شعب (٢) بأسباب السلطان، فتكلموا في و استشهدوا خلقا كثيرا [٩٥ ظ] على سيرتي، فبعد شدايد ألوان، أعفيت من القتل، و نقلت [٧٤ ر] إلى المطبق و ثقلت بهذا الحديد، و تركت على هذه الصورة، منذ ست عشرة سنة [٩٨ م].

قال: فاستعظمت محنته، و بهت من حديثه، فقال: ما لك، و الله ما آيس مع هذا من فضل الله عزّ و جلّ، فإنّ من ساعه إلى ساعه فرجا.

قال: فو الله، ما خرج كلامه (٣) من فيه، حتّى ارتفعت ضجّه عظيمه، و كسر الحبس، و وصلت العائمه إلى المطبق [١٢٨ غ] و مطاميره ١١ و أخرجوا كلّ من هناك، و خرج الرجل في جملتهم.

و انصرفت و أنا أريد منزلي، و إذا نازوك قد قتل، و الفتنة قد ثارت (٤)، و فرّج الله عن الرجل، و عن جميع أهل الحبوس.

ص: ١٥١

١- المشعل: راجع حاشيه القصّه ١٧ من هذا الكتاب.

٢- كذا ورد في م و غ، و المراد بها: الصله، يقال: شعب إلى القوم: نزع إليهم.

٣- المطموره: حفيّره تتخذ في باطن الأرض، ضيقه الفوهه، و اسعه الأسفل، كانت تتخذ لحفظ الحبوب، ثم اتخذ ما يشبهها على شكل حجر مظلمه تحت الأرض، يوصل إليها دهليز مظلم لا ينفذ إليه النور.

٤- كان ذلك في السنه ٣١٧، راجع تجارب الأمم ١/١٩٦.

الصدفه تنجى عامل كوثرى من القتل

و بلغنى عن رجل من أهل كوثرى (١) قال:

كان يتقلد بلدنا رجل عامل من قبل أبى الحسن بن الفرات، فى بعض وزاراته، فافتتح الخراج و اشتدّ فى المطالبه.

و كان فى أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الأرض ما لا- يتجاسر الأكره (٢) على زراعته، و كان العمّال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج.

فطالبهم هذا العامل بالخراج على التمام أسوه بالأكره، و أحضر أحدهم فحقق عليه المطالبه، و هو ممتنع، فأمر بصفعه، فصفح حتى أدّى الخراج، و انصرف، فشكا إلى بنى عمّه، فتوافقوا على كبس العامل ليلا، و قتله، و راسلوا فى ذلك غيرهم من العرب، و اتعدوا ليله بعينها.

فلما كان اليوم الذى تليه تلك الليله، ورد إلى الناحيه عامل آخر، صارفا للأول، فقبض عليه، و صفعه، و ضربه بالمقارع، و أخذ خطّه بمال، و قيده، و أمر بأن يحمل إلى قريه أخرى على فراسخ من البلد، فحبس فيها، و وكلّ به عشره من الرّجاله، و سيّره مرّه ماشيا، و مرّه على حمار من حمير الشوك، فكاد ممّا لحقه أن يتلف، و حصل فى تلك القريه.

و كان له غلام قد ربّاه، و هو خصيص به، عارف بجميع أموره، فهرب عند ورود الصارف، فلما كان من الغد، لم يشعر المصروف المحبوس إلا بغلامه الذى ربّاه قد دخل عليه، و كان مجيئه إليه أشدّ عليه من جميع ما لحقه إشفاقا

ص: ١٥٢

١- كوثرى: موضع بسواد العراق فى أرض بابل (معجم البلدان ٣١٧/٤).

٢- الأكره (بفتحتين)، جمع أكار (بالفتح و تشديد الكاف): الزراع، قاله أحمد تيمور.

على الغلام، و على نفسه مما يعرفه الغلام، أن يكون قد دلّ عليه.

فقال له: ويحك، وقعت في أيديهم؟

فقال له الغلام: من هم؟ هات رجلك حتى أكسر قيودك، و تقوم فتدخل بغداد.

فقال له: و أين الرّجاله الموكّلون بي؟

فقال: يا مولاي قد فرّج الله عزّ و جلّ عنك، و هربت الرّجاله (١).

قال: فما السّبب؟

قال: إنّ الأعراب الّذين كنت صفعت منهم واحدا، و طالبتهم بالخراج، كبسوا البارحة دار العماله، و عندهم أنّك أنت العامل، و كانوا قد عملوا على قتلك، و لم يكن عندهم خبر صرفك، و لا خبر ورود هذا العامل، فقتلوه على أنّه أنت، و قد هرب أصحابه، و أهل البلد كافه، فقم حتى نمشى إلى بغداد، لا يبلغهم خبر كونك هنا، فيقصدوك، و يقتلوك.

فكسر القيد، و قام هو و غلامه، يمشيان على غير جادّه، إلى أن بعدا، و دخلا قريه، و استأجرا منها ما ركبا إلى بغداد.

و لقي المصروف الوزير، و شنع على المقتول، و قال: قد أفسد الناحيه، و أثار فتنه مع العرب، فأقرّه الوزير [٩٩ م] على النّاحيه، و ضمّ إليه جيشا.

فعاد إلى كوثي، و تحصّن بالجيش، و ساس أمره مع العرب، إلى أن صالحهم، و حطّ لهم من الخراج عمّا كان طالبهم به، و أجرى أمرهم على رسومهم، و سكنوا إليه و سكن إليهم، و زال خوفه و استقام له أمر عمله [٧٥ ر].

ص: ١٥٣

١- الرّجاله، و مفردها: الرّاجل: من الجند، و يستخدمون في جبايه الضرائب، و تنفيذ أوامر المستحثّين و المستخرجين في استحصال الديون الأميريه، راجع القصّه ١/١٢٠ من كتاب نشوار المحاضره، و قد ورد فيها: يخرج المستخرج فيبثّ الفرسان و الرّجاله و المستحثّين... الخ.

الأمين يغضب عمه إبراهيم بن المهدي

ثم يرضى عنه [أخبرني أبو الفرج الأعمى، المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني عمي الحسن بن محمّد، قال: أنبأنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني] (١) هبه الله ابن إبراهيم بن المهدي (٢)، عن أبيه، قال:

غضب عليّ الأمين في بعض [٩٦ ظ] هناته، فسلمني إلى كوثر الخادم (٣)، فحبسني في سرداب، وأغلقه عليّ، فمكثت فيه ليلتي.

فلما أصبحت، إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب، فدفع إليّ وسطا (٤)، فأكلت، ثم أخرج إليّ قنينة شراب، فشربت، وقال غنّ لي:

[١٢٩ غ]

ص: ١٥٤

١- الزيادة من غ، وفي بقيته النسخ: و روى عن إبراهيم بن المهديّ.

٢- أبو القاسم هبه الله بن إبراهيم بن المهديّ العباسيّ: شاعر، موسيقي، من أهل بغداد، أسود اللون، جالس الخلفاء، توفّي سنه ٢٧٥ (الأعلام ٥٦/٩).

٣- كوثر الخادم: كان خادم الأمين الخاص، وكان أثيرا لديه، وعند ما خرج الأمين مستسلما إلى هرتمه ابن أعين القائد، كان كوثر يمشي وراءه حاملا شاره الخلافة، خاتم النبيّ صلوات الله عليه، و برده، و سيفه، و قضيبه، فاعتقله أصحاب طاهر بن الحسين (مروج الذهب ٣٢٦/٢ و الطبري ٤٩١/٨). و لا يدري له خبر بعد ذلك.

٤- الوسط: لون من الطعام الناشف، شديد الشبه بما يسمّى اليوم الساندويج، و كيفيته صنعه: أن يبسط رغيف من الخبز، و تنشر عليه طبقه من لحم الدجاج، ثم تسطر عليه سطور من اللوز و الجوز، و الزيتون، و الجبن، و النعنع، و الطرخون، ثم تفرش فوقها قطع مدوّره من البيض المسلوق، و يغطّى ذلك برغيف آخر من الخبز، ثم يشطر ذلك إلى شطائر، أنظر وصف الوسط لابن الروميّ في مروج الذهب ٥٩٠/٢.

لى مدّه لا بدّ أبلغها فإذا انقضت أيامها متّ

لو ساورتنى الأسد ضاربه لغلبتها ما لم يجئ الوقت

فغنّيته، و سمعنى كوثر، فصار إلى محمّد الأمين، فقال له: قد جنّ عمّك، هو جالس يغنّى بكيت و كيت.

فأمر بإحضارى، فحضرت، و أخبرته بالقصّه، فرضى عنيّ، و أمر لى بسبعمائه ألف درهم (١).

ص: ١٥٥

١- وردت هذه القصّيه فى الأغانى ١٠/١٠٤، و [١] كان محمد الأمين مولعا بغناء عمّه إبراهيم، و كان يوالى صلاته، و قد غنّاه مرّه، فوصله بثلاثمائه ألف درهم، فقال له إبراهيم: يا أمير المؤمنين، قد أجزتنى إلى هذه الغايه بعشرين ألف ألف درهم، فقال له: هل هى إلاّ خراج بعض الكور (الأغانى ١٠/١٣٨).

يتخلصون من المحنة بأيسر الأسباب

[أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر، قال: أنبأنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرني] (١) النورى الصوفى (٢)، قال:

لما كانت المحنة، ورميت أنا وجماعه من الصوفيه بالكفر، أخذنا، فأودعنا المطبق أياما، ثم عرضنا على [ابن] الشاه، و كان الوالى (٣)، و أغرى بسفك دمائنا، فعمل على ذلك، و أخرجنا للمسائله، و ترديد العذاب، و إمراره علينا قبل القتل، و كنا تعاقدنا أن لا نتكلم حتى يكفيننا صاحب الأمر.

فقال للرقام (٤): أنت القائل: إن قولى بسم الله، لجه من نور؟

قال: فسكت، على العقد.

و حضر من ذوى الأقدار و المنزله من استعطف ابن الشاه علينا، و أشار عليه بالتوقف فى أمرنا، و الزيادة فى استيضاح ما قرفنا به.

فقال ابن الشاه للرقام: أنت صوفى، و لعلك تأولت قولك «بسم الله» نورا، و قولك «الحمد لله»، بعد فراغك، نورا.

فصاح الرقام صيحه عظيمه: لحننت أيها الأمير.

قال النورى: فو الله لقد أضحكنى على ما بى.

ص: ١٥٦

١- الزيادة من غ.

٢- أبو الحسن أحمد بن محمد الصوفى المعروف بالنورى: ذكره صاحب اللباب ٢٤٢/٣ و [١] قال إنه لقب بالنورى لحسن وجهه.

٣- محمّد بن غانم، المعروف بابن الشاه، كانت إليه ولايه الشرطه فى الجانب الشرقى من بغداد فى السنه ٢٧٨، ولأمه إياها أبو العباس المعتضد أنابه عن مولاة بدر الذى جعل إليه ولايه الشرطه ببغداد كلّها

٤- الرقام: بفتح الراء و القاف المشدّده، النسبه إلى رقم الثياب (اللباب ٤٧٣/١).

فقال له الأمير: قد صرت تنظر في النحو بعدى، حتى صرت تعرف اللحن من الصواب؟.

فقال له: حاشاك أيها الأمير من اللحن الذي هو الخطأ، وإنما عنيت بقولي لحن، أي فطنت (1)، بمعنى الصوفية.

فقال ابن الشاه: في الدنيا أحد يرمى مثل هذا و أضرابه بالزندقة؟ و أمر بتخليه سبيلنا.

فتخلصنا مما كنا فيه، و مما نحاذره، و كفيينا بأضعف الأسباب و أيسرها.

ص: ١٥٧

١- لحن: فهمت.

عبد الله بن طاهر يطلق الطوسي من حبسه

حبس عبد الله بن طاهر، محمد بن أسلم الطوسي، فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه عن مكانه.

فأجابه: كتبت إلى تعزيني، وإنما كان يجب أن تهينني، أريت العجائب، و عرضت على المصائب، إنني رأيت الله تعالى يتحبب إلى من يؤذيه، فكيف من يؤذى فيه، إنني نزلت بيتا سقطت فيه عني فروض و حقوق، منها الجمعة، و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و عياده المريض، و قضاء حقوق الإخوان، و ما نزلت بيتا خيرا لي في ديني منه.

فأخبر بذلك ابن طاهر، فقال: نحن في حاجة إلى ابن أسلم، أطلقوه.

فأفرج عنه (١).

ص: ١٥٨

١- الحبس لون من ألوان العذاب، و لذلك كانت الشكوى منه عامه، و من أظهر من المحبوسين تجلدا، فليس ذلك لأنه لم يتألم، لكنه تظاهر بخلاف ما يعاني، و من هذا اللون قصيده علي بن الجهم التي مطلعها [المحاسن و الأضداد ٢٨]: [١] قالوا: حبست فقلت: ليس بضائري حبسى و أئى مهتد لا يغمد و قد نقض علي ابن الجهم، قصيدته هذه، عاصم بن محمد الكاتب، بقصيدته التي مطلعها [المحاسن و الأضداد ٢٩]: [٢] قالوا: حبست، فقلت: خطب أنكد أنحى علي به الزمان المرصد و ما أحسن قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما حبس [المحاسن و الأضداد ٣٠]: [٣] خرجنا من الدنيا و نحن من اهلها فلسنا من الأموات فيها و لا الأحيا إذا دخل السجان يوما لحاجه عجبنا، و قلنا: جاء هذا من الدنيا و تفرح بالرؤيا، فجلّ حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا فإن حسنت كانت بطيئا مجيئها و إن قبحت لم تنتظر و أنت سعيًا

المأمون يغضب على فرج الرخجى

ثم يرضى عنه، ويقامده فارس و الأهواز و كان [١٠٠ م] المأمون قد غضب على فرج الرخجى (١)، فكلمه عبد الله بن طاهر، و مسرور الخادم (٢)، فى إطلاقه.

قال فرج: فبتّ ليلتى، فأتانى آت فى منامى، فقال لى:

لما أتى فرجا من ربّه فرج جننا إلى فرج نبغى به الفرجا

فلما كان من الغد، لم أشعر إلاّ و اللواء قد عقد لى على ولاية فارس و الأهواز، و أطلق لى خمسمائه ألف درهم معونه.

فإذا أبو الينبغى الشاعر على الباب، و قد كتب هذا البيت فى رقعته.

فقلت له: متى قلته؟

قال لى: البارحة، [فى الوقت الذى رضى عنك فيه] (٣).

فأمرت له بعشره آلاف درهم.

ص: ١٥٩

١- أبو الفضل فرج بن زياد الرخجى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٢٩ من الكتاب.

٢- أبو هاشم مسرور الخادم، الملقّب مسرور الكبير: كان يخدم المهديّ و كان يرافقه فى سفرته التى مات فيها بماسبذان سنه ١٦٩، ثم خدم الرشيد، و كان يرافقه فى سفرته التى مات فيها بطوس سنه ١٩٣، و كان أثيرا عند الرشيد، موضع سرّه، و منقذ أمره، و هو الذى قتل جعفر البرمكىّ بأمره، و لما اعتقل البرامكه أمر الرشيد أن يجعل عليهم حفظه من قبل مسرور، و كان الرشيد يتّهمه بأنّه عين للمأمون عليه، كما كان يتّهم بختيشوع بأنّه عين الأمين، و استمرّت حرمة أيام المأمون و المعتصم، و مات فى أيامه (الطبرى) (٥٣٢، ٣٤٤، ٣٣٩، ٣٢٣، ٢٩٦، ٢٩٥، ١٦٩/٨، و ٧/٩ و [١] الكامل ٤٤٣، ٣٠٧، ٢١٤، ٢١٢، ٢٠٧، ١٧٨/٦).

٣- الزيادة من غ و م.

محبوس يتحدث عن هلاك الحجاج

[قال عماره بن عقبه، من آل سلمى بن المهير، حدّثني ملازم بن حرام الحنفي، عن عمّه [١] ملازم بن قريب [٢] الحنفي، قال:

كنت في حبس الحجاج بسبب الحروريّه [٣]، فحبس معنا رجل، فأقام حيناً لا نسمعه يتكلّم بكلمه.

حتّى كان اليوم الذي مات الحجاج في الليله التي تليه، أقبل غراب في عشيه [٩٧ ظ] ذلك اليوم، فوقع على حائط السجن، فنعق.

فقال [١٣٠ غ] له الرّجل: و من يقدر على ما تقدر عليه يا غراب؟

ثمّ نعق الثانيه، فقال: مثلك من بشر بخير، يا غراب.

و نعق الثالثه، فقال له: من فيك إلى السماء يا غراب.

فقلنا له: ما سمعناك تكلمت منذ حبست إلى الشاعه، فما دعاك إلى ما قلت؟

فقال: إنّه نعق الأولى، فقال: وقعت على ستره [٤] الحجاج.

ص: ١٦٠

١- الزيادة من غ.

٢- في غ: حريب، و في م: حريز.

٣- الحروريه: راجع حاشيه القصّه ١٠٨ من الكتاب.

٤- الستره: الستر، في اللّغه: الغطاء، و ستره السطح و جمعها ستر، بضم السين و فتح التاء: ما يبني حوله ليستر من فيه عن الجيران، و البغداديون ينامون ليلاً في سطوحهم، و يقيمون ستره عاليه بعض الشىء من الطابوق، لتحجز بين أهل كلّ سطح و بين جيرانهم، و هم الآن يسمّون الستره: تيغه، فارسيه، بمعنى القمه، أو الحافه، و تصفّ فيها الطوايق واحده فوق الأخرى على حافات الرقيقه، فتكون الستره، رقيقه، سهله القلع، و بالنظر لسهوله قلعها، فقد كانت تتخذ سلاحاً للمستقرّ في السطح، يرمى به الماشى في الطريق، (راجع القصّه ٣٠٧ من هذا الكتاب، و صله الطبرى ٦٩ و ٨١ و التكملة ١٢٥ و كتاب الاعتبار لأسامه ٢٢)، و أذكر أنّ آخر مرّه استعمل فيه رمى طابوق الستره،

فقلت: و من يقدر على ما تقدر عليه؟

ثم قال فى الثانية: إنَّ الحجاج وجع.

فقلت: مثلك من بشر بخير.

ثم نعى الثالثه، فقال: الليله يموت الحجاج.

فقلت: من فيك إلى السماء.

ثم قال: إن انبلج الصبح قبل أن أخرج، فليس على بأس، و إن دعيت قبل الصبح، فستضرب عنقى، ثم تلبثون ثلاثا لا يدخل عليكم أحد، ثم يستدعى بكم فى اليوم الرابع فتطالبون بالكفلاء (١)، فمن وجد له كفيلا، خلى سبيله، و من لم يوجد له كفيلا، فله ويل طويل.

فلما دخل الليل سمعنا الصراخ على الحجاج، و أخذ [٧٦ ر] الرجل قبل الصبح فضربت عنقه، ثم لم يدخل علينا أحد ثلاثة أيام.

فلما كان فى اليوم الرابع استدعينا، فطلب منا الكفلاء، حتى صار الأمر إلى، فلم يكن لى كفيلا.

فمكثت طويلا حتى خفت أن أرد إلى الحبس، فتقدم رجل فضمننى.

فقلت له: من أنت يا عبد الله، حتى أشكرك.

فقال: اذهب، فلست بمسئول عنك أبدا.

فانطلقت.

ص: ١٦١

١- فى غ: فيهتف على رءوسكم بالكفاله.

يحسن إلى كاتب بغا الكبير على غير معرفه منه له

و قال عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي (١):

كنت أكتب لبغا الكبير (٢)، فصرفني، و نكبنني، و أخذ مالي و ضياعي، و حبسني بعد ذلك، و تهدّدي، و نالني منه كلّ مكروه.

فإنّي لفي حبسه، إذ سمعت حركه، فسألت عنها، فقيل لي: قد وافى إسحاق بن إبراهيم الطاهري، صاحب الشرطه.

فقلت: إنّما حضر لعقوبتي، فطارت نفسي جزعا.

فلم ألبث أن دعيت، فحملت إليه في قيودي، و عليّ ثياب في نهايه الوسخ، فأدخلت عليه كالميت لما بي و لعظيم الخوف، فلما وقعت عين إسحاق عليّ، تبسّم، فسكنت نفسي.

فقال لي بغا: إنّ أخي أبا العباس -يعني عبد الله بن طاهر- كتب إليّ يشفع في أمرك، و قد شفّعته، و أزلت عنك المطالبه، و رضيت عنك، و رددت عليك ضياعك، فانصرف [١٠١ م] إلى منزلك.

فبكيت بكاء شديدا، لعظم ما ورد على قلبي من السرور، ففكّك قيودي، و غيرت حالي، و انصرفت.

فبتّ ليلتي (٣)، و بكرت في السّحر إلى إسحاق لأشكره، و أسأله عمّا أوجب

ص: ١٦٢

١- أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الإسكافي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٧٤ من الكتاب.

٢- أبو موسى بغا: القائد التركي المعروف بالكبير، من موالى المعتصم، و أحد قوّاده الكبار، شارك في معارك بابك الخرمي، و ظفر في جميعها، و هو الذي اعتقل الأفشين لما غضب عليه المعتصم، و اشترك في قتل المتوكّل، توفّي سنة ٢٤٨ (العيون و الحدائق ٣٨٥، تجارب الأمم ٥٣٣، ٥٢٣، ٤٧٤/٦، ٥٦٣، ٥٦٢، ٥٥٤).

٣- في غ و م: فبتّ في بيتي.

ما جرى، لأنه شيء ما طمعت فيه، ولا كانت لي وسيلة إلى أبي العباس ولا إسحاق، فلقيته، وشكرته، ودعوت له ولأبي العباس، وسألته عن سبب ذلك.

فقال: ورد عليّ كتاب الأمير أبي العباس يقول: قد كانت كتب أبي موسى بغا ترد عليّ بمخاطبات توجب الأُنس والخلطة، وتلزم الشكر والمنّة، ثمّ تغيّرت، فبحثت عن السبب، فعلمت أنّ ذلك الكاتب صرف، وأنّه منكوب، وحقّ لمن أحسن عشرتنا، وكّد المحبه بيننا وبين إخواننا، حتّى بان لنا موقعه، وعرفنا موضعه لِمَا صرف، أن نرعى حقّه، فصرّ -أبقاك الله- إلى أخي أبي موسى، وسله في أمر كاتبه المصروف، عنيّ، واستصفحه عمّا في نفسه منه، واستطلقه، وسله ردّه إلى كتبه، وإن كان ما يطالبه به ممّا لا ينزل عنه، فأدّه عنه من مالنا، كائنا ما كان.

فلقيته، ففعل ما رأيت، وأنا أعاود الخطاب في استكتابك، وقد أمر لك الأمير بكذا وكذا، من المال، فخذ.

فأخذته، وشكرته، ودعوت للأميرين، وانصرفت.

فما مضت إلاّ أيام، حتّى ردّني إسحاق إلى كتابه بغا بشفاعه أبي العباس، ورجعت حالي ونعمتي (١).

ص: ١٤٣

١- في غ: وتأثّلت حالي معه.

كيف تخلص عمر بن هبيرة من السجن

[حدّثني علي بن أبي الطيب، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدّثني سليمان بن أبي شيخ (١)، قال: (٢) حدّثنا سليمان ابن زياد (٣)، قال:

كان عمر بن هبيرة، واليا على العراق (٤)، ولأه يزيد بن عبد الملك (٥)، فلتمّ ما مات يزيد بن عبد الملك [١٣١ غ]، واستخلف هشام، قال [٩٨ ظ] عمر بن هبيرة: سيولّي هشام العراق، أحد الرّجلين، سعيدا الحرشي (٦)،

ص: ١٦٤

١- أبو أيوب سليمان بن أبي شيخ منصور بن سليمان الواسطي (١٥١-٢٤٦): ترجم له الخطيب في تاريخه ٥٠/٩ و ٥١.

٢- الزيادة من غ.

٣- في غ: سليمان بن أبي زياد.

٤- أبو المثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى الفزاري: بدوي، أمي، داهية، شجاع، ولأه يزيد بن عبد الملك العراق و خراسان، وكانت عمالته ستمائة ألف درهم، وعزله هشام بخالد القسري، فحبسه، وفرّ عمر من السجن، والتجأ إلى مسلمة بن عبد الملك، فأمن (الأعلام ٢٣٠/٥) و [١] كان أميّا، إلا أنه كان يتظاهر بقراءة الكتب الواردة عليه، فاذا خلا أمر إحدى جواريه بالتوقيع عليها، راجع في البصائر و الذخائر م ٢ ق ١ ص ١٢٣ كيف احتال كتابه فكشفوا أمره.

٥- في الأغاني ١٢٨/١٥: [٢] غلبت حبابه على يزيد، وتبني بها عمر بن هبيرة، فعلت منزلته، حتى كان يدخل على يزيد في أي وقت شاء، وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق، فعملت حبابه لابن هبيرة في ولاية العراق، حتى وليها.

٦- أبو يحيى سعيد بن عمرو بن الأسود الحرشي: من قواد الدولة الأمويّة، اشترك في محاربه ابن الأشعث (الطبري ٣٦١/٦) و [٣] في محاربه الخوارج (الطبري ٥٧٧/٦) [٤] ثم ولأه عمر بن هبيرة خراسان (الطبري ٦١٩/٦) [٥] ثم عزله (الطبري ١٥/٧) [٦] فانحاز إلى جانب العباسيين، و اشترك في محاربه المقتنع الخراساني، وقتله (الطبري ١٣٥/٨ و ١٤٤) و [٧] خدم المهديّ (الطبري ١٦٧/٨) و [٨] الرشيد (الطبري ٣١٦/٨).

أو خالد بن عبد الله القسري (١)، فإن ولي ابن النصرانيه (٢)، خالد، فهو البلاء.

فولي هشام خالد العراق، فدخل واسطا، وقد أذن عمر بالصلاه، وقد تهيأ، واعتم، وبیده المرآه يسوی عمامته، إذ قيل له: هذا خالد قد دخل.

فقال عمر: هكذا تقوم الساعه، تأتي بغته.

فتقدم خالد، وأخذ عمر بن هبیره، فقیده، وألبسه مدرعه صوف، فقال له: يا خالد، بثس ما سنتت على أهل العراق، أ ما تخاف أن تصرف فتبتلى بمثل هذا (٣)؟

فلما طال حبسه، جاء مواليه، واکتروا دارا بجانب الحبس، ثم نقبوا منها سربا إلى الحبس، واکتروا دارا إلى جانب سور المدینة، ومدینة واسط، فلما جاءت الليله ألتی أرادوا أن یخرجوه فیها من الحبس، وقد أفضی النقب إلى الحبس، فأخرج فی السرب، ثم خرج من الدار یمشی، حتّى بلغ الدار التي إلى جانب السور، وقد نقب فی السور نقب إلى خارج المدینة، وقد هیأت له خیل، و فرکب و سار، و علم به بعد ما أصبحوا، وقد كان أظهر عله قبل ذلك لیمسکوا عن تفقده فی کل وقت.

فأتبعه خالد، سعید الحرشی، فلحقه، و بینة و بین الفرات شیء یسیر، فتعصّب له [١٠٢ م] و تركه (٤).

ص: ١٦٥

١- أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري (٦٦-١٢٦): أمير العراقين، وأحد خطباء العرب و أجوادهم، ولي مکه للوليد بن عبد الملك، ثم ولي العراقين لهشام، و استمرت ولايته ١٥ سنة، و عزله بيوسف بن عمر الثقفي فاعتقله يوسف، و عذبه، و قتله (الأعلام ٣٣٨/٢).

٢- كانت أم خالد نصرانيه، قال الفرزدق: ألقطع الرحمن ظهر مطيه أتنا تهادي من دمشق بخالد و كيف يؤم المسلمين و أمه تدين بأن الله ليس بواحد

٣- ولي يوسف بن عمر الثقفي، تعذيب خالد بن عبد الله القسري، و قتله، راجع الطبري ٢٦٠/٧.

٤- جيء بابن هبیره، إلى خالد القسري، مغلولاً، مقيداً، في مدرعه، فلما صار بين يدي خالد ألقته الرجال إلى الأرض، فأمر به إلى الحبس، ففرّ إلى مسلمه، بالشام، فأجاره، و استوهبه من

فقال الفرزدق (١) في ذلك:

ولما رأيت الأرض قد سدّ ظهرها و لم يبق إلا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعد ما ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا (٢)

خرجت و لم يمنن عليك سفاهه (٣) سوى زائد التقريب من آل أعوجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليله ١٤

و ما سار سار مثلها حين أدلجا ١٥

[قال سليمان بن أبي شيخ: فحدثني ابن أبي خيره ١٦، عن أبي الجحباب،

ص: ١٦٦

١- أبو فراس همّام بن غالب بن صعصعه التميمي الدارمي، الشهير بالفرزدق: شاعر بصريّ نبيل، عزيز الجانب، كان أبوه من الأشراف الأجواد، وكذلك جدّه، توفّي بباده البصره سنه ١١٠ و قد قارب المائة (الأعلام ٩٦/٩).

٢- المظلمات الثلاث: ظلمه الليل، و ظلمه البحر، و ظلمه بطن الحوت.

٣- في غ و م: طلاقه.

قال: حدّثني [١] خازم، مولى ابن هبيرة، قال:

كنت مع عمر بن هبيرة حين هرب من السّجن، فسرنا حتّى بلغنا دمشق، بعد العتمة، فأتى مسلمة بن عبد الملك، فأجاره، وأنزله معه في بيته، وصرّى مسلمة خلف هشام الصّبح.

فلما دخل هشام داره، استأذن عليه مسلمة، فأذن له، فدخل.

فقال له هشام: يا أبا سعيد، أظنّ ابن هبيرة قد طرقك الليلة.

قال: أجل يا أمير المؤمنين، وقد أجرته، فهبه لى.

قال: قد وهبته لك [٢].

ص: ١٦٧

١- الزيادة من غ.

٢- ورد الخبر في مخطوطه (د) ص ١٦٢ و ١٦٣.

كيف تخلص قيسبه بن كلثوم من أسره

[أخبرني أبو الفرج القرشي، المعروف بالأصبهاني، قال: (١) ذكر ابن الكلبي عن أبيه، قال:

خرج قيسبه بن كلثوم السكوني، و كان ملكا، يريد الحج، و كانت العرب تحج في الجاهلية، فلا يعرض بعضها لبعض.

فمرّ بيني عامر بن عقيل، فوثبوا عليه، و أسروه، و أخذوا ماله، و كل ما كان معه، و ألقوه في القد (٢)، فمكث فيه ثلاث سنين، و شاع في اليمن (٣)، أن الجن استطارته.

فبينما هو في يوم شديد البرد، في بيت عجوز منهم، آيس من الفرج،

ص: ١٦٨

١- الزيادة من غ.

٢- جاء في الأغاني ٤/١٣: [١] القد سير يقد من جلد غير مدبوغ، يتخذ منه السوط و يقيد به الأسير.

٣- اليمن: قال ياقوت رحمه الله في معجم البلدان ١٠٣٤/٤: [٢] حدود اليمن ما بين عمان إلى نجران، ثم تلتوى على بحر العرب إلى عدن، إلى الشحر، و قال: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، يريد لأنها عن يمين الحجازي، أقول: إن اليد اليمين، إنما سميت يميناً، لأنها في جهة اليمن، و قد كانت بلاد اليمن، بالنسبة للحجازي، بلاد اليمن و الخير و البركة، و لذلك سمّاها: اليمن السعيدة، و قال عمر بن أبي ربيعة: بالله قولي له في غير معتبه ما ذا أردت بطول المكث في اليمن إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن و بعكس ذلك كانت بلاد الشام، بالنسبة للحجازي، فهي بعيدة المنتجع، تحول بينه و بينها جبال و صحارى، و مفاوز و مهالك، فسمي الأول: اليمن، من اليمن، و سمي الثانية: شأما، من الشؤم، و سمي اليد اليمنى: اليمين، نسبة لليمن، و كره أن يسمى اليد الأخرى شؤماً، فسماها يساراً، كما سمي اللديغ سليماً، و الأعمى بصيراً، و المهلكه مفازه.

إذ قال لها: أ تاذنين لى أن آتى الأكمه، فأتشرق عليها (١)؟ فقد أضربى البرد.

فقال له: نعم، و كانت عليه جبّه حبره (٢)، لم يترك عليه غيرها.

فمشى فى قيوده حتّى صعد الأكمه، ثمّ أقبل يضرب ببصره نحو اليمن، و تغشاه عبره، فبكى، ثمّ رفع طرفه إلى السماء، فقال: اللهم فاطر السماء، فرّج لى ممّا أصبحت فيه.

فبينما هو كذلك، إذ عرض له راكب [١٣٢ غ] يسير، فأشار إليه أن أقبل، فأقبل عليه الراكب، فقال له: ما حاجتك؟

قال: أين تريد؟

قال: أريد اليمن.

قال: و من أنت؟

قال: أبو الطمحان القينى (٣)، فاستعبر قيسبه.

فقال أبو الطمحان: من أنت؟ فإنّى أرى عليك سيما الخير و لباس الملوك، و أنت بدار ليس فيها ملك.

فقال: أنا قيسبه بن كلثوم السكونى، خرجت عام كذا و كذا حاجًا، فوثب علىّ أهل هذا الحى، و صنعوا بى ما ترى و كشف له عن أغلاله و قيوده، فاستعبر [٩٩ ظ] له أبو الطمحان.

فقال له قيسبه: هل لك فى مائه ناقه حمراء؟

قال: ما أحوجنى إلى ذلك.

ص: ١٦٩

١- التشرق: القعود فى المشرق، و هى موضع الشمس فى الشتاء.

٢- الحبره: ضرب من برود اليمن، كما أنّ الملاءات السوداء التى تلبسها النساء تسمى: حبره، و ثمّيه نوع من القماش يشبه الحرير، يسميه أصحاب البزّ فى بغداد: حبر.

٣- أبو الطمحان حنظله بن شرقى القينى: شاعر من قضاة، فارس، معمر، عاش فى الجاهليه، و أدرك الإسلام، فأسلم، و هو صاحب البيت المشهور: (الأعلام ٣٢٢/٢) [١] أضاءت لهم أحسابهم و وجوههم دجى الليل حتّى نظم الجزع ثاقبه

قال: أنخ، فأناخ.

ثم قال: أ معك سكين؟

قال: نعم.

قال: ارفع لي عن رحلك، فرفع له عن رحله، حتى بدا خشب مؤخر الرحل.

فكتب عليه بالمسند (١)، و ليس يكتب به غير أهل اليمن:

بلغن كنده الملوك جميعا حيث سارت بالأكرمين الجمال

أن ردوا الخيل بالخميس (٢) عجالا و اصدروا عنه و الروايا ثقال

هزئت جارتى و قالت عجيبا إذ رأتنى فى جيدى الأغلال

إن ترينى عارى العظام أسيرا قد برانى تضعضع و اختلال

فلقد أقدم الكتيبه بالسى ف على السلاح و السربال

و كتب تحت الشعر إلى أخيه، أن يدفع لأبى الطمحان مائه ناقه حمراء، ثم قال له: أقرئ هذا قومى، فإنهم سيعطونك مائه ناقه حمراء.

فخرج تسير به ناقته، حتى أتى حضرموت (٣) فتشاغل بما ورد له، و نسى أمر قيسبه، حتى فرغ من [١٠٣ م] حوائجه.

ثم سمع نسوه من عجائز اليمن، يتذاكرن قيسبه، و يبكين، فذكر أمره، فأتى أخاه الجون بن مالك، [و هو أخوه لأبيه و أمه] (٤)، فقال له:

يا هذا، أنا أدلك على قيسبه، و قد جعل لي مائه ناقه حمراء.

فقال: هي لك.

ص: ١٧٠

١- المسند: الخط الحميرى.

٢- إذا أراد الرجل سفرا بعيدا، أو رد إليه الخمس، راجع لسان العرب مادة خمس.

٣- حضرموت: كلمه مركبه من اسمين، مثل سرمن رأى، و رامهرمز، و هي ناحيه واسعها شرقى عدن، راجع معجم البلدان ٢/٤٨٤.

٤- الزيادة من غ، و م، و من الأغاني ٦/١٣.

فكشف له عن الرّحل، فلَمَّا قرأه الجون بن مالك، أمر له بمائه ناقه حمراء.

ثمّ أتى قيس بن معدى كرب الكندى (١)، [أبا الأشعث بن قيس] (٢)، فقال له: يا هذا إنّ أخى فى بنى عامر بن عقيل أسيرا، فسر معى بقومك لنخلصه.

فقال له قيس: تسير تحت لوائى، حتّى أطلب ثأرك و أنجدك، وإلاّ فامض راشدا.

فقال له الجون: مسّ السماء أيسر من ذلك، و أهون علىّ ممّا جئت به.

فضجّت السكون ثمّ فاءوا، و رجعوا، و قالوا له: و ما عليك من هذا؟ هو ابن عمّك، و يطلب لك بثأرك، فأنعم له بذلك.

و سار قيس، و سار معه الجون تحت لوائه، و كنده و السكون معه، [فهو أوّل يوم اجتمعت فيه السكون و كنده لقيس] ١ و به أدرك الشرف، فسار حتّى أوقع بينى عامر بن عقيل، فقتل منهم مقتله عظيمه، و استنقذ قيسه، فقال فى ذلك سلامه بن صبيح الكندى (٣):

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم ألفى كميّ كلّها سلهبه (٤)

نحن أبلنا الخيل فى أرضكم حتّى ثأرنا منكم قيسه

و اعترضت من دونها مذحج فصادفوا من خيلنا مشغبه (٥)

ص: ١٧١

١- أبو الأشعث قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبله الكندى: كان صاحب مرباع حضرموت، مات قتيلًا- فى إحدى المعارك (الأعلام ٦/٦٠).

٢- الزيادة من غ و م، و من الأغانى ١٣/٦، و [٢] هو أبو محمّد الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى (٢٣ ق- ٤٠ هـ): رئيس كنده فى الجاهليه و الإسلام، كانت إقامته فى حضرموت، و وفد على النبي فأسلم، ثم امتنع عن بيعه أبى بكر، و حارب الجيش الإسلامى فأسره، و منّ عليه أبو بكر فأطلقه و زوّجه أخته أمّ فروه، فأقام بالمدينه، ثم بالعراق، و مات بالكوفه (الأعلام ١/٣٣٤).

٣- فى غ: مسلمه بن صبيح الكندى.

٤- السلهب: الطويل العظام.

٥- وردت القصّه فى الأغانى ١٣/٣-٦.

جاءه الفرّج من حيث لم يحتسب

حدّثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق [الكاتب، ابن يعقوب بن إسحاق بن البهلول التنوخي] (١) قال:

كنت، و أنا حدث، أتعلّم في ديوان زمام السواد، بين يدي كاتب فيه، يقال [١٣٣ غ] له أبو الحسن عليّ بن الفتح، ويعرف بالمطوّق (٢)، عاش إلى بعد سنه عشرين و ثلاثمائه، وأخرج إلينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء، منذ وفاه عبيد الله بن خاقان، إلى آخر أيام القاهرة بالله، أو بعدها (٣) - [الشكّ من أبي الحسن أحمد بن يوسف] ١ - وسمّاه: كتاب مناقب الوزراء و محاسن أخبارهم (٤)، فقرأ علينا بعضه، و أخبرنا بالباقي مناو له.

[قال مؤلّف هذا الكتاب: و أعطاني أبو الحسن أحمد بن يوسف، هذا الكتاب، مناو له] (٥)، فوجدت فيه: أنّ القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العباس أحمد بن محمّد بن بسطام (٦) في داره [أيّاماً، لأشياء كانت في نفسه عليه،

ص: ١٧٢

١- الزيادة من غ.

٢- أبو الحسن عليّ بن الفتح المعروف بالمطوّق: ترجم له ابن النديم في الفهرست ص ١٤٣.

٣- في الفهرست ١٤٣: إنّه وصل به كتاب محمّد بن داود الجراح و عمله إلى أيام أبي القاسم الكلوزاني، أقول: تقلّد أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الكلوزاني وزاره المقتدر في ٥ رجب سنه ٣١٩ (تجارب الأمم ١/٢١٢) و كانت مدته وزارته شهرين و ثلاثه أيام (تجارب الأمم ١/٢١٩).

٤- سماه صاحب الفهرست ص ١٤٣: كتاب الوزراء.

٥- الزيادة من غ، و م.

٦- أبو العباس أحمد بن محمّد بن بسطام: صهر حامد بن العباس وزير المقتدر، ضمن واسط في أيام المعتضد، و عجز عن سداد بدل الضمان، فحبسه المعتضد، ثم أطلقه و أعاده إلى عمله، راجع القصّه في كتاب الوزراء ٩٦، و [٣] كان في السنه ٢٩٣ عاملاً على الشام، و كان عظيم الرئاسة، يقوم عن يمينه و شماله مائه حاجب (القضاء للكندي ٥٢٤ و ٥٢٥)، و [٤] في السنه ٢٩٦ قلّده الوزير أبو الحسن بن

و أراد أن يوقع به [٥] فلم يزل ابن بسطام، يداريه، و يلطف به، إلى أن أطلقه، و قلده آمد (١)، و ما يتصل بها من الأعمال، و أخرجه إليها، و في نفسه ما فيها، ثم ندم على ذلك، فوجه إليه في آخر أيام وزارته بقائد يقال له علي بن حبش، ابن أخي قوصره ٨، و وَّكَّله به، فكان يأمر و ينهى في عمله، و هو موكل به في داره، خائف على نفسه، لما ظهر من إقدام القاسم على القتل ٩.

قال ابن بسطام: فأنا أخوف ما كنت على حالي و نفسي، و ليس عندي خبر، حتى ورد عليّ كتاب عنوانه: لأبي العباس أطال الله بقاءه، من العباس بن الحسن ١٠.

ص: ١٧٣

١- آمد: من أعمال ديار بكر (معجم البلدان ٦٣٧/٢).

فلما رأيت العنوان ناقص الدعاء، علمت أنّ القاسم بن عبيد الله قد مات، و أنّ العباس بن الحسن قد تقلّد وزاره (١)، فلم أتمالك نفسي فرحا و سرورا بالسلامه في نفسي، و زوال الخوف عني.

و قرأت الكتاب، فإذا هو بصحّ الخبر، و يأمرني بالخروج إلى مصر، و تقلّد الأمانه على الحسين بن أحمد المادرائي (٢).

قال على بن الفتح: فخرج ابن بسطام [١٠٠ ظ] إلى مصر، و لم يزل يتقلّد الأمانه على الحسين بن أحمد إلى أن تقلّد على بن محمّد بن الفرات وزاره، فقلّده مصر و أعمالها، قال: فلم يزل بها إلى أن مات.

ص: ١٧٤

١- لما كان العباس بن الحسن صاحب ديوان، كان يخاطب ابن بسطام بدعاء أكثر، فلما نقص الدعاء، علم أنّ العباس قد ارتفعت مرتبته، و استنتج أنّ الوزير القاسم مات، و أنّ العباس قد وُزّر، و لما فتح الكتاب تأيّدت له صحّ ظنونه، راجع في كتاب الوزراء للصابي [١] ص ١٧٢-١٧٨ التقليد المتّبع في مراسلات الوزير مع الأمراء و العمّال و رجال الدوله.

٢- أبو على الحسين بن أحمد بن رستم المادرائي، الملقّب بأبي زنبور: من نبلاء الكتاب في عصر ابن طولون، قلّده المكتفى خراج مصر سنه ٢٩٢، و أقرّه المقتدر، ثم سخط عليه، فأحضره إلى بغداد، و صادره، ثم أعاده إلى مصر، فمات بدمشق سنه ٣١٤ (الأعلام ٢/٢٤٨).

[حدّثنا أبو محمّد عبد الرحمن الورداني المعروف بالصيرفيّ (١)، ابن أبي العباس محمّد بن أحمد الأثرم (٢)، المقرئ البغدادي، بالبصرة، في المحرّم سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة، بكتاب المبيّضه، لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمّار، في خبر العلويّ الصوفيّ (٣)، الخارج بالجوزجان (٤)، على المعتصم، وهو محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (١٠٤ م) رضى الله عنهم أجمعين، وكان عبد الله بن طاهر حاربه، وأسره، و بعث به إلى المعتصم، وهو ببغداد (٥)، قال: حدّثنا أبو العباس بن عمّار، قال: حدّثنا أبو الحسن النوفلي، وهو عليّ بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل] (٦) قال:

ص: ١٧٥

- ١- أبو محمّد عبد الرحمن بن أبي العباس محمّد بن أحمد بن حمّاد، المعروف بالصيرفيّ: ترجم له الخطيب في تاريخه ٢٩٧/١٠.
- ٢- أبو العباس محمّد بن أحمد بن حمّاد المعروف بابن الأثرم، أستاذ القاضي التنوخيّ، مؤلف هذا الكتاب: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٧ من الكتاب.
- ٣- العلويّ الصوفيّ: أبو جعفر محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، عالم، فقيه، زاهد، طالب، ثائر، من أهل الكوفه، لقّب بالصوفيّ، لإدماجه لبس ثياب الصوف الأبيض، خرج أيام المعتصم بالطالقان، واستفحل أمره، فحاربه عبد الله بن طاهر، وأسره، و بعث به مقيّدا إلى بغداد، فحبسه، و فرّ من الحبس (الأعلام ٢٢٥/٧).
- ٤- الذي في كتب التاريخ (العيون و الحداثق ٣٨٢، و تجارب الأمم ٤٧١/٦) أنّ العلويّ الصوفيّ ظهر بالطالقان، و هي مدينه بخراسان بين مرو الروذ و بلخ (معجم البلدان ٤٩١/٣)، و [٢] الظاهر أنّها جزء من الجوزجان التي وصفها ياقوت، بأنّها كوره واسعه بخراسان بين مرو الروذ و بلخ (معجم البلدان ١٤٩/٢).
- ٥- كان ذلك في السنه ٢١٩ (العيون و الحداثق ٣٨٢ و تجارب الأمم ٤٧١/٦).
- ٦- ما بين القوسين من غ و م، و في ظ: لما حارب عبد الله بن طاهر محمّد بن القاسم الصوفيّ العلويّ، أسره، و حمله إلى المعتصم، فبنى له حبسا في بستان موسى.. الخ.

حدّث أنّ المعتصم أمر أن يبنى حبس في بستان موسى، كان القيم به مسرور مولى الرّشيد.

قال: و كنت أرى أعلى هذا البناء من دجله إذا ركبته، إذ كان كالبئر العظيم، قد حفرت إلى الماء، أو قريب منه، ثم بنى فيها بناء على هياها المنارة، مجوّف من باطنه، و هو من داخله مدرّج، قد حفر فيه، في مواضع من التدرّج، مستراحات، و بنى في كلّ مستراح شبيها بالبيت، يجلس فيه رجل واحد، كأنّه على مقداره، يكون مكبوا على وجهه، لا يمكنه أن يجلس فيه، و لا يمدّ رجله (1)، فلمّا قدم محمّد، حبس في بيت في أسفل ذلك الحبس، فلمّا استقرّ فيه أصابه من الجهد لضيقه، و ظلمته، و من البرد أمر عظيم، لنداوه الموضع و رطوبته، فكاد أن يتلف من ساعته.

فتكلّم بكلام دقيق سمعه من كان في أعالي البئر ممّن و كلّ بالموضع، فقال: إن كان أمير المؤمنين يريد قتلى، فالسّاعه أموت، و إن لم يكن يريد قتلى فقد أشفيت عليه.

فأخبر المعتصم بذلك، فقال: ما أريد [١٣٤ غ] قتله، و أمر بإخراجه.

فأخرج و قد زال عقله، و أغمى عليه، فطرح في الشّمس، و طرح عليه اللّحف، و أمر بحبسه في بيت كان قد بنى في البستان، فوّه غرقه، و كان في

ص: ١٧٦

١- الحجر في الحبوس الضيقه، من جملة العذاب الذي كان الناس يعدّون به، و قد أسلفنا وصف حبس الحجّاج في حاشية القصّه ٦٧ من هذا الكتاب، كما وصفنا كيفيه معامله المنصور لآل الحسن في سجنه، في القصّه ٣١٨ من هذا الكتاب، و في القصّه ٢٠٤ من الكتاب، إنّ مطبق المهدى، كان من الظلمه بحيث أنّ وزيره يعقوب بن داود عمى و هو فيه، و حبس الرّشيد أبا العتاهيه في بيت سعته خمسّه أشبار في مثلها (الأغاني ٦٤/٤) و حبس المعتصم الأفسين، في بناء كالمناره، في وسطها مقدار مجلس رجل واحد (العيون و الحدائق ٤٠٥)، و حبس المتوكّل وزيره ابن الزيات في تنور من الخشب فيه مسامير من حديد تمنعه من الجلوس (الطبري ١٥٩/٩)، راجع بحث «المطبق» و بحث «المطموره» في حاشية القصّه ١٨٣ من هذا الكتاب، و بحث «العذاب» في حاشية القصّه ٣٥٨ من هذا الكتاب.

البيت خلاء إلى الغرفه التي فوقه، و في الغرفه أيضا خلاء آخر إلى سطحها، فلم يزل محبوسا فيه حتى تهتأ له الخروج في ليله الفطر سنه تسع عشره و مائتين.

قال: فحدّثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين، و هو ابن عمّ أبيه، قال: أصبحت يوم الفطر، و أنا أتهتأ للركوب إلى المصلّى، فأنا أشدّ منطقتي في وسطى، و قد لبست ثيابي أبادر الركوب إلى المصلّى. فما راعني إلاّ محمّد بن القاسم، قد دخل إلى منزلي، فملاّني رعبا و ذعرا.

و قلت له: كيف تخلّصت؟.

فقال: أنا أدبر أمرى في التخلّص منذ حبست، و وصف لي الخلاء الّذى كان في البيت الّذى حبس فيه إلى الغرفه التي فوقه، و الخلاء الّذى كان في الغرفه إلى سطحها.

قال: و أدخل معي يوم حبست، لبد (١)، فكان وطائي و فراشي (٢).

قال: و كنت أرى بغيرش (٣)، و هي قرية من قرى خراسان، حبالا- تعمل من لبود، و تضفر كما يفعل بالسيور، [فتجىء أحكم شيء، فسوّلت لي نفسى أن أعمل من اللبد الّذى تحتى حبالا] (٤) و كان على باب البيت، قوم موكلون بي يحفظوننى لا يدخل علىّ أحد منهم، إنّما يكلمونى من خلف الباب و يناولونى من تحته ما أتقوت به.

فقلت لهم: إنّ أظفارى قد طالت جدّا، و قد احتجت إلى مقراض، فجاءنى رجل يميل إلى مذهب الزيدية، بمقراض أحد جانيه منقوش كأنه مبرد (٥).

ص: ١٧٧

١- اللبد: الصوف المتلبّد، و البغداديون يسمونه: جنبه، بالجيم المثله.

٢- كذا ورد في جميع النسخ، و الوطاء و الفراش بمعنى واحد، و أحسب أنّ الصحيح: غطائي و فراشى.

٣- غرش: و تسمّى غرج، و غرشستان، و غرجستان، و الغور، ناحيه واسعه كثيره القرى، تقع بين غزنه و كابل و هراه و بلخ (معجم البلدان ٣/ ٧٨٥ و ٧٨٦).

٤- الزيادة من غ و م.

٥- فى م: نقش المسحل، و فى غ: كأنه مسحل، و المسحل: آله النحت.

و قلت لهم: إن في هذا البيت فارا (١) قد آذوني، و يقذروني إذا قربوا مني، فاقطعوا لي جريده من النخل أطردهم بها.

فقطعوا لي من بعض نخل البستان، جريده، فرموا بها إلي، و كنت لا أزال أضرب بها في البيت، أريهم أنني أطرد الفار، و أسمعهم صوتها أياما، ثم قشرت الخوص عنها، و قطعها على مقدار ما ظننت أنه يعترض في ذلك [م ١٠٥] الخلاء إذا رميت بها، فضممت ما قطعته منها بعضه إلى بعض، و قصصت اللبد، و فتلت منه حبلا، على ما كنت أرى يعمل بغرش، ثم شددت ما قطعته من الجريده في رأس الجبل، ثم رميت به في الكوّه، و عالجتة مرارا حتى اعترض فيها، ثم اعتمدت عليها و صعدت إلى الغرفه، و من الغرفه إلى السطح، ففعلت ذلك مرارا، في أيام كثيره، و تمكنت من الحركة لأني بردت (٢) بجانب المقراض إحدى حلقتي القيد، و لم يمكنني أن أبرد (٣) الأخرى، فكنت إذا أردت الحركة، شددت القيد مع ساقى، و أتحرّك، و قد صرت مطلقا.

فلما كان في هذه الليله و قد شغل الناس بالعيد و انصرف من كان على الباب من الموكّلين، فلم أحسّ منهم أحدا إلاّ شيخا واحدا كنت أسمع كلامه و حركته، و أطلع فأراه.

فصعدت بين العشاءين (٤) إلى الغرفه، و من الغرفه إلى السطح، فأشرفت، [ظ ١٠١] فإذا المعتصم يفطر و الناس بين يديه، و الشموع تزهر، فرجعت.

فلما كان في جوف الليل صعدت و الناس نيام، و نزلت إلى البستان، فإذا فيه قائد و معه جماعه، فصاح بي بعضهم: من أنت؟

ص: ١٧٨

١- الفار: اسم جمع، واحده: فاره.

٢- في غ و م: سحلت.

٣- في غ و م: أسحل.

٤- في غ و م: بين المغرب و العشاء.

قلت: مدينى من أصحاب الحمّام، و كان فى البستان منهم جماعه يشرفون على أمر الحمّام.

فقال لى: الى أين تخرج السّاعه، اطرح نفسك حتّى تصبح، و تفتح الأبواب، فطرحت نفسى بينهم، حتّى فتح باب البستان فى الغلس، و قد تحرّك النَّاس.

فصرت إلى دجله لأعبر، فوجدت الشيخ العذى كان بقى من الموكّلين بى يريد العبور، فنزلت لأعبر، فطلب منى الملاح قطعه (١)، فقلت له: ما معى شىء، أنا رجل غريب ضعيف الحال.

فقال لى الشيخ: اعبر، فأنا أعطيه عنك، و أعطاه [١٣٥ غ] الشيخ عنى قطعه، و عبرت حتّى جئتك.

قال على بن الحسين: فقلت له: و الله، ما منزلى لك بموضع، فاخرج عنى من ساعتك، و لا تقم فيه لحظه، و ركبت إلى المصلّى.

فصار إلى منزل رجل من الشّيعه، فأخفاه (٢).

ص: ١٧٩

١- فى غ و م: فطلب منى الملاح أجرته، كما أخذ من الناس.

٢- وردت القصّه باختصار فى مقاتل الطالبين ٥٨٥-٥٨٨.

حسن سيرته كانت سبب اعتقاله

[وحدّثنا أبو محمّد الأثرم، في كتاب المبيّضه، قال: حدّثنا أبو العباس ابن عمّار (١)، قال: حدّثني هاشم بن أحمد بن الأشهب البغوي، قال: حدّثني أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن إسماعيل، قال: حدّثني أبو إسحاق إبراهيم ابن رباح الجوهري، قال: حدّثني المفضل بن حمّاد الكوفي، من أصحاب الحسن بن صالح بن حيّ، بوفاه عيسى بن زيد بن عليّ، بالكوفه، وكيف ستر ذلك عن المهديّ، فذكر حديثاً طويلاً، قال فيه: (٢).

لما تواترت الأخبار على الرشيد، بحسن طريقه أحمد بن عيسى بن زيد (٣)، و ميل الناس إليه، أمر بحمله، فحمل إلى بغداد، و معه القاسم بن عليّ بن عمر [بن عليّ بن الحسين بن عليّ رضی الله عنهم، و هو والد محمّد بن القاسم الصّوفي الخارج بخراسان في أيام المعتصم] (٤)، فحبسها عند الفضل بن الرّبيع، فكانا في حبسه في داره الشارعه على دجله، قرب رأس الجسر، بمشرعه الصّخر.

و كان حسن الصنيع إليهما، يؤتيان بمائدته كمائدته التي توضع بين يديه، و يواصلان من الحلوى، و الفاكهه، و الثلج في الصّيف، بمثل ما يكون على

ص: ١٨٠

١- أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمّد بن عمّار الثقفي: كاتب، مؤرّخ، أديب، كوفيّ، له تآليف عدّه، منها كتاب المبيّضه، توفيّ سنه ٣١٤ (تاريخ بغداد للخطيب ٢٥٢/٤).

٢- الزيادة من غ.

٣- أبو عبد الله أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (١٥٧-٢٤٧): من زعماء الزيديه في أيام العباسيين، نشأ بالمدينه، فاضلاً، عالماً، محدّثاً، و اتّهمه الرشيد بأنّه يريد الخروج عليه، فأحضره إلى بغداد، و سجنه، ففرّ من السجن، و اختفى، و مات و هو مستتر (الأعلام ١٨٢/١).

٤- الزيادة من م.

مائدته، فإذا أكل، رفعت من بين أيديهما، ووضعت بين أيدي الموكّلين بهما.

فأكلا يوما من الأيام، ورفعت المائدة فجعلت بين يدي الموكّلين بهما، فأكلوا، وأكثروا، ودخل وقت القائله فناموا [١٠٦ م]، فخرج أحمد بن عيسى إلى حبّ (١) في ناحية الدهليز، فرأى القوم نياما، فغرف من الحبّ، [بالكوز (٢) العذى معه] (٣)، ثم رجع، فقال للقاسم: يا هذا اعلم أنّي قد رأيت فرصه بينه، وهؤلاء نيام، والباب غير مقفل، [لم يحكموا- كما كانوا يفعلون- إغلاقه، فخرج بنا] ٧.

فقال له القاسم: أنشدك الله، فإنّك تعلم، أنّا في عافيه من كثير ممّا فيه أهل الجبوس، والفضل محسن إلينا (٤).

فقال له أحمد: دعني منك، واعلم أنّ العلامه بيني وبينك، أنّ أغرف من الحبّ، فإن تحرّك القوم رجعت إليك، وكانت علّتي ظاهره بسبب الكوز، وإن لم يتحرّكوا، فأنا-والله- خارج، وتاركك بموضعك، واعلم أنّك لا تسلم بعدى.

ثم خرج، فغرف من الحبّ بالكوز، ثم طرحه من قامته، [قال: و كان أطول مني و منك] (٥)، فما تحرّك أحد منهم، ثم انشئ عليّ، و قال: قد رأيت ما استظهرت به لك و لنفسى، وأنا-والله- خارج، ثم مضى، و اتّبعه القاسم، ففتحا الباب، و خرجا، فقالا: لا نجتمع في طريق، ولكن موعدا، موضع كذا.

ص: ١٨١

١- الحبّ، و جمعه حباب: خاييه من الفخّار، تستعمل في بغداد راووقا للماء.

٢- الكوز: راجع التفصيل في آخر القصّه.

٣- الزيادة من غ و م.

٤- في غ: و هذا الرجل -يعنى الفضل- بنا برّ، و لنا متعهّد.

٥- الزيادة من غ.

فلَمَّا جازا العتبه بخمسين ذراعاً، لقيهما غلام للفضل بن الربيع، مدني، أعرف بهما من أنفسهما، فبهت الغلام (١) لما رآهما، فأوماً إليه أحمد، بكمه، كالآمر بغضب: تنح، فما ملك الغلام نفسه أن تنحى، ثم كان عزمه أن يستقيم في طريقه ذاك، [فلَمَّا بلى من الغلام بما بلى، عدل عن تلك الطريق، و سار في طريق أخرى للاستظهار على الغلام] (٢)، وأسرع حتى نجا... و ذكر بقيه الحديث (٣).

ص: ١٨٢

-
- ١- في غ و م: بعل الغلام، و بعل: تحير فلم يدر ما يصنع.
 - ٢- كذا في غ، و في ظ: فأسرعا حتى تجاوزا.
 - ٣- وردت القصه في مقاتل الطالبين ٦٢٠-٦٢٢.

إناء من الفخار، شائع الاستعمال في بغداد، يشبه الإبريق، إلا أنه من دون البلبله، أى القناه الصغيره التى يصب منها الماء، و تسميه العامه: تنكه، بالكاف الفارسيه، معرّبه عن الفارسيه: تنك، أى الكوز، و الفخار الذى يجهز لتصفية الماء و شربه ببغداد، على أشكال مختلفه، فالزير، و يسمونه الحب، و هى فصيح، يصب فيه الماء الكدر، فيقطر الماء الصافي من أسفله إلى إناء من الفخار، يسمونه: بواقه، تلفظ القاف كافا فارسيه على طريقه البغداديين، و الكلمه فصيح، من باق: أى سرق، كأنها تسرق الماء من الحب، نقطه نقطه، فإذا امتلأت البواقه، صب ماؤها فى الجرّه ليبرد، و منها إلى الكوز حيث يكون معدًا للشرب، فأما أن يشرب من الكوز، أو يصب فى كأس يسمى شربه (الغيث المسجم فى شرح لاميه العجم ٢/٢٦١)، أو حبان، يختلف اسمه باختلاف شكله، و صانعو الفخار يجتهدون فى اختيار التراب المناسب لصنعه، و يغالون فيه، إذ ليس كلّ تراب صالحا ليكون فخارا جيّدا، فان وجدوا التراب المناسب، سلطوا عليه الماء، و أجادوا مرسه بأيديهم، كيلا يبقى فيه أى أثر للمواد المالحه، حتى أن بعضهم كان يرمى بخاتمه فى الطين، و يطلب من عمّاله أن يبحثوا عنه، و أن يعيدوه إليه، فيكلفهم هذا البحث، أن يمرسوا بأصابعهم كلّ حفنه من الطين، فإذا تمّ تنظيفه، و تخميره، صنع على مختلف الأشكال، و أودع فى موقد يشوى فيه، و هذا الموقد يسميه البغداديون: الكوره، فصيح و هو اسم المحجره من الطين، فإذا تمّ شيه، أصبح صالحا للاستعمال، و استعمال الكوز، إذا كان جيّد الطين، حسن الصنع، من طيبات الدنيا، و خاصّه إذا رشّ عليه، قبل استعماله، قطرات من ماء الورد، فإنّ شرب الماء فى الكوز، يكسبه طعما لذيذا، لا يقدره إلا من ذاقه، و مما يبعث على الأسف أنّ استعمال الكوز، يكاد أن ينقرض، لشيوخ الكهرباء و الثلاجات، قال أبو إسحاق الصابى يتشوّق إلى شرب ماء الكوز ببغداد (معجم البلدان ١/٦٤٨):

لهف، نفس على المقام ببغداد و شربى من ماء كوز بثلج

نحن بالبصره الذميمه نسقى شرّ سقيا من مائها الأترجى

أصفر منكر ثقيل غليظ خاثر مثل حقنه القولنج

كيف نرضى بشربه و بخير منه فى كنف أرضنا نستنجى

محمد الحمداني يحل محلّ أخيه في إماره الموصل

و من طريف ما شاهدناه في هذا الباب: أنّ أبا تغلب، فضل الله، عدّه الدوله (١)، بن ناصر الدوله أبي محمّد، استوحش من أخيه محمّد (٢)، بعد موت أبيهما، فقبض عليه، و استصفى ماله، [و قبض عقاره و ضياعه] (٣)، و نعمته،

ص: ١٨٤

١- أبو تغلب، فضل الله، الغضنفر، عدّه الدوله، ابن أبي محمّد الحسن، ناصر الدوله، بن عبد الله الحمداني، التغلبي، أمير الموصل: استولى على الإمارة من أبيه، و حارب عضد الدوله، فخر المعركة، و فرّ إلى الشام، ثمّ إلى فلسطين، حيث أسر و قتل في السنه ٣٦٩ (الأعلام ٣١٢/٥)، [١] أقول: كانت سياسته أبي تغلب خرقاء، فقد اتفق مع أمّه و مع بعض إخوانه فاعتقلوا أباهم، و حبسوه في إحدى القلاع، فانتشر النظام الذي كان يجمع الإخوه (تجارب الأمم ٣٨٥، ٣٣٩، ٣٣٨/٢)، و كان أخوه حمدان أمير الرحبه، مباينا له، و كان شجاعاً، فملك الرقه، و سار إلى نصيبين، و طالب بالإفراج عن أبيه، فحاربه أبو تغلب ثم صالحه (٢٥٤/٢ و ٢٥٥) و بعد الصلح، أنفذ أخاه أبا البركات فطرد حمدان من الرحبه (٢٨٩/٢) و اشتبكا فقتل حمدان أبا البركات (٢٩١/٢) ثم اتجه أبو تغلب نحو أخيه أبي الفوارس محمّد صاحب نصيبين، فخدعه، و اعتقله، فأوحش بقيه الإخوه (٢٩١/٢) ثم اتفق مع بختيار، و حاربا عضد الدوله، فانكسرا، و قتل بختيار، و فرّ أبو تغلب إلى حيث أسر و قتل (٣٨١/٢ و ٣٨٣ و ٤٠١).

٢- أبو الفوارس محمّد بن ناصر الدوله: أمير حمداني شجاع، كان أسيراً عند الروم سنه ٣٥٤ فأطلق مقابل أمير رومي أطلقه سيف الدوله (تجارب الأمم ٢٢٠، ٢١٣/٢) و كان في السنه ٣٦٠ يتولّى نصيبين، فأتهمه أخوه أبو تغلب، و خدعه، و اعتقله بقلعه أردمشت، و ضيق عليه، و أثقله بالحديد (تجارب الأمم ٢٩١/٢) و ظلّ معتقلاً ثمانى سنوات، حتى أطلقه عضد الدوله، و ولّاه ما كان يليه أخوه أبو تغلب، على ما هو مشروح في هذه القصّه.

٣- الزيادة من غ و م.

و ثقّله بالحديد، و أنفذه إلى القلعه المعروفه بأردمشت (١)، و هى مشهوره حصينه، من أعمال الموصل، فحبسه بها فى مطموره، و وّكل بحفظه عجوزا يثق بها، جلده ضابطه، يقال لها: نازبانو (٢) [١٣٦ غ] و أمرها أن لا- توصل إليه أحدا، و لا- تعرّفه خيرا، و أن تخفى موضعه عن جميع شحنة القلعه و حفظها، ففعلت ذلك.

فأقام على حاله تلك نحو ثمان سنين.

ثم اتفق أن انحدر أبو تغلب معاونا لعزّ الدوله أبى منصور بختيار (٣) بن

ص: ١٨٥

١- قلعه أردمشت: قال ياقوت فى معجمه ١/١٩٩: إنها قلعه حصينه قرب جزيره ابن عمر فى شرقىّ دجله الموصل، على جبل الجودى، و تحتها دير الزعفران، فتحها المعتضد و خرّبها، فأعاد أبو تغلب الحمدانى بناءها، و اتخذها مدّخرا لنفائسه، و معتقلا لخصومه، و رتب فيها أحد أقارب أمه فاطمه الكرديه اسمه صالح بن بانويه، و ضمّ إليه أحد مماليكه المخلصين و اسمه طاشتم، و قد فتح عضد الدوله هذه القلعه سنه ٣٦٨، راجع تفصيل ذلك فى تجارب الأمم ٢/٣٩٢ و ٣٩٣.

٢- نازبانو: كذا ورد فى غ، و فى ظ: نازبونا، و فى م: بازبانو، و الاسم فارسى من كلمتين، ناز: فخر، و بانو: السيده الجليله، فىكون الاسم بالعريه: فخر النساء.

٣- أبو منصور بختيار عزّ الدوله بن أبى أحمد الحسين معزّ الدوله بن بويه الديلمى: (٣٣١-٣٦٧): تولّى الحكم فى العراق بعد وفاه أبيه فى السنه ٣٥٦، و كان سيّئ التدبير، فأفسد عليه جنده، و طمع فيه أعداؤه (تجارب الأمم ٢/٣٣٤) و كان لا يفى بعهد، أنفذ حاجبه فى مهمّه، و فى غيابه صادره (تجارب الأمم ٢/٢٥٩)، و التجأ إلى حمدان الحمدانى، فعاهده على حمايته (٢/٣٧٨) ثم أسلمه إلى خصمه (٢/٣٧٩)، و كان لا- يعرف الكتمان، و لا- يضبط لسانه، و لو جرّ ذلك عليه ذهاب النفس و الملك (٢/٢٦٢) و قضى عمره منصرفا إلى اللهو و اللعب و معاشره المساخر (٢/٢٣٤) و كان لهجا بلعب النرد، فقال فيه أبو الحسن محمّد بن غسان بن عبد الجبار بن أحمد الدارى الصيدلانى، الطيب، البصرى (تاريخ الحكماء ٢/٤٠٢): يسوس الممالك رأى الملك و يحفظها السيد المحتك فيا عضد الدوله أنهض لها فقد ضيّعت بين شيش و يك و قال فيه لما خرج إلى الأهواز: أقام على الأهواز سبعين ليله يدبّر أمر الملك حتى تدمرأ يدبّر أمرا كان أوّله عمى و أوسطه بلوى و آخره خرا راجع الامتاع و المؤانسه ٣/١٥٤ و ١٥٩.

معزّ الدوله أبي الحسين، و معهما العساكر، يقصدان بغداد لمحاربه عضد الدوله، و تاج الملّه أبي شجاع (١)، و خرج للقائهما، فكانت بينهما الوقعه العظيمه بقصر الجصّ (٢)، و قتل فيها عزّ الدوله [١٠٢ ظ] بختيار، و انهزم أبو تغلب، فدخل الموصل، و خاف من تخلّص أخيه محمّد، فكتب إلى غلام له، كانت القلعه مسلّمه إليه يقال له: طاشتم (٣)، أن يمكّن صالح بن بانويه (٤)، رئيس الأكراد، و كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعه - من أخيه محمّد بن ناصر الدوله، ليمضى فيه ما أمره به، و كتب إلى صالح، يأمره بقتل محمّد، فمكّن طاشتم صالحا منه.

فلما أراد الدّخول على محمّد، ليقتله، منعت نازبانو من ذلك، و قالت:

لا أمكّن منه، إلا بكتاب يرد على [١٠٧ م] من أبي تغلب.

و شارف عضد الدوله الموصل (٥)، و أجفل عنها أبو تغلب، و كردته العساكر (٦)،

ص: ١٨٦

- ١- أبو شجاع فنا خسرو عضد الدوله بن أبي علي الحسن ركن الدوله: ترجمته في حاشيه القصّه ٣١ من الكتاب.
- ٢- قصر الجصّ: قصر عظيم، قرب سامراء، فوق الهاروني، بناه المعتصم للنزّهه، و عنده قتل بختيار ابن معزّ الدوله، قتله عضد الدوله ابن عمّه (معجم البلدان ١١٠/٤) [١] لزياده التفصيل راجع تجارب الأمم ٣٧٧/٢-٣٨٢.
- ٣- في ظ: طاشتم، و في م: طاسيم، و في غ و تجارب الأمم: طاشتم، و طاشتم هذا من مماليك عدّه الدوله أبي تغلب الحمداني، و كان عاقلا، أميناً، ديناً، أناط به سيّده حفظ قلعه أردمشت شريكا لصالح بن بانويه، فلما حاصرهما جيش عضد الدوله، سلّمها ابن بانويه إليهم، و قبض على طاشتم، و تسلّمه عضد الدوله، فبعث به إلى أبي تغلب، فقتله (تجارب الأمم ٣٩٢/٣-٣٩٥).
- ٤- في ظ: صالح بن بانويه، و في غ: صالح بن بابويه، و في م: صالح بن مانويه، و في تجارب الأمم: صالح بن بادويه، و صالح بن بانويه هذا، كرديّ، من أقارب فاطمه بنت أحمد الكرديّه أمّ أبي تغلب (تجارب الأمم ٣٩٢/٢).
- ٥- في م: و دخل عضد الدوله إلى الموصل.
- ٦- كردته العساكر: طردته.

فاشتدّ عليه الطلب، وورد عليه كتاب من القلعه بما قالت نازبانو، فيألي أن يجيب عنه، أحاط عساكر عضد الدوله بالقلعه، و نازلوها، فانقطع ما بين أبي تغلب و بينها، فلم يصل إليها كتاب، و فتحها عضد الدوله بعد شهر، بأن واطأه صالح، بالقبض على طاشتم، و كتب إليه يعرّفه بما عمله، و يستأمره فيما يعمله.

و كان لمحمّد خصي أسود مملوك، يلي أمر داره، اسمه ناصح، و كان بعد القبض على محمّد، قد وقع إلى عضد الدوله، و هو بفارس، فصار من وجوه خدمه، [و حضر معه وقعه قصر الجصّ] (١)، فلما ورد خبر فتح القلعه، أذكره ناصح بوعد كان له عليه في إطلاق مولاه محمّد، إذا فتح القلعه، فكتب بأن يطلب محمّد في القلعه، فإن وجد حيًا، أطلق، و أنفذ به إليه مكرّما.

فحين دخل صالح، و معه من صعد إلى القلعه من أصحاب عضد الدوله، إلى محمّد في محبسه، جزع جزعا شديدا، و لم يشكّ أنّهم يريدون قتله، بأمر أبي تغلب، فأخذ يتصرّع، و يقول: ما يدعو أخي إلى قتلي.

فقال له صالح: لا خوف عليك إنّما أمرنا الملك أن نطلقك، و تمضي إليه مكرّما، فقد ملك هذه البلاد.

فقال: أغلب ملك الرّوم على هذه النواحي، و فتح القلعه؟

قالوا: لا، و لكن الملك عضد الدوله.

قال: الذي كان بشيراز؟

قالوا: نعم، و قد جاء إلى بغداد.

قال: و أين بختيار؟

قالوا: قتل.

قال: و أبو تغلب؟

ص: ١٨٧

١- الزيادة من غ.

قالوا: انهزم و دخل إلى بلاد الروم.

قال: و أين عضد الدوله؟

قالوا: بالموصل، و هو ذا نحملك إليه مكرّما.

فسجد حينئذ، و بكى بكاء شديدا، ثم حمد الله، فأرادوا فكّ قيوده فقال: لا أمكّن من ذلك، إلا أن يشاهد حالي الملك.

فحمل إلى الموصل إلى عضد الدوله، فرأيته و قد أصدع به مقيدا من المعبر الذي عبر فيه في دجله، إلى دار أبي تغلب التي نزل بها عضد الدوله بالموصل، و كنت أنا- إذ ذاك (١)- أتقلّدها له و جميع ما فتحه ممّا كان في يد أبي تغلب مضافا إلى حلوان (٢)، و قطعه من طريق خراسان (٣)، فرأيت محمّدا يمشى في قيوده، حتّى دخل إليه فقَبِل الأرض بين يدي عضد الدوله، و دعا له، و شكره، فأخرج إلى حجره من الدار، فاخذ حديدته (٤)، و حمل على فرس فاره بمركب ذهب، و قيّد بين يديه خمس دواب بمراكب فضّه [مذهبه] (٥)، و خمس بجلالها، و ثلاثون بغلا محمّله مالا صامتا (٦)، و من صنوف الثياب الفاخره،

ص: ١٨٨

١- في السنه ٣٦٧.

٢- حلوان: بضم الحاء، اسم لأماكن عدّه، منها حلوان العراق، و هي آخر حدود السواد مما يلي الجبال، و كانت رابع مدينه عراقيه في السعه و العمران، بعد بغداد، و البصره، و واسط، (مراصد الاطلاع ٤١٨/١) [١] أقول: هي الآن بليده اسمها كرنده، في داخل حدود إيران.

٣- طريق خراسان: أنظر التفصيل في آخر القصّه.

٤- يعنى: كسرت قيوده.

٥- الزيادة من م.

٦- في ظ: مصمتا، و التصحيح من م و غ، و المال الصامت: الذهب و الفضة، و إنّما سمّي صامتا، لأنّ الأموال الأخرى من الخيل و الإبل و البقر و الغنم، تصهل، و ترغو، و تخور، و تنغو، و قد حدّثونا عن قائم مقام في قضاء الهنديه في العهد العثماني، جاء إليه أعرابي بعشرين كبشا رشوه، فانقض عليه بالسوط، و هو يصيح: لا أريد برطيل (رشوه) يصيح: ماع، يريد أنّه يريد مالا صامتا يودعه الكيس.

و الفرش السرى، و الطيب، و الآلات المرتفعه القدر، و نقل إلى دار قد فرغت له، و فرشت بفرش حسن، و ملئت بما [١٣٧ غ] يحتاج إليه من الصفر، و الآلات، و العلوفات، و الحيوان، و الحلوى، و أطعمه نقلت إليه من المطبخ، و أنبذه، و غير ذلك. ثم أقطعه بعد أيام، إقطاعاً بثلاثمائة ألف درهم، و ولّاه إماره بلده و أعماله، و جميع ما كان يتولاه أبو تغلب (١).

ص: ١٨٩

١- نقلها صاحب حلّ العقال باختصار ص ٤٧.

طريق خراسان، هو المحجّ، أو الطريق السلطاني بين الحضرة بغداد، وبين خراسان، و من جمله أعماله: البندنجين، و براز الروز (الوزراء ١٨٧) و بعقوبا (ابن الأثير ٢١٥/١١)، فالبندنجين: بلده مشهوره في طرف النهروان من ناحيه الجبل، من أعمال بغداد أصلها وندنيكان، و عربت، فأصبحت بندنجين (معجم البلدان ٧٤٥/١) أقول: و قد خفف الاسم المعرب، فأصبح الآن: مندلي، و هي بلده على حدود العراق الشرقيه، و قد وليت القضاء بها في السنه ١٩٣٤، و أهلها طيبون، و هم خليط من الأكراد، و التركمان، و العرب، و أرضها عظيمه الخصب، تكثر فيها الأرتاب و الحمضيات، تمرها من أفخر تمور العراق، لا سيما المسمى المير حاج، و أزرق الأزرق، و برتقالها لا- مثل له، رقيق القشره، قويّ العطر، كثير الماء، قليل النوى، لذيد الطعم جدّا، و تكثر فيها الزنابير، لكثرة التمور، و فيها الجزار المشهور، و هو نوع من العقارب، أصفر اللون، سمي بالجزار، لأنّه يجزّ ذنبه على الأرض وراءه، و يقال إنّ لدغته قتّاله، و يوجد منه في الأهواز (المسالك و الممالك للأصطخري ٦٤) و يوجد منه أيضا في شهرزور (نهايه الأرب ١٤٨/١٠)، و الجزار كثير في مندلي، و قد كلفت خادمي، مرّه، أن يحضر لي جزارا لأراه، فقال: هل تريده ذكرا أو أنثى، يريد أنّه متوفّر إلى درجه أنّ له أن يختار و ينتقى ما يريد منها، أما براز الروز، فقد ذكر ياقوت في معجمه ٥٣٤/١ أنّها من طساسيج السواد ببغداد، من الجانب الشرقي من استان شاه قباد، و كان للمعتضد به أبنيه جليله، أقول: اسمها الآن: بلدروز، و هي ناحيه تابعه لمندلي، أرضها عظيمه الخصوبه، و قد زرتها أكثر من مرّه، عند ما كنت قاضيا في مندلي، لأنّها تابعه لها، و كانت في العهد العثماني من الأملاك السستيه، أي من أملاك السلطان عبد الحميد العثماني، اختارها لخصوبه أرضها، و تنازل عنها لتممّول يوناني، فأقام بها قصرا، و نصب لإدارتها موظفين عدّه، يقومون بزراعتها، و استيفاء ارتفاعها، و موقع براز الروز، من أطيب المواقع، و هواؤها عذب لطيف رائق.

أسره الرّوم في أيّام معاويه و أطلقوه في أيّام عبد الملك

[روى حميد، كاتب إبراهيم بن المهدي، أنّ إبراهيم حدّثه، أنّ مخلدا الطبري، كاتب المهدي على ديوان السرّ، حدّثه [١٣٨ غ]، أنّ سالما مولى هشام بن عبد الملك، و كاتبه على ديوان الرسائل، أخبره، أنّه كان في ديوان عبد الملك يتعلّم كما يتعلّم الأحداث في الدواوين] (١)، إذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور الشاميّه، على عبد الملك، يخبره فيه أنّ خيلا من الرّوم تراءت للمسلمين، فنفروا إليها، ثمّ عادوا و معهم رجل كان قد أسر في أيّام معاويه بن أبي سفيان، فذكر أنّ الرّوم لما توافقوا مع المسلمين، أخبروهم أنّهم لم يأتوا للحرب، و إنّما جاءوا بهذا المسلم ليسلموه إلى المسلمين، لأنّ عظيم الرّوم أمرهم بذلك.

و ذكر صاحب البريد، أنّ النافرين ذكروا، أنّهم سألوا المسلم عمّا قال الرّوم، فوافق قوله قولهم، و ذكر أنّ [١٠٣ ظ] الرّوم قد أحسنوا إليه، فانصرفوا عنهم، و إنّني سألته عن سبب مخرجه، فذكر أنّه لا يخبر بذلك أحدا دون أمير المؤمنين.

فأمّر عبد الملك بإشخاص المسلم إليه، فأشخص إلى دمشق.

فلمّا دخل على عبد الملك، قال له: من أنت؟

قال: قتات بن رزين اللّخمي [٧٧ ر].

[قال مؤلّف هذا الكتاب: كذا كان في الأصل العدي نقلت منه: قتات، و أظنّه خطأ، لأن المشهور قبات بن رزين اللّخمي (٢)، و قد روى الحديث عن

ص: ١٩١

١- الزيادة من غ.

٢- أبو هاشم قبات بن رزين اللّخمي: من جلّه المصريّين، مات سنة ١٥٦.

على بن رباح اللّخمي، عن عقبه بن عامر الجهني، أو لعله غيره و الله أعلم.

رجع الحديث: [١] أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالحمراء، أسرت في زمن معاوية، و طاغية الروم - إذ ذاك - توما بن مرزوق.

فقال له عبد الملك: فكيف كان فعله بكم؟

قال: لم أجد أحدا أشدّ عداوه للإسلام و أهله منه، إلاّ - أنّه كان حليما، فكان المسلمون في أيامه أحسن أحوالا منهم في أيام غيره، إلى أن أفضى الأمر إلى ابنه ليون، فقال - في أول ما ملك - إنّ الأسرى إذا طال أسرهم في بلد، أنسوا به، و لو كان على غايه الرداء، و ليس شيء أنكأ لقلوبهم من نقلهم من بلد إلى بلد، فأمر باثني عشر قدحا (١)، فكتب على رأس كلّ قدح اسم بطريق (٢) من بطارقه البلدان (٣)، و يضرب بالقداح في كلّ سنه أربع مرات، فمن خرج اسمه في القدح الأول، حوّل إليه المسلمون، فاحتبسهم عنده شهرا، ثمّ إلى الثاني، ثمّ إلى الثالث، ثمّ تعاد القداح بعد ذلك.

فكنا لا نصير عند أحد من البطارقه، إلاّ قال لنا: احمدا و الله حيث لم يبتلكم ببطريق البرجان (٤)، فكنا نرتاع لذكره، و نحمد ربنا إذ لم يبتلنا به، فمكثنا على ذلك سنين.

ثمّ ضربت القداح، فخرج الأول و الثاني لبطريقين، و الثالث لبطريق البرجان، فمرّ بنا في الشهرين غمّ كبير، نترقب المكروه.

ثمّ انقضى الشهران، فحملنا إليه، فرأينا على بابه من الجمع خلاف ما كنا نعاين، و رأينا من زبانيته من الغلظه خلاف ما كنا نرى، ثمّ وصلنا إليه،

ص: ١٩٢

١- القدح: سهم الميسر.

٢- البطريق، و جمعه بطارق، و بطارقه، و بطاريق: القائد من قواد الروم.

٣- في غ: فكتب في رأس كلّ واحد منها اسم بطريق من البطارقه الاثني عشر.

٤- البرجان: بلد من نواحي الخزر (مراصد الاطلاع ١/١٧٨)،

فتبين لنا من فظاظته و غلظته، ما أيقننا معه بالهلكه، ثم دعا بالحدادين، فأمر بتقييد المسلمين بأمثال (١) ما كان يقيدهم به غيره، فلم يزل الحديد يعمل في رجل واحد واحد، حتى صار الحداد إلى، فنظرت إلى وجه البطريق فرأيته قد نظر إلى نظرا بخلاف العين التي كان ينظر بها إلى غيري، ثم كلمني بلسان عربي، فسألني عن اسمي و نسبي و مسكني، بمثل ما سألتني عنه أمير المؤمنين، فصدفته عما سألتني عنه.

ثم قال لي: كيف حفظك لكتابكم؟ فأعلمته أنني حافظ.

قال: اقرأ آل عمران، فقرأت منها خمسين آية.

فقال [١٣٩ غ]: إنك لفارص فصيح، ثم سألتني عن روايتي للشعر، فأعلمته أنني روايه.

فاستشدني لجماعه من الشعراء، فقال: إنك لحسن الروايه.

ثم قال لخليفته: إنني قد و مقت (٢) هذا الرجل، فلا تحدده.

ثم قال: و ليس من الإنصاف أن أسوءه في أصحابه فكك الحديد عن جماعتهم، و أحسن متواهم، و لا تقصر في قراهم.

ثم دعا صاحب مطبخه، فقال له: لست أطمع طعاما، ما دام هذا العربي عندي، إلا معه، فاحذر أن تدخل مطبخي ما لا يحل للمسلمين أكله، و أن تجعل الخمر في شيء من طبيخك، ثم دعا بمائدته، و استداناني حتى قعدت إلى جانبه (٣).

فقلت له: فدتك نفسي و بأبي أنت، أحب أن تخبرني من أي العرب أنت؟

ص: ١٩٣

١- بأمثال: بأضعاف.

٢- و مقت: أحببت، و المقه: المحبه.

٣- في غ: قعدت بلزقه.

فضحك و قال: لست أعرف لمسألتك جوابا، لأنني لست عربيا فأجيبك على سؤالك.

فقلت له: مع هذه الفصاحة بالعربية؟

فقال: إن كان العلم باللسان ينقل الإنسان من جنسه إلى جنس من حفظ لسانه، فأنت إذا رومي، فإن فصاحتك بلسان الروم، ليست بدون فصاحتى بلسان العرب، فعلى قياس قولك ينبغى أن تكون روميا، و أكون أنا عربيا.

فصدقت قوله، و أقيمت عنده خمس عشرة ليلة، لم أكن منذ خلقت، فى نعمه، أكبر منها.

فلما كانت ليلة ست عشرة، فكّرت [١٠٤ ظ] أن الشهر قد مضى نصفه، و أن الليالى تقربنى من الانتقال إلى غيره، فبتّ مغموما.

و صار رسوله إليّ، فى اليوم السادس عشر، يدعونى إلى طعامه، فلما حضر الطعام بين أيدينا، رأى أكلى مقصيرا عما كان يعهد [٧٨ ر]، فضحك، ثم قال لى: أحسبك يا عربى، لما مضى نصف الشهر، فكّرت فى أن الأيام تقربك من الانتقال عنى إلى غيرى ممن لا يعاملك بمثل معاملتى، و لا يكون عيشك معه مثل عيشك معى، فسهرت، و اعتراك لذلك غمّ غير طعامك، فأعلمته أنه قد صدق.

فقال: [ما أنا إن لم أحسن الاختيار لصديقى بحرّ، و] ١ قد أمّنتك الله ممّا حذرت، و لم ألبث فى اليوم الذى وصلت إلى فيه، حتّى سألت الملك، فصيرك عندى، ما كنت فى أرض الروم، فلست تنقل عن يدي، و لا تخرج منها إلا إلى بلدك، و أرجو أن يسبب الله ذلك على يدي، فطابت نفسى، و لم أزل مقيما عنده، إلى أن انقضى الشهر.

فلما انقضى، ضرب بالقداح، فخرج الأول، و الثانى، و الثالث، لبطارقه غير الذى نحن عنده، فحوّل أصحابى، و بقيت وحدى.

و تغديت في ذلك اليوم مع البطريق، و كان من عادتي أن أنصرف من عنده بعد غدائي إلى إخواني من المسلمين، فتحدثت، و نأنس، و نقرأ القرآن، و نجتمع الصلوات (١)، و نتذاكر الفرائض، و يسمع بعضنا من بعض ما حفظ من العلم و غيره، فانصرفت ذلك اليوم بعد غدائي إلى الموضع الذي كنت أصير إليه و فيه المسلمون، فلم أر فيه أحدا إلا الكفرة، فضاقت صدري ضيقا تمنيت معه أنني كنت مع أصحابي، فبت بليله صعبه لم أطعم فيها الغمض (٢)، و أصبحت أكسف خلق الله بالا، و أسوأهم حالا.

و صار إلى الرسول في وقت الغداء، فصرت إليه، فتبينت الغم في أسرته وجهي، و مددت يدي إلى الطعام، فرأى مدي إليه، خلاف مدي الذي كان يعرف، فضحك، ثم قال: أحسبك اغتممت لفراق أصحابك؟

فأعلمته أنه صدق، و سألته: هل عنده حيله في ردّهم إلى يده.

فقال: إن الملك لم ير أن ينقل أصحابك من يدي إلى يد غيري إلا ليغمهم بما يفعل، و من المحال أن يدع تدبيره في الاضرار بهم، لميلى إليك و محبتي لك، و ليس عندي في هذا الباب حيله، فسألته أن يسأل الملك إخراجي عن يده.

و ضمّي إلى أصحابي أكون معهم حيث كانوا.

فقال: و لا في هذا أيضا حيله، لأنني لا أستجيز أن أنقلك من سعه إلى ضيق، و من كرامه إلى هوان، و من نعمه إلى شقاء.

فلما قال [١٤٠ غ] ذلك، تبين في الانكسار و غلبه الغم، فقال لي:

بلغ بك الغم إلى النهاية؟

فأخبرته: أنه قد بلغ بي الغم، أن اخترت الموت على الحياة، لعلمي

ص: ١٩٥

١- يريد أنهم يصلون جماعة.

٢- في غ: فبت بليله صعبه لم أطبق فيها بين أجفاني.

أنه لا راحه لى بغيره.

فقال لى: إن كنت صادقاً، فقد دنا فرجك.

فسألته عمّا دلّه على ذلك، فقال لى: إنى وقعت فى نكبات أشدّ هولاً ممّا أنت فيه، و كان عاقبتها الفرج.

و أعلمنى أنّ بطرقه بلده لم تزل فى آبائه يتوارثونها، و أنّ عددهم كان كثيراً، و لم يبق غير أبيه و عمّه، و كانت البطرقه إلى عمّه دون أبيه، فأبطأ على أبيه و عمّه الولد، فبذلاً للمتطبّين، الكثير من الأموال لعلاجهما بما يصلح الرجال للنساء، إلى أن بطل العمّ، و يئس من الانتشار، فصرف بعض الأطباء عنايته إلى معالجه أبى البطريق، فعلقت أمّه به.

فلمّا علم العمّ أنه قد علقت أمّه به، جمع عدّه من الحبالى، من ألسنه مختلفه، منها العربى، و الرّومى، و الافرنجى، و الصقلايى، و الخزرى، و غير ذلك، فوضعن فى داره.

فلمّا وضعت البطريق أمّه، أمر بتصيير أولئك النساء كلهن معه، و تقدّم إلى كلّ واحده منهنّ، ألاّ تكلمه إلاّ بلسانها.

فلم تستتم له أربع سنين، حتّى تكلم بكلّ الألسنه التى لأمهاته اللاتى أروضعه.

ثمّ أمر بتصيير ملاعبيه و مؤدّبيه من جميع أجناس النساء اللواتى ربّينه، فكانوا يعلّمونه الكتابه، و قراءه كتبهم [١٠٥ ظ] فلم تمرّ عليه تسع سنين، حتّى عرف ذلك كلّه.

ثمّ أمر عمّه أن يضمّ إليه جماعه من الفرسان يعلّمونه الثّقافه و المناوله (١)،

ص: ١٩٦

١- فى ر: المنازله، و الثّقافه و المناوله بمعنى واحد، و هى الملاعبه بالسلاح.

و جميع ما يتعلّمه الفرسان، و تقدّم بمنعه من سكنى المنازل، و أمر أن ينزل في [٧٩ ر] المضارب، و أن يمنع من أكل اللحم إلا ما يصيده طائر يحمله على يديه، أو كلب يسعى بين يديه، أو صيد بسهمه، فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين، ثم مات عمّه، و ولّى أبوه البطرقه بعد عمّه، و أمره بالقدوم عليه، فلمّا رآه، و رأى فهمه، و أدبه، و شمائله، اشتدّ عجبه به، فسمح له بما لم تكن الملوكة تسمح به لأولادها (١)، و أعدّ له المضارب (٢) و الفساطيط (٣) الديقاج (٤)، و ضمّ إليه جماعه كثيفه من الفرسان، و وسّع على الجميع في كلّ ما يحتاجون إليه، و ردّه إلى سكنى المضارب، و أخذه بالاستبعاد عن منازل أبيه.

قال البطريق: فلمّا تمّت لى خمس عشره سنه، ركبت يوما لارتياذ مكان أكون فيه، فبصرت بغدير (٥) ماء قدّرت طوله ألف ذراع و عرضه ما بين ثلاثائه ذراع إلى أربعائه ذراع، فأمرت بضرب مضاربي عليه، و توجّهت إلى الصّيد، فرزقت منه في ذلك اليوم، ما لم أطمع في مثله كثره، و نزلت في بعض المضارب فأمرت الطّيّاخين، فطبخوا لى ما اشتهيت من الطعام، ثمّ نصبت المائده بين يدي.

فإنّى لأنظر إلى الطيخ يغرف، إذ سمعت ضجّه عظيمه، فما فهمت خبرها حتى رأيت رءوس أصحابي تتساقط عن أبدانهم، فتنحّيت عن مكاني

ص: ١٩٧

- ١- في غ: تتسمّح به لولاه عهدها.
- ٢- المضارب، مفردّها مضرب: الخيمه العظيمه.
- ٣- الفساطيط، مفردّها فسطاط: البيت من الشعر.
- ٤- الديقاج: الدبج، النقش و التزيين، فارسى معرّب (لسان العرب)، و الديقاج: القماش الذى سداه و لحمته حرير (المنجد)، و تتخذ من الديقاج الثياب، و الستور، كما تتخذ منه البسط و الفرش، و من خصائص سجستان، الفرش الديقاج (لطائف المعارف ٢١٣)، و نهايه الأرب (٣٦٦/١)، [١] قال كوركيس عوّاد: الديقاج ضرب من الثياب الفاخره، ملوّن ألوانا، و هو المعروف عند العراقيين اليوم بالقنويّز (الديارات ١٦١).
- ٥- الغدير: قطعه من الماء يتركها السيل.

المدى كنت فيه، و خلعت الثياب التي كانت عليّ، و لبست ثياب بعض عبيدي، ثم ضربت بصرى يمنه و يسره، فلم أر حولي إلا مقتولا، و إذا فاعل ذلك بأصحابي منس (١) من مناسر البرجان.

ثم أسرت كما يؤسر العبيد، و احتمال جميع ما كان معنا، من مضرب و غيره، و صاروا بي إلى ملك البرجان.

فلما رأني، و لم يكن له ولد ذكر، أمر بالتوسعه عليّ، و أن أكون واقفا عند رأسه، و سماني ابنه.

و كان للملك بنت، و كان بها مغرما، و كان قد علّمها الفروسيه، و مساوره (٢) الفرسان، و مساهمتهم (٣) و مراكضتهم.

فقال- و أنا حاضر- لجماعه من بطارقه: من منكم يتوجه إلى ملك الروم فيجيئي بكاتب من بلده، ليعلم ابنتي الكتابه.

فأعلمته [١٤١ غ] أن رسوله لا يأتيه بأكتب مني.

فأمرني أن أكتب بين يديه، فكتبت، فاستحسن خطي، و قرنه بكتب كانت ترد عليه من والدي، فرأى خطي أجود منها، فدفنني إلى ابنته، و أمرني أن أعلمها الكتابه، فهويتها، و هويتني .

فمكثت معي حتى استوفت ثلاث عشره سنه (٤)، ثم عدت إلى يوما و هي باكيه، فقلت لها: ما يبكيك يا سيدتي؟

فقلت: دعني، يحق لي البكاء، فسألته عن السبب.

فقلت: كنت جالسه بين يدي أبي و أمي في هذه الليله، فغلبتني عيني،

ص: ١٩٨

١- المنسر: ما بين الأربعين إلى السبعين (البصائر و الذخائر م ٣ ق ١ ص ٨١).

٢- المساوره: المواثبه، و في غ: مناوله الفرسان.

٣- المساهمه: المقارعه، و في غ: و مسابقتهم.

٤- في غ: ست عشره سنه.

فتمت، فسمعت أبي يقول لأمي: أرى ثديي ابنتك قد تفلكا (١)، و أرى هذا الرومي قد غلظ كلامه (٢)، و ليس ينبغي أن يجتمعا بعد هذا الوقت، فإذا جلست غدا معه، فابعثي إليهما من يفرق بينهما، حتى لا يراها، و لا تراه.

قال البطريق: و من سنه البرجان، أن يكون الرجل يخطب لابنته زوجا، حتى يزوجه، و لا يخطب لها إلا من تختاره البنت.

قال البطريق: فقلت لابنه الملك، إذا سألك أبوك، من تحبين أن أخطب لك من الرجال، فقولي: لست أريد إلا هذا الرومي.

فغضبت، و قالت: كيف يجوز أن أسأل أبي أن يزوجني بعد؟

قال: فقلت لها: ما جعلني الله عبدا، و أنا ابن ملك، و أبي ملك الروم.

[قال البطريق: و أهل البرجان، يسمون البطريق الرومي الذي يتولى حدّ برجان: ملك الروم. ١]

فسألتني: هل أخبرتها بحق؟

فأعلمتها أنه [١٠٦ ظ] حق.

فما انقضى كلامنا، حتى جاء رسول الملك، ففرّقوا بيننا، و لم يمض [٨٠ ر] بعد ذلك، إلا ثلاثة أيام حتى دعاني الملك، فدخلت عليه، فرأيت أمارات الشرّ مستحكمة في وجهه.

فقال لي: يا شقي، ما حملك على الكذب في نسبك؟ و أنا أحكم على من انتسب إلي غير أبيه بالقتل.

فقلت له: ما انتسبت إلي غير أبي.

فقال لي: أ تقول إنك ابن ملك الروم؟

فأعلمته أنني أقول ذلك، و دعوته إلي الكشف عنه.

ص: ١٩٩

١- فلک ثدی الجاریه: استدار.

٢- فی غ: و أرى خلق هذا الرومي قد غلظ:

فقال: لست أحتاج إلى كشف أمرك برسول أرسله ليعرف خبرك، ولكن لي أشياء أمتحنك بها، فأعرف صدقك من كذبك، فدعوته إلى كشفها بما شاء.

فدعا بدابته، ولبد، و سرج، و لجام، فأمرني بتناول الدابة، فأخذت الدابة من يد السائس، ثم أمرني بأخذ اللبد، فأخذته، ثم أمرني بإلقائه على الدابة، ففعلت ما أمرني به، ثم أمرني بتناول السرج، فأخذته، ثم أمرني بشد الحزام، و الثفر (١)، و اللب (٢)، و أخذ اللجام و إجام الدابة، ففعلت ذلك، ثم أمرني بركوب الدابة، فركبت، و أمرني بالسير فسرت، و أمرني بالإقبال و الإدبار، ففعلت، ثم أمرني بالنزول، فنزلت.

فقال، عند ذلك: أشهد أنه ابن ملك الروم، لأنه أخذ الدابة أخذ ملك، و عمل سائر الأشياء مثلما عمله الملوك، فاشهدوا أنني قد زوجته ابنتي.

فلما قالوا شهدنا، قال: لا تشهدوا.

فلما سمعت قوله: لا تشهدوا، تخوّفت أن يأتي على نفسي.

ثم قال لي: لم أتوقف عن الشهاده رغبه عنك، و لكننا لنا شرط لا نقدر أن نخالفه، و لم نأمن أن تضطرّ إليه، فنحملك على شرطنا، و هو ما لم نخبرك به، و نوقفك عليه، فنكون قد ظلمناك، أو ندع لك سنّه بلدنا، فنكون قد فارقنا سنّتنا، إن سنّتنا يا رومي، أن لا نفرّق بين الزوجين إذا مات أحدهما، فإن مات الرّجل قبل المرأه، تؤمنها معه في نعشه، و حملناهما معا، حتّى ننزلهما إلى بئر هي مأوى موتانا، و جعلنا معهما طعاما و شرابا لثلاثه أيام، ثم أنزلناهما إلى البئر، فإذا صارا إلى قرارها سبينا الحبال عليهما، و كذلك إن ماتت [١٤٢ غ] المرأه قبل الرّجل، جعلناها في سريرها، و جعلنا زوجها معها، و صيرناهما جميعا في البئر، فإن رضيت بهذه السنّه فبارك الله لك في زوجك، و إن لم ترض

ص: ٢٠٠

١- الثفر: سير من الجلد في مؤخر السرج، و يسمى عند عامّه بغداد الآن: تفر، بضم التاء و فتح الفاء.

٢- اللب: ما يشد من سير السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار السرج.

أقلناك، فلسنا نرؤجك، و لا تستقيم لنا على خلاف ستننا (١)، فأحوجتني الصبا به، أن قلت: قد رضيت بهذه السنه.

فأمر بتجهيزها و تسليمها إليّ، و جمع بيننا، فأقمت معها أربعين يوما، لا نرى إلا أنا قد فزنا بملك الدنيا.

ثم اعتلتّ علّه كانت معها غشيّه، لم يشكّ كلّ من رآها إلا أنّها قبضت، فجهّزت بأفخر ثيابها، و جهّزت معها بمثل ذلك، و حملنا على نعش واحد، و ركب الملك، و أهل المملكه، فشيّعونا حتّى وافوا بنا شفير البئر، ثمّ شدّوا أسافل السرير بالحبال، و جعلوا معنا فى النعش طعاما و شرابا لثلاثه أيام، ثمّ حطّونا حتّى صرنا إلى قراره البئر.

ثمّ أرخيت علينا الحبال، فسقط جبل منها على وجه الجاربه، فأزال الوجع ما كان بها من الغشى، فانتبهت، فلمّا انتبهت، رأيت أنّ الدنيا قد جمعت لى.

و استمرّت عيني على الظلمه، فرأيت فى الموضوع الذى أنا فيه، من الخبز اليابس و الخمر ماله دهر كثير، فأخذنا نتغذى به جميعا.

و كتبنا لا- نعدم فى يوم من الأيام، إلا- النادر (٢)، سريرا يدلىّ فيه زوجان، أحدهما ميت، و الآخر حيّ، فإن كان النازل رجلا حيا، تولّيت أنا قتله، لئلا يكون مع زوجتى غيرى، و كذلك إن كانت الحيه امرأه، تولّت زوجتى قتلها، لئلا يكون مع زوجها غيرها.

فمكثنا فى البئر على [٨١ر] هذه الحال أكثر من سنه، ثمّ دلّى فى البئر دلو، فعلمت أنّ مدلىّ الدلو غير برجانيّ، و أنّه [١٠٧ ظ] لا يدخل ذلك الموضوع غير برجانيّ، إلا رومى، و وقع لى أن أقدم الجاربه قبلى، لتتخلّص، ثمّ تعرّفهم حالى، فيردّوا الدلو إليّ، فأصعد.

ص: ٢٠١

١- فى غ: و ان لم ترض، فليست راضيه بك، و لا تستقيم ان تتزوّجها على خلاف ستننا.

٢- فى غ: إلا الخطأ.

فحملت بنت الملك فجعلتها فى الدلو[بكسوتها، و حليها، و جواهرها، و اجتذب القوم الدلو]١، فخرجت إليهم الجارية.

فإذا القوم مماليك لأبى، [و لم ينتبهوا للسؤال عنى، و هابتهم الجارية، أن تقول لهم شيئاً]١، و قد كانوا رأوا ما فيه أمى و أبى و ما غلب عليهما من الحزن لفقدى، فصاروا إليهما بالجارية ليتسلون بها، فسراً بها، و سكنا إليها.

و استمرت الهيبه (١) لهما بالجارية، فحصلت شرّ محصل.

و قد كان لوالدى صديق، له أدب و حكمه، و علم بالتصوير، صور لهما صورتى فى خشبه، و زوّقها، و جعلها فى بيت، و قال لأبوى: إذا ذكرتما ابنكما، و اشتدّ غمكما، فادخلا فانظرا إلى هذه الصوره، فأنكما ستبكيان بكاء كثيرا يعقبكما سلوه.

فلما صارت الجارية إلى أبوى، و رأتهما يدخلان ذلك البيت كثيرا، و يخرجان، و قد بكيا، استفتتهما يوماً، و هما داخلان، فبصرت بالصوره، فلما رأتها لطمت وجهها، و نتفت شعرها، و مزقت ثيابها.

فسألاها عن السبب فيما صنعت بنفسها، فقالت: هذه صوره زوجى، فسألاها عن اسمه، و اسم أبيه و أمه، فأسمتهم جميعاً.

فقالا لها: فأين زوجك؟

قالت: فى البئر التى أخرجت منها، فركب أبى و أمى فى أكثر أهل البلد، و معهم الغلمان الذين اخرجوا الجارية من البئر، حتى وافوا البئر، فدلّوا الدلو، و كنت قد سللت سيفى الذى كان أنزل معى من غمده، [و جعلت ذبابه (٢) بين ثديى]١ لأتكى عليه، فأخرجه من ظهرى، فأستريح من الدنيا، لغلبيه الغم على، فوثبت، فقعدت [١٤٣ غ] فى الدلو، و اجتذبنى حتى خرجت،

ص: ٢٠٢

١- كذا فى ظ، و فى م و غ: الهيبه، و لم أفهم معناها، و لعلّ الجملة: و استمرت هيبه الجارية لهما.

٢- ذباب السيف: طرفه الذى يضرب به.

فوجدت أباي، و أمي، و امرأتي، على شفير البئر، و قد أحضروا لي الدواب لأركب و أنصرف إلى بلادي، و كان أباي قد صار ملك تلك البلاد، فلم أطعهما، و أعلمتهما أن الأصوب البعثه إلى أباي الجارويه، و أمها، حتى يريا ابنتهما مثلما رأيتماي.

ففعلا- ذلك، و وجها إلى أباي الجارويه، و هو صاحب البرجان، فخرج في أهل مملكته، حتى عاينها، و أقاموا عرسا جديدا، و حدثت مهادنه بين الرّوم و البرجان جرت فيها أيمان مؤكّده أن لا يعدو أحدهما على صاحبه ثلاثين سنه، و صار القوم إلى بلادهم، و صرنا إلى منازلنا.

قال: و مات أباي، فورثت البطرقه عنه، و رزقت من بنت ملك البرجان الولد، و أنت يا عربي، فإن كان الغمّ قد بلغ منك إلى ما ذكرت فقد جاءك الفرج.

فما انقضى كلام البطريق، حتى دخل عليه رسول ملك الرّوم يدعوه، فمضى إليه، ثم عاد إليّ، فقال: يا عربي، قد جاءك الفرج، كنت عند الملك، و قد جرى ذكر العرب، و رمتهم البطارقه عن قوس واحده، فذكروا أنّهم لا عقول لهم و لا آداب، و أنّ قهرهم الرّوم بالغلبه و الاتفاق، لا بحسن التدبير.

فأعلمت الملك أنّ الامر بخلاف ما قالوا، فإنّ للعرب آدابا، و أذهانا، و تدبيرا جيّدا.

فقال لي الملك: أنت لمحبتك لضيفك العربي تفرط في إعطاء العرب ما ليس لها، و تصفها بما ليس فيها.

فقلت: إن رأى الملك أن يأذن في إحضار هذا العربي، ليجمع بينه و بين هؤلاء المتكلمين، ليعرف فضيلته، فأمرني بحملك إليه.

فقلت: بئس ما صنعت بي، لأنّي أخاف إن غلبني أصحابه أن يستخفّ بي، و إن غلبتهم أن يضطغن عليّ.

فقال: هذه صفه العامه، و الملوكة على خلافها، و أنا أخبرك أنّك إن

غلبتهم جللت في عين الملك، و كنت عنده بمكان يقضى لك فيه حاجه [٨٢ ر]، و إن غلبوك سرّه غلبه أهل دينه لك، فأوجب لك أيضا بذاك ذماما (١)، و إن أقلّ ما يرى أن يقضى لك حاجه، فإن غلبت أو غلبت [١٠٨ ظ]فسله (٢)إخراجك من بلده، و ردّك إلى بلادك، فإنه سوف يفعل ذلك.

قال قباث: فلما دخلت على الملك، استداناني، و قرّبتني، و أكرمني، و قال لي: ناظر هؤلاء البطارقة.

فأعلمته، أنني لا أَرْضى لنفسى بمناظرتهم، و أنني لا أناظر إلاّ البطريق الأكبر (٣)، فأمر بإحضاره.

فلما دخل، سلّمت عليه، و قلت له: مرحبا أيّها الشّيخ الكبير القدر.

ثمّ قلت له: يا شيخ، كيف أنت؟

قال: في عافيه.

قلت: فكيف أحوالك كلّها؟

قال: كما تحبّ.

فقلت له: فكيف ابنك؟

فتضحكت البطارقة كلّها، و قالوا: زعم البطريق [يعنون الذي هو صديقي] ١ أنّ هذا أديب، و أنّ له عقلا، و هو لا يعلم بجهله، أنّ الله تعالى قد صان هذا البطريق عن أن يكون له ابن.

فقلت: كأنكم ترفعونه عن أن يكون له ابن؟

قالوا: إي و الله، إنّنا لنرفعه، إذ كان الله رفعه عن ذلك.

فقلت: وا عجباً، أيجلّ عبد من عبيد الله، أن يكون له ابن، و لا يجلّ

ص: ٢٠٤

١- الذمام: الحرمة.

٢- في ظ: فسألته، و التصحيح من ر و غ.

٣- في غ: البترك الأكبر.

اللّٰه تعالى، و هو خالق الخلاق كلّها، عن أن يكون له ابن.

قال: فنخر البطريق نخره أفرعتنى، ثم قال: أيها الملك، أخرج هذا السّاعه عن بلدك، لا يفسد عليك أهله.

فدعا الملك بالفرسان، فضمّنى إليهم، و أحضر لى دواب البريد، و أمر بحملى عليها، و تسليمى إلى من يلقانا فى أرض الإسلام من المسلمين، فسلمونى إلى من تسلّمنى من أهل الثّغر.

ثمّ ذكر حديثا لعبد الملك، مع الرّجل، لا يتعلّق بهذا الباب فأذكره، [و اللّٰه سبحانه و تعالى أعلم بالصّواب] (١) [١٤٤ غ].

ص: ٢٠٥

١- هذه القصّه سقطت من م.

استنقذ المذحجين من أسر بني مازن

و ذكر القاضي [أبو الحسين في كتابه الفرغ بعد الشده] (١)، قال:

بلغني أنّ عمرو بن معدى كرب (٢) الزبيدي، قال: خرجت في خيل من بني زبيد، أريد غطفان، فبينما أنا أسير، وقد انفردت عن أصحابي، إذ سمعت صوت رجل ينشد شعرا، فحفظت منه قوله:

أما من فتى لا يخاف العطب يبلغ عمرو بن معدى كرب

بأننا نئوط في مازن بأرجلنا اليوم نوط القرب

فإن هو لم يأتنا عاجلا فيكشف عنا ظلام الكرب (٣)

و إلا استغثنا بعبد المدان و عبد المدان لها إن طلب

قال: فعلمت أنه أسير في بني مازن بن صعصعه، فقلت لخليتي: قفوا حتى آتيكم، فاقتحمت على القوم وحدي، فإذا هم يصطلون.

فقلت: أنا أبو ثور، أين أسرى بني مذحج؟.

فنادى [١٠٨ م] الأسرى من الرجال، و بادر القوم إلي يطلبوني، فلم أزل أقاتلهم و أقتل منهم حتى استعفوني، و قالوا: إننا و الله لنعلم، أنك لم تأتنا وحدك [إلا و أنت لا تبالي بنا] (٤)، فلك الأسرى فاكفف عنا خيلك.

ص: ٢٠٦

١- الزيادة من غ و م.

٢- أبو ثور عمرو بن معدى كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وفد على المدينة سنة ٩ فأسلم، و لما توفي النبي ارتد، ثم عاد فأسلم، و شهد اليرموك، و القادسيه، و كان أيبا، شجاعا (الأعلام ٥/٢٦٠).

٣- هذا البيت لا يوجد في ظ، و الإضافه من غ.

٤- الزيادة من غ.

فنزلت، و أطلقت بعضهم، و قلت: ليحلّ بعضكم بعضا (١)، و ليركب كلّ واحد منكم ما وجد من الخيل، و أقبلت خيل فركيوها.

فقلت للأسرى: هل علمتم بموضعي، حين أنشدتم ما سمعت.

قالوا: لا و الله، و ما أصبحنا يوما، منذ حبسنا، آيس من الفرج من يومنا هذا (٢)، فلذلك أقول:

ألم ترني إذ ضمّني البلد القفر سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

أغتنا فإنّا عصبه مذ حجيه نناط على وفر و ليس لنا وفر

فقلت لخيلي أنظروني (٣) فإنني سريع إليكم حين ينصدع الفجر

و أقحمت مهري حين صادفت غرّه على الطفّ حتّى قيل قد قتل المهر

فأنجيت أسرى مذحج من هوازن و لم ينجمهم إلّا السكينة و الصبر

و نادوا جميعا حلّ منا و ثاقنا أخوا البطش إنّ الأمر يحدثه الأمر

و أبت بأسرى لم يكن بين قتلهم و بين طعاني ضاربا عنهم فتر

يزيد و عمر و الحصين و مالك و وهب و سفيان و سابعهم و بر

[تكلّفنا يا عمرو ما ليس عندنا هوازن فانظر ما الذي فعل الدهر] (٤)

قال مؤلّف هذا الكتاب: أنشدنا أبو الفرج الأصبهاني البيتين الأولين، أولهما: ألم تر لما ضمّني البلد القفر. و في الثّاني: نراد على وتر

و ليس لنا وفر، قال: فيهما خفيف رمل بالوسطى لمحيد بن الحارث بن بسخر [عن عمرو، قال: و ذكر أنّه لابن بانه و فيهما ثاني

ثقل عن ..] (٥)

ص: ٢٠٧

١- في غ: ليحلّ مطلقكم موثقكم.

٢- في م: ما أصبحنا منذ أسرنا، أشدّ يأسا، و لا أتمّ إيقانا منّا بالهلاك، من هذا اليوم.

٣- في غ: أنظروني، بالطاء المهملة، و في ر و م: أنظروني، بالطاء المعجمة، و كلاهما بمعنى واحد. أي: انتظروني، و البغداديون

يقولون: أنظروني (بالطاء) بمعنى انتظروني.

٤- أضيف هذا البيت من م.

٥- وردت في غ، و لم أفهمها. و لعل ترتيبها الصحيح كما يلي: و ذكر أنّ فيهما ثقل ثاني لعمرو بن بانه.

[أخبرني بهذا الخبر، محمد بن الحسن بن المظفر [١٠٩ ظ]، قال:

أخبرني أبو القاسم الزينبي، قال: أخبرنا أبو خليفه الجمحي (١)، عن محمد بن سلام (٢)، و ذكر نحوه [٣].

ص: ٢٠٨

١- أبو خليفه الفضل بن الحباب بن محمد الجمحي: قاضي البصره، شاعر، أديب، كان مولعا بالسجع، جاء إلى بغداد على رأس وفد، و كلم الوزير، فقال له: أحسبك أيها الشيخ مؤدبا، فقال له: أيها الوزير، المؤدبون أجلسوك هذا المجلس، راجع أخباره في معجم الأدباء ١٣٤/٦ و في مروج الذهب للمسعودي ٥٠٠/٢ و ٥٠١ و [١] في نشوار المحاضره للتتوخى القصص ٩/٢ و ١٠/٢ و ٢٩/٣ و ١٧٩/٣ و ٧٤/٤.

٢- أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي (١٥٠-٢٣٢): إمام في الأدب من أهل البصره، مات ببغداد، له عدّه مؤلفات (الأعلام ١٦/٧).

٣- لم ترد في غ.

من فارق شدّه إلى رخاء بعد بشرى منام

لم يشب صدق تأويله بكذب الأحلام

١٩٩

ما عرض المعتضد في أيامه للعلويين

ولا آذاهم ولا قتل منهم أحدا

أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، قال: حدّثنا محمد بن يحيى ابن أبي عباد الحسني (١)، قال:

رأى المعتضد، وهو في حبس أبيه، كأنّ شيخا جالسا على دجله، يمدّ يده إلى مائها فيصير في يده و تجفّ دجله، ثمّ يرده من يده، فتعود دجله كما كانت.

قال: فسألت عنه، فقيل لي: هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقلت إليه، و سلّمت عليه، فقال لي: يا أحمد، إنّ هذا الأمر صائر إليك، فلا تتعرّض لولدي، و صنهم، و لا تؤذهم.

ص: ٢٠٩

١- أبو جعفر محمّد بن يحيى بن أبي عباد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري النديم، المعروف بمحبّره: ترجم له ابن النديم في الفهرست ٦٦ و [١] ذكره ياقوت في معجم الأدياء ٥٧/١، و [٢] قال: إنّّه كان حسن الأدب، نادى المعتضد، و ألف له كتاب جامع المنطق، و وصفه التنوخيّ بأنّه كان غايه في الظرف، و كبر النفس، و عظم النعمه، راجع قصّيته مع جحظه البرمكيّ في القصّه ٢٤٤ من هذا الكتاب.

فقلت: السَّمع و الطاعه لك يا أمير المؤمنين.

و حدّثني أبي رحمه الله بهذا الحديث، على أنّ من هذا، بإسناد ذكره عن ابن حمدون النديم، [قال: حدّثني أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن حمدون (١)، أو قال: حدّثني من قال حدّثني أبو محمّد - أنا أشكّ - لأنّي لم أكتبه، و إنّما حفظته في المذاكره، و لعلّ الألفاظ تزيد أو تنقص، قال] (٢):

قال لي المعتضد بالله و هو خليفه: لمّا قدم أبي، و هو عليل [العلة التي مات فيها، و أنا في حبسه (٣)، ازداد خوفي على نفسي، و لم أشكّ في أنّ إسماعيل بن بلبل، سيحمله على قتلي، أو يحتال بحيله يسفكك بها دمي، إذا وجد أبي قد ثقل، و أيس منه] ٣.

فتمت لي من تلك الليالي، و أنا من الخوف على أمر عظيم، و قد صلّيت صلاه كثيره و دعوت الله عزّ و جلّ، فرأيت في منامي كأنني قد خرجت إلى شاطئ دجله، فرأيت رجلا جالسا على الشاطئ، يدخل يده في الماء، فيقبض عليه، فتقف دجله، و لا يخرج من تحت يده قطره من الماء، حتّى يجفّ ما تحت يده، و يتزايد الماء فوق يده و يقف كالطود العظيم، ثمّ يخرج يده من الماء فيجرى، يفعل ذلك مرارا، فهالني ما رأيت.

فدنوت منه، و سلّمت عليه، و قلت له: من أنت يا عبد الله الصالح؟

فقال: أنا عليّ بن أبي طالب.

ص: ٢١٠

١- أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن إبراهيم (حمدون) بن إسماعيل بن داود، الملقّب بابن حمدون النديم: ترجمته في حاشيه القصّه ٦٥ من الكتاب.

٢- الزيادة من غ.

٣- في السنه ٢٧٥ حبس الموفق ابنه أبا العباس، فشغب أصحابه، و حملوا السلاح، و ركب غلماناه، و اضطربت بغداد، فركب أبو أحمد، حتّى بلغ الرصافه، و قال لأصحاب أبي العباس و غلماناه: ما شأنكم؟ أ ترونكم أشفق على ولدي منّي؟ هو ولدي، و احتجت إلى تقويمه، فانصرفوا (الطبري ١٥/١٠).

فقلت: يا أمير المؤمنين، ادع الله لى.

فقال: إن هذا الأمر صائر إليك، فاعتضد بالله، و احفظنى فى ولى، فانتبهت و كأنى أسمع كلامه لسرعه المنام.

فوثقت بأننى أتقلمد الخلافة، و قويت نفسى، و زال خوفى، فقلت للغلام لم يكن معى فى الحبس غيره، إذا أصبحنا فامض فابتع لى خاتما، و انقش على فضّه أحمد المعتضد بالله، [١٠٩ م] و جئنى به.

فمضى، و فعل، و أتانى به، فلبسته، و قلت: إذا وليت الخلافة، جعلت لقبى المعتضد بالله.

ثم أخذت أقطع ضيق صدرى فى الحبس، بتصفّح أحوال الدنيا، و الفكر فى تدبير عماره الخراب منها، و وجه فتح المنغلق، و تعيين العمّال للنواحى، و الأمراء فى البلاد.

ثم أخذت رقعته، فكتبت، بدر: الحاجب، عبيد الله بن سليمان؛ الوزير، فلان: أمير البلد الفلانى (١)، فلان؛ عامل البلد الفلانى (٢)؛ فلان: للديوان الفلانى، إلى أن أتيت على ما فى نفسى من ذلك، ثم دفعته للغلام، و قلت له:

احتفظ بهذه، فإنّ دى و دمك مرتهان بما فيها، فحفظها.

فما مضى إلا أيام يسيره، حتّى لحقت الموقّ غشيه، لم يشكّ الغلمان معها أنّه قد مات [٨٣ ر]، فأخرجونى، فأتوا بى إلى بيت فيه الموقّ، فلمّا رأيت أنه علمت أنّه غير ميت، فجلست عنده، و أخذت يده أقبلها و أترشّفها، فأفاق، فلمّا رآنى أفعل ذلك، أظهر التقبّل لى، و أوماً إلى الغلمان، أن قد أحسنتم فيما فعلتم.

ص: ٢١١

١- الأمير: راجع حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب.

٢- العامل: راجع حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب.

ثم مات الموفق في ليلته تلك، ووليت مكانه (١)، فابتدأت بتقرير الأمور، على ما كنت قررتَه [١٤٥ غ] في الرقعه، ثم وليت الخلفه، فأمضيت بقايا تلك التدبيرات كلها.

[قال لي أبي: قال لي ابن حمدون: ما عرض المعتضد في أيامه للعلويين، و لا آذاهم، و لا قتل منهم أحدا] (٢).

ص: ٢١٢

-
- ١- توفي الأمير الموفق، و هو ابن ٤٨ سنة و أشهر، و خلفه ولده المعتضد، و هو ابن ست و ثلاثين سنة، فيكون الأب أسن من ولده بثلاث عشرة سنة، و لما عاد الموفق إلى بغداد كان قد اشتد به وجع النقرس، و أصيب بمرض الفيل، و لم يكن قادرا على الركوب، فأتخذ له سرير عليه قبه، و كان يحمل سريره أربعون رجلا، يتناوب عليه عشرون عشرون، و لما وافى النهر اوان، ركب الماء، فسار في النهر اوان، ثم في ديالى، ثم في دجله إلى الزعفرانيه، حتى دخل داره ببغداد (الطبرى ٢٠/١٠).
 - ٢- الزيادة من غ و م، و نقل الخبر باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٧.

سليمان بن وهب يتفائل بمنام رآه و هو محبوس

[حدّثني عليّ بن هشام بن عبد الله الكاتب، قال: حدّثنا أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي، ابن بنت ابن المدبّر، قال: حدّثني أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب- قال علي بن هشام: و ميمون هذا، هو جد أبي الحسين بن ميمون الأفتس، كاتب المتقى في أيام أبيه، و وزيره لما استخلف (١)- قال: (٢)]

كانت بيني و بين أبي أيوب سليمان بن وهب، موّده و كيده، فلمّا تسهّلت محنته بعد قتل إيتاخ، صرت إليه و هو محبوس مقيد، إلاّ أنّه مرّفه في الكسوه، و كبير الدار، و الفرش، و حسن الخدمه، و قد صلحت حاله بالإضافة إلى ما كان عليه أوّل نكبته من الضرب و التضيق.

فحدّثني: أنّه رأى في ليلته تلك، في منامه، كأنّ قائلاً يقول له:

اصبر و ربّ البيت لا يقتادها أحد سواك و حظّك الموفور

قال: فصرت إلى أخيه أبي عليّ الحسن بن وهب، فحدّثته بذلك، فسرّ به، و كان كالمستتر الممتنع عن لقاء السلطان، فعمل شعرا ضمّنه البيت، و سألتني إيصاله إلى أخيه أبي أيوب سليمان، فأخذته، و أدخلته إليه، و هو:

الدمع من عيني أخيك غزير في ليله و نهاره محذور

بأبي و أمي خطوك المقصور أم مقيد، و مصفّد، و أسير؟ [١١٠ ظ]

ص: ٢١٣

١- أبو الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان الكاتب.

٢- الزيادة من غ، و في م: قال علي بن هشام: كانت بيني... الخ، و في ظ: رأى سليمان بن وهب و هو محبوس، كأنّ قائلاً- يقول له... الخ.

و زادنى غيره، فى غير هذه الروايه:

ما ذا بقلب أخيك مذ فارقته ليكاد من شوق إليك يطير

فكأنما هو قرحه مقروفه (١) منها البلابل و الهموم تنور [١٤٦ غ]

فكر يجول بها الضمير كأنما يذكو بها حول الشغاف سعيير

و جوى دخيل ليس يعلم كنهه ممّا يلاقيه أخ و عشير

فيظنه أخذانه متسلّيا و البثّ فى أحشائه مستور

رجع إلى الروايه الأولى:

ما كنت أحسبني أعيش و مهجتى تحت الخطوب تدور حيث تدور

قلقا (٢)، فإنك بالعزاء جدير و على النوائب- منذ كنت- صبور

عثرات مثلك فى الزّمان كثيره و لهنّ بعد مثابه و حبور

إن تمس فى حلق الحديد فحشوها منك السماحه و النّدى و الخير

و الفصل للشبهات رأيك ثاقب فيها يضىء سداده و ينير

و زادنى غيره أيضا:

و تحمّل العبء الثقيل بثقله منك المجرب عزمه المخبور

رجع إلى الروايه الأولى:

فاصبر- و ربّ البيت- لا يقاتدها أحد سواك و حظك الموفور

ص: ٢١٤

١- القرف، فى اللغه: القشر، و قوله: القرحة المقروفه، لأنّ القرحة إذا قشرت أو مسّت بعنف، آلمت ألما شديدا، و البغداديون الآن يسمّون القرحة: دنبله، تحريف: دمل، و يقولون عن القرحة المقروفه: الدنبله الملقومه، بالجيم المثلثه الفارسيه.

٢- كذا ورد فى ر، و فى م: و فى ظ: قلعا، و فى غ: فلعا، و المقتضى أن يكون موضعها كلمه أخرى مثل: صبيرا، أو مهلا، إلا إذا اعتبرت الكلمه تابعه للبيت الذى قبله، فتكون الجملة: ما كنت أحسبني أعيش قلعا، أو أنّ المقصود: كفى قلعا، أو حسبك قلعا، يا ضمير كفى

و الله مرجو لكربتنا معا و على الذى نرجوه منه قد ير (١)

قال: فما مضت إلا أيام يسيره، حتى أطلق سليمان بن وهب، ثم انتهى بعد سنين إلى الوزاره.

[و ذكر هذا الخبر محمد بن عبدوس فى كتابه: كتاب الوزراء، على قريب من هذا، إلا أنه أتى من الشعر بيتين فقط.] (٢)

ص: ٢١٥

١- هذا البيت لم يرد فى ظ، ولا فى م.

٢- الزيادة من غ.

لم يقصد النهابة دار الحسن بن مخلد

لأنه كان متعطلاً

[حدّثني عليّ بن هشام، قال: حدّثني أبو الفرج محمّد بن جعفر بن حفص الكاتب (١)، قال: (٢) حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان، قال:

كان أبو محمّد الحسن بن مخلد، أوّل من رفعني، واستخلفني على ديوان الضياع، فكنت أخلفه عليه، إلى أن ولي شجاع بن القاسم الوزارة (٣)، [م ١١٠] مع كتبه أو تامش (٤) في أيام المستعين، فاشتدّ جزع أبي محمّد منه.

ص: ٢١٦

١- أبو الفرج محمّد بن جعفر بن حفص الكاتب: من كتيّاب الدولة العباسيّة، كان متحقّقاً بأبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير المعتضد، ولأه أبو القاسم الخاقاني ديوان السواد في السنه ٣١٢ لما خلف أبا الحسن بن الفرات في وزاره المقتدر، و قد أثنى ابن الفرات على كفاءته (تجارب الأمم ١/١٢٩ و الوزراء ١٤٠).

٢- الزيادة من غ.

٣- شجاع بن القاسم: كان كاتب القائد أبي موسى أو تامش التركي، و كان المستعين قلّم أو تامش الوزارة، و لكنّ كاتبه شجاع، كان هو المتولّي لأمر الوزارة، و القيّم بها (مروج الذهب ٢/٤٣٣)، [٢] و وصف الحسن بن مخلد شجاع بأنّه: حمار، و وصفه البحترى بأنّه جاهل (الطبرى ٩/٣٥٣)، و قال عنه الحصرى في الملح و النوادر ص ١٧٢ إنّه أمى لا يقرأ و لا يكتب و لا يفهم، و إنّما علمّ علامات يكتبها في التوقيع، و روى عنه عجائب في كتاب الملح و النوادر، راجع ذلك في الصفحه ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤، و راجع كذلك الهفوات النادره ص ٢٦٨، قتل شجاع مع صاحبه أو تامش في السنه ٢٤٩.

٤- أبو موسى أو تامش: من القواد الأتراك في الدولة العباسيّة، كان غلام الواثق، و انتصر للمنتصر في خصومته مع المتوكل (مروج الذهب ٢/٤١٧) و [٣] لما استخلف المستعين استوزره (مروج الذهب ٢/٤٣٣) و [٤] جعل ابنه العيّاس في حجره (تجارب الأمم ٦/٥٦٦) و قدّمه على جميع الناس (تجارب الأمم ٦/٥٦٤) و أطلق يده في بيوت الأموال فاكسحها، فهاج عليه الجند، فقتلوه و كاتبه شجاع ابن القاسم (تجارب الأمم ٦/٢٦٦، الطبرى ٩/٢٦٣، [٥] الكامل ٧/١٢٣).

فسألته عن سبب ذلك، فقال: [٨٤ ر] هذا رجل حمار، لا يغار على صناعته، و هو مع هذا من أشد الناس حيله و شرًا، و هو يعرف كبر نفسى، و صغر نفسه، و قد بدأ بأبى جعفر أحمد بن إسرائيل، فصرفه عن ديوان الخراج، و نكبه، و نفاه إلى أنطاكيه (١)، و لست آمن أن يجعلنى فى أثره.

قال: فما مضى إلا أسبوع، حتى ظهر أن أبا موسى عيسى بن فرخان شاه (٢) القنائى الكاتب قد سعى مع شجاع فى تقلد ديوان الضياع، ثم تقلده صارفا للحسن بن مخلد، و خلع عليه، فازداد جزع الحسن، و أغلق بابه، و قطع الركوب.

فبينما أنا عنده فى بعض العشيّات، إذ أتت رقعته من شجاع، يستدعيه، و يؤكّد عليه فى البدار، فارتاع، و نهض، و تعلّق قلبى به، فقعدت أنتظر، إلى أن عاد و هو مغموم مكروب.

فقلت: ما خبرك؟

قال: قد فرغ شجاع من التدبير علىّ، و ذلك أنه قد صحّ عندى بعد افتراقنا، أن أوتامش قال البارحة لبعض خواصّه: قد ثقلنا على شجاع، و حملناه ما لا يطيق من كتبى و الوزاره، و تركنا هذا الشيخ الحسن بن مخلد، متعطّلا، و لا بدّ أن يفرج له شجاع عن كتبى، أو الوزاره، لأقلّده أحدها، فلمّا بلغ ذلك شجاعا، أنفذ إلىّ فى الوقت.

فلما لقيته الساعه، قال لى: يا أبا محمّد، أنت شيخى، و رئيسى، و أنت اصطنعتنى، و أنا معترف بالحقّ لك، و آخر ما لك عندى من الإنعام

ص: ٢١٧

١- كذا ورد فى جميع النسخ، و الذى فى كتب التاريخ: أن الموالى فى السنه ٢٤٨ غضبوا على أحمد بن الخصيب، فاستصطفى ماله، و مال ولده، و نفى إلى إقريطش (كريت)، راجع تجارب الأمم ٥٦٤/٦ و الطبرى ٢٥٩/٩ و [١] الكامل ١١٩/٧.

٢- أبو موسى عيسى بن فرخان شاه القنائى الكاتب: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٢٤ من الكتاب.

أن قلدتني عماله همذان (١)، فانتقلت منها إلى هذه المرتبه، و الأمير يحذر ك الحذر كله و قد أقام على أنه لا بد من نكبتك و إفقارك، فللحال التي بيننا، ما أقمت على الامتناع عليه من هذا، و سألته في أمرك، و بعد أن جرت خطوب، تقرر أن لا تجاوره، و تشخص إلى بغداد، و رضيته بذلك، و صرفت عنك النكبه، و قد أمرني بإخراجك من ساعتك، و ما زلت معه حتى استنظرته لك ثلاثة أيام، أولها يومنا هذا، فاعمل على هذا، و أنك تمضى إلى بلد الأمر و النهى فيه إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر (٢)، و هو صديقك، و يخدمك الناس كلهم، و لا تخدم أحدا، و تقرب من ضيعتك.

فأظهرت له الشكر، و ضمنت له الخروج، و أنا خائف منه أن يدعني حتى أخرج آلتى و حرمى [١١١ ظ] ثم يقبض على ذلك كله، و ينكبني.

فقلت: الوجه أن تفرق جميع مالك و حرمك و الأمتعه و الدواب، و تودعه ثقاتك، و إخوانك، من وجوه قواد الأتراك و كتابهم، و تطرح الثقل الذي لا قيمه

ص: ٢١٨

١- همذان: مدينه من أكبر مدن المنطقه المسماة: الجبل، عذبه الماء، طيبه الهواء، أرضها منبت الزعفران، و شتاؤها مفرط البرد (مراصد الاطلاع ١٤٦٥/٣) [١] أقول: مررت بهمذان في أحد أسفارى في السنه ١٩٥٥، و أبصرت فيها، خارجها، قبر الشيخ الرئيس ابن سينا رحمه الله، و يسمونه هناك: أبو على، و على القبر قبه عظيمه، نقش على دائرها من الداخل قصيدته المشهوره التي مطلعها: هبطت إليك من المحل الأرفع و رقاء ذات تعزز و تمنع و حول القبه، بناء ضخم كثير الأبهاء و الغرف، مفروش بأفخر السجاد الإيراني، و قد بنى مقابل الضريح، فندق من الدرجه الأولى، اسمه: فندق أبو على.

٢- أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين المصعبى (٢٠٩-٢٥٣): أمير بغداد، شجاع، حازم، من بيت مجد و رئاسه، و لى إماره بغداد فى عهد المتوكل العباسى، و استمر على إمارتها حتى مات، و كان فاضلا، أدبيا (القصة ١٣٤/٤ من نشوار المحاضره للتوخى)، [٢] حليما (الطبرى ٣٣٨/٩) [٣] قال الخطيب البغدادى: كان مألفا لأهل العلم و الأدب (الأعلام ٩٤/٧).

له من خيش و ستائر و أسره و آله المطبخ فى الزواريق، و تجلس فى الحراقه (١) العجائز اللواتى لا تفكر فيهن، ليظنَّ أَنهنَّ الحرم، و تجتهد أن يكون خروجك ظاهرا، و لا تكاشف بالاستتار، بل على سبيل توقُّ و مراوغه، فإذا حصلت ببغداد، دبّرت أمرك حينئذ بما ترى [١٤٧ غ].

فقال: هذا رأى صحيح، و أخذ يصلح أمره على هذا.

فلما كان فى ليله اليوم الثالث، لم أنم أكثر الليل، فكرا فيه، و غمّا بأمره، ثم نمت لما غلبتنى عينى، فرأيت فى السحر كأنّ قائلا يقول لى: لا- تغتم، فقد ركب الأ-تراك من أصحاب و صيف و بغا، إلى أوتامش و كاتبه شجاع، و قد هجموا عليهما، و قتلوهما، و استرحتم منهما.

فانتبهت مروّعا، و وجدت الوقت حين انفجار الصبح، فصلّيت، و ركبت إلى الحسن بن مخلد، فدخلت إليه من باب له غامض، لأنّه كان قد أغلق أبوابه [٨٥ ر] المعروفه، فسألته عن خبره.

فقال: هذا آخر الأجل، و قد خفت أن يعاجلنى شجاع بالقبض علىّ، و قد أغلقت أبوابى، و استظهرت بغلمان يراعون رسله، فإن جاءوا و رأوا أمارات الشرّ منهم، خرجت من هذا الباب الغامض (٢)، و أن يسألوا عن شجاع،

ص: ٢١٩

١- الحراقه، و جمعها حرّاقات و حراريق: هى فى الأصل سفن فيها مرامى نار، يقذف بها العدو، ثم أطلقت على سفن المعابر، و كان المترفون يتفتنون فى بنائها على صور الحيوان و الطير، راجع معجم المراكب و السفن فى الإسلام لحبيب زيات، مجله المشرق م ٤٣.

٢- كان رجال الدوله من أمراء و قواد و كتّاب فى تلك الأيام، يعيشون عيشه حذر و ترقّب، يتأمر بعضهم على بعض، و يغتال بعضهم بعضا، و كان من جمله ما يقتضيه حذرهم، أنّهم كانوا يتخذون فى دورهم أبوابا عدّه، و بعضها غامض لا يعرف، فكانوا ينفذون من الأبواب الغامضه، إن دهمهم مداهم، و قد كان لدار أبى جعفر محمّد بن يحيى بن شيرزاد أربعة عشر بابا، إلى أربع عشره سكه و شارعاً و زقاقا نافذا، و منها عدّه أبواب لا- يعرف جيرانها أنّها تفضى إلى دار أبى جعفر، و أكثرها عليه الأبواب الحديد (راجع القصّه ٣٧٨ من هذا الكتاب).

فإن كان في داره [١١١ م] قالوا لمن جاء يطلبني إنه في دار الأمير، وإن كان في دار الأمير، قالوا للرسول إنه في دار شجاع، مدافعه عني حتى أهرب.

قال: فقصصت عليه الرؤيا، فتضحك، وقال: ما ظننتك بهذه الغفلة، نحن في اليقظة على ما ترى، كيف يصح لنا خبرك في منامك؟ هذا إنما نمت و أنت تتمنى خلاصى، فرأيت ذلك في منامك.

فخرجت من عنده أريد دارى، فلقيني جماعه فى الطريق، فعرفونى أن الأتراك قد ركبوا بالسلاح، فعدت إلى منزلى، وأغلقت بابى، و وصيت عيالى بحفظ الدار، ثم عدت، فدخلت إلى الحسن، فأخبرته بالخبر، فأمر بمراعاة الأمر.

فما زلنا نتعرف الأخبار، ساعه بساعه، إلى أن جاء الناس فعرفونا أن الأتراك قتلوا شجاعا، ثم دخل رجل، فقال: أنا رأيت الساعه رأس أوتامش، و صح الخبر بقتلهما جميعا (١).

و نهبت سامراء كلها، فما أفلت أحد من النهب أحسن من إفلات الحسن ابن مخلد، لأن ماله كله كان قد حصل عند القواد و كتابهم، فلم يضع منه شىء، و كان متعطلا، فلم يقصد النهابه داره، و ما أمسينا إلا فى أتم سرور و فرح، لأنه فرج عنا بما لم يكن فى حسابنا.

ص: ٢٢٠

١- قتل أوتامش و كاتبه شجاع بن القاسم فى يوم السبت ١٤ ربيع الآخر سنة ٢٤٩.

اتخذ من رؤيا ادعى أنه رآها

سببا للتخلص من حبس سيف الدولة.

حدّثني أبو الفرج المخزومي، المعروف بالبيغاء الشاعر، قال:

كان بحلب بزّاز يعرف بأبي العباس بن الموصول (١)، اعتقله سيف الدولة (٢)، بخراج كان عليه، مدّه، و كان الرّجل حاذقا بالتعبير للرؤيا.

فلما كان في بعض الأيام، كنت بحضره سيف الدولة، وقد وصلت إليه رقعه البزّاز، يسأله فيها حضور مجلسه، فأمر بإحضاره.

وقال: لأيّ شيء سألت الحضور؟

فقال: لعلمي أنّه لا بدّ أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال، في هذا اليوم.

قال: و من أين علمت ذلك؟

قال: إنني رأيت البارحة في منامي، في آخر الليل، رجلا - قد سلّم إليّ مشطا، و قال لي: سرح لحيتك، ففعلت ذلك، فتأولت التسريح، سراحا من شدّه و اعتقال، و لكون المنام في آخر الليل، حكمت أنّ تأويله يصحّ

ص: ٢٢١

١- في ظ: الموصول، و في ر: الموصلي، و في م و غ و في كتاب أخبار سيف الدولة ص ٣٦١: الموصول.

٢- أبو الحسن علي سيف الدولة بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي (٣٠٣-٣٥٦): الأمير، الشجاع، المهذب، الأبّي، الجواد، الأديب، الشاعر، درّه تاج الحمدانيين، و واسطه عقدهم، ممدوح المتبّي، لم يجتمع بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ العلم، و نجوم الدهر، ملكك حلب و ما جاورها، و أخباره، و وقائعه مع الروم كثيره، و كان كثير العطايا مقرّبا لأهل الأدب (الأعلام ١١٨/٥)، [١] راجع بعض أخباره في القصص ١٥١/١ و ١٦٣/٢ و ١٢٠/٣ و ١٢١/٣ من كتاب نشوار المحاضره للتّوخي، و [٢] اقرأ ما كتب عنه الثعالبي في اليتيمه

سريعاً، و وثقت بذلك، فجعلت الطريق إليه مسأله الحضور، لأستعطف الأمير.

فقال له: أحسنت التأويل، و الأمر على ما ذكرت، و قد أطلققتك، و سوّغتك خراجك في هذه السنه.

فخرج الرّجل يشكره و يدعو له (١).

ص: ٢٢٢

١- منح الخليفه المّتقى، الأمير أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان لقب سيف الدوله، و أمر بأن يكتب اسمه على الدنانير و الدراهم، و هذه فضيله لم يسبقه إليها أحد، ثم طوّقه بطوقين، و سوّره بأربعة أسوره ذهباً (أخبار سيف الدوله ١٥، ١٢)، لزياده التفصيل راجع كتاب نبد تاريخيه و أدبيّه جامعه لأخبار الأمير سيف الدوله الحمدانى، جمع الشيخ ماريوس كافار.

خراسانى يودع بدره من المال لدى أبى حسان

الزىادى فيسارع إلى إنفاقها.

[أخبرنى القاضى أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التّوخى (١)، فيما أجاز لى روايته عنه، بعد ما سمعته منه، قال: حدّثنا محمّد بن خلف وكيع القاضى (٢) قال: حدّثنى أبو سهل الرازى القاضى، قال: (٣) حدّثنا أبو حسان الزىادى القاضى (٤)، قال:

جاءنى رجل من أهل خراسان فأودعنى بدره دراهم، فأخذتها مضمونه، و كنت مضيقاً، فأسرعت فى إنفاقها، و كان قد عزم [١٤٨ غ] المودع [١١٢ ظ] على الحجّ، ثمّ بدا له، فعاد يطلبها، فاعتممت، و قلت له: تعود إلّى من غد.

ص: ٢٢٣

١- أبو طالب محمّد بن أحمد بن إسحاق بن البهلول التّوخى: ترجمته فى حاشيه القصّه ٨٣ من الكتاب.

٢- أبو بكر محمّد بن خلف بن حيان الضّبى، المعروف بوكيع القاضى.

٣- فى ظ: حدّث أبو حسان، و الزيادة من م و غ.

٤- أبو حسان الحسن بن عثمان الزىادى القاضى: قال عنه التّوخى فى كتابه نشوار المحاضر، [١] إنّه كان من غلمان أبى يوسف القاضى، و تقلّد القضاء قديماً، ثمّ تعطلّ، و قال عنه الخطيب فى تاريخه ٣٥٧/٧: إنّه كان من خاصّه القاضى أحمد بن أبى دؤاد، ثمّ قال: إنّ المتوكّل عينه قاضياً فى السنه ٢٤١، أى بعد وفاه ابن أبى دؤاد بسنه، و هذا يعنى أنّ أبا حسان انقلب على تعاليم ابن أبى دؤاد، و مما يستلفت النظر أنّ القصص التى يوردها أبو حسان الزىادى، تشتمل على الثناء عليه، و الإطراء له، و هو المخبر بها وحده، فإنّ هذه القصّه، و تتلخّص فى اهتمام النبى صلوات الله عليه، بأبى حسان، و تشدّده على الخليفه فى العنايه به، هى من روايته هو، و لم يكتف أبو حسان بذلك، فادّعى من بعد أنّه رأى الله سبحانه و تعالى، و لما طولب بالإيضاح، قال: إنّه رأى فى منامه نورا (تاريخ بغداد للخطيب ٣٥٧/٧) و [٢] مات أبو حسان و هو قاضى الشقيه فى السنه ٢٤٢ (الطبرى ٢٠٨/٩).

ثمّ فرّعت إلى الله تعالى، و دعوته، و ركبت بغلتي في الغلس، و أنا لا- أدري إلى أين أتوجّه، و عبرت الجسر و أخذت نحو المخزّم، و ما في نفسي أحد أقصده، فاستقبلني رجل راكب، فقال: [٨٦ ر] إليك بعثت.

فقلت: من بعثك؟

فقال: دينار بن عبد الله، فأتيته و هو جالس.

فقال لي: ما حالك؟

قلت: و ما ذاك؟

فقال: ما نمت الليله (١) إلا أتاني آت، فقال: أدرك أبا حسان.

فحدّثته بحدِيثي، فدعا بعشرين ألف درهم، فدفعها إليّ، فرجعت، فصلّيت في مسجدى الغداه، و جاء الرّجل، فدفعت إليه ماله، و أنفقت الباقي.

و وقع إليّ هذا الخبر، من طريق آخر، [فحدّثني طلحه بن محمّد بن جعفر الشاهد، و قرأته بالإجازة عن طلحه، قال: حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصبى، قال: حدّثني أبو علي أحمد بن إسماعيل نطاحه، قال: حدّثني أبو سهل الرازى القاضى، قال: [٢] حدّثنا أبو حسان الزياى القاضى، قال:

أضقت إضاقه بلغت بها إلى الغايه، حتّى ألحّ عليّ الخباز، و القصاب، و البقال، و سائر المعاملين، و لم تبق لي حيله.

فإنّى يوما من الأيام على تلك الحال، مفكّرا في أمرى، كيف أعمل، و كيف أحتال، إذ دخل عليّ غلامى، فقال: بالبّاب حاجّ يستأذن عليك.

فقلت: أدخله.

ص: ٢٢٤

١- في غ: فقال: ما نمت البارحه.

٢- الزياىه من غ.

فدخل عليّ رجل خراساني، فسلم، وقال: أنت أبو حسان؟

قلت: نعم، فما حاجتك؟

قال: أنا رجل غريب، أريد الحجّ، ومعى جملته مالى، وهو عشرة آلاف درهم، وقد أحضرته فى بدره معى [١١٢م] أسألك أن تقبضها و تدعها قبلك، إلى أن أفضى حجى، و أرجع، فإنى غريب، و ما أعرف أحدا فى هذا البلد.

فقلت: هات البدره.

فسلمها إلىّ، و خرج بعد أن وزن ما فيها.

فلما خرج، فتحتها على الفور (١)، و أحضرت المعاملين، فقضيت جميع ديونى، و اتّسعت بالباقي، و قلت: أضمنها فى مالى إلى أن يعود من الحجّ، [و إلى أن يجىء،] يأتى الله بفرج من عنده.

فكنت فى يومى ذاك، فى سعه، [٦،] و أنا فرح، لست أشكّ فى خروج الخراسانى.

فلما أصبحت من الغد، دخل عليّ الغلام، فقال: الخراسانى الذى أودعك البدره، بالباب.

فقلت: أدخله.

فدخل، و قال: اعلم أنى كنت عازما على الحجّ، ثم ورد عليّ خبر وفاه أبى، و قد عزمت على الرجوع إلى بلدى فتفضّل عليّ بإعاده البدره التى أعطيتك أمس.

فورد عليّ أمر عظيم، لم يرد عليّ مثله قط، و تحيرت، و لم أدر بما أجيبه، ثم فكّرت، فقلت: ما ذا أقول له؟ إن جحدته، قد منى إلى القاضى، و استحلّفنى

ص: ٢٢٥

١- فى غ: فلما خرج، فككت خاتمها على المكان.

فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة والهتك، وإن دافعته، صاح و هتكنى.

فقلت له: نعم، عافاك الله، إن منزلي هذا ليس بالحريز، ولما أخذت منك البدره، أنفذتها إلى موضع أحرز منه، فتعود إليّ غدا، لأسلمها إليك.

فانصرف، و بقيت متحيرة، لا أدري ما أعمل، و عظم عليّ الأمر جدًّا، فأدركني الليل، و فكّرت في بكور الخراساني، فلم يأخذني النوم، و لا قدرت على الغمض.

فقمّت إلى الغلام، فقلت: أسرج البغله.

فقال: يا مولاي، هذا أول الليل، إلى أين تمضي (١)؟

فرجعت إلى فراشي، فإذا النوم ممتنع عليّ، فلم أزل أقوم إلى الغلام، و هو يردّني، حتّى فعلت ذلك مرّات، و أنا لا يأخذني القرار.

و طلع الفجر، فأسرج الغلام البغله، فركبت، و أنا لا أدري إلى أين أتوجه، فطرح عنان البغله، و أقبلت أفكر و هي تسير، حتّى بلغت الجسر فعدلت بي إليه، فتركتها، فعبرت.

ثمّ قلت: إلى أين أعبر، إلى أين أتوجه؟ و لكن إن رجعت، رأيت الخراسانيّ على بابي، و لكن أدعها تمضي حيث شاءت، فمضت البغله. [١٤٩ غ] فلما عبرت البغله الجسر (٢)، أخذت بي يمنه، ناحيه دار المأمون، [و تركتها،

ص: ٢٢٤

١- في غ: فقال: يا مولاي، هذه العتمه بعد، و ما مضى من الليل شيء، فإلى أين تمضي؟.

٢- كان لبغداد جسران معقودان على مراكب متصله منتظمه فيما بين الشطّين، تحفّ بها من جانبيها سلاسل حديد، مربوطه في كلا الشطّين إلى خشبه عظيمه مثبته بالساحل (مهذب رحله ابن بطوطه ص ١٧١ و ١٧٤ و [١] المسالك و الممالك ص ٥٩) [٢] فالأول: يصل بين مشرعه القطنين في الجانب الغربي، و بين المشرعه الواقعه بحضره دار مؤنس في الجانب الشرقي، و عليها السوق الذي يجمع أصناف التجارات و البياعات و الصناعات على رأس الجسر مشرقًا ذات اليمين و ذات الشمال، من أصناف التجارات و الصناعات (الأعلاق النفيسه لابن رسته ٢٥٣) و الثاني يقع عند باب الطاق في الجانب الشرقي، يقابله في الجانب الغربي بيمارستان عضد الدوله (المنتظم ١١٢/٧ و [٣] أحسن التقاسيم للمقدسي ١٢٠)،

و مرّت، فلم أزل كذلك إلى أن قربت من دار المأمون، [٤٦]، و الدنيا بعد مظلّمه.

فإذا فارس قد تلقاني، فنظر في وجهي، ثم سار و تركني، ثم رجع، و قال: أ لست أبا حسان الزيادي؟

فقلت: بلى.

قال: إليك بعثت.

فقلت: ما تريد، رحمتك الله، و من بعث بك؟

فقال: الأمير الحسن بن سهل (١).

فقلت: و ما يريد مني الحسن بن سهل؟، [ثم قلت: امض بنا، فمضى حتى استأذن على الحسن بن سهل،] (٢) فدخلت إليه.

ص: ٢٢٧

١- أبو محمّد الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسيّ (١٦٦-٢٣٦): وزير المأمون العباسيّ، و أحد كبار القاده و الولاة في عصره، اشتهر بالذكاء المفرط، و الأدب، و الفصاحة، و حسن التوقيعات، و الكرم، و هو والد بوران زوجه المأمون، و للشعراء فيه أماديح (الأعلام ٢/٢٠٧)، قيل له و قد كثر عطاؤه على اختلال حاله: ليس في السرف خير، فقال: ليس في الخير سرف (وفيات الأعيان ٢/١٢١) و لما توفّي، و وضع على سريره، تعلّق به جماعه من غرمائه من التجار و منعوا من دفنه، فتوسّط لهم من قطع أمرهم حتى دفن (الطبري ٩/١٨٥).

٢- الزيادة من ر و غ.

فقال [٨٧ ر]: يا أبا حسان، ما خبرك، وكيف حالك، و لم انقطعت عنا؟

فقلت: لأسباب، و ذهبت [١١٣ ظ] لأعتذر عن التخلف.

فقال: دع هذا عنك، أنت في لوثة (١)، و في أمر ما هو، فإنني رأيتك في النوم، في تخليط كثير.

فشرحت له قصتي، من أولها إلى أن لقيني صاحبه، و دخلت عليه.

فقال: لا يغمك الله يا أبا حسان، هذه بدره للخراساني، مكان بدرته، و هذه بدره أخرى تتسع بها، فإذا نفدت، أعلمنا.

فرجعت من ساعتى، فدفعت للخراساني بدرته، و اتسعت بالباقي، و فرّج الله عني، فله الحمد.

[و حدّثني بهذا الحديث أيضا، أبو الفرج محمد بن جعفر، من ولد صالح صاحب المصلى قال: حدّثنا أبو القاسم علي بن محمد بن

أبي حسان الزيادي، و كان محدّثا ببغداد، ثقه، مشهورا، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، قال: (٢).

كنت وليت القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله، ثم صرفت، و تعطلت، و أضقت إضاقه شديده، و ركبني دين فادح، لخبّاز، و بقّال، و قصّاب، و عطّار، و بزّاز، و غيرهم، حتّى قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم عليّ، و إياسهم من أن أقضيهم، فتضاعفت إضاقتي، و اشتدّت حيرتي.

فإنني يوما بمسجدي، قد صلّيت بأهله الغداه، ثم انفتلت أدّرس أصحابي الفقه [١١٣ م] إذ جاءني رجل خراساني، و ذكر الحديث علي نحو ما ذكره

ص: ٢٢٨

١- اللوثة: الاختلاط و التخبّط، من التاث الأمر: أى اختلط و التبس.

٢- الزيادة من م و غ.

طلحه، إلا أنه لم يقل فيه جملة: فإلى....

وقال أبو الفرج في حديثه: فلما بلغت مربعه الخرسى (١)، استقبلنى موكب فيه شموع و نفاطات، قد أضاء منه الطريق، فصار كالتّهار، فطلبت زقاقا أستخفى فيه، حتى يجوز الموكب، فلم أجد، فإذا برجل من الموكب، يقول:

أبو حسان والله، فتأملتّه، فإذا هو دينار بن عبد الله (٢)، فسلمت عليه.

فقال: إليك جئت، أرسل إليّ أمير المؤمنين السّاعه، وأمرنى أن أركب إليك بنفسى، وأحضره إليك.

فمضيت معه، حتى أدخلنى على المأمون.

فقال لى المأمون: [ما قصّتك؟ فإني رأيتك في النوم البارحه، والنبي صلى الله عليه وسلم، يأمرنى بإغاثتك.

فحدّثته بحديثى.

فقال المأمون: [(٣) أعطوا أبا حسان ثلاث بدر، ولأنى الرى (٤)، وأمرنى بالخروج إليها.

قال: فعدت إلى بيتى و ما طلع الفجر، فلما كان وقت صلاتى فى مسجدى، خرجت، وإذا بالخراسانى، فلما قضيت الصلاة، أدخلته إلى البيت، فأخرجت إليه البدر.

ص: ٢٢٩

١- فى ظر: مربعه الحرس، و فى م: مربعه الجرسى، و فى ه: مربعه الجسر، و الصحيح: مربعه الخرسى، على ما أثبتناه، و هى محلّه فى شرقى بغداد منسوبه للخرسى، صاحب شرطه بغداد أيام المنصور، و الخرسى: نسبه إلى خراسان يقال: خرسى، و خراسى، و خراسانى (معجم البلدان ٤/٤٨٥).

٢- دينار بن عبد الله، أحد قواد جيش المأمون: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٣٨.

٣- ساقطه من غ.

٤- لم يل أبو حسان الرى، و انما ولى الشرقيه.

فلما رآها، قال: ما هذا؟

فقصصت عليه القصه، و أعطيته بدره منها، فأخذها و انصرف.

[و ذكر محمد بن عبدوس، في كتاب الوزراء، في أخبار دينار بن عبد الله: أن رسول له لقي أبا حسان في الطريق، فقال له: قسمت شيئاً على عيالننا، فذكرت عيالك، فأنفذت إليك عشره آلاف درهم، فأخذها، و رجع من الطريق، و باكره الخراساني، فأعطاه إيها كلاًها، لأنه كان قد أنفق جميع مال الخراساني، ثم عاد من غد إلى دينار، فعرفه، و شكره، و عرفه الحديث.

فقال: فكأنما قضينا الخراساني في ماله، ثم أمر له بعشره آلاف درهم أخرى، و لم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام. [1]

[و حدثني أبي هذا الحديث في المذاكره، قال: حدثني شيخ - ذكره أبي و أنسيته أنا، [150 غ] عن أبي حسان الزيادي، بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه، إلا أنه قال فيه: إن الخراساني قال في حديثه لأبي حسان:

إن رجع الحجاج و لم ترني قد رجعت إليك، فاعلم أنني هلكت، و البدره هبه مني إليك، و إن رجعت فهي لي، ثم يتقارب لفظ الحديثين، إلى أن لقيه في الجانب الشرقي قوم فلماً رأهم تنحى عن طريقهم، فلماً رأوه بطيلسان، بادروا إليه، و قالوا له: أ تعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادي؟

فقال: أنا هو.

فقالوا له: أجب أمير المؤمنين، و حمل [2] فأدخل إلى المأمون.

فقال له: من أنت؟

ص: 230

1- الزيادة من م و غ.

2- في ظ و ر: و روى في خبر آخر: أنه لما دخل إلى المأمون... الخ، و الزيادة من م و غ.

فقال: رجل من أصحاب أبي يوسف القاضي من الفقهاء و أصحاب الحديث.

قال: بأى شىء تكفى؟

فقال: بأبى حسان.

فقال: بما ذا تعرف؟

فقال: بالزىادى، و لست منهم، و إنما نزلت فيهم، فنسبت إليهم.

فقال: قصتك، فشرحت له قصتى.

فبكى بكاء شديدا، و قال: ويحك، ما تركنى رسول الله أن أنام بسببك، أتانى فى أول الليل فقال: أغث أبا حسان الزىادى، فانتبهت و لم أعرفك، و اعتمدت السؤال عنك، و أثبت اسمك و نسبك و نمت، فأتانى، فقال كمقالته، فانتبهت منزعجا، ثم نمت، فأتانى، و قال: ويحك، أغث أبا حسان، فما تجاسرت على النوم، و أنا ساهر، و قد بثت فى طلبك، ثم أعطانى عشرة آلاف درهم، [و قال: هذه للخراسانى، ثم أعطانى عشرة آلاف درهم أخرى، و قال: ٦ أتسع بهذه، و أصلح أمرك، و عمّر دارك، و اشترى مركوبا سريا، و ثيابا حسنة،] و عبدا يمشى بين يدى دابتك [٦، ثم أعطانى ثلاثين ألف درهم، و قال: جهّز بها بناتك، و زوجهنّ، فإذا كان يوم الموكب، فصر إلىّ، حتى أقلدك عملا جليلا، و أحسن إليك.

فخرجت و المال بين يديّ محمول، حتى أتيت مسجدى، فصلّيت الغداة، و التفتّ فإذا الخراسانى بالباب، فأدخلته إلى البيت، و أخرجت بدره [١١٤ م] فدفعتها إليه.

فقال: ليس هذه بدرتى، أريد مالى بعينه.

فقصصت عليه قصتى، فبكى، و قال: و الله لو صدقتنى فى أول الأمر عن خبرك لما طالبتك، و أمّا الآن، فو الله لا دخل مالى شىء من مال هؤلاء، و أنت فى حلّ، [٨٨ ر] و انصرف،

ص: ٢٣١

فأصلحت أمرى، و بكرت يوم الموكب إلى باب المأمون، فدخلت، و هو جالس جلوسا عامًا.

فلما مثلت بين يديه استدانانى، ثم أخرج عهدا من تحت مصلاه، وقال:

هذا عهدك على قضاء المدينه الشرقيه من الجانب الغربى من مدينه السلام (١)، و قد أجريت عليك فى كل شهر كذا و كذا، فأتق الله تدم عليك عنايه رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فعجب الناس من كلام المأمون و سألوني عن معناه، فأخبرتهم الخبر، فانتشر.

فما زال أبو حسان قاضى الشرقيه، إلى آخر أيام المأمون (٢).

ص: ٢٣٢

١- الشرقيه: بالجانب الغربى من بغداد، قيل لها الشرقيه لأنها شرقى مدينه المنصور، لا لأنها فى الجانب الشرقى (معجم البلدان ٢٧٩/٣).

٢- وردت القصة باختصار فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى برقم ١٢٥/٢.

حبسه المهدي و أطلقه الرشيد

[أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر، قال: حدثني أبو عمر محمد بن عبد الواحد، قال: حدثني بشر بن موسى الأسدي، قال: (١) أخبرني بعض الهاشميين، قال:

حبس المهدي يعقوب بن داود (٢) [١١٤ ظ] وزيره، فطال حبسه، فرأى في منامه، كأن قاتلا يقول له: قل: يا رفيق، يا شفيق، أنت ربّي الحقيق، ادفع عني الضيق، إنك على كل شيء قدير.

قال: فقلتها، فما شعرت إلا بالأبواب تفتح، ثم أدخلت على الرشيد (٣)، فقال: أتاني الذي أتاك، فاحمد الله عزّ وجلّ.

و خلّى سبيلي.

[و قد روى هذا الخبر، على خلاف هذا، فحدثنا علي بن أبي الطيب، قال: حدثنا ابن الجراح، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدثني خالد بن يزيد الأزدي.

و أخبرني محمد بن الحسن بن المظفر [١٥١ غ]، قال: أنبأنا أبو بكر

ص: ٢٣٣

١- الزيادة من غ.

٢- أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر السلمى: كان يكتب لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتيل باخمري، فلما خرج إبراهيم على المنصور، و قتل، اعتقل يعقوب، و حبس، ثم أطلق، و اتصل بالمهدي، فحظى لديه، فأخاه، و استوزره، فكثرت حساده، و تابعت الوشائيات به، فعزله، و حبسه، و أطلقه الرشيد لما استخلف، و خيرته في موضع إقامته، فاختر مكه، و أقام بها حتى مات سنة ١٨٧ (الأعلام ٢٥٨/٩).

٣- في ظ: علي المهدي، و التصحيح من م و غ.

محمّد بن محمّد السرخسى، قال: حدّثنا أبو عبد الله المقدّمى القاضى (١)، قال: حدّثنا أبو محمّد المعنى، قال: حدّثنا خالد بن يزيد، قال: حدّثنا عبد الله بن يعقوب بن داود، قال: قال لى أبى: [٢]

حبسنى المهدي فى بئر بنيت عليها قبه، فكننت فيها خمس عشره سنه (٣)، حتّى مضى صدر من خلافة الرّشيد، و كان يدلى لى فى كلّ يوم رغيف و كوز ماء، و أوذن بأوقات الصلاه، فلمّا كان رأس ثلاث عشره سنه، أتانى آت فى منامى، فقال:

حنا على يوسف ربّ فأخرجه من قعر جبّ و بئر حولها غمم

فحمدت الله تعالى، و قلت: أتانى الفرج، ثمّ مكثت حولاً لا أرى شيئاً، فلمّا كان رأس الحول، أتانى ذلك الآتى، فقال:

عسى فرج يأتى به الله إنّه له كلّ يوم فى خليقته أمر

ثمّ أقمت حولاً لا أرى شيئاً، ثمّ أتانى ذلك الآتى، بعد الحول، فقال:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف و يفكّ عان و يأتى أهله النائى الغريب [١١٦ م]

ص: ٢٣٤

١- أحسبه أبا عبد الله محمّد بن أبى بكر بن عطاء بن مقدّم المقدّمى: نسبته إلى جدّه مقدّم، ذكره صاحب اللباب ١٦٩/٣.

٢- الزيادة من غ.

٣- فى الطبرى ١٥٤/٨: [١] أنّ المهديّ غضب على يعقوب بن داود، و اعتقله فى السنه ١٦٦، و فى الأعلام ٢٥٩/٩ أنّ الاعتقال حصل فى السنه ١٦٧ و أنّ إطلاقه تمّ فى السنه ١٧٥، و فى وفيات الأعيان ٢٤/٧ [٢] أنّ يعقوب قضى فى الاعتقال بقيه أيام المهديّ، و أيام الهاديّ، و خمس سنين و شهورا من أيام الرّشيد.

[فَلَمَّا أَصْبَحَتْ، نوديت، فظننت أني أؤذن بالصَّلاه، فدَلِّي إلى جبل] (١) وقيل لي: شدَّ به وسطك، ففعلت، فأخرجوني، فلَمَّا تأملت الضوء، غشي بصري، فأخذ من شعري، وألبست ثيابا، وأدخلت إلى مجلس، فقيل لي: سلِّم على أمير المؤمنين.

فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي، ورحمه الله وبركاته.
فقال: لست به.

فقلت: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي، ورحمه الله وبركاته.
فقال: لست به.

فقلت: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين الرِّشيد، ورحمه الله وبركاته.

فقال: و عليك السَّلام، يا يعقوب بن داود، والله ما شفَّع أحد فيك إليّ، غير أنّي حملت اللّيلة صبيّه لي على عنقي، فذكرت حملك إتيائي على عنقك، فرثيت لك من المحلّ الذي كنت فيه، فأخرجتكَ، ثمّ أكرمني، وقرب مجلسي.
ثمّ إنّ يحيى بن خالد تنكّر لي، كأنّه خاف أن أغلب على الرِّشيد دونه، فخفته، فاستأذنت في الحجّ، فأذن لي.
فلم يزل مقيما بمكّه، حتّى مات بها (٢).

ص: ٢٣٥

١- في غ: والله لئن دخلت في أعمالهم، بعد أن خلّصك الله منها، ليرميّنك الله بصاعقه، فما كان بأسرع من أن دليّ إليّ جبل... الخ.

٢- ورد الخبر في مخطوطه (د) ص ١٦١، وورد في غ، كما يلي: قيل لي سلِّم على أمير المؤمنين، فقلت: السلام على أمير المؤمنين ورحمه الله وبركاته، فقيل لي: ومن أمير المؤمنين؟، فقلت: المهديّ، فقيل لي: رحم الله المهديّ، سلِّم على أمير المؤمنين، فقلت: السلام على أمير المؤمنين ورحمه الله وبركاته، فقيل لي: ومن أمير المؤمنين؟ فقلت: أبو محمّد موسى الهادي، فقيل لي: رحم الله الهادي، سلِّم على أمير المؤمنين، فقلت: السلام على أمير المؤمنين ورحمه الله وبركاته، فقيل لي: ومن أمير المؤمنين؟ فقلت: أبو جعفر هارون الرشيد، فكلمني الرشيد، وقال: و عليك السلام، يعزّ عليّ يا يعقوب ما نالك، فجعلت المهديّ في حلّ، وشكرته على تخليتي، فقال:

[حدّثني أبي في المذاكره بإسناد له، و كان في الخير: أنّ المهدي حبسه في بئر، و وكل أمره إلى خادم له، و استحلفه أن لا يخبر بخبره أحدا من الخلق كلّهم، فكان الخادم الموكّل به، ينزل إليه في كلّ يوم رغيفين، و دورق ماء، منه شربه و طهوره، و في البئر موضع يتطهّر فيه، فكان كذلك خمس عشره سنه.

فلما كان بعد خمس عشره سنه [١١٥ م] سأل عنه الرّشيد فقيل له:

سَلِّم إلى فلان الخادم، و ذكر أنّه مات.

فأحضر الخادم، و سأله عنه، فقال: إنّّه مات.

فاستثبته، فرأى كلاما مختلفا، فجدّ به، فقال: لا أعرف غير موته، فهدّده، فأقام على الإنكار، إلى أن استحضر الرّشيد المقارع.

فقال: أنا أصدق، استحلفني أمير المؤمنين المهدي، ألا أخبر بخبره أحدا من الخلق أبدا.

فأكرهه الرّشيد، فدلّ على البئر التي هو فيها، ثمّ تتفق الروايات.

قال: فلما وقف بين يدي الرّشيد، و سلّم، قال له الرّشيد -مخفيا كلامه- من أمير المؤمنين؟

فقال: المهدي.

قال: قد مضى لحال سبيله، فسَلِّم على أمير المؤمنين، فسَلِّم.

فقال: قولوا له من أمير المؤمنين؟

ص: ٢٣٦

قال:قد مضى لحال سبيله،فسلم على أمير المؤمنين،فسلم.

فقال:قولوا له،من أمير المؤمنين؟

فقال:هارون،ثم تتفق الروايتان.

و روى لى هذا الخبر على وجه آخر،وهو أضعف عندى،غير أنى أجيء به كما بلغنى،فحدّثت بروايات مختلفه،قالوا[[\(١\)](#) حدّث[٨٩ر] عبد الله بن أيوب،قال:

رأيت يعقوب بن داود فى الطواف،فقلت له:كيف كان سبب خروجك؟ قال:كنت فى المطبق حتّى خفت على بصرى،فأتانى آت فى منامى، فقال لى:يا يعقوب كيف ترى مكانك؟

فقلت:و ما سؤالك؟أما ترى ما أنا فيه،أليس يكفيك هذا؟

فقال:أسبغ الوضوء،و صلّ أربع ركعات،و قل:يا محسن،يا مجمل،يا منعم،يا مفضل،يا ذا الفضل و النعم،يا عظيم،يا ذا العرش العظيم،اجعل لى ممّا أنا فيه فرجا و مخرجا.

فانتبهت،و قلت فى نفسى:هذا فى النوم،و رجعت إلى نفسى،فحفظت الدّعاء،و قمت،فتوضّأت،و صلّيت،و دعوت به،فلما أسفر الصّبح،جاءونى،فأخرجونى.

فقلت:ما دعانى إلا ليقتلنى.

فلما رآنى،أوما إليهم،اذهبوا به إلى الحمام،فنظّفوه،و أتونى به، فطابت نفسى،و سجدت شكرا لله تعالى،فأطلت السجود.

فقالوا لى:قم.

ص:٢٣٧

فقال لهم الرّشيد:دعوه ما دام ساجدا،ثم رفعت رأسي،ثم مضى بي إلى الحمام.

فلما خرجت خلع عليّ،ثم ضرب بيده على ظهرى،وقال لى:يا يعقوب،لا يمتن عليك أحد بمنّه،فما زلت منذ الليله قلقا بأمرك
(١).

ص:٢٣٨

١- بلغ من علوّ شأن يعقوب عند المهديّ،أن يعقوب نصب أمناء على العمال فى جميع الأصقاع،فكان لا ينفذ كتاب إلى المهديّ إلاّ بعد مطالعه أمناء يعقوب،فقال بشار بن برد[وفيات الأعيان ٢٢/٧]: [١] بنى أميه هتّوا طال نومكم إنّ الخليفه يعقوب بن داود ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفه الله بين الزقّ و العود فأثر ذلك فى المهديّ،و كانت عاقبه ذلك،قتل الشاعر(بتهمه الزندقه)،و حبس يعقوب فى المطبق،(بتهمه العلويه).

المهدى يطلق علويًا من حبسه لمنام رآه

وجدت في بعض الكتب: أنّ المهدى استحضر صاحب شرطته ليلا، و قد انتبه من نومه فزعا، فقال له: ضع يدك على رأسي، و احلف بما أستحلفك به.

[قال: [فقلت: [١١٥ ظ] يدي تقصر عن رأس أمير المؤمنين، و لكن عليّ و عليّ، و حلفت بأيمان البيعه أنّي أمتثل ما تأمر به.

فقال: صر إلى المطبق، و اطلب فلانا العلويّ الحسيني، فإذا وجدته فأخرجه و خيره بين الإقامة عندنا مطلقا مكرما محبورا، و بين الخروج إلى أهله، فإن اختار الخروج قدت إليه كذا و كذا، و أعطيته كذا و كذا، و إن اختار المقام أعطيته كذا و كذا، و هذه توقيعات بذلك.

فأخذتها و صرت إلى من أزاح علتي في الجميع، و جئت إلى المطبق، فطلبت الفتى، فأخرج إليّ و هو كالشنّ البالي، [١٥٢ غ] فعرفته أمر أمير المؤمنين، و عرضت عليه الحالين، فاخترت الخروج إلى أهله بالمدينة، فسلمت إليه الصلّة و الحملان.

فلما جاء ليركب و يمضي، قلت: بالذي فرج عنك، هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك؟

قال: إنّي و الله، كنت الليلة نائما، فرأيت النبيّ صلى الله عليه و سلم، في منامي، و قد أيقظني، و قال: يا بنيّ ظلموك؟

قلت: نعم، يا رسول الله.

قال: قم، فصلّ ركعتين، و قل بعد الفراغ: يا سابق الفوت، و يا سامع الصوت، و يا ناشز العظام بعد الموت، صلّ على محمّد و عليّ آل محمّد، و اجعل لي من أمرى فرجا و مخرجا، إنك تعلم و لا أعلم، و تقدر و لا أقدر، و أنت علام الغيوب، يا أرحم الراحمين.

قال: فقامت، و صلّيت، و جعلت أكرّر الكلمات، حتّى دعوتنى.

قال: فحمدت الله على توفيقى لمسألته، و عدت إلى المهدي، فحدّثته بالحديث.

فقال: صدّق و الله، لقد أتانى رسول الله صلّى الله عليه و سلّم فى النّوم، فأمرنى بإطلاقه.

و فى خبر آخر: لقد أتانى زنجى فى فراشى، بعمود حديد، فقال لى:

أطلق فلانا العلوى الحسينى و إلا قتلتك، فانتهت فزعا، فما جسرت على النّوم، حتّى جئتنى، فأمرت بإطلاقه (1).

ص: ٢٤٠

١- لم يقتل المهديّ أحدا من العلويين، و ذكر الأصبهاني فى مقاتل الطالبين (ص ٤٢٧) أنّه قتل واحدا من أتباع عيسى بن زيد العلوى، ثم أورد بعد ذلك ما يشكك فى صحه الخبر.

المعتمد يطلق بريئين من حبسه لمنام رآه

[حدّثني أبو بكر محمّد بن يحيى الصولي، فيما أجاز لي روايته عنه، بعد ما سمعته منه، قال: حدّثني] (١) أحمد بن يزيد المهلبى (٢)، قال:

كنا ليله بين يدي المعتمد على الله، فحمل عليه التبيذ (٣) [١١٧ م] فجعل يخفق برأسه نعاسا.

فقال: لا يرحن أحد، ثم نام مقدار نصف ساعه، و انتبه، و كأنه ما شرب شيئا.

فقال: أحضروا لي من الحبس رجلا يعرف بمنصور الجمال، فأحضر.

فقال له: منذ كم أنت محبوس؟

فقال: منذ ثلاث سنين.

قال: فأصدقني عن خبرك؟

قال: أنا رجل من أهل الموصل، كان لي جمل أعمل عليه و أعود بكرائه على عيلتي (٤)، فضاق الكسب عليّ بالموصل، فقلت: أخرج إلى سرّ من رأى فإنّ العمل ثمّ أكثر، فخرجت.

ص: ٢٤١

١- الزيادة من غ، و في م: حدّثنا الصولي.

٢- أحمد بن يزيد بن محمّد بن المهلب المهلبى: أديب، نديم، نادم المعتمد، و كانت له حجره في قصر المعتمد برسمه، باعتباره نديما، و أبوه يزيد بن محمّد المهلبى، أديب، شاعر، راويه، نادم المتوكّل، و المنتصر، و المعتزّ، راجع الفهرست لابن النديم ٢٠٩، و [١] الأعلام ٢٤٢/٩ و [٢] تاريخ بغداد للخطيب ٣٤٨/١٤ و [٣] البصائر و الذخائر م ٢ ق ١ ص ١٩٦.

٣- حمل عليه النيذ: قارب أن يصرعه السكر، و البغداديون الآن يقولون: فات عليه الشراب.

٤- عيله الرجل و عائلته: أهل بيته الذين يعولهم.

فلَمَّا قَرِبَتْ مِنْهَا، إِذَا جَمَاعَهُ مِنَ الْجُنْدِ قَدْ ظَفَرُوا بِقَوْمٍ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ، وَ كَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بَعْدَهُمْ، وَ كَانُوا عَشْرَةَ، فَأَعْطَاهُمْ وَاحِدًا مِنَ الْعَشْرِ مَا لَاحِقًا عَلَيْهِ أَنْ يَطْلُقَهُ، فَأَطْلُقُوهُ وَ أَخْذُونِي مَكَانَهُ، وَ أَخْذُوا جَمَلِي، فَسَأَلْتَهُمْ بِاللَّهِ عِزِّي وَ جَلِّي، وَ عِزَّتِهِمْ خَيْرِي، فَأَبَوْا، ثُمَّ حَبَسُونِي، فَمَاتَ بَعْضُ الْقَوْمِ، وَ أُطْلِقَ بَعْضُهُمْ، وَ بَقِيَتْ وَ حْدِي.

فَقَالَ الْمَعْتَمِدُ: أَحْضَرُونِي خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ، فَجَاءَ بِهِ.

فَقَالَ: ادْفَعُوهَا إِلَيْهِ، وَ اجْرِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ دِينَارًا فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَ قَالَ:

اجْعَلُوا أَمْرَ جَمَالِنَا إِلَيْهِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: رَأَيْتَ السَّاعَةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، وَجَّهَ الشَّاعَةَ إِلَى الْحَبْسِ، وَ أَخْرَجَ مَنْصُورًا الْجَمَالَ، فَإِنَّهُ مَظْلُومٌ، وَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، فَفَعَلْتَ مَا رَأَيْتَ.

قَالَ: ثُمَّ نَامَ مِنْ وَقْتِهِ، وَ انْصَرَفْنَا (١).

وَ وَقَعَ إِلَيَّ هَذَا الْخَبْرُ، بِطَرِيقٍ آخَرَ، بِأَنَّ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ، [فَحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّلْحِيُّ، الَّذِي كَانَ كَاتِبَ أَبِي بَكْرِ بْنِ رَاقٍ، ثُمَّ كَتَبَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ، ثُمَّ كَانَ آخِرَ تَصَرُّفٍ تَصَرُّفَهُ، أَنْ كَتَبَ لِلْمَطْبَعِ لِلَّهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، عَلَى ضِيَاعِ الْخِدْمَةِ (٢)، وَ خَاصًّا أَمْرَهُ، فِي وَزَارِهِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ لِمَعزِّ الدَّوْلَةِ (٣)، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَوْرَجِيُّ الْكَاتِبُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ

ص: ٢٤٢

١- انفردت غ و م بروايه هذه القصه.

٢- ضياع الخدمه: الضياع التي تخصيص وارداتها للخليفه من أجل نفقاته، وقد كان معز الدوله لما تسلط على العراق، أقام أول الأمر لنفقه المطيع ألفي درهم في كل يوم، (تجارب الأمم ١٧/٢) ثم حلف المطيع لمعز الدوله على الإخلاص و حسن التيه فخصص له ضياعا غلتها مائتا ألف دينار في السنه، و سميت ضياع الخدمه (تجارب الأمم ١٠٨/٢).

٣- في غ: في وزاره أبي محمد المهلبى للمطيع لله، و الصحيح ما أثبتناه.

كان المعتمد مع سماحه أخلاقه، وكثره جوده و سخائه، شديد العريده على ندمائه إذا سكر (٢)، لا يكاد يسلم له من العريده مجلس إلا- في الأقل، فاشتهى يوماً [١٥٣ غ] [٩٠ ر] أن يصطبج على أترج، فأتخذ له منه شيء كثير، مفطر العدد، و عبى، و حزم بعضه، فاصطبج عليه، و لم يدع شيئاً من الخلع و الصّيلات و الحملان (٣)، إلا- و عمله مع ندمائه فى ذلك اليوم، و خصّني منه بالكثير، و كان كثير الشرب، و كانت علامته إذا أراد أن ينهض جلساؤه، أن يلتفت إلى سرير لطيف، كان إذا جلس يستند إليه، و يشيل (٤) رجليه، كأنه يريد أن يصعد، فيقوم جلساؤه (٥)، فإذا كان يريد النوم صعده، فنام،

ص: ٢٤٣

- ١- الزيادة من غ.
- ٢- السكر: راجع التفصيل فى آخر القصّه.
- ٣- الحملان: هبه الخيل و كلّ ما يركب من الدوابّ.
- ٤- شال: فصيحته: رفع، ما زالت مستعمله فى العراق، و يستعمل أعراب العراق، هذه الكلمه عند الانتقال من موضع إلى آخر، فيقولون: شال فلان إلى الموضع الفلانى، لأنّه إذا انتقل، شال (رفع) أثقاله، و حملها معه، و ما زلت أذكر أغنيه بغداديه سمعتها فى صباى: لا الله يرضى بهاي لا هيچى گالوا بعده الجرح ما طاب حملوا و شالوا يقول: لا الله يرضى بهذا، و لا هكذا قالوا، إنّ جرح قلبى لم يبرأ بعد، فكيف انتقلوا و تركونى.
- ٥- لكلّ واحد من الملوك السالفين، و الخلفاء، و الأمراء، إشاره، أو لفظه، تكون بمثابة الإذن لجلسائه بالانصراف، و من جمله تلك الإشارات: التثاؤب، أو إلقاء المروحه، أو مدّ الساق، أو التمطى، أو الاتكاء، أو رفع الساق إلى السرير (كما ترى فى هذه القصّه)، و أقدم ما بلغنا من ذلك عن ملوك الفرس من الإشارات و الأقوال: أنّ أردشير، كانت إشارته أن يتمطى، و الأردوان الأصغر، إذا جاءه الغلام بنعله، و بشتاسف إذا دلّك عينيه، و كذلك فيروز، و يزدجرد الأ-ثيم، إذا قال: شب شد، و معناها: صار الليل، و بهرام جور، إذا رفع رأسه إلى السماء، أو إذا قال: خرّم خفتار، أو خرّم خوش باد، و معناها: نم مسرورا، و كن مسرورا، و قباد، إذا رفع رأسه إلى السماء.

و إن لم يرد النوم، ردّ رجله، إذا قمنا، و أتمّ شربه مع بعض خدمه، أو حرمه.

فلما كان ذلك اليوم، [جلسنا بحضرتة نهارنا أجمع، و قطعه من الليل، ثمّ] (١) ردّ رجله إلى السّيرير في أوّل اللّيل، فقمنا، و انصرف
الجلساء إلى حجره مرسومه بهم، و انصرفت إلى حجره مرسومه بى من بينهم.

فلما انتصف اللّيل، إذا بالخدم يدقّون باب حجرتى، فانتبهت مرعوبا، فقالوا: أجب أمير المؤمنين.

فقلت: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، مضى يومنا و بعض ليلتنا، أحسن مضى، و قدّرت أنّى أفلتّ من عربدته، فقد عنّ له أن
يعربد علىّ، فاستدعانى فى هذا الوقت.

فأتيته و أنا فى نهايه الجزع، أفكّر كيف أشاغله عن العربده، إلى أن صرت بحضرتة.

ص: ٢٤٤

١- الزيادة من غ.

فلما رأني قائما لم يستجلسني، و قال لخدمه: عليّ بصاحب الشرطه السّاعه.

فمّت جزعا، و قلت في نفسي و أنا واقف بين يديه: لم تجر عاداته في العريده باستدعاء صاحب الشرطه، و ما هذا إلا لبليّه قد احتيل بها عليّ عنده.

فاقبلت أنظر إليه طمعا في أن يفاتحني بكلمه، فأداريه في الجواب، و هو لا يرفع رأسه عن الأرض، إلى أن جاء صاحب الشرطه، فرفع رأسه إليه، و قال له: في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمّال؟ و في روايه:

يعرف بمنصور الجمّال؟

قال: نعم.

قال: أحضرني الساعه.

فمضى ليحضره، فسهل عليّ الأمر قليلا، و وقفت، و هو لا يخاطبني بشيء، إلى أن أحضر الرجل.

فقال له المعتمد: من أنت؟

قال: أنا منصور بن فلان الجمّال.

قال: و ما قصّتك؟

قال: [١١٦ ظ] أنا مظلوم، حبست منذ كذا و كذا سنه، و أنا رجل من أهل الجبال (١)، كان لي جمال أعيش من فضل أجرتها.

و كان يتقلّد بلدنا فلان العامل، فاستدعي إلى الحضرة، فأخذ جمالي غصبا يستعين بها في جمل متاعه (٢).

فتظلمت إليه و صحت، فلم ينفعنّي ذلك، و قال: إذا صرت بالحضرة رددتها عليك.

ص: ٢٤٥

١- الجبل، أو الجبال: عراق العجم، راجع حاشيه القصّه ٦٥ من الكتاب.

٢- في غ و م: حمل سواده.

فخرجت معه لثلاثي تذهب الجمال أصلاً، فكننت مع جمالي أخدمها في الطريق ١١٨ م].

فلَمَّا قربنا من حلوان سَلَ الأكراد منها جملاً - محملاً، فبلغه الخبر، فأحضرني، وقال: أنت سرقت الجمل بما عليه، فقلت: غلمانك يعلمون أنّ الأكراد سلّوه.

فقال: الأكراد إنّما جاءوا بمواطأه منك، ثمّ أمر بضربي، و تقيدي، و طرحي على بعض جمالي.

فلَمَّا وردنا الحضرة، أنفذت إلى الحبس، و أخذ الجمال، و لم يكن لي متظلم، و لا مذكر و لا متكلم، فطال حبسي، و طالت بي المحنة إلى الآن.

فقال لبعض الخدم: امض السّاعه إلى فلان العامل، و اقعده على دماغه، و لا تبرح، أو يرد عليه جماله أو قيمتها على ما يريد، فإذا قبض ذلك، فاحمله إلى الخزانة، و اكسه كسوه حسنه، و ادفع إليه كذا و كذا ديناراً، و اصرفه مصاحباً.

ثمّ قال لصاحب الشرطه: في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الحدّاد؟ قال: نعم، قال: أحضرني الساعه، فأحضره.

فقال له: ما قصّتك؟

قال: أنا رجل حبست بظلم، أنا رجل من أهل الشّام، و كانت لي نعمه فزالت، فهربت من بلدي و اتّصلت محنتي [١٥٥ غ] إلى أن وافيت الحضرة طلباً للتصرّف (١)، فتعدّرت عليّ حتّى كدت أتلف جوعاً.

فسألت عن عمل أعمله ليلاً - لأتوفّر نهاراً على طلب التصرّف، و أنفق في النّهار ما أكسبه ليلاً - فأرشدت إلى حدّاد يعمل ليلاً، فقصدته، فاستأجرني

ص: ٢٤٤

١- التصرّف: نسّميه الآن العمل، و التصريف: الاستخدام.

بدرهم في كلِّ ليله، و كنت أعمل معه، و كان معه غلام آخر يضرب بالمطرقة، فأفسد ذلك الغلام على الحدّاد نعلا كان [٩١ ر] يضربها، فاغتاز عليه، و رماه بالنعل الحديد على قلته (١)، فتلف للوقت، فهرب الحدّاد، و بقيت أنا في الموضوع متحيّرا لا أدري إلى أين أمضى، و أحسّ الحارس في الحال بما رابه في السدّان، فهجم عليّ فوجدني قائما، و الغلام ميتا فلم يشكّ أنّي القاتل، فقبض عليّ و رفعني، فحبست إلى الآن، فقال لصاحب الشرطه: خلّ عنه.

و قال لخدام آخر: خذه فغيّر حاله، و ادفع إليه خمسمائه دينار، و دعه ينصرف مصاحبا.

ثمّ رفع رأسه إليّ، و قال: يا ابن حمدون، الحمد لله الذي وّقني لهذا الفعل.

ففرّج عني، فقلت: كيف تكلف أمير المؤمنين النّظر في هذا [١٥٤ غ] بنفسه، في مثل هذا الوقت؟

فقال: ويحك إنّي رأيت في منامي رجلا يقول لي: في حبسك رجلا مظلومان، يقال لأحدهما: منصور الجمال، و الآخر: فلان بن فلان الحدّاد، فأطلقهما السّاعه و أحسن إليهما و أنصفهما، فانتبهت مذعورا، ثمّ نمت.

فما استثقلت حتّى رأيت الشّخص بعينه، يقول لي: ويلك أمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك، قد طال مكثهما، و أن تنصفهما و تحسن إليهما، فلا تفعل، و ترجع تنام؟ لقد هممت أن أوجعك، فكاد يمدّ يده إليّ.

فقلت له: يا هذا من أنت؟

فقال: أنا محمّد رسول الله، فكأنّي قبلت يده، و قلت: يا رسول الله، ما عرفتك، و لو عرفتك ما تجاسرت عليّ تأخير أمرك.

ص: ٢٤٧

١- القلّاه: أعلى الرأس، و أعلى الجبل و كلّ شيء، و قلّاه السيف: قبيعتة، و أحسبه يعني بقلّاه النعل الحديد، حاشيته الدقيقه، و البغداديون يسمّون الحاشيه الدقيقه: الكاز، بالكاف الفارسيّه.

قال: قم، فاعمل في أمرهما السّاعه، بما أمرتك به، فانتبهت مدعورا، فاستدعيتك لتشاهد ما يجرى.

فقلت: هذه عنايه من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلّم بأمر المؤمنين، و اهتمام بما يصلح دينه، و يثبت ملكه، و منّه عظيمه عليه، لله عزّ و جلّ و لرسوله صَلَّى الله عليه و سلّم.

فقال: امض فقد أزعجناك، فعدت إلى حجرتي [١١٧ ظ].

فلما كان من الغد عشياً، دخلت إليه و هو جالس [للشرب] (١) على الرّسم فأحببت أن أعرف الجلساء ما جرى البارحه، ليسرّ هو بذلك، و كنت أعرف من طبعه أنّه يحب الإطراء و المدح، و نشر ما هذا سبيله، فإنّه إذا عمل جميلاً أكثر من ذكره، و تبجح به، و إن كان صغيراً.

فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يخبر خدمه، بما كان من المعجزه البارحه، و عنايه رسول الله، صَلَّى الله عليه و سلّم، بخلافته.

فقال: و ما ذاك؟

فقلت: إحضاري البارحه، و إحضار صاحب الشرطه، و الجمال، و الحداد، و رؤياه التّبي صَلَّى الله عليه و سلّم، و ما أمره به فيهما، و ما تقدّم به إلى أمير المؤمنين من إنصافهما.

فقال: و الله ما أذكر من هذا شيئاً، و ما كنت إلّا سكران، نائماً طول ليلتي، و ما انتبهت.

فقلت: بلى يا سيّدى.

فتنكر، و قال: يا ابن حمدون قد صرت تغالطني [١١٩ م] و تخادعني بالكذب؟

ص: ٢٤٨

١- الزيادة من غ.

فقلت: أعيذ أمير المؤمنين بالله، هذا أمر مشهور في الدار عند الخدم الخاصه و صاحب الشرطه نفسه، و قصصت عليه القصة، و شرحتها.

فاستدعى الخدم، فتحدّثوا بمثل ما ذكرته، فأظهر تعجّباً شديداً، و حلف بالله العظيم، و بالبراءه من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بالنفى من العباس، أنّه لا يذكر شيئاً من ذلك، و لا يعلم إلاّ أنّه كان نائماً، و لا رأى مناماً، و لا انتبه، و لا جلس، و لا استدعى أحداً، و لا أمر بأمر.

فما رأيت أعجب من هذا المنام و الحال، و لا أطرف من هذا الاتفاق في نسيانه بعد ذلك (١).

و وجدت في خبر آخر، قريب من هذا، و لا يذكر فيه حديث الأترج، و ذكر فيه أنّ اسم الجمال، كان نصراً، و أنّه كان من نهاوند (٢)، و له جمال يكرهها، و أنّ صاحب المعونه (٣)، اكترى منه عشرين جملاً، و حمل عليها عشرين رجلاً. من الأكراد أسرى، ليحملهم إلى الحضرة، فسار الجمال معهم، فهرب منهم في بعض الطريق، و واحد، فوقع لصاحب المعونه أنّ نصراً الجمال هرب، فقيده، و حمله مكانه، فلمّا دخلوا الحضرة، أنفذ الجمال مع القوم، إلى الحبس، و أخذ صاحب المعونه جماله.

ص: ٢٤٩

١- نقلها باختصار صاحب حلّ العقال ص ٤٨.

٢- نهاوند: مدينه من مدن الجبل، عظيمه، جنوبي همذان، قال ياقوت في معجمه ٨٢٧/٤: كانت نهاوند من فتوح [١] أهل الكوفه، و الدينور من فتوح [٢] أهل البصره، فلما كثر الناس بالكوفه، و احتاجوا إلى ارتياد موضع من النواحي التي صولح على خراجها، صيرت لهم الدينور، و عوض أهل البصره، نهاوند، فسميت نهاوند: ماه البصره، و الدينور: ماه الكوفه، و تسمى نهاوند كذلك ماه دينار، راجع معجم البلدان ٤٠٦/٤.

٣- صاحب المعونه، أو والى المعونه: الشخص المرتب لتقويم أمور العامه.

السكر، في اللغة: حاله تعترض بين المرء و عقله (المنجد)، و السكر من الخمر عند أبي حنيفة، أن لا يعلم الأرض من السماء، و عند الشافعي و أبي يوسف و محمد، أن يختلط كلامه، و عند آخرين، أن يختلط في مشيته إذا تحرك (التعريفات ٨١).

و السكر موجب للحد، أي العقوبة المقرره، و يعتبر حقا من حقوق الله تعالى (التعريفات ٥٧)، و قد جلد رسول الله صلوات الله عليه في الخمر أربعين جلده، و كذلك فعل أبو بكر الصديق، أما الفاروق عمر، فجلد ولده عبد الرحمن، حد الخمر، ثمانين جلده، و أقيم الحد في عهد عثمان على الوليد بن عقبه، أمير العراق، و أخى عثمان لأمه، فجلد أربعين جلده (ابن الأثير ١٠٧/٣ و مروج الذهب للمسعودي ٥٤٦، ١/٥٣٣).

أما في عهد الأمويين، فإن يزيد بن معاوية كان يدمن شرب الخمر، فلا يمسي إلا سكران، و لا يصبح إلا مخمورا، و كان عبد الملك يسكر في كل شهر مره، حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء، و كان الوليد بن عبد الملك يشرب يوما، و يدع يوما، و كان سليمان ابن عبد الملك، يشرب في كل ثلاث ليال ليله، و كان هشام يسكر في كل جمعه، و كان يزيد بن عبد الملك و الوليد بن يزيد يدمنان الشرب و اللهو، و كان مروان بن محمد يشرب ليله الثلاثاء و ليله السبت.

أما العباسيون، فقد كان أبو العباس السفاح يشرب عشيه الثلاثاء وحدها، و كان المهدي، و الهادي يشربان يوما، و يدعان يوما، و كان الرشيد يشرب في كل جمعه مرتين، و كان المأمون في أول أيامه يشرب الثلاثاء و الجمعه، ثم أدمن الشراب عند خروجه إلى الشام في السنه ٢١٥ إلى أن توفي، و كان المعتصم لا يشرب يوم الخميس و لا يوم الجمعه، و كان الواثق ربما أدمن الشراب و تابعه، غير أنه لم يكن يشرب ليله الجمعه، و لا في يومها (التاج في أخلاق الملوك ١٥١-١٥٣).

أقول: الذي قرأته في الأغاني ٧٧/٦ أنّ هشام بن عبد الملك لم يكن يشرب، و لا يسقى أحدا بحضرته مسكرا، و كان ينكر ذلك و يعاقب عليه، و أنّ أبا جعفر المنصور لم يكن يشرب غير الماء (التاج ٣٣ و محاضرات الأدباء ٢/٦٩٤)، و كان المهدي لا يشرب

(الأغاني ١٦٠/٥) لا- تحرّجا و لكن كان لا- يشتهيهِ (الطبرى ١٦٠/٨)، و أنّ موسى الهادى و هارون الرشيد كانا مستهترين بالنيذ (نهايه الأرب ٣٣٠/٤)، و أنّ الأمين كان لا يبالى مع من قعد و لا أين قعد (التاج ٤٢)، أمّا المتوكّل، فكان منهمكا فى اللذات و الشراب (تاريخ الخلفاء ٣٤٩) و كان يعربد على جلسائه إذا سكر (الطبرى ١٦٧/٩) أمّا المهتدى، محمّد بن الواثق، فقد كان زاهدا و رعا (تاريخ الخلفاء ٣٦١)، و كان المعتمد منهمكا فى اللهو و اللذات (تاريخ الخلفاء ٣٦٣) و كان المقتدر مؤثرا للشهوات و الشرب (تاريخ الخلفاء ٣٨٤) أمّا القاهر فكان لا يصحو من السكر (تاريخ الخلفاء ٣٨٦) أمّا المقتفى فلم يشرب النيذ قط (تاريخ الخلفاء ٢٩٤) و كذلك القادر بالله (تاريخ الخلفاء ٤١٢) و القائم ابنه (تاريخ الخلفاء ٤١٧) و المقتدى حفيد القائم (تاريخ الخلفاء ٤٢٣).

أما بشأن رجال الدوله، فقد ذكر أنّ الفضل بن يحيى البرمكى، لم يكن يشرب الخمر، و عتب عليه الرشيد، و ثقل عليه مكانه لتركه الشرب معه، و كان الفضل يقول: لو علمت أنّ الماء ينقص من مروءتى ما شربته (الطبرى ٢٩٣/٨)، و كان سيف الدوله الحمدانى لا يشرب النيذ (الملح للحصرى ٢٦٦)، و كذلك كان سيف الدوله الأسدى صدقه بن ديبس، فإنّه لم يشرب مسكرا (المنتظم ١٥٩/٩).

أبو بكر المادرائي يولّي عاملاً

و هو على صهوة جواده

و حدّثني أبو محمّد الصلحي (١)، قال: حدّثني أبو بكر محمّد بن علي المادرائي بمصر، [و كان شيخاً جليلاً، عظيم الحال و النعمه و الجاه، قديم الرئاسة و الولايات الكبار للأعمال، و قد وزّر لخمارويه بن أحمد بن طولون، و تقلّد مصر مرّات، و عاش ستّاً و تسعين سنه] (٢)، [و مات في سنه نيف و أربعين و ثلاثمائة] (٣)، قال:

كنت أكتب لخمارويه بن أحمد بن طولون (٤)، في حادثتي، فركبني الأشغال [٩٢ ر] و قطعني [ترادف الأعمال] ٢، عن تصفّح أحوال المتعطّلين.

و كان ببابي شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته، و قد غفلت عن تصريفه.

ص: ٢٥٢

١- أبو محمّد الحسن بن محمّد بن أبي محمّد الصلحي: نسبته إلى فم الصلح، بلده على دجله بأعلى واسط، بينهما خمسة فراسخ (معجم البلدان ٩١٧/٣ و الأنساب للسمعاني ٣٥٤) [١] كان أبو محمّد الحسن يكتب لابن رائق، لما كان أميراً للأمرء ببغداد (القصّه ٣٧/٥ من نشوار المحاضره) [٢] ثم انتقل إلى كتبه ناصر الدوله الحمداني، و قد ذكر قصّه هروبه من بغداد مع ناصر الدوله، لما احتلّ معز الدوله بغداد (المنتظم ٣٤٩/٦) [٣] ثم انصرف إلى خدمه الأمير سيف الدوله الحمداني في حلب (القصيه ١٢١/٣ من نشوار المحاضره) [٤] ثم كان آخر تصرّف تصرّفه أن كتب للمطيع على ضياعه و خاصّ أمره (القصّه ٢٠٦ من هذا الكتاب).

٢- الزيادة من م و غ.

٣- الزيادة من غ.

٤- أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٥٠-٢٨٢): من ملوك الدوله الطولونيه بمصر، وليها بعد وفاه أبيه، سنه ٢٧٠، و كان شجاعاً، حازماً، ملك من الفرات إلى بلاد النوبه، و تزوّج المعتضد ابنته قطر الندى، ولد بسامراء، و قتله غلمانة بدمشق (الأعلام ٣٧٠/٢).

فرأيت ليله في منامي، أبي، وكأنه يقول لي: ويحك يا بني أ ما تستحي من الله، أن تتشاغل بأعمالك و الناس ببابك يتلفون ضرًا و هزالاً؟ هو ذا فلان، شيخ من شيوخ الكتاب، قد أفضى أمره إلي أن تقطع سراويله (١)، فما أمكنه أن يشتري بدله، أحب أن لا تغفل أمره أكثر من هذا.

فانتبهت متعجبًا، و اعتقدت الإحسان إلى الشيخ من غد، و نمت، فأصبحت و قد أنسيت أمره.

فركبت إلى دار خمارويه بن أحمد، فإني لأسير إذ تراءى لي الشيخ على دويبه له ضعيفه، فأهوى ليترجل لي، فانكشف فخذة، فإذا هو لابس خفًا بلا سراويل.

فحين وقعت عيني على ذلك، ذكرت المنام، فقامت قيامتي [١٢٠ م]، فوقف في موضعي، و استدعيت، فقلت له: يا هذا، ما حل لك ما صنعت بنفسك من تركك إذكاري بأمرك، أ ما كان في الدنيا من يوصل لك رقعته، أو يخاطب في أمرك؟ الآن قد قلدتك الناحية الفلانية، و رزقتك رزقها و هو في كل شهر مائتا دينار، و أطلقت لك من خزانتى ألف دينار معونه، و أمرت لك من الثياب و الحملان بكذا و كذا، فاقبض ذلك و اخرج، فإن حسن أترك في عملك، زدتك، و فعلت بك و صنعت.

و ضمنت إليه من يتنجز له ذلك.

ص: ٢٥٣

١- السراويل: أعجمية، مؤنثة، مفرد، و الجمع: سراويلات (التلخيص للعسكري ٢١٤/١ و لسان العرب، مادة: سربل)، قال المتنبي [ديوان المتنبي، شرح الواحدى ٢٧٨]: إني على شغفى بما فى خمرها لأعف عمّا فى سراويلاتها و البغداديون يسمون السراويل (الداخليه): لباس، و جمعها: لبسان، أما السراويل الخارجيه، فيسمونها: بنطلون، افرنسيه، و جمعها: بنطلونات.

أدرک أبا محمّد الأزرق الأنباری

حدّثنی أبو الحسن أحمد بن یوسف الأزرق بن یعقوب بن إسحاق بن البهلول الأنباری التنوخی، قال:

خرج أخي أبو محمّد الحسن بن یوسف، یقصد أخانا أبا یعقوب إسحاق ابن یوسف و هو حينئذ بمصر، و معه زوجته كانت لأبی یعقوب إسحاق ببغداد، و بئیه له منها، و مضی.

فلما عاد حدّثنی [١١٨ ظ] أنه سلک فی قافله کبیره، من هیت (١) علی طریق السماوه (٢)، یرید دمشق (٣)، قال: فلما حصلنا فی أعماق السماوه، أخفرتنا (٤) خفراؤنا، و جاء قوم من الأعراب، فظاهروهم علينا، و أظهروا أنهم من غیرهم، و قطعوا علينا، فاستاقوا ركائبنا، فبقیت أنا و الناس مطرّحين علی الماء الّذی کنا نزلنا علیه بلا جمل، و لا زاد، و لا دلیل، فأیسنا من الحياه.

فقلت للناس: إن الموت لا بدّ منه علی کلّ حال، أقمنا فی أماکننا أم

ص: ٢٥٤

١- هیت: قال یاقوت فی معجمه ٩٩٧/٤ إنّها بلده علی الفرات من نواحی بغداد، فوق الأنبار، ذات نخل کثیر، و خیرات واسعة، و هی مجاوره للبریه، و فیها قبر عبد الله بن المبارک.

٢- السماوه: البادیه التی بین الکوفه و الشام (معجم البلدان ١٣١/٣) أقول: و تسمی بادیه کلب أيضا، لأنّ قبيله کلب تعمرها، و یسمیها العراقیون الیوم: بادیه الشام.

٣- دمشق: قال یاقوت فی معجمه ٥٨٧/٢ إنّها قصبه الشام، و جنّه الأرض بلا- خلاف، لم توصف الجنّه بشیء، إلاّ و فی دمشق منه، فتحها المسلمون سنه ١٤ (٦٣٩ م)، و فی المنجد: هی الآن عاصمه سوريا، بنیت منذ ٥٠٠٠ سنه، فهی أقدم مدن العالم، سکنها الآرامیون، و فتحها الأشوریون، و البابلیون، و الفرس، و الیونان، و الرومان، و العرب، و اتّخذها الأمویون عاصمه لهم، و أحرقها تیمور لنک، و هی محور تجاری بین الشرق و الغرب.

٤- أخفر: غدر.

سرنا، فلأن نسير في [١٥٦ غ] طلب الخلاص فلعن الله أن يرحمنا و يخلصنا، أولى من أن نموت هاهنا، وإن متنا في سيرنا كان أعذر.

فساعدوني، و سرنا يومنا و ليلتنا، و أنا أحمل الصبيّه ابنه أخي، لأنّ أمّها عجزت عن حملها، و كلّما طال علينا الطّريق، و لم نر إنسانا و لا محجّه (١)، أحسنا بالهلاك، و مات منّا قوم، و أنا خلال ذلك، قد بدأت بقراءه ختمه، و أنا متشاغل بها، و بالدّعاء.

إلى أن وقعنا في اليوم الثّاني، على حلّه (٢) أعراب، فأنكرنا، فلم أعمل عملا، حتّى ولجت بيت امرأه منهم، فأمسكت ذيلها، و كنت سمعت أنّ الإنسان إذا عمل ذلك أمن شرّه، و وجب حقّه عليهم، ثمّ تفرّقنا في البيوت.

و اختلفت أحوال النّاس، فأما أنا، فإنّ صاحب البيت الذي نزلت عليه، لما رأى هيتي و درسي للقرآن، أكرمني، و لم أزل أحادثه و أرفق به.

فقال لي: ما تشاء؟

فقلت: تركبني و هذه المرأه، و هذه الصبيّه، راحله، و تسير معنا إلى دمشق على راحله أخرى، بزاد و ماء، حتّى أعطيك ثمن راحلتك و أهبها لك، و أقضى حقك بعد هذا.

قال: فتدّمّم (٣) و استحيا، و قدّرت أنّي إذا دخلت دمشق، وجدت بها

ص: ٢٥٥

١- المحجّه: الطّريق.

٢- الحلّه، بكسر الحاء، و جمعها حلل و حلال: مجمع القوم النزول فيهم كثره، أقول: إذا كانت بيوت القوم النزول من القصب، فهي حلل، و احدثها حلّه، فإن كانت من السعف، فهي صرائف، و احدثها: صريفه، فإن كانت من الشعر، فهي أخيبه، و احدثها: خباء، و من شهيرات الحلل، الحلّه، المدينه المعروفه في العراق، فقد كانت من قبل تضمّ حلل عساكر الأمير ديبس المزيدي الأسدي، ملك العرب، و هي إلى الآن تسمّى: حلّه ديبس.

٣- تدّمّم: استحيا.

من أصدقاء أخى، من آخذ منه ما أريد.

فكسانى الأعرابى، وكسا المرأة والصبيّه، وطأ لى راحله (١)، وحمل معنا من الماء والرّاد كفايتنا، وركب هو راحله أخرى، وكان أكثر من وصل معنا [٩٣ ر] إلى ذلك الموضوع، قد تأتى له مثل ما تأتى لى، فصرنا رفقه صالحه العدد.

فلما كان بعد أيام، شارفنا دمشق مع طلوع الشمس، فإذا بأهلها قد خرجوا يستقبلوننا، وكلّ من له صديق أو معرفه، يسأل عنه، وقد بلغهم خبر القطع، فما شعرت إلاّ بإنسان يسأل عنى، بكنيتى ونسبى.

فقلت: ها أنا ذا.

فعدل إالىّ، وقال: أنت أبو محمّد الأزرق الأنبارى؟

فقلت: نعم.

فقال: إالىّ، وأخذ بخطام (٢) راحلتى، وتبعنى الأعرابى براحلته، حتّى دخلنا مع الرّجل دمشق.

فجاء بنا الرّجل، إلى دار حسنه سريّه (٣)، تدلّ على نعمه حسنه، فأنزلنا، ولم أشكّ أنّه صديق لأخى.

فنزلت، وأنزلت الأعرابى معى، وأخذت جمالنا، وأدخلنا الحمام [١٢١ م] وألبست خلعه (٤) نظيفه، وفعل بالمرأه والصبيّه مثل ذلك، وأقمت عنده يومين فى خفض عيش، لا أسأله عن شىء، ولا يسألنى.

ص: ٢٥٦

١- الراحله من الإبل: ما كان منها قويا على الحمل والسفر.

٢- الخطم: الأنف، والخطام، بكسر الخاء، والجمع خطم: كلّ ما وضع فى أنف البعير ليقاد به.

٣- السرى: الجيّد من كلّ شىء.

٤- الخلعه، بكسر الخاء: الثوب الذى يعطى منحه، وفى أيامنا، كان من المتعارف فى بغداد، إذا عمّر الإنسان دارا، فإنّ عليه أن يمنح البتاء الذى قام بالعمل خلعه، وتكون عاده من الثياب الغاليه، سواء كان الثوب مخيطا أو غير مخيط و قد درست هذه العاده الآن.

فلما كان في اليوم الثالث، قال: ما صورته هذا الأعرابي معك؟ فأخبرته بما أخذنا منه.

فقال لي: خذ ما تريد من المال.

فقلت: أريد كذا و كذا ديناراً، فأعطاني ذلك، فدفعته إلى الأعرابي، و سلمت إليه جملته.

و سألت الرجل أن يزوده زادا كثيرا [لا يكون مثله في البادية، فأخرج له شيئا كثيرا] (١)، و خرج الأعرابي شاكرا.

فقال لي الرجل: إلى أين تريد من البلاد، و كم يكفيك من النفقه؟

فلما قال لي ذلك، ارتبت به، و قلت: لو كان هذا من أصدقاء أخي الذين كاتبهم بتفقدى، لكان يعرف مقصدى.

فقلت له: كم كاتبك أخي أن تدفع إليّ (٢)؟

قال: و من أخوك؟

قلت: أبو يعقوب الأزرق الأنباري، الكاتب بمصر.

فقال: و الله، ما سمعت بهذا الاسم قط، و لا أعرفه.

فورد عليّ أعجب مورد، و قلت له: يا هذا، إنّي ظننتك صديقا لأخي، و أنّ ما عاملتني به من الجميل من أجله، فانبسطت إليك

بالطلب، و لو لم أعتقد هذا لانقبضت [١١٨ ظ] (٣) فما السبب فيما عاملتني به؟

فقال: أمر هو أو كد من أمر أخيك، يجب أن يكون انبساطك إليه أتم.

فقلت: ما هو؟

قال: إنّ خبر الوقعه بالقافله التي كنت فيها، بلغنا في يوم كذا و كذا،

ص: ٢٥٧

١- في ظ: ففعل، و الزيادة من م و غ.

٢- في م: أن تعطيني.

٣- يلاحظ أنّ هذا الرقم قد تكرر في مخطوطه ظ.

فما بقى كبير أحد بدمشق، إلا وردت عليه مصيبه عظيمه، إنا بذهاب [١٥٧ غ] مال، أو بغم على صديق، غيرى، فإننى لم يكن لى شىء من ذلك يتعلق قلبى به، و أتعد الناس للخروج، لتلقى المنقطعين، و إصلاح أحوالهم، و لم أعزم أنا.

فلما كان فى الليل، رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى النوم، و هو يقول لى: أدرك أبا محمّد الأزرق الأنبارى، و أعثه، و أصلح شأنه بما يبلغه مقصده، فلما أصبحت، خرجت مع الناس، فسألت عنك، فكان ما رأيت، و الآن اذكر ما تريده.

فبكيت بكاء شديدا، لم أقدر معه على خطابه مدّه، ثم نظرت إلى ما يبلغنى مصر، فطلبت منه، فأخذته، و أصلحت أمرى، و سألت الرجل عن اسمه، فقال: أنا فلان بن فلان الصابونى [ذكره أبو محمّد، و أنسيه أبو الحسن] (١).

قال: فلما بلغت إلى مصر، حدّث أخى بالحديث، فعجب منه، و بكى.

قال أبو الحسن: و ضرب الدهر ضربه، و ورد أبو يعقوب أخى إلى بغداد بعد سنين، فتذاكرنا هذا الحديث.

فقال أخى: لما عرّفنى أخى أبو محمّد، ما عامله به ابن الصابونى الدمشقى هذا، جعلته صديقا لى، فكنّت أكاّته.

فلما وردت إلى دمشق، وجدت حاله قد اختلّ، لمحن لحقته، فوهبت له ضيعتى بدمشق، و كانت جليله الغلّه و القيمه، فسلمتها إليه، مكافأه لما عامل به أبا محمّد أخى.

ص: ٢٥٨

١- الزيادة من غ.

اعتقلهم الوزير ابن الزيات و أطلقوا لموت الواثق

[قال محمد بن عبدوس، في كتاب الوزراء، حدّثني الحسين بن عليّ الباقطائي (١)، قال: حدّثني أبي، قال: قال لي أحمد بن المدبر: (٢)

لما أمر محمّد بن عبد الملك (٣) بحبسي، أدخلت محبسا فيه [٩٤ ر] أحمد بن إسرائيل، و سليمان بن وهب، و هما يطالبان (٤)، فجعلت في بيت ثالث، فكنا نتحدّث و نأكل جميعا، و ربّما أدخل إلينا النبيذ (٥)، فنشرب.

و كان أحمد بن إسرائيل شديد الجبن، و كان ينكر علينا، و يمنعنا أن نتحدّث بشيء، أو نرجو لأنفسنا.

فجاءني يوما سليمان بن وهب، فقال لي: رأيت البارحة في نومي، كأنّ قائلا يقول لي: يموت الواثق إلى ثلاثين يوما، فقم بنا إلى أبي جعفر نحدّثه.

فقلت: و الله، إن سمع بهذا أبو جعفر، ليشقّ ثوبه، و ليسدّ أذنه خوفا.

ص: ٢٥٩

١- قال ياقوت في معجم البلدان ١/٤٧٦: [١] باقطايا، و يقال: باقطيا، من قرى بغداد، على ثلاثة فراسخ من ناحيه قطربل، ينسب إليها الحسين بن عليّ، الكاتب الأديب، ذكرته في معجم الأدباء، و [٢] قال في معجم الأدباء ١/٢٧٢: [٣] قال الحسين بن عليّ الباقطائي: شاورت أبا الصقر قبل وزارته في أمر لي، فعزّفتني الصواب فيه، فقلت له: أنت-أيديك الله- كما قال إبراهيم بن العباس الصولي في هذا المعنى: أتيتك شتى الرأي لابس حيره فسدّدتني حتى رأيت العواقبا على حين ألقى الرأي دوني حجابيه فجبت الخطوب و اعتسفت المذاهبا

٢- كذا في غ، و في ظ: و حدّثني الباقطائي، عن أحمد بن المدبر، و في م: قال أحمد بن مدبر.

٣- محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم و الواثق و المتوكل.

٤- كان ذلك في السنه ٢٢٩، راجع تجارب الأمم ٥٢٧/٦ و الطبري ١٢٥/٩ و [٤] ابن الأثير ١٠/٧.

٥- النبيذ: راجع البحث في آخر القصه.

فقال لى: قم على كل حال، فقمنا فدخلنا عليه، فأخبره سليمان بما رأى.

فقال له: يا هذا، أنت أجسر الناس، وأشدّهم جناية (١) على نفسك وعلينا، إنّما تريد أن يسمع هذا فنقتل.

فقال له: فتكتب هذه الرؤيا عندك، لتمتحن صدقها.

فنفر، وقال: أنا لا أكتب مثل هذا، فكتبته أنا فى رقعته صغيره [١٢٢ م].

فلما كان يوم الثلاثين، دخل على أحمد بن إسرائيل فقال لى: يا أبا الحسن، هذا يوم الثلاثين، فأخرجت الرقعة، فإذا هو قد حفظ اليوم، ومضى يومنا إلى آخره.

فلما كان الليل، لم نشعر إلاّ و الباب يدقّ دقا شديدا، [و صاح بنا صائح:

البشرى، قد مات الواثق (٢)، اخرجوا] (٣)،

فقال أحمد بن إسرائيل: قوموا بنا، فقد حقّق الله الرؤيا، و أانا بالفرج، و صدقت الرؤيا.

فقال سليمان بن وهب: كيف نمشى مع بعد منازلنا؟ و لكن نوجه من يجيئنا بما نركب.

فاغتاظ أحمد بن إسرائيل، و قال: نعم، نقعد، حتّى يجلس خليفه آخر، فيقال له: إنّ فى الحبس جماعه من الكتاب عليهم أموال، فيأمر بالتوثق منّا، إلى أن ينظر فى أمرنا، قم عافاك الله، حتّى نمّر.

فخرج، و خرجنا على أثره.

فقبل أن نخرج من باب الهارونى، سمعنا رجلين يقول أحدهما للآخر:

سأل الخليفه جعفر المتوكّل عمّن فى الحبس، فقيل: فيه جماعه من الكتاب،

ص: ٢٦٠

١- فى غ: و أشدّهم بحثا.

٢- توفّى الواثق فى السنه ٢٣٢ (الطبرى ١٥٠/٩ و [١] ابن الأثير ٢٩/٧).

٣- الزيادة من غ، و م.

فقال: يكونون فيه إلى أن ننظر في أمورهم.

فجددنا في المشى و قصدنا غير منازلنا، و استترنا.

و بحثنا عن الأخبار، فبلغنا إقرار الخليفة محمّد بن عبد الملك، فكتبت إليه رقعته عن جماعتنا، نعرّفه خبرنا [١٥٨ غ]، و اتّسع آمالنا فيه، و نستأذنه فيما نعمل.

فلما وصلت إليه الرّقعته، و وقع على ظهرها: لم استخفيتم؟ و ليس منكم إلا من عنايتي تخصّصه، [١١٩ ظ] و رأيي فيه جميل، أما أبو أيّوب فقد تكلم في حقّه أبو منصور إيتاخ، و استوهبه، فوهب له، و أمرت باحضاره ليخلع عليه، فليحضر، و أما أبو جعفر فإنّه طولب بما لا يلزمه، و قد وضحت حجّته في بطلانه، فليصر إليّ، و أمّا أبو الحسن فإنّه قذف بباطل، فاطهروا جميعاً، و اثقين بما عندي من حياطتكم و رعائتكم.

فصرنا إليه جميعاً، و زال عنا ما كنا فيه، فخلع على سليمان خاصه (١).

ص: ٢٤١

١- في القصّيه رقم ١٦٤ ب من هذا الكتاب، تفصيل لما صنعه السيّد العربيّ النبيل، قاضى القضاة أحمد ابن أبي دؤاد، من أجل هؤلاء الكتّاب، و سعيه في اطلاقهم، و ردّ بعض ما صودر منهم إليهم.

النبيد: الخمر المعتصر من التمر، أو العنب، أو العسل، وسمى نبيدا، لأنّ الذي يتّخذهُ يأخذ تمرا أو زيبيا، فيلقيه في وعاء و يصبّ عليه الماء، و ينبذه حتى يفور، و يصير مسكرا، و المطبوخ منه هو الذي يعرض على النار، و خير أنواع النبيد هو القطربلى، من نتاج قطر بل إحدى ضواحي بغداد، و هي مشهوره بخمرها (معجم البلدان ١٣٣/٤).

و للاطلاع على أنواع النبيد راجع ما كتبه أبو الحسن على بن أبى الحزم القرشى المتطبّب المعروف بابن النفيس فى مطالع البدور ١٤٠/١، و لزياده التفصيل راجع كتاب الأشربه لابن قتيبه.

و ممّا يلاحظ أنّ العراقيين كانوا لا يرون بشرب النبيد بأسا، أمّا الآن فهم يرون حرمة، و القليل منهم من يشربه، و قد كان عند أهل العراق لشرب النبيد آيين، و صفه القاضى التنوخى فى القصّه ١٠٩/٨ من كتاب نشوار المحاضر، فيما يتعلّق بترتيب مجلس الشراب، و ما فيه من تماثيل العنبر، و أجاجين ماء الورد، و الصوانى، و المغاسل، و المراكن، و الخرداذيات، و المدافات التى تشتمل على الأنبذه، و كيف يختار النبيد، و من يختاره، و كيف يتمّ السقى، و من يكون الساقى.

و فى القصّه ٦٩/٣ أورد التنوخى قصّه أشار فيها إلى آيين المنادمه الذى يفرض على النديم أن يقبل يد الملك أوّلا، ثم يقبل القدح ثانيا، و يشرب، و إذا قدّم للملك شرابا، أو مأكلا، فإنّ عليه أن يتناول منه قبل الملك.

كما أورد التنوخى فى نشواره وصفا لأحد مجالس شرب المقتدر (القصّه ١٥٨/١) و لأحد مجالس شرب الراضى (القصّه ١٥٩/١) و لأحد مجالس شرب المتوكّل (القصّه ١٦٢/١) و لأحد مجالس شرب عضد الدوله (القصّه ٤٤/٤) و لأحد مجالس شرب أبى القاسم البريدى (القصّه ١٦٤/١) و لأحد مجالس شرب الوزير المهلبى، وزير معز الدوله (القصّه ١٦٣/١)، و فى معجم الأدباء ٣٣٤/٥ وصف لمجلس من مجالس شرب الوزير المهلبى، كان يجتمع فيها بأصحابه من شيوخ القضاة، فى كلّ أسبوع مرّتين، فيلبسون المصبّغات، و يوضع أمام كلّ واحد منهم طاس من الذهب وزنه ألف مثقال،

مملوء شرابا قطربليا عكبريا، فيشربون، ويطربون، و يرقصون، و إلى هذا المجلس أشار السري الرفاء في قوله (ديوان السري الرفاء
:٢٤٤):

إذا سقى الله منزلا فسقى بغداد ما حاولت من الديم
يا حنّذا صحبه العلوم بها و العيش بين اليسار و العدم
كيف خلاصى من العراق و قد أثرت فيها معادن الكرم
رأيت فيها خلاعه وصلت أطرافها بالعلوم و الحكم
مجالس يرقص القضاة بها إذا انتشوا فى مخاتق البرم
كأنهم من ملوك حمير ما أوفت أكاليلهم على اللمم
و صاحب يخلط المجون لنا بشيمه حلوه من الشيم
تخضب بالراح شبيه عبثا أنامل مثل حمرة العنم

راجع فى كتاب مطالع البدور ما ورد فى الراح، و فى آنيتهأ، و استعمالها، و ما يجب على شاربيها، و مستهديها، و وضافها، و
المتنادمين عليها، و مسامراتهم، و غنائهم ١/١٢٨-٢٢٩.

و من أراد التوسع فى الاطلاع على مجالس شرب الخلفاء و الأمراء و الشعراء، فعليه بكتاب الديارات للشابشتى تحقيق كوركيس
عواد، و كتاب قطب السرور فى أوصاف الخمور للرقيق النديم، فهما جامعان للكثير من هذه الأخبار، و فى العقد الفريد ٦/٣٥٢-
٣٧٣ بحث عن النبيذ، و تحليله، و تحريمه، و عن الفرق بين النبيذ و الخمر.

من شعر سليمان بن وهب لما حبس

قال: وفي هذه الحبسه كتب سليمان بن وهب إلى أخيه [الحسن بن وهب فيما حكاه محمد بن عبدوس] (١):

هل رسول و كيف لي برسول إن ليلى ليل السقيم العليل (٢)

هل رسول إلى أخى و شقيقى ليت أتى مكان ذاك الرسول

يا أخى لو ترى مكانى فى الحب س و حالى و زفرتى و عويلى

و عثارى إذا أردت قياما و قعودى فى مثقلات الكبول

لرأيت الذى يغمك فى الأع داء أن يسلكوا جميعا سبيلى

هذه جمله أرانى غنيا معها عن أذاك بالتفصيل

و لعل الإله يأتى بصنع و خلاص و فرجه عن قليل [٩٥ ر]

[و ذكر أبياتا أخر، تماما لهذه الأبيات، لم أذكرها، لأنها ليست من هذا المعنى] (٣)، ثم قال:

[و قد ذكر محمد بن داود، فى كتابه المسمى «كتاب الوزراء» من خروج سليمان بن وهب من حبس الواصل غير هذا، قال فى

كتابه: حدثنى أبو القاسم عبيد الله بن سليمان، و اقتص محمد بن عبدوس، قصه طوبله، ليس فيها ذكر منام، فذكرتها أنا فى كتابى

هذا، فى باب من خرج من حبس

ص: ٢٦٤

١- كذا ورد فى غ، و فى م وردت: فيما حكاه محمد بن داود، و سقطت فى ظ و ر.

٢- كذا فى ظ و ر، و فى م: إن ليلى منذ غبت عنى طويل، و فى ه: إن ليلى إذ نمت غير طويل.

٣- الزيادة من م و غ.

أو أسر أو اعتقال، إلى سراح و سلامه و صلاح حال، و رويتها عن عليّ بن عيسى، عن عبيد الله بن سليمان، بألفاظ قويّه، [أقوى] من الألفاظ التي أوردها ابن عبدوس، و لم أذكرها ها هنا، لأنّ هذا الخبر، مختصّ بالمنامات، فجعلته في بابه، و أوردت تلك القصة في الباب المفرد لأمثالها] (١).

ص: ٢٦٥

١- انفردت بها غ.

بين الوزير المهلبى و الحسين السمرى

[حدّثنى على بن محمّد الأنصارى الخطمى (١)، قال: حدّثنى أبو عبد الله الحسين بن محمّد السمرى (٢) كاتب الديوان بالبصرة، قال: (٣)]

كان أبو محمّد المهلبى، فى وزارته، قبض علىّ بالبصرة، و طالبنى بمال، و حبسنى حتّى يئست من الفرج، فرأيت ليله فى المنام، كأنّ قائلا يقول لى:

اطلب من ابن الراهبونى دفترًا خلقا عنده، علىّ ظهره دعاء، فادع الله به، فإنّه يفرّج عنك، و كان ابن الراهبونى هذا، صديقًا لى من تناء أهل واسط، مقيمًا بالبصرة.

فلما كان من غد، جاءنى، فقلت له: عندك دفتر علىّ ظهره دعاء.

فقال لى: نعم.

قلت: جئنى به، فجاءنى به، فرأيت مكتوبًا علىّ ظهره: اللهم أنت أنت، انقطع الرجاء إلاّ منك، و خابت الآمال إلاّ فيك، صلّ علىّ محمّد و علىّ آل محمّد، و لا تقطع اللهمّ منك رجائى؛ و لا رجاء من يرجوك فى شرق الأرض و غربها، يا قريبًا غير بعيد، و يا شاهدًا لا يغيب، و يا غالبًا غير مغلوب، اجعل لى من أمرى فرجًا و مخرجًا، و ارزقنى رزقًا واسعًا [١٥٩ غ] من حيث لا أحتسب، إنك علىّ كلّ شىء قدير [١٢٣ م].

ص: ٢٦٦

١- الخطمى، بفتح الخاء و سكون الطاء: النسبه إلى بطن من الأنصار، بنى خطمه بن جشم بن مالك ابن الأوس بن حارثه (اللباب ٣٧٩/١).

٢- السمرى: نسبه إلى سمر، بلد من أعمال كسكر بين واسط و البصرة (الأنساب ٣٠٨).

٣- فى ظ: قال أبو محمّد الشونى، و فى ر: و حكى أبو محمّد السمونى، و فى م، و غ: حدّث أبو عبد الله الحسين بن محمّد السمرى، كاتب الديوان بالبصرة، و الزيادة من ه.

قال: فواصلت الدّعاء بذلك، فما مضت إلا أيام يسيره، حتى أخرجني المهلبى من الحبس، وقلدني الإشراف على أحمد الطويل (١)، في أعماله بأسافل الأهواز (٢).

[قال لي أبو الحسن الأنصاري: قال لي أبو عليّ زكريا بن يحيى الكاتب النصراني، حدّثني بهذا الحديث] (٣) أبو عبد الله السمرى، وكتبت عنه الدعاء، و نقلته، و حفظته، و تقلّبت بي الأحوال، فكتبت لأبي جعفر مملّه (٤)، صاحب مائده معزّ الدوله، فاعتقلني بعد مدّه، و نكبنى، فواصلت الدّعاء به، فأطلقني بعد أيام يسيره.

ص: ٢٦٧

١- في م: أحمد بن محمد بن أبي الحسين الطويل، و ذكره التنوخى في كتاب نشوار المحاضره في القصّه ١٠٥/٨، فقال: أبو الحسين أحمد بن محمد بن طريف، المعروف بأحمد الطويل، و كان يتقلّد حصن مهديّ، راجع كذلك تجارب الأمم ٢/٢٤٤. ٢- يريد بأسافل الأهواز: حصن مهديّ التي كان يتقلّدها أبو الحسين أحمد الطويل، و هي بلد من نواحي خوزستان، و نهر المسرقان تنحدر منه مياه خوزستان من الأهواز و الدورق، حتى تنتهى إلى حصن مهديّ، فتصير هناك نهرا كبيرا ذا عرض و عمق، حتى يصب من حصن مهديّ إلى البحر، راجع معجم البلدان ٢/٢٧٩ و [١] راجع كذلك القصّه ١٠٥/٨ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، و قد سمّاها التنوخى في القصّه ٣٢٨ من هذا الكتاب، بالأسافل، بالنظر لشهرتها.

٣- الزيادة من غ و م.

٤- أبو جعفر المعروف بمملّه، صاحب مطبخ معزّ الدوله، ذكره صاحب تجارب الأمم ٢/٢٨٥ و قال عنه: إنّه كان ضامنا تكريت، و ما يجرى معها من المآصير العليا، ثم أصيب بعلل متصله، و أعرض معزّ الدوله عنه.

رأى فى المنام أنّ غناه بمصر

[حدّثنى أبو الرّبيع سليمان بن داود البغدادىّ، صاحب كان لأبى، و كان قديما يخدم القاضيين أبا عمر محمّد بن يوسف، و ابنه أبا الحسين فى دورهما، و كانت جدّته تعرف بسمسمه، فهرمانه كانت فى دار القاضى أبى عمر محمّد بن يوسف رحمه الله، قال: (١).

كان فى جوار القاضى قديما، رجل انتشرت عنه حكاياه، و ظهر فى يده مال جليل، بعد فقر طويل، و كنت أسمع أنّ أبا عمر حماه من السلطان، فسألت عن الحكاياه، فدافعنى طويلا، ثمّ حدّثنى، قال:

ورثت عن أبى مالا جليلا، فأسرعت فيه، و أتلفته، حتّى أفضيت إلى بيع أبواب دارى و سقوفها، و لم يبق لى من الدنيا حيله، و بقيت مدّه بلا قوت إلاّ من غزل أمى، فتمنّيت الموت.

فرايت ليله فى التّوم، كأنّ قائلا يقول لى: غناك بمصر، فاخرج إليها.

فبكرت إلى أبى عمر القاضى، و توسّلت إليه بالجوار، و بخدمه كانت من أبى لأبيه، و سألته أن يزودنى كتابا إلى مصر، لأتصرّف بها، ففعل، و خرجت.

فلما حصلت بمصر، أوصلت الكتاب، و سألت التصرّف، فسدّ الله علىّ الوجوه حتّى لم أظفر بتصرّف، و لا لاح لى شغل.

و نفدت نفقتى، فبقيت متخيّرا، و فكّرت فى أن أسأل النّاس، و أمدّ يدي على الطريق، فلم تسمح نفسى، فقلت: أخرج ليلا، و أسأل، فخرجت بين العشاءين، فما زلت أمشى فى الطّريق، و تأبى نفسى المسأله، و يحملنى الجوع

ص: ٢٦٨

١- الزيادة من غ، و من هنا انقطع الكلام فى غ.

عليها، و أنا ممتنع، إلى [١٢٠ ظ] أن مضى صدر من الليل.

فلقيني الطائف (١)، فقبض عليّ، و وجدني غريبا، فأنكر حالي، فسألني عن خبري، فقلت: رجل ضعيف، فلم يصدّقني، و بطحني، و ضربني مقارع.

فصحت: أنا أصدقك.

فقال: هات.

فقصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها، و حديث المنام.

فقال لي: أنت رجل ما رأيت أحق منك، و الله لقد رأيت منذ كذا و كذا سنة، في التّوم، كأنّ رجلا يقول لي: بيغداد في الشّارع الفلاني، في المحلّة الفلانيّة- فذكر شارعى، و محلّتى، فسكّ، و أصغيت إليه- و أتمّ الشرطيّ الحديث فقال: دار يقال لها: دار فلان- فذكر دارى، و اسمى- فيها بستان، و فيه سدره، و كان في بستان دارى سدره (٢)، و تحت السدره مدفون ثلاثون ألف دينار، فامض، فخذها، فما فكرت في هذا الحديث، و لا التفتّ إليه، و أنت يا أحق، فارقت وطنك، و جئت إلى مصر بسبب منام.

قال: فقوى بذلك قلبى، و أطلقني [٩٦ ر] الطائف، فبتّ في بعض المساجد، و خرجت مع السيّحر من مصر، فقدمت ببغداد، فقطعت السدره، و أثرت تحتها، فوجدت قممها فيه ثلاثون ألف دينار، فأخذته، و أمسكت يدي، و دبّرت أمرى، فأنا أعيش من تلك الدنانير، من فضل ما ابتعت منها من ضيعه و عقار إلى اليوم.

ص: ٢٦٩

١- الطائف: العسس.

٢- السدره: شجره النبق.

خزيمه بن هازم يصرف الحراني

و يعقد له على طريق الفرات

[وجدت في كتاب أبي الفرج عبد الواحد المخزومي الحنطبي (١)، عن عليّ ابن العباس النوبختي (٢)، قال: حدثني أحمد بن عبد الله التغلبي، قال: كان من بقايا شيوخ خراسان، ممن يلزم دار العامه بسرّ من رأى، شيخ يكنى أبا عصمه، و كان يحدثنا كثيرا، بأخبار الدوله و أهلها] (٣) فحدثنا يوما:

أنّ خزيمه بن خازم (٤)، كان يجلس في داره للناس، في كلّ يوم ثلاثاء، فلا يحجب عنه أحد، و لا يستأذن لمن يدخل، إنّما يدخلون أرسالا، بغير إذن، فمن كان من الأشراف و وجوه الناس، سلّم و انصرف، و من كان من طلاب الحوائج، أو خطّاب التصرف، دفع رقعته إلى الحاجب، فيجتمع الناس و يدخلون، فيعرض رقاعهم عليه.

ص: ٢٧٠

-
- ١- الحنطبي: النسبه إلى حنطب، و هو جد أبي الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمّد بن عبيد الله من أولاد حنطب، المخزومي الحنطبي الشاعر المعروف بالبغاء.
 - ٢- أبو الحسن عليّ بن العباس النوبختي: من مشايخ الكتّاب في عصره، عاش طويلا، و روى عن البحتری و ابن الروميّ من أشعارهما قطعه حسنه، توفّي سنة ٣٢٧ (الأعلام ١١١/٥).
 - ٣- في ظ: قال: كان من كبار الكتّاب شيخ يكنى أبا عصمه، فحدثنا يوما... إلخ، و في ر: و حكى أنّه كان من الكتّاب شيخ يكنى أبا عصمه فحدثنا يوما... إلخ، و في م: و وجدت في كتاب أبي عليّ الحسن بن لسبب، بإسناد ذكره، قال: كان من بقايا شيوخ خراسان... إلخ، و الذي أثبتناه من ه.
 - ٤- خزيمه بن خازم التميمي: من أكابر القواد في عهد الرشيد و الأمين و المأمون، شهد الوقائع الكثيره، و قاد الجيوش، و وليّ البصره في أيام الرشيد، و الجزيره في أيام الأمين، و لما اختلف الأخوان انحاز إلى جانب المأمون، و اشترك في حصار بغداد، و مات ببغداد سنة ٢٠٣ (الأعلام ٣٥١/٢).

و كان قد أفرد لهذا كاتبا حصييفا يقال له:الحسن بن مسلمه، يتصفّح [١٢٤م]الزقاع قبل عرضها عليه،فما كان يجوز أن يوقّع عنه فيه بخطّه، وقّع و سلّمه إلى أربابه،و ما كان لا- بدّ من وقوفه عليه،و توقيعه فيه بخطّه، أوقفه عليه،و من كان من النَّاس زائرا،أو مسترفدا،عرضت رقعته عليه، فيكون هو الموقعّ فيها بما يراه

فلا يكاد ينصرف أحد من ذلك الجمع العظيم المفرط،إلاّ و هو مسرور بقضاء حاجته.

قال أبو عصمه:و كان ممّن يتصرّف في الأعمال،رجل من الأعراب، ذو لسان و فصاحه،يقال له:حامد بن عمرو الحزّانيّ،و كان فيه إلحاح شديد، و ملازمه تامّه إذا تعطلّ،فيؤذى بذلك و يبرم.

و كان يخاطب خزيمه في أيام الثلاثاء،و لا يقنع بذلك،حتّى يلازم بابه كلّ يوم،و إذا ركب خاطبه على الطّريق،و ربّما تعرّض له في دار الخليفه فخاطبه،و لم يكن في طبع خزيمه احتمال مثل ذلك.

قال أبو عصمه:فحدّثني الحسن بن مسلمه،كاتب خزيمه،قال:

نظر خزيمه إلى هذا الرّجل في داره،و كان قد لقيه في الطّريق،فخاطبه قبل ذلك بيوم،و أضجره،و وافق من خزيمه ضجرا بشيء حدث من أمور المملكه، مع ما فيه من الجبروتيه و الكبير.

فحين خاطبه الرّجل،صاح فيه،و أمر بإخراجه من داره إخراجا عنيفا، ثمّ دعاني،فقال:و الله،لئن دخل هذا دارى،لأضربنّ عنقه،و لئن وقف لى على طريق،أو كلّمني في دار السلطان،لأضربنّ عنقه،فأخبره بذلك، و حدّره،و تقدّم إلى البوّابين و الحجاب بمنعه،و كان خزيمه إذا وعد أو توعدّ، فليس إلاّ الوفاء.

فخرجت إلى الحجاج و البوابين و أصحاب المقارع، فبالغت في تحذيرهم، و تهديدهم، و عرفتهم ما قال، و أنه حلف أن تضرب أعناقهم إذا خالفوا، و أكدت الوصية بجهدى، مستظها لنفسى.

و خرجت إلى خارج الدار، فوجدت الرجل قائما، فأعلمته [١٢١ ظ] أن دمه مرتهن بنظره ينظرها إليه خزيمه فى دار السلطان، أو على بابه، أو فى الطريق، و حذرتة تحذيرا شديدا، و خوفته من سفك دمه، و أن لا- يجعل عليه سيلا، فشكرنى على تحذيره، و انصرف كئيبا.

فلما أصبحنا من الغد، غدوت إلى دار خزيمه على رسمى، للملازمه، فلما دنوت من الباب، إذا بالرجل واقفا كما كان يقف منتظرا لركوبه.

فعظم ذلك علىّ، و قلت: يا هذا، ما تخاف الله؟ أ تحب أن تقتل نفسك؟

أ ما تعرف الرجل؟

فقال: و الله، ما أتيت هذا عن جهل منى و لا- اغترار، بل أتيت على أصل قوى، و سبب وثيق، و سترى من لطف الله ما يسرك، و تعجب منه.

قال الحسن: فزاد عجبى منه [٩٧ ر]، و دخلت الدار، فصادفت خزيمه فى صحن الدار يريد الركوب، فحين نظر إلىّ، قال: ما فعل حامد بن عمرو؟

قلت: رأيت السباعه بالباب، [و قد تهددته، فلما رأيتة اليوم بالباب تعجبت من جهله و عوده، مع ما أعذرت إليه من الوعيد، و أمرته بالانصراف، فأجابنى بجواب لا أدرى ما هو، فأنا برىء من فعله] (١).

فقال: بأى شىء أجابك؟ فأخبرته، فسكت خزيمه، و خرج فركب، فحين رآه حامد ترجل له.

ص: ٢٧٢

١- فى ظ بدل هذه الجملة: و عجت منه لما أنذرتة من وعيدك، و الزيادة من م.

فصاح به: لا تفعل، و الحقنى إلى دار أمير المؤمنين و سار خزيمه، فدخل دار الرشيد (1)، و دخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا أن نبلغه من الدار، فجلسنا فيه، و مضى خزيمه يريد الخليفة، و جاء حامد فجلس إلى جانبى.

فقلت له: أصدقنى عن خبرك، و السبب فى جسارتك على خزيمه، و لینه لك بعد الغلظه، و عرفته ما جرى بينى و بين خزيمه ثانيا.

فقال: طب نفسا، فما أبدى لك شيئا إلا بعد بلوغ [١٢٥ م] آخر الأمر.

فبينما نحن كذلك، إذ دعى حامد إلى حيث كان مرسوما بأن يدخله من يخلع عليه، فتحيرت فلم يكن بأسرع من أن خرج و عليه الخلع، و بين يديه لواء قد عقد له على طريق الفرات بأسره، فممت إليه و هنأته.

و قلت: و لا الساعه تخبرنى الخبر؟

فقال: ما فات شىء، و ودعنى و مضى، فأقمت بمكانى إلى أن خرج خزيمه، فسرت معه إلى داره، فلما استقر، دعانى، فسألنى عن أمور جرت.

و قال: أظنك أنكرت ما جرى من أمر حامد؟

قلت: إى و الله، أيها الأمير.

قال: فاسمع الخبر، اعلم أنى كنت فى نهايه الغيظ عليه، و أمرت فيه بما علمته أمس، فلما كان البارحه، رأيت فى النوم، كأنه قائم يصلى، و قد رفع يديه إلى الله يدعو على.

ص: ٢٧٣

١- من أهم الأسباب التى وطّدت قدم خزيمه بن خازم فى دوله الرشيد، أنّ الهادى كان قد خلع الرشيد و بايع لابنه جعفر، فلما توفى الهادى، هجم خزيمه فى خمسه آلاف مسلح، فأخذ جعفر من فراشه، و قال له: و الله لأضربنّ عنقك أو لتخلعنّها، و بكر من غد، فأقامه على باب الدار فى العلو، و [١] الأبواب مغلقة، فأقبل جعفر ينادى: يا معشر الناس، من كانت لى فى عنقه بيعه فقد أحللتها منها، و الخلافه لعمى هارون (تاريخ الموصل [٢] لابن اياس الأزدي ٢٦٢).

فصحت به: لا تفعل، لا تفعل، وادن منى، فانفتل من صلاته، وجاء حتى وقف بين يدي.

فقلت له: ما يحملك على أن تدعو عليّ؟

فقال: لأنك أهنتني، واستخففت بي، وهددتنى بالقتل ظلماً، وقطعت أملى من طلب رزقى وقوتى، وأنا أشكوك إلى الله، وأستعينه عليك.

و كأتى أقول له: طب نفساً، ولا تدع عليّ، فإننى أحسن إليك غداً، وأوليك عملاً، واستيقظت.

فعجبت من المنام، وعلمت أنى قد ظلمت الرجل، وقلت فى نفسى:

شيخ من العرب، له سنّ و شرف، أسأت إليه بغير جرم، وأرعبته، وما ذا عليه إذا لَجَّ فى طلب الرزق؟ وعلمت أن العدى رأيتة فى منامى موعظه فى أمره، [و حثّ على حفظ النعم، وأن لا أنفرها بقله الشكر، واستعمال الظلم] (١).

فاعتقدت أن أوليه، كما وعدته فى النوم، فكان ما رأيت.

قال الحسن بن مسلمه: فقويت رأيه فى هذا، ودعوت له، وانصرفت، فجاءنى من العشى حامداً، مسلماً، ومودّعاً، ليخرج إلى عمله.

فقلت له: هات الآن خبرك.

فقال: نعم، انصرفت من باب خزيمه موجه القلب، قلقاً، مرتاعاً، فأخبرت عيالى، فصار فى دارى ماتم، وبكاء عظيم، ولم أطعم أنا، ولا هم، شيئاً، يومنا و ليلتنا، وأمسيت كذلك.

فلما هذأت العيون، تروضأت، واستقبلت القبلة، فصليت ما شاء الله، و تضرعت إلى الله، ودعوته بإخلاص تيه، و صدق طويّه، و أطلت، فحملتنى عينى، فنمت و أنا ساجد فى القبلة.

ص: ٢٧٤

١- الزيادة من م.

فرأيت في منامي، كأنني على [١٢٢ ظ] حالي في الصيلاه و الدعاء، و كأنّ خزيمه قد وقف عليّ، و أنا أدعو، فصاح بي: لا تفعل، لا تفعل، و اغد عليّ، فإنني أحسن إليك، و أولئك، فانتبهت مذعورا، و قد قويت نفسي، فقلت: أبكر إليه، فلعلّ الله أن يطرح في قلبه الرقه، فغدوت [٩٨ ر] إليه، فكان ما رأيت (١).

قال الحسن: فكشّر تعجّبي لاتفاق المنامين، فقلت لحامد: لقد أخبرني الأمير بمثل ما ذكرته، لم يخرم منه حرفا، و بكرت إلى خزيمه، فحدّثته بالحديث، فعجب منه، و أحضر حامدا حتّى سمع منه ذلك، و أمر له بكسوه وصله و حملان، و لم يزل بعد ذلك يتعمّد إكرامه (٢).

ص: ٢٧٥

- ١- هذه القصه ساقطه من غ.
- ٢- جرى في مجلس القائد خزيمه بن خازم، حديث ما يسفك من الدماء، فقال: و الله، ما لنا عند الله عذر و لا حجّه، إلا رجاء عفوّه و مغفرته، و لو لا عزّ السلطان، و كراهه الذلّه، و أن أصير بعد الرئاسه سوقه و تابعا، بعد ما كنت متبوعا، ما كان في الأرض أزهد و لا أعبد منّي (الأعاني ٩٩/٤).

بين الوزير عليّ بن عيسى و العطار الكرخي

و يقارب هذا حديثان، حدّثني بأحدهما بعض أهل بغداد:

أنّ عطارا من أهل الكرخ، كان مشهورا بالستر و الأمانه، فركبه دين، و قام من دكانه (١)، و لزم بيته مستترا، و أقبل على الدّعاء و الصّلاه، إلى أن صلّى ليله الجمعة صلاه كثيره، و دعا، و نام، فرأى النّبي صلّى الله عليه و سلّم في منامه، و هو يقول له: اقصد عليّ بن عيسى (٢)، و كان إذ ذاك وزيرا، فقد أمرته أن يدفع إليك أربعمائه دينار، فخذها و أصلح بها أمرك.

قال الرّجل: و كان عليّ ستمائه دينار دينا، فلمّا كان من الغد، قلت:

قد قال [١٢٦ م] النّبي صلّى الله عليه و سلّم، من رأى في منامه فقد رأى، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي، فلم لا أقصد الوزير.

فلمّا صرت ببابه، منعت من الوصول إليه، فجلست إلى أن ضاق صدري، و هممت بالانصراف، فخرج الشافعيّ (٣) صاحبه، و كان يعرفني معرفه ضعيفه، فأخبرته الخبر.

فقال: يا هذا، الوزير و الله في طلبك منذ السّحر إلى الآن، و قد سألتني

ص: ٢٧٦

١- قام: اصطلاح بغدادى، لم يزل مستعملا، يقال: قام التاجر: إذا أغلق دكانه، و عجز عن سداد ديونه.

٢- أبو الحسن عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح، وزير المقتدر.

٣- أبو بكر محمّد بن عبد الله الشافعيّ: صاحب الوزير عليّ بن عيسى، كان أثيرا عنده، راجع القصص ٣٥/١ و ٥٠/١ و ١٢٧/٢ من كتاب نشوار المحاضره للقاضى التّونخى، و كتاب الوزراء للصابى ٣٦١، ٣٥٧ و قد صادره المحسّن فى وزاره أبيه ابن الفرات بمبلغ ثلاثين ألف دينار (الوزراء ٢٤٥).

عنك فأنسيته، و ما عرفك أحد، و الرّسل مبعوثه في طلبك، فكن بمكانك، ثم رجع فدخل، فلم يكن بأسرع من أن دعى بي، فدخلت إلى عليّ بن عيسى.

فقال لي: ما اسمك؟

قلت: فلان بن فلان العطار.

قال: من أهل الكرخ؟

قلت: نعم.

قال: أحسن الله إليك في قصدك إياي، فو الله ما تهنّأت بعيش منذ البارحة، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، جاءني البارحة في منامي، فقال: أعط فلان بن فلان العطار من أهل الكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه، فكنت اليوم في طلبك، و ما عرفك أحد.

فقلت: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، جاءني البارحة، فقال لي كيت و كيت.

قال: فبكي عليّ بن عيسى، و قال: أرجو أن تكون هذه عنايه من رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بي.

ثمّ قال: هاتوا ألف دينار، فجاءوه بها عينا.

فقال: خذ منها أربعمائة دينار، امثالا لأمر رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و ستمائة دينار هبه منّي لك.

فقلت: أيها الوزير ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله صلّى الله عليه و سلّم شيئا، فإنّي أرجو البركة فيه، لا فيما عداه.

فبكي عليّ بن عيسى، و قال: هذا هو اليقين، خذ ما بدا لك.

فأخذت أربعمائة دينار، و انصرفت، فقصصت قصّتي على صديق لي، و أريته الدنانير، و سألته أن يقصد غرماي، و يتوسّط بيني و بينهم، ففعل.

و قالوا: نمهله بالمال ثلاث سنين.

فقلت: لا، ولكن يأخذون منى الثلث عاجلاً، والثلثين في سنتين، في كل سنة ثلاثاً، فرضوا بذلك، وأعطيتهم مائتي دينار، وفتحت دكاني بالمائتي دينار الباقية.

فما حال الحول إلا و معي ألف دينار، ففضيت ديني، وما زال مالي يزيد، و حالي يصلح، و الحمد لله (١).

ص: ٢٧٨

١- وردت القصة في نشوار المحاضره للتوخى برقم ١٢٧/٢ و [١] هي ساقطه من غ.

طاهر بن يحيى العلويّ

و جرايته من الحاج الخراسانيّ

و الخبر الآخر، ما حدّثني به أحمد بن يوسف الأزرق (١)، عن أبي القاسم ابن أماجور المنجم (٢)، قال:

كنت إذا حججت، دخلت على طاهر بن يحيى العلويّ، فرأيت عنده خراسانيّاً، كان يحجّ في كلّ سنه، فإذا دخل المدينة، جاء إلى [٩٩ ر] طاهر بن يحيى فأعطاه مائتي دينار، فكانت كالجرايه له منه.

فلما كان في [١٢٣ ظ] بعض السنين، جاء يريد داره، ليعطيه المائتي دينار، فاعترضه رجل من أهل المدينة، فشنع بطاهر عنده، و قال له: تضيع دنانيرك التي تدفعها إلى طاهر، و هو يأخذها منك و من غيرك، فيصرفها فيما يكرهه الله تعالى، و يفعل و يصنع، و تكلم فيه بقبيح.

قال الخراساني: فانصرفت عنه، و تصدّقت بالدنانير، و خرجت من المدينة، و لم ألق طاهرا.

فلما كان في العام الثاني، دخلت المدينة، فتصدّقت بالمال، و طويت طاهرا.

ص: ٢٧٩

١- أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الأنباري التنوخيّ الكاتب.

٢- أبو القاسم عبد الله بن أماجور المنجم: من أولاد الفراغنه، كان فاضلاً، ألّف كتباً عدّه في علم الفلك ذكرها ابن النديم في الفهرست ٢٨٠، و [١] كان ولده أبو الحسن عليّ، فاضلاً مؤلفاً، ترجم له صاحب تاريخ الحكماء ٢٣١، و قال عنه: إنّه أحد العلماء بحركات الكواكب و المعانين لأرصادها، و أهل هذا الشأن يستدلّون بقوله.

فلَمَّا كان في العام الثالث، تأهبت للحجّ، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم في منامى، يقول لى: ويحك قبلت في ابني طاهر قول أعدائه، و قطعت عنه ما كنت تبرّه به؟ لا تفعل، فاقصده، و أعطه ما فاتته، و لا تقطعه عنه ما استطعت.

قال: فانتهت فزعا، و نويت ذلك، و أخذت صرّه فيها ستمائه دينار، و حملتها معى، فلَمَّا صرت بالمدينه، بدأت بدار طاهر، فدخلت عليه و جلست، و مجلسه حفل.

فحين رآنى، قال: يا فلان، لو لم يبعث بك إلينا ما جئتنا،

فقلت: كلمه وافقت أمرا، ليس إلّا أن أتغافل، فقلت: ما معنى هذا الكلام أصلحك الله؟

فقال: قبلت فى قول [١٢٧ م] عدوّ الله، و عدوّ رسوله، و قطعت عادتك عنى، حتّى لامك رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم في منامك و أمرك أن تعطينى الستمائيه دينار، هاتها، و مدّ يده إلّى.

فتدخلنى من الدهش ما ذهلت معه، فقلت: أصلحك الله، هكذا و الله كانت القضيّه، فمن أعلمك بذلك؟

فقال لى: بلغنى خبر دخولك المدينه فى المدينه فى السنه الأولى، فلَمَّا رحل الحاجّ و لم تأتنى، أثر ذلك فى حالى، و سألت عن القصّه، فعرفت أنّ بعض أعدائنا لقيك، فشنع بى عندك، فألمنى ذلك.

فلَمَّا كان فى الحول الثانى، بلغنى دخولك، و خروجك، و أنّك قد عملت على قوله فى، فازددت غمّا لذلك.

فلَمَّا كان منذ شهر، ازدادت إضاقتى، و امتنع منى النوم غمّا لما دفعت إليه، ففزعت إلى الصلاه، فصليت ما شاء الله، و أقبلت أدعو بالفرج، فحملتنى عينى فى المحراب، فمنت، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عليه و سلم فى منامى و هو

يقول لى: لا تهتمّ، فقد لقيت فلانا الخراساني، و عاتبته على قبوله فيك قول أعدائك، و أمرته أن يحمل إليك ما فاتك، و لا يقطع عنك بعدها ذلك، و يبرّك ما استطاع، و انتبهت، فحمدت الله و شكرته، فلما رأيتك، علمت أنّ المنام جاء بك.

قال: فأخرجت الصرّه التي فيها ستمائه دينار، فدفعتها إليه، و قبلت يده، و سألته أن يحلّني من قبول قول ذلك الرّجل فيه (١).

ص: ٢٨١

١- هذه القصّه ساقطه من غ، و قد وردت في كتاب نشوار المحاضره للتوخّي برقم ١٤٨/٢.

حدّثني أبو محمّد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزديّ (١)، قال:

كان في شارع دار الرّقيق (٢)، جاريه علويّه، أقامت زمّنه خمس عشره سنه (٣)، و كان أبي في جوارها [أيام نزولنا بدرب المعوج من هذا الشارع، في دار شفيع المقتدريّ، التي كان اشتراها] (٤)، يتفقّدها، و يبزّها، و كانت مسجّاه، لا يمكنها أن تنقلب من جنب إلى جنب، أو تقلب، و لا- تقعد، أو تقعد، و كان لها من يخدمها في ذلك، و في الإنجاء، و الأكل، لقصور أطرافها، و أعضائها، و كانت فقيره، إنّما قوتها و قوت خادمتها من بزّ الناس.

ص: ٢٨٢

١- أبو محمّد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزديّ: كاتب، شاعر، أديب، راويه، نقل عنه القاضي التنوخيّ كثيرا من الأخبار في كتابه نشوار المحاضره، و كان هو، و أبوه، على صله متينه بالأمرء الحمدانيّين، أمرء الموصل، و كان أبوه يتوسّط بينهم و بين حكام بغداد (القصة ٢٩/١ من نشوار المحاضره) و [١] يظهر من القصص ١٨/٢ و ١٣٢/٢ أنّ أبا محمّد، كان متين العلاقه بأبي تغلب الحمدانيّ، راجع ما نقله عنه التنوخيّ في القصص ٢/١ و ١٠٣/١، و ١٤٤/١، ١٤٣/١، و ١٩/٢، ١٤٨/١، و ٢٠/٢ و ٢٦/٢ و ٢٧/٢ و ٢٨/٢ و ٧٧/٢ و ٩٠/٢ و ١٣٤/٢ و ١٠٧/٣ و ١٧٢/٣ و ١٧٤/٣ و ١١٤/٤ و ١١٨/٤ من كتاب نشوار المحاضره.

٢- في ظ: دار الدقيق، و التصحيح من م و ر، و دار الرقيق: محله كانت ببغداد متّصله بالحريم الطاهريّ من الجانب الغربيّ (معجم البلدان ٥١٩/٢) [٣] أقول: هي الآن جزء من الشالجيّه.

٣- الزمانه: العاهه، أو عدم بعض الأعضاء بحيث تتعطلّ القوى.

٤- الزيادة من م.

فلما مات أبى اختل أمرها، وبلغ تجنى (١)، أم ولد الوزير المهلبى خبرها، فكانت تقوم بأمرها، وأجرت عليها جرايه فى كل شهر، و كسوه فى كل سنه.

فبات ليله من الليلالى على حالها، وأصبحت من الغد، و قد برأت، [١٠٠ ر] و مشت، و قامت، و قعدت.

و كنت مجاورا لها، و كنت أرى الناس يأتون باب دارها، فأنفذت امرأه من دارى، ثقه، حتى شاهدتها، و سمعتها تقول: إنى ضجرت بنفسى ضجرا شديدا، فدعوت الله تعالى بالفرج مئيا أنا فيه، أو الموت، و بكيه بكاء [١٢٤ ظ] شديدا متصلا، و بت، و أنا متألمه، قلقه، ضجره، و كان سبب ذلك، أن الجاريه التى كانت تخدمنى، تضجرت بى، و خاطبتنى بما ضاق صدرى معه.

فلما استقلت فى نومى، رأيت كأن رجلا دخل على، فارتعت منه، و قلت له: يا هذا، كيف تستحل أن ترانى؟

فقال: أنا أبوك، فظننته أمير المؤمنين (٢).

فقلت: يا أمير المؤمنين، هو ذا ترى ما أنا فيه.

ص: ٢٨٣

١- تجنى: محظيه الوزير أبى محمّد المهلبى، وزير معزّ الدوله، و أم ولده أبى الغنائم المفضل، و ابنته زينه التى تزوجها الوزير أبو الفضل الشيرازى، و كان المهلبى شديد الولع بها (القصة ١٧٧/٣ من كتاب نشوار المحاضره) و دام حبّه لها حتى فرّق الموت بينهما، راجع فى اليتيمه ٢٢٤/٢-٢٤١، فى ترجمه الوزير المهلبى، بعض شعره فى تجنى، و كانت من خيرات النساء، كثيره الحسنات، و قد لقيت من معزّ الدوله و أتباعه، بعد وفاه الوزير المهلبى، كثيرا من الأذى، راجع القصة ٥٨/٤ من نشوار المحاضره، و [١] تجارب الأمم ١٩٧/٢ و ١٩٨.

٢- إذا قيل «أمير المؤمنين» مطلقا، فهو على بن أبى طالب، و إذا قيل «ابن عباس» فهو عبد الله، و إذا قيل «ابن عمر» فهو عبد الله، و إن كان لهما أولاد غيرهما، و إذا قيل «الحسن» فهو الحسن البصرى، و «النابعه» نابغه بنى ذبيان، و «الأعشى» أعشى قيس (محاضرات الأدباء ٣/٣٤١).

فقال: أنا محمد رسول الله.

فبكيت، وقلت: يا رسول الله، ادع لي بالفرج والعافية.

فحرّك شفّتيه بشيء لا أفهمه، ثم قال: هاتى يديك، فأعطيته يديّ، وأخذهما، وجذبني بهما، فقامت.

فقال: امشى على اسم الله.

فقلت: كيف أمشى؟

فقال: هاتى يديك، فأخذهما، وما زال يمشى بي، وهما فى يديه ساعه، ثم أجلسنى، حتى فعل ذلك ثلاث مرّات.

ثم قال لي: قد وهب الله لك العافية، فاحمديه واتقيه، وتركنى ومضى.

فانتبهت، وأنا لا أشكّ أنّه واقف، لسرعه المنام، فصحت بالخدام، فظنّت أنّى أريد البول، فتناقلت.

فقلت لها: ويحك، أسرجى، فإننى رأيت رسول الله [١٢٨ م] صلى الله عليه وسلم، فانتبهت، فوجدتني مسجّاه، فشرحت لها المنام.

فقلت: أرجو أن يكون الله تعالى قد وهب لك العافية، هاتى يدك، فأعطيتها يدي، فأجلستنى.

ثم قالت لي: قومى، فقامت معها، ومشيت متوكّنه عليها، ثم جلست، ففعلت ذلك ثلاث مرّات، الأخيره فيهنّ مشيت وحدى.

فصاحت الخادمه سرورا بالحال، وإعظاما لها، فقدّر الجيران أنّى قد متّ، فجاءوا، فقامت أمشى بين أيديهم.

قال أبو محمّد: وما زالت قوّتها تزيد، إلى أن رأيتها قد جاءت إلى والدتى فى خفّ وإزار، بعد أيام، ولا داء بها، فبررناها، وهى

إلى الآن باقيه، وهى من أصلح وأروع أهل زماننا، وقد تزوّجت برجل علوى موسر، وصلحت

حالتها، ولا تعرف إلى الآن، إلا بالعلويّه الزمنه (١).

فمضى على هذا الحديث، سنون كثيره، و جرى بينى و بين القاضى أبى بكر محمّد بن عبد الرحمن، المعروف بابن قريعه (٢)، مذاكره بالمنامات، فحدّثنى بحديث منام هذه العلويّه، و قصّيتها، و علّتها، على مثل ما حدّثنى به أبو محمّد، و قال: و أنا كنت أحمل إليها جراتها من عند تجنّى، جاريه الوزير أبى محمّد المهلبى، و كسوتها على طول السنين، و سمعت منها هذا المنام، و رأيتها تمشى بعد ذلك صحيحه، بلا قلبه، و تجىء إلى تجنّى، و تجنّى

ص: ٢٨٥

١- إلى هنا وردت القصّه فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، راجع القصّه ١٣٤/٢ من كتاب النشوار.
٢- القاضى أبو بكر محمّد بن عبد الرحمن، المعروف بابن قريعه (٣٠٢-٣٦٧): قاضى بغداد، قال عنه صاحب وفيات الأعيان ٣٨٢/٤: [١] كان من عجائب الدنيا فى سرعه البديهه بالجواب عن جميع ما يسأل عنه، فى أفصح لفظ، و أملح سجع، و كان مختصّاً بالوزير أبى محمّد المهلبى، وزير معزّ الدوله، و له مسائل و أجوبه مدوّنه فى كتاب، و لما قدم الصاحب بن عباد إلى بغداد رأى من ظرفه، و سرعه جوابه مع لطفه، ما عظم منه تعجّبه، و قد ذكر له فى ترجمته فتوى له عجيبه، و قال عنه الخطيب فى تاريخه ٣١٧/٢ كان كثير النوادر، حسن الخاطر، عجيب الكلام، يسرع بالجواب المسجوع المطبوع، من غير تعمّل له، و لا تكلف فيه، و قال عنه الصفدى فى الوافى بالوفيات ٢٢٧/٣: [٢] كان الفضلاء يداعبونه برسائل و مسائل هزليه، فيجب عنها أسرع جواب و أعجبه من غير توقّف، للاطلاع على بعض أجوبته، راجع وفيات الأعيان ٣٨٢/٤ و [٣] تاريخ بغداد للخطيب ٣١٧/٢ و [٤] الوافى بالوفيات ٢٢٧/٣، و [٥] راجع فى مطالع البدور ١٣٩/١ فتوى له عجيبه، و لاه أبو السائب قاضى القضاة، قضاء السنديه (وفيات الأعيان ٣٨٢/٤) و [٦] ولى الأهواز (القصّه ٤/٥ من كتاب نشوار المحاضره للتنوخى) و لى الحسبه ببغداد (تاريخ بغداد للخطيب ٣١٨/٢) و [٧] كان مختصّاً بالوزير أبى محمّد المهلبى، ثم نادم عزّ الدوله بختيار البويهى، و توفى ببغداد، راجع الهفوات النادره ص ٣٢٤-٣٣١، و راجع فى رسائل الصابى ١٤٣/١ العهد الذى قلّمه المطيع بموجه قضاء جنديسابور، و راجع فتوى له طريفه فى نهايه الأرب ١٢/٤ و [٨] فتوى أطرف فى البصائر و الذخائر للتوحيدى م ١/٣ ص ١٧٤، و رقعته بحواله بثمان ثلاثين بيضه ص ١٧٥ و ١٧٦.

زوّجتها بالعلويّ، وأعطتني مالا، فمّمت بتجهيزها، وأمرها، حتّى أعرس بها زوجها، و هي إلى الآن من خيار النساء.

قال مؤلّف الكتاب: و حدّثني بعد هذا، جماعة أسكن إليهم من أهل شارع دار الرّقيق، بخبر هذه العلويّة، على قريب من هذا، و هي باقية إلى حين معرفتي بخبرها في سنة ثلاث و سبعين و ثلاثمائة (١).

ثمّ كنت في سنة سبع و سبعين و ثلاثمائة عند أبي الفتح أحمد بن عليّ بن هارون المنجم (٢)، فرأيت في داره بدرب سليمان من شارع دار الرّقيق (٣)، و أنا عنده، امرأه عجوزاً، قد دخلت، فأعظمها.

فقلت: من هذه؟

فقال: العلويّة الزمنه، صاحبه المنام، و كانت تمشي بخفّها و إزارها.

فسألتها أن تجلس، ففعلت، و استخبرتها، فحدّثتني، فقالت:

اعتلت من برسام، [١٠١ ر] و أنا في حدود عشرين سنة من عمري، ثمّ انجلى عني، و قد لحق حقوى شيء أزمّني، فكنت مطروحة على الفراش سبعا

ص: ٢٨٦

١- إلى هنا وردت القصّة في م، و الباقي من ر و ظ.

٢- أبو الفتح أحمد بن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى بن أبي منصور المنجم: قال عنه الخطيب البغداديّ ٣١٨/٤: إنّه أخذ عن والده أبي الحسن عليّ بن هارون المشتهر بالعلم و الفضل و الأدب و خدمه الخلفاء، و قال عنه ياقوت في معجمه ٢٣٢/١: إنّه أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب، و اهتدى يهديهم في الوصول إلى الفضائل من كلّ فنّ، و قد نقل عنه صاحب النشوار [١] قصصاً، و أثبت شيئاً من شعره، شعر متوسط، راجع القصص ١٣٣/٣ و ١٣٣/٤ و ٣٤/٤ من نشوار المحاضرة.

٣- درب سليمان: أحد الدروب في شارع دار الرقيق، و هو منسوب إلى سليمان بن جعفر بن المنصور، و فيه كانت داره، و كان هذا الدرب يقابل الجسر في أيام المهديّ و الهاديّ و الرشيد، و أيام كون بغداد عامره (معجم البلدان ٥٦٣/٢) [٣] أقول: الجسر الذي أشار إليه ياقوت، حلّ محلّه الآن جسر الصرّافيه الحديد، و درب سليمان هو الدرب الذي يتعلّل في الشالجيّه، امتداداً لجسر الصرّافيه في الجانب الغربيّ من بغداد.

و عشرين سنه، لا أقدر أن أقعد، ولا أقوم أصلاً، وأنجو في موضعي، وأغسل، و كنت مع ذلك، لا أجد ألماً.

ثم بعد سنين كثيره من علتي، رأيت النبي صلى الله عليه و سلم، في منامي [١٢٥ ظ] و أنا أقول له: يا جدّي، ادع الله عزّ و جلّ أن يفرّج عنيّ.

فقال: ليس هذا وقتك.

ثم رأيت أمير المؤمنين رضي الله عنه، فقلت له: أما ترى ما أنا فيه، فاسأل رسول الله أن يدعو لي، أو ادع لي أنت، فكأنه قد دافعني.

ثم توالى عليّ بعد ذلك، رؤيتي لهما في النوم، فجرى بيني و بينهما قريب من هذا، و رأيت الحسن و الحسين رضي الله عنهما، و كأنّي أسأل كلّ واحد منهما الدعاء بالعافيه، فلا يفعل.

فلما مضت سبع و عشرون سنه، لحقني ألم شديد، أيّاماً في حقوي، فقاسيت منه شدّه شديده، فأقبلت أبكي، و أدعو الله بالفرج.

فرأيت ليله في منامي، النبي صلى الله عليه و سلم، فعرفته، لأنّي كنت أراه طول تلك السنين على صوره واحده، و كأنّي أقول له: يا جدّي، متى يفرّج الله عنيّ؟

فكأنه أدخل يده في طرف كميّ، و جسّ بدني، من أوله إلى آخره، حتّى بلغ حقوي، فوضع يده عليه، و تكلم بكلام لا أفهمه، ثم ردّني على قفائي، كما كنت نائم، و قال: قد فرّج الله عنك، فقومي.

فقلت: كيف أقوم؟

فقال: هاتي يدك، فأعطيته يدي، فأقعدني.

ثم قال: قومي على اسم الله.

فقمت، ثمّ خطا بي خطوات يسيره، و قال: قد عوفيت.

فانتبهت، و أنا مستلقيه على ظهري، كما كنت نائم، إلا أنّني فرحانه،

فرمت القعود، فقعدت لنفسى وحدى، ودليت رجلى من السرير، فتدلتا، فرمت القيام عليهما، فقامت، ومشيت، فقلت للمرأة التى تخدمنى: لست آمن أن يشيع خبرى، فيتكاثر الناس على، فيؤذونى، وأنا ضعيفه من الألم الذى لحقنى، إلا أنى كنت لما انتبهت، لم أحس بشيء من الألم، ولم أجد غير ضعف يسير.

فقلت: اكنمى أمرى يومين، إلى أن صلحت قوتى فيهما، وزادت قدرتى على المشى والحركة، وفشا خبرى، وكثر الناس على، فلا أعرف إلى الآن، إلا بالعلويه الزمنه.

فسألتها عن نسبها، فقالت: أنا فاطمه بن على بن الحسن بن القاسم ابن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، لم تذكر لى غير هذا (١)، ولا سألتها عنه (٢).

ص: ٢٨٨

١- تبين لى من المطابقه بين المخطوطات التى تيسر لى الاطلاع عليها من كتاب الفرج بعد الشده، [١] أن القاضى التنوخى رحمه الله، كان يتعاهد مؤلفاته، ويراجعها من وقت إلى وقت، كما اتضح لى من بعض القصص التى أثبتتها فى النشوار، [٢] ثم أوردها فى هذا الكتاب، أنه كان إذا توافرت لديه فوائد جديده، تزيد عما رواه أولاً، أثبتتها عند تكراره القصه، وقصه العلويه الزمنه، هذه، من الأدله على ذلك، فإنه أثبت القصه فى النشوار، [٣] بالرقم ١٣٤/٢، و ذكر أن العلويه كانت عاتقا، ولما عاد فأثبت هذه القصه فى كتاب الفرج بعد الشده، [٤] ذكر أن العلويه الزمنه تزوجت، وأن السیده تجنى، أم ولد الوزير المهلبى، كانت تجرى عليها، وأنها هى التى زوجتها، وجهازتها من مالها، وأنها باقيه، إلى حين معرفته بخبرها فى السنه ٣٧٣ (نسخه دار الكتب المصريه (م) ص ١٢٨) ثم عاد من بعد ذلك، فأضاف إلى القصه ما توافر لديه من فوائد جدت من بعد ذلك، فأثبت فى الكتاب، أنه أبصر هذه العلويه فى السنه ٣٧٧ فى دار صديقه أبى الفتح أحمد بن على بن هارون المنجيم، رآها فى داره بدرب سليمان فى شارع دار الرقيق، فتحركت فيه طبيعه القاضى، فاستجوبها، ولم يكتف بأن أثبت قصتها مفصلاً، حتى سألها عن نسبها، وعند ما أنهى استجوابها، كتب فى آخره: ولم تذكر لى غير هذا. وهذه فقره يهتم بها القضاة أقوال المتداعين، كى لا- تضاف إلى أقوالهم إضافات أخرى، (نسخه ر ١٠٠ و ١٠١ و نسخه ظ ١٢٤ و ١٢٥).

٢- هذه القصه ساقطه من غ.

أبو القاسم السعدى يرى منا ما

فيتوب عن فعل المنكر.

حدّثنى أبو محمد يحيى بن محمّد بن سليمان بن فهد الأزديّ الموصليّ، قال: سمعت أبا القاسم السعدىّ، يحدث أبى ببغداد، قال:

كنت و أنا حدث السنّ، مشغوفاً بغلام لى شغفا شديداً، منهمكا معه فى الفساد، فكان ربّما هجرنى، فأترضاه بكلّ ما أقدر عليه، حتّى يرضى.

قال: وإنّه غضب علىّ مرّه غضباً شديداً، فهرب، واستتر عنّى خبره، فلحقنى من الحيره و الوله (١)، [ما قطعنى عن النّظر فى أمرى، و صيرنى كالمجنون، و اجتهدت فى صرف ذلك عنّى فما انصرف] (٢).

و حضر وقت خروج النّاس إلى الحائر (٣)، على ساكنه أفضل الصلاه و السّلام، فكتبت رقعته أسأل الله عزّ و جلّ فيها الفرج ممّا أنا فيه، و أتوسّل إلى الله تعالى بالحسين ابن علىّ رضى الله عنهما، و دفعتهما إلى بعض من خرج، و سألته أن يدفعها فى ناحيه من القبر.

و كانت ليله التّصف من شعبان، ففزعت إلى الله، فى كشف ما بى، و تفرّدت بالصّلاه و الدّعاء، قطعته من اللّيل، ثمّ حملنى التّوم [١٠٢ ر].

ص: ٢٨٩

١- وردت القصّه فى ظ فى الصحيفه ١٢٦ مبتوره إلى هذا الحدّ، ثم ورد جزء منها فى الصحيفه ١٢٧ و أكثر باقيها فى الصحيفه

١٢٨ ثم عادت الخاتمه إلى الصحيفه ١٢٦.

٢- هذه الجملة وردت فى ظ فى الصحيفه ١٢٧.

٣- الحائر: قبر الحسين عليه السلام.

فرأيت في منامي كأنني في مقابر قريش (١)، والناس مجتمعون فيها، إذ قيل: قد جاء الحسين بن عليّ، وفاطمه بنت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، للزيارة.

فتشوّفت لرؤيتهما، فإذا بالحسين، في صورته كهل، حسن الوجه، بدرّاعه، و عمامه، و خفّ، قد أقبل، و معه فاطمه عليها السّلام، متنقّبه بنقاب أبيض، و ملحفه بيضاء.

فاعترضت الحسين، و قلت: يا ابن رسول الله، كتبت إليك رقعه في حاجه لي، فإن رأيت أن تعمل فيها؟ فلم يجبني، و دخل إلى القبه التي فيها محمّد بن عليّ بن موسى رضى الله عنهم، و دخلت فاطمه عليها السّلام معه، و كأنّ قوما قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول إليها، فلم أزل أكابس (٢) و أتوصّل، إلى أن دخلت، فأعدت عليه الخطاب، فلم يجبني.

فقلت لفاطمه: يا سيّده النساء، إن رأيت أن تعملي في أمرى.

فقلت: عليّ أن تتوب؟

فقلت: نعم.

فقلت: الله؟

فقلت: الله.

فكررت ذلك عليّ ثلاثاً، ثمّ أومأت إلى جماعه ممّن كانوا قياماً، فقلت:

خذوه، فأخذوني، و نزع خاتما من يدها فدفعته إليهم، و خاطبتهم بما لم أفهمه، فحملوني حتّى غبت عن عينها، و أضجعوني و حلّوا سراويلي و شدّوا

ص: ٢٩٠

١- مقابر قريش: قال ياقوت في معجم البلدان ٥٨٧/٤، [١] مقبره مشهوره و محلّه فيها خلق كثير، و عليها سور، و هي التي فيها قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أقول: هي مقبره الإمامين الكاظمين، و قد اتّسعت المحلّه المحيطه بها، فأصبحت مدينه الكاظميه.

٢- المكابسه: الضغط و الاقتحام.

ذكرى بخيط حلبي، و وضعوا على الشدّ طينا، و ختموه بالخاتم [١٢٩ م]، فورد عليّ من الألم أمر عظيم، أنبهنى، فانتبهت و قد أثر الخيط فى الموضوع [١٢٨ ظ]، و صار أثر الخاتم كأنه الجديريّ، مستديرا حول الموضوع.

ثمّ قال لأبى: إن شئت كشفت لك فأريتك، فقد أريته لجماعه.

فقال: لا أستحلّ النظر إلى ذلك.

قال السعدىّ: فأصبحت من غد، و ما فى قلبى البتّه من الغلام شىء، و ابتعت الجوارى، فكنت أطوّهنّ، لا أنكر من جماعى شيئا.

ثمّ طالبتنى بالغلّمان، فدافعتها مدّه، ثمّ غلبتنى الشّهوه، فاستدعيت غلاما، فلم أقدر عليه، و استرخى العضو، و بطل، فلمّا فارقتّه، أنعظت، فعادته، فاسترخى، فجزّبت ذلك على عدّه غلمان، فكانت صورتى واحده.

فجدّدت توبه ثانيه، و ما نقضتها بعد ذلك.

قال أبو محمّد: و كان أبو على القارئ الضّرير، قد سمع معى هذا الخبر من السعدىّ، فأخبرنى بعد مدّه طويله (١) - و حلف لى على ذلك - أنّه رأى فاطمه رضى الله عنها، فى النّوم، قال: فقلت لها: يا سيّدتى (٢)، منام السعدىّ الذى حكاه صحيح؟ فقالت: نعم (٣).

ص: ٢٩١

١- إلى هذا الحدّ من القصّه ورد فى الصحيفه ١٢٨ من مخطوطه ظ.

٢- فى ر: يا سيّده النساء.

٣- هذا الجزء الأخير من القصّه، ورد فى الصحيفه ١٢٦ من ظ، و القصّه ساقطه من غ.

أبو جعفر بن بسطام له قصه في رغيث

حدّثنا أبو علي الحسن بن محمد الأنباري الكاتب، قال:

كان ابن الفرات (١)، يتتبع أبا جعفر بن بسطام بالأذية، ويقصده بالمكارة، فلقى منه في ذلك شدائد كثيرة.

و كانت أمّ أبي جعفر قد عودته منذ كان طفلاً، أن تجعل له في كلّ ليلة، تحت مخدّته التي ينام عليها، رغيثاً من الخبز، فإذا كان في غد، تصدّقت به، عنه.

فلما كان بعد مدّة من أذية ابن الفرات له، دخل إلى ابن الفرات في شيء احتاج إلى ذلك فيه، فقال له ابن الفرات: لك مع أمّك خبر في رغيث؟

قال: لا.

فقال: لا بدّ أن تصدقني.

فذكر أبو جعفر الحديث، فحدّثه به على سبيل التطايب بذلك من أفعال النساء.

فقال ابن الفرات: لا تفعل، فإنّي بتّ البارحة، وأنا أدبّر عليك تدبيراً لو تمّ لاستأصلتك، فنمت، فرأيت في منامي، كأنّ بيدي سيفاً مسلولاً، وقد قصدتك لأقتلك به، [١٢٦ ظ] فاعترضتني أمّك بيدها رغيث تترسّك به منّي، فما وصلت إليك، وانتبهت.

فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما، وجعل ذلك طريقاً [١٠٣ ر] إلى

ص: ٢٩٢

١- أبو الحسن عليّ بن محمّد بن الفرات، وزير المقتدر.

استصلاحه، و بذل له من نفسه ما يريد من حسن الطاعه، و لم يبرح حتّى أرضاه، و صار صديقين.

و قال له ابن الفرات: و الله، لا رأيت منّي بعدها سوء أبدا (١).

ص: ٢٩٣

١- لا- توجد هذه القصه فى م، و لا- فى غ، و قد وردت فى كتاب نشوار المحاضره للتوخى برقم القصه ١٧٢/٣ و فى الوزراء للصابى ٧٣ و ٧٤ و فى المنتظم لابن الجوزى ١٩٢/٤.

بينما كان يترقب القتل

وإفاه الفرج في مثل لمح البصر

ذكر محمد بن عبدوس في كتابه، كتاب الوزراء، عن أبي العباس ابن الفرات (١)، عن محمد بن علي بن يونس، عن أبيه، أنه كان يكتب لرجاء ابن أبي الضحّاك، وهو بدمشق (٢)، وأنّ علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ، كان يتقلد خلافه صول أرتكين على المعونه بدمشق، فوثب على رجاء، فقتله (٣)، و قبض على جماعه من أسبابه، وأمر بحبس، فحبست في يدي سجّان كان جارا لي، فكان يأتيني بالخبر ساعه بساعه.

فدخل إليّ، وقال: قد أخرج راس صاحبك رجاء على قناه.

[ثمّ جاءني وقال: قد قتل مطبّه، ثمّ جاءني فقال: قد قتل ابن عمّه] (٤)، ثمّ جاءني فقال: قد قتل كاتبه الآخر.

ثمّ قال: الساعه، والله، يدعى بك لتقتل، فقد سمعت نبأ ذلك، فنالني جزع شديد، وخرج السجّان، فأقفل الباب عليّ.

فدعى بي، فدافع عني، وقال: البيت الذي هو فيه مقفل، والمفتاح مع

ص: ٢٩٤

١- أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات: ترجمته في حاشيه القصّه ١٧٢ من الكتاب.

٢- كان رجاء بن أبي الضحّاك متقلدا الخراج بدمشق (الطبرى ١١١/٩ و [١] الكامل ٥١٧/٦).

٣- كان ذلك في السنه ٢٢٦ وقد أعتقل عليّ بن إسحاق، وأصيب بمسّ، ثم اطلق من بعد ذلك. فقال البحترى يعيّر الحسن بن رجاء (الطبرى ١١١/٩): [٣] عفا عليّ بن إسحاق بفتكته على غرائب تيه كنّ في الحسن فلم يكن كابن حجر حين ثار ولا أخى

كليب ولا سيف بن ذى يزن

٤- الزيادة من ر.

شريكي، و السّاعه يجي، و بعث في طلبه.

فنالني في تلك السّاعه نعاس، فرأيت في منامي، كأني ارتطمت في طين كثير، و كأني قد خرجت، و ما بلّ قدمي منه شيء، فاستيقظت، و تأوّلت الفرج، و سمعت حركه شديده، فلم أشكّ أنّها لطلبي، فعاودني الجزع.

فدخل السّجان، فقال: أبشر، فقد أخذ الجند عليّ بن إسحاق فحبسوه.

فلم ألبث حتّى جاءني الجند، فأخرجوني، و جاءوا بي إلى مجلس عليّ بن إسحاق (١) المذى كان فيه جالسا، و قدّامه دواه و كتاب قد كان كتبه إلى المعتصم في تلك السّاعه، يخبره بخبر قتله رجاء، و جعل له ذنوبا، و لنفسه معاذير، و سمّاه رجاء المجوسيّ (٢)، و الكافر، فخرّقت الكتاب، و كتبت بالخبر كما يجب إلى المعتصم.

فحبس طويلا، ثمّ أظهر الوسواس، و تكلم فيه أحمد بن أبي دؤاد، فأطلق (٣).

ص: ٢٩٥

١- وردت القصّه في ظ مبنوره إلى هذا الحدّ في الصحيفه ١٢٩ و تمتها في الصحيفه ١٢٧.

٢- كان رجاء ابن عم الفضل بن سهل السرخسيّ وزير المأمون (الطبري ٥٤٠/٨).

٣- لم ترد هذه القصّه في م و لا في غ.

المنصور يرى مناما

فيرفع الظلامه عن محبوس

وجدت فى بعض الكتب:

أنَّ المنصور استيقظ من منامه ليله من الليالى، و هو مذعور لرؤيا رآها، فصاح بالزبيح، و قال له: صر الساعه إلى الباب الثانى الذى يلى باب الشام فإنك ستصادف هناك رجلا مجوسيًا مستندا إلى الباب الحديد، فجننى به، فمضى الزبيح مبادرا، و عاد و المجوسى معه.

فلما رآه المنصور، قال: نعم، هو هذا، ما ظلامتك؟

قال: إنَّ عاملك بالأنبار، جاورنى فى ضيعه لى، فسامنى أن أبيعه إيها، فامتنعت، لأنها معيشتى، و منها أقوت عيالى، فغصبنى إيها.

فقال له المنصور: فبأى شىء دعوت قبل أن يصير إليك رسولى؟

قال: قلت: اللهم إنك حلیم ذو أناه، و لا صبر لى على أناتك.

فقال المنصور للزبيح: أشخص هذا العامل، و أحسن أدبه، و انتزع ضيعه هذا المجوسى [من يده، و سلمها إلى هذا المجوسى، و ابتع من العامل ضيعته، و سلمها إليه أيضا] (١).

ففعّل الزبيح ذلك كله فى بعض نهار يوم، و انصرف المجوسى، و قد فرّج الله عنه، و زاده، و أحسن إليه (٢).

ص: ٢٩٦

١- الزيادة من ه و ر.

٢- لم ترد هذه القصه فى م، و لا فى غ.

صاحب الشرطة ببغداد يرى مناما

يرشده إلى القاتل و يبزئ فيجا مظلوما.

وجدت في كتاب: حدّث القاسم بن كرسوع، صاحب أبي جعفر محبره (١)، قال:

كان ابن أبي عون، صاحب الشرطة (٢)، قد وعد محبره أنه يجيئه للإقامه عنده، و الشرب مصطبحا على ستارته (٣) في يوم الثلاثاء، فأبطأ عليه، و تعلق قلب محبره بتأخره، فبعث غلاما له يطلبه و يعرف خبره في تأخره.

فعاد إلى محبره، و قال: وجدت في مجلس الشرطة، يضرب رجلا بالسياط، و ذكر أنه يجيء الساعة، [١٠٤] ر[فلما كان بعد ساعه، جاء ابن أبي عون.

فقال له أبو جعفر: أفسدت صبوحننا (٤)، و شغلت قلبي بتأخرك، فما سبب ذلك؟

ص: ٢٩٧

١- أبو جعفر محمّد بن يحيى بن أبي عبّاد جابر بن يزيد بن الصباح العسكري، الملقّب بمحبره النديم: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩٩ في الكتاب.

٢- محمّد بن أبي عون: كان من قوّاد الأمير محمّد بن عبد الله بن طاهر أمير بغداد (الطبري ٢٨٤/٩) و [١] اشترك إلى جانب المستعين في الحرب بينه و بين المعتزّ (الطبري ٣٠١/٩ و ٣١٠ و ٣٣٧) و [٢] جند جندا من العيارين لحرب الأتراك (الطبري ٢٨٨/٩) [٣] ثم تقلّد البصره و اليمامة و البحرين (الطبري ٣٥٤/٩) ثم تقلّد واسط (الطبري ٤١٢/٩) ثم نقل عنها إلى ولايه الأبله و كور دجله (الطبري ٤١٥/٩) و [٤] اشترك في المعارك مع صاحب الزنج إلى نهايتها (الطبري ٤١٨/٩-٤٢٨، ٤٢٦، ٤٢٠) و [٥] يظهر من هذه القصّه أنه تقلّد، بعد ذلك، الشرطة ببغداد.

٣- الستاره: كناية يراد بها المغنّيات.

٤- الصبوح: الشرب بكره.

فقال: إنّي رأيت البارحة في منامي، كأنّي بكرت بليل لأجيك (١)، وليس بين يديّ إلا غلام واحد، فسرت في خراب إسحاق بن إبراهيم بن مصعب (٢)، لأجىء إلى رحبه الجسر (٣)، فإنّي لأسير في القمر، إذ رأيت شيخا بهيّا، نظيف الثوب، على رأسه قلنسوه لاطئه (٤)، وفي يده عكاز، فسلم عليّ، وقال:

إنّي أرشدك إلى ما فيه مثوبه: في حبسك فيج ٩ مظلوم، وافي من المدائن،

ص: ٢٩٨

- ١- يريد لأجيتك، وقد حذفت الهمزة من الكلمه على طريقه البغداديين التي ما زالوا عليها إلى الآن في حذف الهمزة إذا كانت في آخر الكلمه، أو إبدالها بالواو أو الياء إذا كانت في وسطها، راجع حاشيه القصّه ١٦٧ من الكتاب.
- ٢- أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبيّ: توفّي سنه ٢٣٥ و هو أمير بغداد، و صاحب الدوله، فأصبحت داره من بعد ربع قرن خرابا، و في هذا عبره لمن اعتبر.
- ٣- رحبه الجسر: راجع البحث في آخر القصّه.
- ٤- القلنسوه: لباس الرأس، و قد تسمى الشاشيّه (القصّه ٣٢٦ من هذا الكتاب و رسوم دار الخلافه ص ٤٣)، و هي طاقية مخروطيه الشكل، مدببه الرأس، تلفّ حولها العمامه، و عند التخفّف تلبس القلنسوه وحدها، و لا يلفّ حولها شيء، و قد رأيت في غرناطه في السنه ١٩٦٠ صوره للسلطان أبي عبد الله بن الأحمر، صوّرها له المصوّرون الأسبان، و على رأسه قلنسوه، و كانت القلنسوه تختلف في ارتفاعها، زياده و نقصا، و قد فرض المنصور على جنده لبس القلانس الطوال، حتى أنّ أحد أتباعه، و صف نفسه لما لبسها، أنّ وجهه أصبح في وسطه (الملح و النوادر للحصري ٨٧ و نهايه الأرب ٣٧/٤). ثم أصبحت القلنسوه الطويله من بعده مقصوره على القضاء و الفقهاء، و كانت القلنسوه تدعم من باطنها لتبقى قائمه على الرأس (راجع رسوم دار الخلافه ص ٤٣)، فإن لم تكن فيها أعواد تدعمها ارتخت و تهدّلت على الرأس و سميت: قلنسوه لاطئه، و في المنجد: القلنسوه اللاطئه، قلنسوه صغيره تلتأ، أي تلتصق بالرأس، و ما يزال هذا اسمها ببغداد، و لكنهم يلفظونها بياء مشدده (لاطيّه)، و قد تطوّرت القلانس إلى لبدّه، و كلوته، و شربوش، و كلاو، و طاقية، و الطاقية تسمى في بغداد: عرقچين، و اللفظه مكونه من كلمتين: عرق: فصيحته، و هو الماء الذي يرشح من الجلد، و چين: فارسيه بمعنى طيه أو ثنيه.

فِي وَقْتِ ضَيْقٍ، فَأَتَهُمْ بِأَنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ دَمِهِ، وَقَدْ ضُرِبَ وَحُبِسَ، وَقَاتَلَ الرَّجُلَ غَيْرَهُ، وَهُوَ فِي غَرْفِهِ وَسَطِيٍّ مِنْ ثَلَاثِ
غُرَفٍ مَبْنِيَةٍ عَلَى طَاقِ الْعَكِّيِّ ١٠ بِالْكَرْخِ، وَاسْمُهُ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، ابْعَثْ مَنْ يَأْخُذُهُ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُهُ سَكْرَانَ، عَرِيَانَ، بَسْرَاوِيلَ، وَفِي يَدِهِ
سَكِّينَ مَخْضَبَهُ بِالْدَّمِ، فَاصْنَعْ بِهِ مَا تَرَى، وَأَطْلِقِ الْفَيْجِجَ الْبَائِسَ [١٢٩ ظ].

قلت: أفعل، و انتبهت، فركبت، و سرت، حتّى وافيت رحبه الجسر، فقلت: ما حدث في هذه اللّيله؟

ص: ٢٩٩

فقالوا: وجدنا هذا القتيل، و هذا الفيح معه، فضربناه، و لم يقرّ.

فرايت به أثر ضرب عظيم، فسألته عن خبره، فقال: أنا معروف بالمدائن بسلامه الطريفة، و معاشى التفيح، أنفذنى فلان بن فلان من المدائن، إلى فلان بن فلان من أهل بغداد، بهذه الكتب، و أخرج إضباره (١)، فدخلت أوائل بغداد وقت العتمه، فوجدت فى الطريق رجلا- مقتولا- فجزعت، و لم أدر أين آخذ، فأنا على حالى إذ أدركنى الأعوان، فظنوني قتلته، و والله ما أعرفه، و لا رأيت قط، و قد حبسونى و ضربونى، فالله، الله، فى دمي.

فقلت: قد فرج الله عنك، انطلق حيث شئت، ثم أخذت الرجاله، و مضيت إلى طاق العكى (٢)، فإذا الثلاث غرف مصطفه، فهجمت على الوسطى، فإذا فيها رجل سكران عليه سراويل فقط، و فى يده سكين مخضب بالدم، و هو يقول: أخ عليك، والك، نعم يا سيدى، أنا جرحته، أخو القحبه (٣)، و إن مات فأنا قتلته، فأنزله مكتوفاً، و بعث به إلى الحبس، و انحدرت إلى الموق، فأعلمته بالحديث، فتعجب، و تقدّم إلى أن أضرب القاتل بالسياط إلى أن يتلف، و أصلبه فى موضع جنايته، فتشاغلت بذلك إلى أن فرغت منه، ثم جئتك (٤).

ص: ٣٠٠

١- الإضباره: بكسر أوله، المجموعه من الصحف.

٢- فى ظ و ر: طاق السكك، و فى ه: طاق التك.

٣- هذه الكلمات التى نطق بها العيار السكران، ما يزال العيارون البغداديون يستعملونها الآن، كما كان أسلافهم منذ أكثر من ألف عام، و البغداديون يسمون العيارين الآن: الأشقياه، و يسمون العياره: الشقاوه، لاحظ أنّ كلمه: والك، أصلها: ويلك، للتفصيل راجع حاشيه القصه ٤٧٨ من هذا الكتاب.

٤- لم ترد هذه القصه فى م و لا فى غ.

الرحبه:الأرض الواسعه،و كانت الكلمه تطلق على المدينه أو القرية،أو الفضاء الكائن بين الأبنيه،مما يسمّى الآن ساحه،أو ميدانا.

و ذكر ياقوت فى كتابه(المشرك وضعا و المفترق صقعا ص ٢٠٣)سته مواضع تسمى الرحبه،بضم الراء،و تسعه مواضع تسمى الرحبه،بفتح الراء.

فمن المدن:رحبه مالك بن طوق،بناها مالك،و نسبت إلى بانيتها،و هى بين الرقّه و بغداد على شاطئ الفرات على بعد ٨ أيام من دمشق(معجم البلدان ٧٦٤/٢).

و من القرى:الرحبه،قرية بحذاء القادسيه،على مرحله من الكوفه،قال عنها ياقوت إنّها على يسار الحاج المتوجّهين إلى مكه،و قد خرجت الآن لكثرت طروق العرب،لأنّنها على ضفه البريه،ليس بعدها عماره(معجم البلدان ٧٦٢/٢ و المفترق صقعا ص ٢٠٣).

أقول:مررت على الرحبه فى السنه ١٩٣٥ لما كنت قاضيا فى منطقه أبى صخير المجاوره للنجف،و كانت الحيره،و رحبه القادسيه تابعه لمحكمه أبى صخير،و قد أبصرت أهالى الرحبه يقيمون فى حصن،و قد اتخذوا فى باطنه مساكن لهم،و هم يزرعون الخضر و البطيخ الأحمر المعروف ببغداد بالرقى،و ماؤهم من عين ثره هناك،تسمى «عين الرحبه».

و أمّا الرحبه بمعنى الساحه،أو الميدان،أو الفضاء الكائن بين الأبنيه،فقد كان لكلّ جامع رحبه،و فى كلّ رأس جسر رحبه،هذا ما عدا الرحبات الأخرى الكائنه فى داخل المدينه،و قد سميت إحدى رحبات مسجد المدينه،رحبه القضاء،إذ كانت دارا لعبد الرحمن بن عوف،قضى فيها لعثمان بالخلافه(الطبرى ٢٣٧/٤)،و رحبه القضيّيين بالبصره،وقعت فيها معركه بين أنصار يزيد بن المهلب،و بين أتباع الأمويين فى السنه ١٠١ (العيون و الحدائق ٥٧/٣)،و كان لمسجد البصره رحبه(الطبرى ٥١٨/٥)و لجامع المنصور بالمدينه المدوّره رحبه(الطبرى ٣٥٨/٩)،و كانت إحدى الرحبات فى سامراء،اسمها رحبه زيرك و هى بالقرب من باب الفراغنه(تاريخ بغداد للخطيب ٣٦٨/٦).

و كان لجامع القصر ببغداد رحبه،و هو الجامع الذى كان الخلفاء العبّاسيون يقيمون فيه ببغداد صلاه الجمعه،ينفذون إليه من قصر الخلافه،عبر ممّرات تحت الأرض،و هذا الجامع،تعاورته أيدي الغصب فلم يبق منه إلاّ مئذنته،و اسمها الآن مناره سوق الغزل.

أمّا رحبه جامع القصر، فهي واقعه خارج الجامع، مما يلي المئذنه، في شرفيتها، و ما تزال إلى الآن رحبه يحتلها القصابون الذين يبيعون لحم البقر، و تفصل هذه الرحبه الآن بين سوق الشورجه حيث تباع الغلال، و بين سوق الدهانه، حيث دكاكين العطارين، و البقالين، و الحلوانيين، و يسميهم البغداديون (الشكرچيه).

و كانت رحبه الجسر من أنزه المواضع ببغداد، بحيث أنّ الناس كانوا يجتمعون فيها للفرجه، و في بغداد أغنيه شائعه، نظمها بغدادى أضاق، فقال يسلى نفسه:

لا بدّ ما تنقضى و الفقر ما هو عيب

و أقف براس الجسر و أخر خشك يا جيب

و حدّثوا أنّ أعرابيا قدم ببغداد، فأطعم اللوزينج (اسمه الآن ببغداد: بقلاوه، فارسيه:

باقلاوا)، فاستطابه، و قال: سمعت الأشياخ من أهلى، يذكرون أنّ من طيبات ببغداد:

الحّمّام، و رأس الجسر، و هذا الذى أكلته، لا بدّ أن يكون واحدا منهما.

عزم على قتله ثم منّ عليه و أطلقه

ثم يمنّ عليه و يطلقه

حدّثني عليّ بن محمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن موسى، و كان ابن أخي موسى بن إسحاق القاضي الأنصاريّ (١)، قال:

كنت خرجت مع أبي و هو يكتب لأبي جعفر الكرخيّ محمّد بن القاسم (٢)، لما تقلّد الموصل و الديارات (٣)، و كان قد ضمّ إلى أبي جعفر جماعه من قوّاد السلطان، فلما صرنا بنصيبين (٤) كان (٥) أبي قد مضى و أنا معه إلى أبي العباس أحمد

ص: ٣٠٣

١- أبو بكر موسى بن إسحاق بن عبد الله الأنصاريّ الخطميّ (٢١٠-٢٩٧): قاض، ثقة، ثبت، عفيف، صدوق، فصيح، أقرأ القرآن في الجانب الشرقيّ و هو ابن ١٨ سنة، و استقضى و له ٢٨ سنة، ولى القضاء بالريّ و الأهواز، و توفّي و هو على قضاء الأهواز (المنتظم ٩٦/٦).

٢- أبو جعفر محمّد بن القاسم الكرخيّ: من رجال الدولة العباسيّة، ولى الجبل، و ديوان السواد، دفعات، و قطعه كبيره من المشرق، و تقلّد البصره و الأهواز مجموعته، ثم تقلّد عدّه دواوين كبار جليله بالحضره، ثم تقلّد الوزارة للراضى، و للمتقى، و كان يخرج إلى عمله و متاعه على ستمائه بغل و دابّه، و كان له نيف و أربعون طبّاخا، و آلت حاله في آخر عمره إلى الفقر الشديد، و مات بمنزله ببغداد بعد سنه ٣٤٠، و نسبته إلى كرخ البصره، و هى من ناحيه الرستاق الأعلى بالبصره من عراض الفتح، قال عنها ياقوت في معجم البلدان ٢٥٣/٤ [٢] إنّها باقيه إلى الآن، إلّا أنّها كالخراب لشده اختلالها، راجع معجم البلدان ٢٥٣/٤ و [٣] تجارب الأمم ٣٣٨/١ و الفخرى ٢٨١ و كتاب الوزراء للصابي ٧٤ و ١٩١ و [٤] القصص ١١٤/٢ و ١٠٧/٣ و ١٢٤/٤ من كتاب نشوار المحاضر للتنوخى.

٣- الديارات: ديار بكر، و ديار ربيعه، و ديار مضر.

٤- نصيبين: قال ياقوت في معجم البلدان ٧٨٧/٤ [٦] عنها: إنّها مدينه عامره من بلاد الجزيره على جاده القوافل بين الموصل و الشام، قالوا إنّ فيها، و فى قراها، أربعين ألف بستان، و تبعد سنّه أيام عن الموصل، راجع أخبار سيف الدوله ص ٢١٠، أقول: و هى الآن بليده.

٥- وردت القصّه فى ظ مبتوره إلى هذا الحدّ، و قد أكملناها من ر.

ابن كشمرد (١) مسلماً عليه، فتحدّثا، فسمعتة يحدّثه، قال:

لما أسرنى أبو طاهر القرمطى (٢)، فيمن أسره بالهيبير (٣)، حبسنى و أبا الهيجاء (٤)،

ص: ٣٠٤

١- أبو العباس أحمد بن محمّد بن كشمرد: ورد اسمه فى بعض التواريخ أحمد بن محمّد بن كشمرد: من رجال الدولة العباسية، كان فى السنه ٢٨٦ يتولى المعاون بالأنبار (الطبرى ٧٢/١٠) و [١] فى السنه ٢٩١ يتولّى المعاون بالأنبار و طريق الفرات، و كان أحد من اعتقله أبو طاهر القرمطى فى وقعه الهيبير سنه ٢١٢ (الطبرى ٧٢/١٠ و ١٠٩، و [٢] الكامل ١٤٧/٨ و [٣] تجارب الأمم ١٢١/١).

٢- أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنّابى الهجرى القرمطى، ملك البحرين، و زعيم القرامطه، خارجى، طاغية، جبار، نسبته إلى جنّابه من بلاد فارس، و كان أبوه استولى على هجر و الأحساء و القطيف، و خلف أباه فوثب على البصره، و نهبها، و أغار على الكوفه، و سلب ما فيها، و أغار على مكّه يوم الترويه، فقتل ثلاثين ألفا من الحجاج، و نهب أموالهم، و قلع الحجر الأسود، و أرسله إلى هجر، و عزى البيت الحرام، و أخذ بابه، و ردم زمزم بالقتلى، و مات فى السنه ٣٣٢ فى هجر (الأعلام ١٨٣/٣).

٣- وقعه الهيبير فى السنه ٣١٢، التى قطع فيها أبو طاهر القرمطى الطريق على الحاجّ، و استباح أموالهم و دماءهم، و كان رئيس القرامطه أبو طاهر الجنّابى -إذ ذاك- سنّه ١٧ سنه، خرج إلى الهيبير فى ثمانمائه فارس و ثمانمائه راجل، فاستقبل الحاجّ عند عودتهم من مكّه، و قتلهم قتلا -مسرّفاً، و أخذ جمالهم، و سبى من اختار من النساء و الصبيان، و سار بهم إلى هجر، و ترك باقى الحاجّ فى موضعهم بلا -جمال و لا- زاد، فمات أكثرهم بالعطش و الحفاء، و حصل لأبى طاهر ما حزر من الأموال بألف ألف دينار، و من الأمتعه و الطيب نحو ألف ألف دينار أيضا، فانقلبت بغداد، و خرجت النساء منشورات الشعور، مسودات الوجوه، يلطنن و يصرخن فى الشوارع، و وثب العامّه على الوزير ابن الفرات، و رجموا طيّاره بالآجر، و رجموا داره أيضا (المنتظم ١٨٨/٦).

٤- أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبى العدوى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٦٣، و قد كانت إليه فى سنه الهيبير، طريق الكوفه، و طريق مكّه، و بذرقه الحاجّ، و كان قد أشار على الحاجّ أن يعدل بهم من فيد إلى وادى القرى، لئلا يجتازوا بالهيبير، إذ أنّه بلغه خبر القرمطى، فضج الحجاج من ذلك، و امتنعوا عليه، و ساروا، فاضطرّ إلى المسير معهم، فلاقاهم القرمطى، و أوقع بهم (تجارب الأمم ١٢٠/١).

و الغمر (١)، في ثلاث حجر متقاربه، و مكننا أن نتراور، و نجمع على الحديث.

فمكن أبا الهيجاء خاصه، و اختص به، و عمل على إطلاقه، و شفعه في أشياء.

فسألت أبا الهيجاء أن يسأله إطلاقي، فوعدني، و استدعاه القرمطي، فمضى إليه و عاد [١٠٥ ر] إلى حجرته، فجئت و سألته: هل خاطبه؟

فدافعني.

فقلت: لعلك أنسيت؟

فقال: لا و الله، و لوددت أنني ما ذكرتك له، إنني وجدته متغيظا عليك، فقال: و الله، لأضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد.

و رحل أبو الهيجاء، فورد عليّ أمر عظيم، و عدت إلى حجرتي، و قد يئست من الحياه، فلمّا كان في الليل، رأيت في منامي كأنّ قائلاً يقول لي: اكتب في رقعه: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الذليل، إلى المولى الجليل، مسّيني الضرّ و الخوف، و أنت أرحم الراحمين، فبحقّ محمّد و آل محمّد، اكشف همّي و حزني، و فرّج عني، و اطرح هذه الرقعه في هذا النهر، و أوما إلى ساقيه كانت تجرى هناك في المطبخ.

فانتبهت من نومي، و كتبت الرقعه، و طرحتها في الساقيه.

فلما كان السّحر استدعاني القرمطي، فلم أشكّ أنّه القتل، فلمّا دخلت إليه أدناني و أجلسني، و قال: قد كان رأيي فيك غير هذا، إلّا أنّي قد رأيت تخليتك.

ص: ٣٠٥

١- كذا في ظ و ه، و وردت في ر: و العم، و جميعها محرّفه عن: العمري، و هو تحرير العمري أحد قواد الدوله العبّاسيه، اشترك في قتال القرامطه في السنه ٢٩٣، و أسره القرمطي أبو طاهر في وقعه الهبير (الطبرى ١٠/١٢٧، [١] تجارب الأمم ١/١٢١ و الكامل ١٤٧/٨).

فخرجت، فإذا على الباب راحله، ورجل يصحبني، فركبت، ودخلت البصرة سالماً، ولحقت أبا الهيجاء بها، فدخلنا معاً إلى بغداد

(١)

ص: ٣٠٦

١- لم ترد هذه القصّة في م، ولا في ع ووردت في ظ مبتوره، وأكملناها من ر، أقول: لما ظفر أبو طاهر الجنابي، يوم الهبير، بالحجاج، وقتلهم، وأخذ أموالهم، كان من جملة ما أخذ بعض الأحمال، وفيها من رفيع البزّ، والمثقل، وطريف الوشى و المصمت، ما أعجبه، وأبهته، فقال: عليّ بصاحب هذه الأحمال، فأحضره، فقال له: ما منعك أن يكون ما جئت به أكثر من هذا؟ فقال: لو علمت أنّ السوق بهذا النفاق لفعلت، فاستظرف أبو طاهر الجواب، وأعاد إليه جميع ما أخذ منه، ودفع إليه ما لا من عنده، وأرسل معه من يحفظه، حتى أوصله إلى مأمّنه (الملح للحصرى ٢٠). وكان عروه الزبيرى، ممن سلم من الوقعه يوم الهبير، وكان معه قرد و كلب، تركهما ناجيا بنفسه، و وصل الكوفه سالماً، وصل القرد و الكلب بعده، وكان القرد راكبا الكلب، وإذا القرد كان يحتال في طعامه و طعام الكلب. طول الطريق، و يركبه مقابل إطعامه، راجع التفصيل في القصّه ١٠٨/١ من كتاب نشوار المحاضره للقاضى التّونخى.

محمّد بن سليمان الكاتب

دخل مصر أجيرا ثم دخلها أميرا

قال أبو الحسن عليّ بن زكيّ (١):

كنت مع صاحبى عيسى النوشريّ (٢)، و كان مضافا لمحمّد بن سليمان الكاتب (٣) على حرب الطولونيه (٤)، إلى أن افتتحت مصر (٥)، فتقلّدها عيسى (٤).

ص: ٣٠٧

١- كذا فى ظ و ه، و فى ر: أبو عليّ الحسن بن تركي.

٢- عيسى النوشريّ: كان من قوّاد بدر غلام المعتضد، استخلفه فى السنه ٢٧٨ على شرطه الجانب الغربىّ من بغداد (الطبرى ١٠/٢٢). [١] ثم تقلّد أصبهان، ثم فارس (الطبرى ١٠/٤٧ و ٧٧) [٢] ثم تقلّد المعونه بالقاهره لما فتحها محمّد بن سليمان و استأصل الطولونيين (الطبرى ١٠/١١٩)، و [٣] قال صاحب اللباب ٣/٢٤٣ [٤] أنّ النوشريّ: نسبه إلى نوشر، و لم يعين ماهيتها، و لعلّها مخففه عن: نوشهر، و هو اسم لنيسابور و نواحيها بخراسان، راجع معجم البلدان ٤/٨٢٤ و ٨٥٧.

٣- محمّد بن سليمان الكاتب: فاتح مصر، كان فى ابتداء أمره يكتب لأبى الصقر إسماعيل بن بلبل وزير المعتمد، ثم تولّى ديوان الجيش، و فى السنه ٢٩٠ و جّبهه الوزير القاسم بن عبيد الله لحرب القرمطى صاحب الشامه، فناجزه الحرب، و فتك بالقرامطه، و أسر صاحب الشامه و جماعه من قوّاده، فخلع عليه، و طوّق، و سور ثم و جّبهه المكتفى فى السنه ٢٩١ إلى الشام و مصر، لحرب الطولونيه، فلما وصل إلى مصر استأمن إليه القائد بدر الحمامى و كثير من قوّاد الطولونيه، ففتح مصر، و اعتقل جميع آل طولون، و أسابهم، و بعث بهم إلى بغداد، راجع أخباره فى الطبرى ١٠٧، ٤٥، ١٠-٢٢/١١٣، ١١٩، ١١٨، ١١٦، ١١٥.

٤- دامت دوله الطولونيه ٣٨ سنه، من ٢٥٤ إلى ٢٩٢ بدأت بأحمد بن طولون، و انتهت بهارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون.

٥- افتتحت مصر فى السنه ٢٩٢ (الطبرى ١٠/١١٩).

٦- راجع الطبرى ١٠/١١٩.

قال: قال عيسى: خرج يوما محمّد بن سليمان إلى ظاهر الفسطاط (١)، فانتهى به السير إلى قبه كانت لأحمد بن طولون (٢)، يقال لها: قبه الهواء، مطّله على النيل و على البرّ، فجلس فيها و معه الحسين بن حمدان (٣) و جماعه من القوّاد، ثمّ قال: الحمد لله الذي بيده الأمر كلّه يفعل ما يشاء.

فقال له الحسين بن حمدان: لا شكّ أنّ تجديدك الحمد لأمر.

قال: نعم، و هو عجيب طريف ذكرته السّاعه، و هو أنّي نزلت إلى مصر و أنا في حال رثّه، في زيّ صغار الأتباع، فضاق على المعاش بها؟ فاتّصلت بلؤلؤ الطولوني (٤)، فأجرى على دينارين في كلّ شهر، و صيّرنى مشرفا في

ص: ٣٠٨

١- الفسطاط: حاضره الديار المصريه، قبل بناء القاهره، أنشأها المسلمون لما افتتحوها مصر، و كان سبب إنشائها أنّ قائد جيش المسلمين كان قد نصب فسطاطه في موضع، و لما أراد تقويضه، إذا بيماه قد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرّمت بجوارنا، و أقرّ الفسطاط على حاله، و وكلّ به من يحفظه، و عمّر الناس حول الفسطاط مدينه أصبحت حاضره مصر (معجم البلدان ٣/٨٩٦).

٢- أبو العباس أحمد بن طولون (٢٢٠-٢٧٠): من كبار القوّاد الأتراك في الدوله العبّاسيّه، تقدّم عند المتوكّل، فولّاه الثغور و الشام، ثمّ مصر، و اختلف مع الحضره، فاستقلّ، و حارب الجيش العبّاسي، و كان شديدا، قاسيا، سفاكا للدماء (الأعلام ١/١٣٧).

٣- الحسين بن حمدان بن حمدون الحمداني: عمّ سيف الدوله الحمداني، أحد الأمراء الشجعان المقدمين في العصر العبّاسي، من قوّاد المعتضد، اشترك في فتنه ابن المعتزّ، ثمّ ولى قم، ثمّ ديار ربيعه، ثمّ خرج عن الطاعه، فأسر، و اعتقل، و قتل في الحبس سنه ٣٠٦ (الأعلام ٢/٢٥٤).

٤- لؤلؤ الطولوني: غلام أحمد بن طولون، ربّاه أحمد، و قوّده، و قلّده حمص و حلب و قنسرين و ديار مضر (الطبرى ٩/٦١٤) [٤] فانتقض عليه في السنه ٢٦٨ (الطبرى ٩/٦١١) و [٥] كاتب أبا أحمد الموقّق في المصير إليه (الطبرى ٩/٦١٤) و [٦] قدم بغداد في جيش عظيم من الفراغنه و الأتراك و الروم البربر و السودان و غيرهم من نخبه أصحاب ابن طولون (الطبرى ٩/٦٥٠) [٧] فقلّد أعمال الفرات و شهر زوراء و حلوان و أعمالا أخرى غيرها (الطبرى ٩/٦٢٨) و [٨] اشترك في حرب صاحب الزنج، فأبلى و جيشه بلاء حسنا (الطبرى ٩/٦٥٠) و [٩] كان قتل صاحب الزنج بيد أحد أتباعه (الطبرى ٩/٦٥٩) [١٠] فجازاه الموقّق أقبج جزاء، إذ اعتقله في السنه ٢٧٣ و استصفى ماله، فقال لؤلؤ: ما عرفت لنفسي ذنبا

إصطبله على كراعاه، فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيّداً، ولا أقدم على الوقوف بين يديه.

فلما كان في بعض الأيام أحضرني، فقال: ويحك، من أين يعرفك الأمير؟ يعني أحمد بن طولون.

فقلت: والله، ما رأني قط، ولا وقعت عينه عليّ إلا في الطريق، ولا محليّ محلّ من يتصدّى للقائه.

فقال: دعاني السّاعه، وهو في قبه الهواء، فقال: معك رجل أشقر أشهل (١)، يقال له: محمّد بن سليمان.

فقلت: ما أعرفه.

فقال: بل هو في جنبتك، فأبعده عنك، فإنني رأيت البارحة وفي يده مكنسه يكنس داري بها، فتوقّ ويحك، ولا تتعرّف إلى أحد من حاشيته، وأقرني على أمرى، فامتثلت أمره.

و مضت لهذا الحديث شهر، ثمّ دعاني ثانية، فقال: ويحك، ما ذا بليت به منك، و بليت أنت به من هذا الأمير؟ دعاني بعدّه من أصحاب الرّسائل، فوافيته و أنا في غايه الوجل، فقال: أ ليس أمرتك بصرف محمّد بن سليمان الأزرق الأشقر؟

فقلت: قد عزّفتك يا سيّدى أنّى ما (٢) استخدمت من هذه سبيله، ولا وقعت لي عليه عين.

ص: ٣٠٩

١- الأشهل: ذو العين الشهلاء، وهي التي يخالط سوادها زرقه.

٢- جاءت هذه القصّه في ظ مبتوره الأوّل إلى هنا، وقد أكملناها من ر.

فقال: كذبت، هو معك في إصطبلك، فأخرجه السّاعه عن البلد، فأني قد رأته البارحه في التّوم، و في يده مكنسه، و هو يكنس بها سائر حجرى و دارى، و نسال الله الكفايه.

فقلت للؤلؤ: [١٠٦ ر] أو أىّ ذنب لى يا سيدي فى الأحلام؟

فقال لى: صدقت، فاستتر إلى أن يتناسى الأمير ذكرك، ففعلت، و كان يجرى على ذلك الرزق، و أنا لا أعمل شيئاً.

فلما تهيأ من إنفاذ لؤلؤ إلى الشام ما تهيأ، نهضت معه، و تخلف عنه كتابه، لما كانوا علموه من تغير حاله عند صاحبه، فأدنانى، و قرّبنى، و أجرى علىّ فى كلّ شهر عشره دنانير، و حملنى على دابّه و بغل، فلزمت خدمته، و كفيته، و استحمدت إليه، فزادنى من رأيه، و لم ينته إلى العريش، حتّى تبّه أحمد بن طولون على استيحاش لؤلؤ، فكتب إليه بالرجوع إلى مصر، فشاورنى، فأشرت عليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر، و أخذ ما يستهدف له من المال، و لم أترك غايه إلا أتيتها فى تضرّيبه و تأليبه، حتّى أوردته مدينه السّلام.

ثمّ تقلّبت بى الأحوال فى خدمه السلطان، و خدمه الدول، و توفّى أحمد بن طولون، و قتل أبو الجيش (١)، و جيش ابنه (٢)، و تولى بعدهم هارون بن خمارويه (٣)،

ص: ٣١٠

١- أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون. قتل سنه ٢٨٢.

٢- أبو العساكر جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون: أمير مصر و الشام، تولى بعد مقتل أبيه بدمشق فى السنه ٢٨٢، و عاد إلى مصر، فغلب عليه اللهو، فنقمت عليه الخاصه، فخلع، و حبس، و قتل فى الحبس سنه ٢٨٣ (الأعلام ١٤٩/٢).

٣- هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٦٤-٢٩٢): من ملوك الدوله الطولونيه بمصر، بويع له بعد مقتل أخيه جيش فى السنه ٢٨٣ و خسر كثيراً من جيشه فى قتال القرامطه، و لما صار الأمر للمكتفى، سیر جيشاً لاستخلاص مصر من آل طولون سنه ٢٩١، فافتتحت مصر، و قتل هارون فى السنه ٢٩٢ (الأعلام ٤٠/٩).

فاختصت أنا بالقاسم بن عبيد الله، فقلدني ديوان الجيش. ثم ندبني لمحاربه هارون، و ضمّ إليّ القوّاد و الرجال، و كان فيهم لؤلؤ صاحبى، و كان أصغر الجماعه حالاً، و أحقرهم شأنًا، خاليا من الرجال و الكراع، فلم أقصّر فى إصلاح حاله، و الإحسان إليه، و معرفه حقّه.

فلم أدن من الشّام حتّى تلقّانى بدر الحماميّ، و تلاه طغج بن جف (١) مسرعاً، و صرت إلى مصر، فلما شارفتها وثب شيبان بن أحمد بن طولون [١٣٠ ظ] و من تابعه من جند مصر، فقتلوا هارون (٢)، و تولّى شيبان الأمر بعده، و انتال إليّ القوّاد فى الأمان، و لحق بهم شيبان، و تخلف الرّجاله و قطعه من الفرسان، و أظهروا الخلاف، فأوقعت بهم، و أفنيتهم قتلا و أسرا، و دخلت فسطاط مصر عنوه، و حويت النعم و المهج، و أشخصت الطولونيه عن البلد إلى الحضرة، حتّى لم يبق منهم أحد.

و صحّ بذلك منام أحمد بن طولون، فسبحان الذى ما شاء فعل، و إيّاه نسأل خير ما تجرى به أقداره، و أن يختم لنا بخير برحمته (٣).

ص: ٣١١

١- أبو محمّد طغج بن جف بن يلتكين الفرغانى: و تفسير كلمه طغج: عبد الرحمن، أصله من ملوك فرغانه، و ورد والده على المعتصم، فأكرمه، و أقطعه بسرّ من رأى، و مات جف ليله قتل المتوكّل سنة ٢٤٧، و اتّصل طغج بلؤلؤ غلام أحمد بن طولون، فاستخدمه، ثم رآه أبو الجيش خمارويه، فأعجب به، و قلّده دمشق و طبريّه، و لما قتل خمارويه، رحل طغج إلى المكتفى، فأكرمه، ثم اعتقله، و مات فى الحبس، و هو والد أبى بكر محمّد بن طغج، الذى استولى على مصر و الشام و أسّس الدوله الإخشيديه (وفيات الأعيان ٥٦/٥ و ٥٧).

٢- فى الكامل ٥٣٦/٧ [٢] أنّ الذى قتل هارون، جندى مغربى، و أنّه لما قتل قام عمّه شيبان بن أحمد بن طولون بالأمر من بعده، ثم استأمن شيبان إلى محمّد بن سليمان، و خرج إليه، و كان ذلك فى السنه ٢٩٢.

٣- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ.

شفاه منام رآه أحد أصحابه

حدّثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالبيغاء، قال:

اعتللت بحلب (١) علّه، جفّ منها بدني كلّه، فكنت كالخشبه، لا- أقدر على أن أتحرّك أو أحرّك، و نحل جسمي، و تقلّبت بي أعلال متّصله متضادّه صعبه، فمكثت حليف الفراش ثلاث سنين، و آيسني الأطباء من البرء، و قطعوا مداواتي.

و كان لي صديق شيخ يعرف بأبي الفرج بن دارم، من أهل بلدي- يعني نصيبين- مقيم بحلب، مواظب على عيادتي، و ملازم لي، و كان لفرط اغتمامه بي، و أنّ الأطباء قد آيسوه منّي، يظهر لي من الجزع علىّ أمرا يؤلم قلبي، و يؤيسني من نفسي، ثمّ تجاوز ذلك إلى التصريح باليأس، و توطيني عليه، ثمّ تعدّى هذا إلى أن صار لا يملك دمعه إذا خاطبني.

فضعفت عن تحمّل هذا، و تضاعفت به علّتي، و خارت معه قوّتي، فاعتقدت أن أقول لغلّامي أن يترصّده، فإذا جاء الرّجل إلّي قال له عنّي:

إنّي لا- أستحسن حجابي، و إنّ علّتي تضاعفت ممّا أشاهده، و أسمع منه، و يسأله أن ينقطع عنّي، أو يقطع مخاطبتي بما فيه إياس لي، و قرّرت عزمي على هذا في ليله من اللّيلالي، و لم أخاطب به غلامي.

ص: ٣١٢

١- كان أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي، في عنفوان أمره، و ريعان شبابه، متّصلاً بسيف الدوله الحمداني، مقيماً في جملته، في حلب حاضره ملكه، ثمّ تنقلت به بعد وفاه صاحبه الأحوال (اليتيمه ١/ ٢٥٢).

فلما كان في صبيحه تلك الليله، باكرنى ابن دارم، فحين وقعت عيني عليه، تناقلت به خوفا من أن يسلك معي مذهبه، و هممت أن أفتح خطابه بما كنت عزمته على مراسلته به، فسبقني بأن قال لي: جئتك مبشرا.

فقلت: بما ذا؟

قال: رأيت البارحة في منامي، كأني بالرقه، والناس يهرعون [١٠٧ ر] إلى زياده قبور الشهداء.

قال أبو الفرج: و هم جماعه ممن قتل بصفيين (١)، مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، منهم عمّار بن ياسر (٢)، حملوا إلى ظاهر الرقه، فدفنوا بها، و الحال في ذلك مشهور، و القبور إلى الآن مغشيه معموره.

قال لي ابن دارم: و رأيت كأن أكثر الناس مطيفون بقيته، فسألت عنها، فقيل لي: هي على قبر عمّار بن ياسر رضي الله عنه، فقصدتها، و طفت بها،

ص: ٣١٣

١- صفين: موضع بقرب الرقه، على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بين الرقه و بالس، و فيه كانت وقعه صفين بين الإمام علي بن أبي طالب و معاويه في السنه ٣٧، قتل فيها من الطرفين خمسه و سبعون ألفا (معجم البلدان ٤٠٢/٣).

٢- أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر الكنانى المذحجى العنسى القحطانى (٥٧ ق هـ - ٣٧ هـ): من الولاة الشجعان ذوى الرأى، أحد السابقين إلى الإسلام و الجهر به، و أمه سميه، أول شهيده من النساء فى الإسلام (لطائف المعارف ١٣)، هاجر إلى المدينه، و شهد بدرا و أحدا و الخندق، و بيعه الرضوان، و كان النبى صلوات الله عليه يلقبه: الطيب المطيب، و قال عنه: ما خير عمّار بين أمرين، إلا اختار أرشدهما، و هو أول من بنى مسجدا فى الإسلام، ولّاه الخليفه عمر الكوفه، و شهد وقعه الجمل و صفين مع علي، و قتل فى إحدى معارك صفين، قتله أحد أنصار معاويه، فأحدث قتله اضطرابا فى الشاميين، لأن النبى صلوات الله عليه، قال له: يا عمّار، تقتلك الفئه الباغيه (الطبرى ٣٩/٥ و ٤١ و [٢] الأعلام ١٩٢/٥)، و [٣] حلول معاويه أن يهدئ اضطراب أصحابه، فقال: إن عليا هو الذى قتل عمّار، لأنّه جاء به إلى المعركه، و بلغ ذلك عليا، فقال: إذن يكون النبى صلوات الله عليه، هو قاتل عمّه حمزه، لأنّه جاء به إلى معركه أحد.

فإذا القبر مكشوف، وفيه رجل شيخ، بثياب بيض، وفي رأسه ضربات بينه دامية، وعلى لحيته دم، والناس يسألونه فيجيبهم، فلحقنتني حيرته، ولم أدر عمّا أسأله.

فقلت له: يا سيدي، لعلك عارف بأبي الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالبيغاء.

فقال: نعم، أنا عارف به.

فقلت: أيعيش أم لا؟

فقال: نعم، يعيش، ويرأ، ولكن أنت لك ابن فاحذر عليه من عله تلحقه قريبا، واستيقظت.

و أخذ يهينني بالعافيه، ويقول: سرّني ما جرى، ولكن قد أوحشني في أمر ابني، وأسأل الله تعالى الكفايه.

قال أبو الفرج: وكان للرجل ابن، له نحو الثلاثين سنه، وهو في الحال معافى، فلما مضت خمسه أيام من الرؤيا حمّ الفتى، وتزايدت علته، فمات في اليوم الرابع عشر من يوم حمّ، فقويت نفسى في صحّحه المنام، وما مضى على موت الفتى إلا أيام يسيره، حتى أدبر مرضى، ولم تزل العافيه تقوى [١٣١ ظ] إلى أن عوفيت، وعادت صحّتي كما كانت بعد مدّه يسيره (١).

ص: ٣١٤

١- لم ترد هذه القصّه في م، ولا في غ.

رأى الإسكندر رؤيا

تبعها انتصاره على دارا ملك الفرس

وجدت في بعض الكتب:

أنه لما اشتدت الحرب بين الإسكندر (١) و بين دارا بن دارا (٢)، استظهر دارا عليه، و أشرف الإسكندر على الهلاك، و أيس من النصر، و حال الشتاء بينهما، فانصرف الإسكندر إلى معسكره، مغموما مهموما ليلته، ثم نام.

فرأى في منامه، كأنه صارع دارا، فصرعه دارا، فانتهبه و قد كربه ذلك، و زاد في هممه و غممه.

فقص رؤياه على بعض فلاسفته، فقال: أبشر أيها الملك بالغلبه و النصر، فإنك تغلب دارا على الأرض، لأنك كنت تليها لما صرعتك.

فلما كان بعد أيام يسيره، انهزم دارا، و قتل، و جاءوا برأسه إلى الإسكندر (٣).

ص: ٣١٥

١- الإسكندر بن فيلبس (٣٥٦ ق م- ٣٢٤ ق م): لُقّب بالكبير، و بذى القرنين، درس على أرسطوطاليس، و تولّى الحكم في مكدونيا بعد وفاه أبيه، حارب الفرس، و انتصر عليهم في عدّه معارك، كان آخرها معركة إربل في العراق، حيث قتل دارا (داريوس) ملك الفرس، و تابع زحفه حتى صادف نهر الهندوس، ثم عاد و توفّى في بابل.

٢- داريوس كودومان: ملك فارس، آخر ملوك سلالة الأخمينيين، حاربه الإسكندر الكبير في عدّه معارك، قتل في آخرها، و هي معركة إربل سنة ٣٣٠ ق م.

٣- لم ترد هذه القصّه في م، و لا في ر، و لا في غ.

رؤيا عبد الله بن الزبير و تعبیرها

قال مؤلف هذا الكتاب:

و مثل هذا ما هو مشهور فى روايات أصحاب الأخبار و السير، أنّ عبد الله ابن الزبير (١) رأى فى منامه، كأنه صارع عبد الملك بن مروان، فصرع عبد الملك، و سمره على الأرض بأربعه أوتاد.

فأرسل راكبا إلى البصره، و أمره أن يلقى محمّد بن سيرين (٢)، و يقصّ الرؤيا عليه، و لا يذكر له من أنفذه.

فأتاه و قصّ عليه المنام، فقال له ابن سيرين: من رأى هذا؟

قال: أنا رأيتة فى رجل بينى و بينه عداوه.

فقال: ليس هذه رؤياك، هذه رؤيا ابن الزبير أو عبد الملك، أحدهما فى الآخر.

فسأله الجواب، فقال: ما أفسرها أو تصدقنى، فلم يصدقته، فامتنع من التفسير، فانصرف الزاكب إلى ابن الزبير، فأخبره بما جرى.

فقال له: ارجع إليه، و اصدقته، أنّى رأيتها فى عبد الملك.

ص: ٣١٤

١- أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى (١-٧٣): ترجمته فى حاشيه القصّه ٥٦ من هذا الكتاب.

٢- أبو بكر محمّد بن سيرين البصرى الأنصارى (٣٣-١١٠): تابعى، ولد و توفى بالبصره، إمام وقته فى علوم الدين بالبصره، تفقّه و روى الحديث، و اشتهر بالورع و تعبیر الرؤيا، (الأعلام ٢٥/٧).

فرجع الزاكب إلى ابن سيرين، و صدقه، فقال له: قل له يا أمير المؤمنين، إنَّ عبد الملك يغلبك على الأرض، و يلي هذا الأمر من ولده لظهره أربعة، بعدد الأوتاد التي سمّرت به على الأرض (١).

ص: ٣١٧

١- لم ترد هذه القصّة في غ، و لا في م.

رأى فى منامه أنه قد صرع خصمه

فكان تعبير رؤياه أنّ الخصم هو المنتصر

حدّثنى أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى (١)، الكاتب، المقيم - كان - بالبصرة، إلى أن مات، قال:

لمّا سعى أبو أحمد طلحه بن الحسن بن المثنى (٢)، مع جيش أبي القاسم بن أبي عبد الله البريدى (٣)، فى أن يقبضوا عليه، و يحبسوه عند أبي أحمد، إلى

ص: ٣١٨

١- أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى: صاحب كتاب الموازنة بين الطائفتين (أبى تمام و البحترى) فى عشره أجزاء، كان حسن الفهم، جيّد الدرايه، و الروايه، سريع الإدراك، و هو من أهل البصره، كان يكتب بمدينه السلام لأبى جعفر هارون بن محمّد الضبى، و كتب بالبصره لأبى الحسين أحمد، و أبى أحمد طلحه، و لى الحسن بن المثنى، و بعدهما لقاضى البلد جعفر بن عبد الواحد الهاشمى على الوقوف التى تليها القضاء، ثم لأخيه أبى الحسن محمّد بن عبد الواحد لما ولى قضاء البصره، و كان كثير الشعر، حسن الطبع، جيّد الصنعه، توفى بالبصره سنة ٣٧٠ (معجم الأدباء ٥٤/٣).

٢- أبو أحمد طلحه بن الحسن بن المثنى: كان هو، و أخوه أبو الحسين أحمد بن الحسن، على نعمه وافر، و مركز محترم، و يتّضح من هذه القصّه، و القصّه ١٤٦/٣ من كتاب نشوار المحاضر، أنّه خاصم أبا القاسم بن أبى عبد الله البريدى المتغلّب على البصره، و تأمر على استئصاله، فأحسّ به البريدى، و اعتقله، و قتله فى السنه ٣٣٥.

٣- أبو القاسم عبد الله بن أبى عبد الله أحمد بن محمّد بن يعقوب البريدى: تسلّط على البصره بعد موت أبيه، و نازعه عمّه أبو الحسين السلطه، و حاربه، فانكسر أبو الحسين، و التجأ إلى القرامطه، ثم إلى بغداد، حيث قتل صبرا، فاستقلّ أبو القاسم بالبصره، و فى السنه ٣٣٦ طرده منها معزّ الدوله، فالتجأ إلى هجر مجدّدا، ثم دخل إلى بغداد بأمان من معزّ الدوله، فأعاد عليه ضياعه ببادوريا، و أقطعه ضياعا جديده، و أنزله بدار الموزه، بمشرعه الساج، محتاطا عليه، و أقام ببغداد حتّى توفى سنة ٣٤٩ (تجارب الأمم ٥٨/٢ - ١٨١).

أن يرد المطيع لله (١)، أو جيش له إلى البصره، فيملكوها، ويتسلمون منه أبا القاسم البريدي، وكانت القصه المشهوره في ذلك. فبلغني ذلك، فخلوت بأبي أحمد، و كنت أكتب له حينئذ، وكان لا- يحتشمني في أموره، وثبته عن هذا الرأى، وعرفته وجوه الغلط فيه، والمخاطره بدمه و نعمته، وهو غير قابل لمشورتى، إلى أن أكثرت عليه.

فقال لى: اعلم أنني قد رأيت رؤيا أنا بها واثق فى تمام [١٠٨] ر[ما قد شرعت فيه من القبض على هذا الرجل.

فعجبت فى نفسى من رجل يخالف الحزم الظاهر، والرأى الواضح، من أجل منام، ثم قلت له: ما الرؤيا؟

فقال: رأيت كأن حيه عظيمه، قد خرجت على من حائط هذا العرضى (٢).

قال: و كان جالسا فى عرضى داره، قال: فكأنى قد رميتها، فأثبتها فى الحائط.

فحين قال أبو أحمد: أثبتتها فى الحائط، ذكرت تأويل منام ابن الزبير، و قصص المنام الذى ذكرته، فسبق إلى قلبى، أن تأويل منام أبى أحمد، أنه قد أثبت عدوه فى حائطه، و أن عدوه سيغلبه على البلد.

قال: فأمسكت، و قطعت الكلام، فما مضت إلا مدّه يسيره، حتى شاع التدبير، و صحّ الخبر به عند أبى القاسم البريدي، [فبادر إلى القبض على

ص: ٣١٩

١- المطيع لله، أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر: ولى الخلافة سنة ٣٣٤ على أثر خلع سلفه المستكفى و سمله، و كان أمر المطيع ضعيفا، و الحكم لبنى بويه، و استمرت خلافته ثلاثين سنة إلا شهرا، و أصيب بالفالج، و ثقل لسانه، فخلع نفسه، و نصب ولده عبد الكريم الطائع لله، مكانه (الفخرى ٢٨٩).

٢- العرض: الناحيه، و العرضى: حجره تكون فى ناحيه من الدار، تشرف على ساحتها، و تهيباً لاستقبال الضيوف، و قد حرّف البغداديون اسمها الآن، فأصبحت: أرسى.

فائق الأعسر، و كان هو الّذى ندبه أبو أحمد للقبض على البريدى [١]، و أن يكون أمير البلد، إلى أن يرد جيش الخليفة، فقرّره، فأقر بالخبر على شرحه، فقبض أبو القاسم على أبي أحمد بعد قبضه على فائق بيومين أو ثلاثه، فاستصفاه، و أهله، و ولده، ثم قتله بعد ذلك بأيام [٢] [١٣٢ ظ].

ص: ٣٢٠

١- الزيادة من ر.

٢- فى ر: ثم قتله بعد ذلك بثلاثة أيّام، و لم ترد هذه القصّه فى م، و لا- فى غ، و قد وردت بتقديم و تأخير فى كتاب نشوار المحاضره للتونخى برقم ١٤٥/٣.

الرّشيد يولّي أخاه إبراهيم بن المهدي دمشق

بلغني عن إبراهيم بن المهدي، قال:

كنت في جفوه شديده من أخى الرّشيد، أثرت في جاهي، و نقصت حالي، و أفضيت معها إلى الإضاقه بتأخير أرزاقى، و ظهور أطراحه إيّاي، فاختلت لذلك أحوالى، و ركبنى دين فادح، فبلغ بى القلق و الفكر فيه ليله من اللّيلالى، مبلغا شديدا، و نمت فرأيت فى النّوم كأنى واقف بين يدي أبى المهدي، و هو يسألنى عن حالى، و أنا أشكو إليه ما نكبنى به الرّشيد، و أنهيت إليه حالى، و أنا أقول: ادع الله عليه يا أمير المؤمنين.

فكأنه يقول: اللهم أصلح ابني هارون، يكررها ثلاثا.

فكأنى أقول: يا أمير المؤمنين أشكو إليك ظلم هارون لى، و أسألك أن تدعو عليه، فتدعو له.

فقال: و ما عليك، إن أصلحه الله لك و للكافه، أن يبقى على حاله، هو ذا أمضى إليه السّاعه، و أمره أن يرجع لك، و يقضى دينك، و يوليئك جند دمشق.

فكأننى أومى إليه بسبّابتي، و أقول له: دمشق، دمشق، استقلالاً لها.

فيقول لى: حرّكت مسبّحتك استقلالاً لدمشق، فكلمّا خفّ منها حظّك، كان فى العاقبه أجود لك.

فانتبهت، و أحضرت رجلا كان مؤدّبى فى أيام المهدي، فسألته عن المسبّحه، فقال: كان عبد الله بن العباس، يسمى السبّابه: المسبّحه (١)، فما

ص: ٣٢١

سؤال الأمير لى عنها؟

فقصصت عليه الرؤيا، و امتنع التوم عنى، فأخذ يحدثنى و أنا جالس فى فراشى، إذ جاءنى رسول الرشيد، فارتعت له ارتياعا شديدا، و لم أعبأ بالمنام، و خفت أن يريدنى لسوء يوقعه بى.

فقلت: أذافعه إلى أن تطلع الشمس، ثم يكون دخولى الدار نهارا، فإن كان أرادنى لغيله لم تتم.

فتقاطرت رسله حتى أعجلونى عن الرأى، و اضطرّونى إلى الرّكوب فى الحال، فدخلت إليه و أنا شديد الجزع، و هو جالس فى فراشه ينتحب.

فلما رآنى، قال: سألتك بالله يا أخى هل رأيت الليله فى منامك شيئا؟

فقلت: نعم، الساعة رأيت أمير المؤمنين، المهدي.

فلما قلت له ذلك ازداد بكأؤه، ثم قال لى: ويحك، بالله، شكوتنى إليه و سألته أن يدعو علىّ؟

فقلت: قد كان ذلك، و لكنّه قال كذا و كذا، و شرحت له ما قال.

فقال: السّاعه و الله، جاءنى فى منامى، فقصص علىّ جميع ما ذكرت، و قد وفى بوعدّه، و الله لأمتلنّ أمره، و لأصلنّ رحمك، كم دينك؟

قلت: كذا و كذا، فأمر بقضائه.

و قال: لا- تبرح، حتى أصلى و أخرج، فأعقد لك على دمشق، فانتظرت حتى وجبت الصّلاه، فصلّى، و جاء وقت جلوسه، فجلس، و استدعانى [١٠٩ ر] فأظهر تكرمتى، و عقد لى لواء على دمشق (١)، و أمر الناس، فساروا معى إلى منزلى، فعاد جاهى، و صلحت حالى (٢).

ص: ٣٢٢

١- فى الأعلام أنّ الرشيد ولى إبراهيم إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها، فأقام فيها أربع سنين (الأعلام ١/٥٥).

٢- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ.

التسييح، فى اللغة: الصلاة، و الدعاء، و فى الاصطلاح: قول سبحان الله، تمجيذا و تنزيها له، و المسبحة: الإصبع التى تلى الإبهام، لأنها يشار بها عند التسييح (لسان العرب، مادة: سبح).

و كان التسييح يجرى باليد، ثم بالحصى، و كانت ساحات المساجد فى الكوفة و البصرة و الموصل، مفروشه بالحصى، يسيح به المصلون، و يحصبون به الولاه و الخطباء، إذا سمعوا منهم ما لا يرضيهم (الطبرى ٢٣٤/٥ و ٢٣٥ و ٢٠٣/٦ و الأغانى ١٣٥/١٧ و ١٣٦ و الإمامه و السياسه لابن قتيبه ١٦/٢ و ٢٥ و ٢٦ و العقد الفريد ٨/٤ و الهفوات النادره ١٠٠ و ١٠١).

و كان عبد الملك بن هلال، عنده زنبيل حصى ملآن، فكان يسيح بواحد، و واحد، فإذا ملّ شيئا، طرح اثنتين، اثنتين، فإذا ملّ، قبض قبضه، و قال: سبحان الله بعدد هذا، فإذا ضجر، أخذ بعروتى الزنبيل، و قلبه، و قال: سبحان الله بعدد هذا كله، و إذا بكر لحاجه، و كان مستعجلا، لحظ الزنبيل، لحظه، و قال: سبحان الله عدد ما فيه (البيان و التبيين ٢٢٨/٣).

ثم اتّخذت السبحة (بضم السين)، أو المسبحة (بكسر الميم)، و هى خرزات منظومه فى سلك، يجرى التسييح بها، و كان حمل السبحة، دلاله على التقوى، قال ابن أبى عتيق، لسلامه: احملى معك سبحة، و تخشعى (القصه ٢٢٧ من هذا الكتاب، و الأغانى ٣٤٢/٨).

ثم تعدى الأمر إلى اتخاذ السبحة للتسلية، و أصبح للسبحة هواه، يجمعون أصنافا منها، و يغالون فى أثمانها، و كانت سبحة زيده، قد اشترتها بخمسين ألف دينار (البصائر و الذخائر م ١/ ق ٣/ ص ١٤٥ و ١٤٦). و كان للمقتدر العباسى، سبحة قومت بمائه ألف دينار، حدّثنا عنها الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر، و ذكر أنّ والدته عمره، جاريه المقتدر، أخبرته، بأنّ المقتدر استدعى بجواهر، فاختر منها مائه حبه،

و نظمها سبحة يسبح بها، و أنّ هذه السبحة عرضت على الجوهريين، فقوّموا كلّ حبه منها بألف دينار و أكثر (القصة ١٤٧/٧ من نشوار المحاضره).

و أعطى المقتدر، قهرمانته زيدان، سبحة لم ير مثلها (تاريخ الخلفاء ٣٨٤) و كان يضرب بها المثل، فيقال: سبحة زيدان (المنتظم ٧٠/٦).

و لَمّا وُزّر عليّ بن عيسى للمقتدر، قال: ما فعلت سبحة جوهر، قيمتها ثلاثمائة ألف دينار، أخذت من ابن الجصاص؟ قال: في الخزانة، فقال: تطلب، فطلبت، فلم توجد، فأخرجها الوزير من كتمه، و قال: عرضت عليّ، فاشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ، فما الذي يحفظ؟، فاشتدّ ذلك على المقتدر (المنتظم ٧٠/٦).

و لما عاد الخليفة القائم في السنة ٤٥١ من منفاه في الحديثه، إلى بغداد، بعثت إليه زوجته أرسلان خاتون، اثنتي عشرة حبه لؤلؤ كبارا مثمنه، و سألته أنّ يتخذ منها سبحة يسبح بها (المنتظم ٢٠٧/٨).

و لما سمل توزون، الخليفة المتقي، في السنة ٣٣٣، و نصب المستكفي خليفه بدلا منه، و وجه المستكفي إلى توزون سبحة جوهر في قد واحد، خاتمها ياقوته حمراء، لم ير مثل ذلك الدرّ و الخاتمه، و قوّمت بخمسين ألف دينار (تجارب الأمم ٧٥/٢).

و كان لأبي الحسن محمّد بن عمر العلوي الكوفي (٣١٥-٣٩٠) سبحة جوهر، قيمتها مائه ألف دينار، طوّق بها قنينه بلور للشراب (المنتظم ٢١٢/٧).

و كانت سبحة نصر الدوله، صاحب ميافارقين (ت ٤٥٣) من اللؤلؤ، عدد حباتها مائه و أربعون لؤلؤه، و وزن كلّ حبه مثقال، و في وسطها الجبل الياقوت، و قطع بلخش، قوّدت قيمتها بثلاثمائة ألف دينار (الوافي بالوفيات ١٢٢/١).

و لما استولى أمير المسلمين، يوسف بن تاشفين، على غرناطه في السنة ٤٧٩، و وجد لصاحبها سبحة جوهر، من أربعمائه حبه، و قوّمت كلّ حبه بمائه دينار (ابن الأثير ١٥٥/١٠).

أقول: و قد زرت في السنة ١٩٦٨ عند ما كنت في طهران، متحف الجواهر، في قبو عماره البنك الملى الإيراني، فوجدت من جملة الجواهر المعروضه فيها، سبحة من اللؤلؤ، عدد حباتها قليل، إلّا أنّ كلّ حبه منها، كانت بقدر الجوزه، و لم تكن الحبات تامه التكوير، و سألت عنها، فقالوا: إنّها سبحة فتح على شاه.

و في أيامنا هذه، تتخذ المسابح المعدّه للتسيح، من الطين أو الخشب، أمّا التي تتخذ

للتسليه، فلا حصر لها، فهي تتخذ من أنواع المعادن، والحجاره، والزجاج، والعظام، والجواهر، واللاكي، و لعل أكثرها استعمالا، التي تتخذ من معدن الكهرمان، ويسمى ببغداد:الكهرب.

و من أطرف ما سمعناه عن أصناف المسابح، مسبحه من الباقلاء، اتخذها أحد طلبه الفقه في النجف، ليغيط بها أهالي الحلّه، و تفصيل القصّه: أنّ الحلّيين، يكثرون من زرع الباقلاء و أكلها، و هم يعيرون بذلك، و يغضبون إذا ذكرت في مجالسهم، لا فرق بين صغيرهم و كبيرهم، و كان الشيخ محمد طه نجف، أحد كبار علماء الشيعة، يقضى شهرين من فصل الصيف في قريه الجمجمه من ضواحي الحلّه، و كان موكبه يشقّ الحلّه ليصل إلى تلك القريه، فكان إذا مرّ بسوق الحلّه، يسمع من خلفه الشتائم، فيعجب، ثم تبين له أنّ أحد تلاميذه يتحرّش بأهل الحلّه، و يعيّرهم بالباقلاء، فيسبّونه، فأنذر الشيخ تلميذه بأن لا يصحبه في رحله الصيف، فاعتذر هذا و أظهر التوبه، و حلف لشيخه أنّه سوف لا- يفتح فمه، و لا- ينس بحرف عند مروره بالحلّه، و لكن ما إن مرّ موكب الشيخ إلّا و أخذت الشتائم تترى، فالتفت، فوجد تلميذه صامتا كما وعد، و لكنّه كان قد رفع كفه حاملا مسبحه من الباقلاء يسبح بها أمام الناس.

ص: ٣٢٥

يرى منا ما و هو محبوس

فيطلق من حبسه.

حدّثني أبو القاسم طلحه بن محمّد بن جعفر، المقرئ، الشاهد (١)، قال:

حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمّد الخصيبي، قال: حدّثني أبو الفضل ميمون بن هارون (٢)، قال: حدّثني موسى بن عبد الملك (٣)، قال:

رأيت و أنا في الحبس، كأنّ قائلًا يقول لي:

لا زلت تعلقو بك الجدود نعم و حفت بك السعود

أبشر فقد نلت ما تريد يبيد أعداءك المبيد

لم يمهلوا ثمّ لم يقالوا بل يفعل الله ما يريد

فاصبر فصبر الفتى حميد و اشكر ففى شكرك المزيد

ص: ٣٢٤

١- أبو القاسم طلحه بن محمّد بن جعفر، المقرئ، الشاهد، المعتزلي (٢٩١-٣٨٠): نقل عنه التنوخي في نشواره أخبارا عدّه، و ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ٣٥/١٩ و وصفه صاحب شذرات الذهب ٩٧/٣ [١] بأنّه الشاهد، العدل، المقرئ، تلميذ ابن مجاهد، و في المنتظم ١٥٤/٧ [٢] أنّه كان مقدّمًا على الشهود، و قد كان أحد الشهود الذين شهدوا على خلع المطيع لله نفسه من الخلافة، راجع تفصيل ذلك في خلاصه الذهب المسبوك (٢٥٧ و ٢٥٨).

٢- أبو الفضل ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان: كاتب بغدادي، صاحب أخبار و آداب و أشعار، أخذ عن الجاحظ و معاصريه (الأعلام ٣٠١/٨) و [٤] هو جد أبي الحسين أحمد بن محمّد بن ميمون وزير المتقي (القصّه ٢٠٠ من هذا الكتاب) راجع قصّته مع فرج الرخجي في رسوم دار الخلافة ص ٣٨.

٣- أبو عمران موسى بن عبد الملك الأصبهاني، صاحب ديوان الخراج: ترجمته في حاشية القصّه ١٠٣ من الكتاب.

[فانتبهت، و قد طفئ السراج، فطلبت شيئاً، حتى كتبت الآيات على الحائط، و أصبحت و قد قويت نفسي] (١).

قال: فما مضى على ذلك إلا أيام يسيره، حتى أطلقت (٢).

ص: ٣٢٧

١- الزيادة من هـ.

٢- لم ترد هذه القصه في م و لا في غ.

يكره شخصا على العمل ثم يحبسه و يعذبه

و ذكر المدائني في كتابه، كتاب الفرغ بعد الشده و الضيقه، قال:

قال توبه العنبري (١): أكرهني يوسف بن عمر (٢) على العمل، فلما رجعت حبسني حتى لم يبق في رأسي شعره سوداء.

فأتاني آت في منامي فقال لي: يا توبه [١٣٣ ظ] أطلوا حبسك؟

قلت: أجل.

فقال: سل الله عز و جل العفو و العافيه، في الدنيا و الآخرة، ثلاثا،

ص: ٣٢٨

١- أبو المورع توبه بن أبي الأسد كيسان العنبري البصري: أحد الولاة، من رجال الحديث، ولد باليمامة، و تحوّل إلى البصره، و لاه يوسف بن عمر سابور، ثم و لاه الأهواز، توفي سنة ١٣١ (الأعلام ٧٤/٢).

٢- أبو يعقوب يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي: من الأمراء في العهد الأموي، كان قصير القامه، عظيم البطن، عريض اللحيه، و كان يلبس ثيابا طوالا يجزها (العيون و الحدائق ١٠٣/٣) و كان إذا أحضر له الثوب الطويل، و قال له الخياط: إنّه يفضل منه، ضربه، و إذا قال له: لا يكفيننا إلا بعد التصرف في التفصيل، سرّه (ابن الأثير ٢٢٥/٥ و ٢٢٦) و [٢] كان جبارا ظالما، يكفى للدلاله على ظلمه، أنّه سلك سبيل الحجاج، السيئ الصيت، في الأخذ بالشده و العنف، و كان يضرب به المثل في التيه و الحمق، يقال: أتية من أحقق ثقيف (وفيات الأعيان ١٠٩/٧) و [٣] كان يلقب تيس ثقيف (خطط المقرئ ٤٤٨/٢ سطر ١٨) و [٤] في المحاسن و الأضداد للجاحظ (ص ٣٤) [٥] عجائب من حماقاته، و قد قتل مرّه أحد المجانين لأنّه تكلم أثناء خطبته، و احتبس كاتبه يوما عن الديوان، فقال له: ما حبسك؟ فقال: اشتكيت ضرسي، فقال: تشتكي ضرسك، و تقعد عن الديوان، و دعا بالحجاج و أمره أن يقلع ضرسين من أضراسه، و لى اليمن لهشام بن عبد الملك، ثم أضاف إليه العراق و خراسان، و كان أوّل ما بدأ به عند ولايته العراق، أن قتل سلفه خالد بن عبد الله القسري، بعد أن عذبه عذابا شديدا، راجع تفصيل ذلك في الطبري ٢٥٤/٧-٢٦١ و [٦] لما و لى يزيد بن الوليد، عزله و اعتقله، و قتل في الحبس سنة ١٢٧ (الأعلام ٣٢٠/٩).

فاستيقظت، فكتبتها، وتوضأت، وصليت ما شاء الله، ثم جعلت أدعو، حتى وجبت صلاة الصبح، فصليتها.

فجاء حرسى، فقال: أين توبه العنبري، فحملني في قيودي، فأدخلني عليه، و أنا أتكلم بهنّ، فلما رأني، أمر بإطلاقي.

قال توبه: فعلمتها في السجن رجلا، فقال: إنني لم أدع إلى عذاب قط، فقلتهنّ، إلا خلوا عني، فجيء بي يوما إلى العذاب، فجعلت أتذكرهنّ، فلا أذكرهنّ، حتى جلدت مائة سوط، فذكرتهنّ بعد، فدعوت بهنّ، فخلوا عني (١).

[حدّثنا على بن الحسن، بن أبي الطيب، قال: حدّثنا ابن الجراح، قال: حدّثنا ابن أبي الدنيا، قال: حدّثنا حاتم بن عبد الله، أنه حدّث عن سيّار بن حاتم (٢)، قال: حدّثنا عثمان بن مطر (٣)، قال: حدّثنا توبه العنبري، فذكر مثله، وزاد فيه، فقيدني، فما زلت في السجن، حتى لم يبق في رأسي شعره سوداء] (٤).

ص: ٣٢٩

١- لم ترد هذه القصّة في م، و لا في غ، و وردت في مخطوطه (د) الجزء الأخير منها في ص ١٥٣ و الجزء الأول منها في ص ١٦٥.

٢- أبو سلمه سيّار بن حاتم العنزي البصري: ترجم له صاحب الخلاصه ص ١٣٦ و قال إنّه توفّي سنه ١٩٩.

٣- أبو الفضل عثمان بن مطر الشيباني البصري: ترجم له صاحب الخلاصه ص ٢٢٢.

٤- هذه الفقره انفردت بها ظ. أقول: ذكر ابن الأثير، في الكامل ١٣٠/٥ [١] توبه، و سمّاه: توبه بن أبي سعيد، و ذكر أنّه كان على خاتم مسلم بن سعيد عامل خراسان، و لما ولّى أسد بن عبد الله (القسري) خراسان، جعل على خاتمه أيضا، و ذكر الطبري ٣٥/٧ [٢] بتفصيل، و سمّاه توبه بن أبي أسيد، و ذكر أنّ مسلم بن سعيد، طلبه من ابن هبيرة، فبعث به إليه من البصره، فلما حضر عنده، قال له مسلم: هذا خاتمي، فاعمل برأيك، و لما عزل مسلم عن خراسان، أراد توبه أن يشخص معه، فتمسك به خلف مسلم، و هو عبد الله بن أسد القسري، و قال له: أقم معي، فأنا أحوج إليك من مسلم، فأقام معه، و أحسن إلى الناس، و ألان جانبه، و أحسن إلى الجند، و فاهم أرزاقهم.

رأى فى منامه أن قد أخرجت

من داره اثنتا عشرة جنازه

و روى المدائنى فى كتابه أيضا، عن معمر بن المثنى، عن على بن القاسم، قال: حدثنى رجل قال:

رأيت فى المنام، أيام الطاعون، أنهم أخرجوا من دارى اثنتى عشرة جنازه، و أنا و عيالى اثنا عشر نفسا، فمات عيالى، و بقيت وحدى، فاغتمت، و ضاق صدرى.

فخرجت من الدار ثم رجعت فى الغد، فإذا لصّ قد دخل ليسرق، فطعن فى الدار، فمات، و أخرجت منها جنازته.

و سرى عني ما كنت فيه، و وهب الله العافيه و السلامه (١).

ص: ٣٣٠

١- لم ترد هذه القصه فى م، و لا فى غ.

وهب بن متبه يصاب بالاملاق

ثم يعطيه الله من فضله

ذكر القاضي أبو الحسين، في كتابه الفرج بعد الشده: أن وهب بن متبه (١)، قال:

أملقت، حتى قنطت، أو كدت، فأتاني آت في منامي، و معه شبيه بالفستقه، فدفعها إلي.

و قال: افضض، ففضضتها فإذا حريره.

فقال: انشر، فنشرتها، فإذا فيها ثلاثه أسطر بياض: لا ينبغي لمن عرف عن الله عدله، أو عقل عن الله أمره، أن يستبطئ الله في رزقه.

قال: فأعطاني الله بعدها، فأكثر (٢).

ص: ٣٣١

١- أبو عبد الله وهب بن منبه الأبنواوي، الصنعاني، الذماری (٣٤-١١٤): مؤرخ، عالم بأساطير الأولين، و بالإسرائيليات، يعدّ من التابعين، أبوه من أبناء الفرس الذين جاءوا إلى اليمن، و أمّه من حمير، و لآه عمر بن عبد العزيز قضاء صنعاء، حبسه يوسف بن عمر الثقفي، و ضربه حتى مات (الأعلام ١٥٠/٩).

٢- لم ترد هذه القصّه في م، و لا في غ.

و ذكر أيضا عن الواقدى (١)، أنه قال:

أضقت إضاقة شديده، و هجم شهر رمضان، و أنا بغير نفقه، فضاق ذرعى بذلك، فكتبت إلى صديق لى علوى، أسأله أن يقرضنى ألف درهم، فبعث إلىّ بها فى كيس مختم، فتركتها عندى.

فلما كان عشى ذلك اليوم، وردت علىّ رقعته صديق لى، يسألنى إسعافه لنفقه شهر رمضان، بألف درهم، فوجهت إليه بالكيس بخاتمه.

فلما كان فى الغد، جاءنى صديقى السدى اقترض منى، و العلوى السدى اقترضت منه [١١٠ ر]، فسألنى العلوى عن خبر الدراهم، فقلت: صرفتها فى مهم.

فأخرج الكيس بختمه، و ضحك، و قال: و الله لقد قرب هذا الشهر و ما عندى إلاّ هذه الدراهم، فلما كتبت إلىّ، ووجهت بها إليك، و كتبت إلى صديقنا هذا، اقترض منه ألف درهم، فوجه إلىّ بالكيس، فسألته عن القصه، فشرحها، و قد جئناك لنقتسمها، و إلى أن ننفقها يأتى الله بالفرج.

قال الواقدى: فقلت لهما، لست أدرى أينما أكرم، فقسمناهما، و دخل شهر رمضان، فأنفقت أكثر ما حصل منها، و ضاق صدرى، و جعلت أفكر فى أمرى.

ص: ٣٣٢

١- أبو عبد الله محمّد بن عمر بن واقد السهمى، المعروف بالواقدى (١٣٠-٢٠٧): من أقدم المؤرّخين فى الإسلام، وولد بالمدينه، و انتقل إلى العراق، و اتّصل بالبرامكه، و نصب قاضيا ببغداد، و مات بها (الأعلام ٧/٢٠٠).

فبينما أنا كذلك، إذ بعث إليّ يحيى بن خالد البرمكى فى سحره يوم، فصرت إليه.

فقال: يا واقدى، رأيتك البارحه فيما يرى النائم، و أنت على حال دلّنى على أنّك فى غمّ شديد و أذى، فاشرح لى أمرك.

فشرحته، إلى أن بلغت حديث العلوىّ، و صديقى و الألف درهم، فقال: ما [١٣٤ ظ] أدرى أيكم أكرم، و أمر لى بثلاثين ألف درهم، و لهما بعشرين ألف، و قلّدى القضاء (١).

ص: ٣٣٣

١- لم ترد هذه القصّه فى م، و لا فى غ، و وردت فى المستجد للتنوخى بتصرّف ١١٠ و ١١١.

من استنقد من كرب و ضيق خناق

ياحدى حالتى عمد أو اتفاق

محمد بن زيد العلوى يضرب مثلا عاليا فى النبل

حدّثنا أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالأصبهاني الكاتب، قال:

كان محمد بن زيد العلوى (١)، الداعى بطبرستان (٢)، إذا افتتح الخراج، نظر ما فى بيت المال من خراج السنه التى قبلها، ففرّق فى قبائل قريش قسطا، على دعوتهم، و فى الأنصار، و فى الفقهاء، و أهل القراءات، و سائر طبقات الناس، حتّى يفرّق جميع ما بقى.

فجلس سنه من السنين، يفرّق المال، على ما كان يفعل، فلمّا فرغ من بنى هاشم، دعا بسائر بنى عبد مناف، فقام رجل، فقال له: من أى بنى عبد مناف أنت؟ فسكت.

١- محمد بن زيد بن اسماعيل بن الحسن العلوى الحسنى: صاحب طبرستان و الديلم، كان أخوه الحسن ابن زيد، أمير طبرستان و الديلم عشرين سنه، و توفى فى السنه ٢٧٠ فولّىها محمد، و دامت ولايته ١٨ سنه، من ٢٧٠-٢٨٧، و كانت فى أيامه حروب و فتن، و كان شجاعا، فاضلا، كريم الأخلاق، أديبا، شاعرا، عالما بالتاريخ، جرح فى إحدى حروبه مع السامانيين، و توفى سنه ٢٨٧ (الأعلام ٣٦٦/٦ و [١] ابن الأثير ٤٠٧/٧).

٢- طبرستان: و تسمى مازندران، بلاد واسعة، مجاوره لجيلان و ديلمان، يغلب عليها الجبال (مراصد الاطلاع ٨٧٨/٢).

قال: لعلك من ولد معاوية؟

قال: نعم.

قال: فمن أيّ ولده أنت؟ فسكت.

قال: لعلك من ولد يزيد (١)؟

قال: نعم.

قال: بئس الاختيار اخترت لنفسك، من قصدك بلدا ولايته لآل أبي طالب، وعندك ثأرهم في سيدهم وإخوته وبنى عمه، وقد كانت لك مندوحة عنهم بالشام والعراق، عند من يتولّى جدك، ويحبّ رفدك، فإن كنت جئت عن جهل بهذا منك، فما يكون بعد جهلك شيء، وإن كنت جئت متمرّيا (٢) بهم، فقد خاطرت بنفسك.

فنظر إليه العلويون نظرا شديدا، فصاح بهم محمد و قال: كفوا عافاكم الله، كأنكم تظنون أنّ في قتل هذا دركا أو ثارا بالحسين بن على رضى الله عنهما، و أيّ جرم لهذا؟، إنّ الله عزّ وجلّ قد حرّم أن تطالب نفس بغير ما اكتسبت، و الله، لا يعرض له أحد إلاّ أقدمته به (٣)، و اسمعوا حديثا أحدّثكم به، يكون قدوه لكم فيما تستأنفون من أموركم.

حدّثني أبي، عن أبيه، قال: عرض على المنصور، سنة حجّ، جوهر فاخر، فعرفه، و قال: هذا كان لهشام بن عبد الملك (٤)، و هذا بعينه، قد بلغني خبره، عند ابنه محمد، و ما بقى منهم أحد غيره.

ص: ٣٣٥

١- أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ترجمته في آخر القصّة.

٢- التمرّى: التحكّك و التعرّض طلبا للشرّ، راجع الامتاع و المؤانسه ج ١ ص ٥٠ سطر ٩، قال أبو نؤاس يهجو أبان اللاحقى من أبيات، [الحيوان للجاحظ ٤/٤٥٠]. عن كافر يتمرّى بالكفر بالرحمن

٣- أقاد القاتل بالقتيل: قتله به.

٤- هشام بن عبد الملك بن مروان الأموى (٧١-١٢٥): ترجمته في حاشيه القصّه ٦٨ من الكتاب.

ثم قال للربيع: إذا كان غدا، و صليت بالناس في المسجد الحرام، و حصل الناس فيه، فأغلق الأبواب كلها، و وكل بها ثقاتك من الشيعة، و اقلها، و افتح للناس بابا واحدا، و وقف عليه، فلا يخرج إلا من عرفته.

فلما كان من الغد، فعل الربيع ما أمره به، و تبين محمد بن هشام القصه، فعلم أنه هو المطلوب، و أنه مأخوذ، فتحير.

و أقبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام على أثر ذلك، فرآه متحيرا، و هو لا يعرفه، فقال له: يا هذا، أراك متحيرا [١١١ ر] فمن أنت؟ و لك أمان الله التام العام، و أنت في ذمتي حتى أخلصك.

فقال: أنا محمد بن هشام بن عبد الملك، فمن أنت؟

قال: أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

فقال محمد بن هشام: عند الله احتسب نفسي.

قال: لا بأس عليك، فإنك لست قاتل زيد (١)، و لا- في قتلك إدراك تأره، و أنا الآن بخلاصك، أولى مني بإسلامك، و لكن تعذرني في مكروه أتناولك به، و قبيح أخاطبك به، يكون فيه خلاصك بمشيئة الله تعالى.

قال: أنت و ذاك.

قال: فطرح رداءه على رأسه و وجهه، و لئبه به، و أقبل يجزه.

فلما وقعت عين الربيع عليه، لطمه لطمات، و جاء به إلى الربيع، و قال:

ص: ٣٣٦

١- الإمام أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب، العلوي، الهاشمي القرشي (٧٩-١٢٢): أحد الخطباء المشهورين، قال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه، و لا أسرع جوابا، و لا أبين قولا، أقام بالكوفة، و أشخص إلى الشام، فأذاه هشام بن عبد الملك، و حبسه، فعاد إلى العراق، حيث بايعه أربعون ألفا، و انتهت المعركة بمقتله، و حمل رأسه إلى الشام، ثم إلى المدينة، ثم إلى مصر، و صلب يوسف بن عمر جثته بالكوفة، طيله مده حكم هشام، فلما ولي الوليد، أنزل، و أحرق (الاعلام ٩٨/٣ و [١] العيون و الحدائق ١٠٠/٣).

يا أبا الفضل، إنَّ هذا الخبيث جَمال من أهل الكوفه، أكراني جماله ذاهبا و راجعا، وقد هرب منِّي في هذا الوقت، و أكرى بعض القوَّاد الخراسانيه، و لى عليه بذلك بينه، فتضمَّ إليَّ حرسيين يصيران به معى إلى القاضى، و يمنعان الخراسانى من عراره (١).
فضمَّ إليه حرسيين، و قال: امضيا معه.

فلما بعد عن المسجد، قال له: [١٣٥ ظ] يا خبيث، تؤدَّى إليَّ حقِّي؟
قال: نعم يا ابن رسول الله.

فقال للحرسيين: انصرفا، و أطلقه محمَّد.

فقيل محمَّد بن هشام رأسه، و قال: بأبى أنت و أمى، الله أعلم حيث يجعل رسالته، ثمَّ أخرج جوهرًا له قدر، فدفعه إليه، و قال: تشرفنى يا سيِّدى بقبول هذا منى.

فقال: يا ابن عمِّ، إنَّا أهل بيت، لا نقبل على المعروف مكافأه، و قد تركت لك دم زيد، و هو أعظم من متاعك، فانصرف راشدا، و وار شخصك، حتَّى يخرج هذا الرُّجل، فإنَّه مجدِّ فى طلبك، فمضى، و توارى.

قال: ثمَّ أمر محمَّد بن زيد، الداعى بطبرستان، للأموئى، بمثل ما أمر به لسائر بنى عبد مناف، و ضمَّ إليه جماعه من مواليه، و أمرهم أن يخرجوا معه إلى الرىِّ (٢)، و يأتوه بكتاب بسلامته.

فقام الأموى، فقُبل رأسه، و مضى و معه القوم، حتَّى وصل إلى مأمنه، و جاءوه بكتاب بسلامته (٣).

ص: ٣٣٧

١- عازّه عرارا: قاتله و آذاه.

٢- الرىِّ: مدينه قديمه فى مادى، جنوبى طهران بشرق، فتحها العرب فى زمن عمر، و فيها ولد هارون الرّشيد (المنجد).

٣- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ، و وردت فى كتاب المستجد للتنوخى ١٤٩-١٥٢.

أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي (٢٥-٦٤):

ثاني ملوك الدولة الأموية بالشام، فرضه أبوه على الناس فرضاً، وشدّد في بيعته بالرغبة و الرهبة، ففتح بذلك على المسلمين باباً من أبواب الفتنة، راجع خبر ذلك في الأغاني ١٩٧/١٦ و في مروج الذهب ٢١/٢ و في ترجمه معاوية (القصة ٣٠٩ من هذا الكتاب).

ولد يزيد بالشام و نشأ بها في ظل والده الذي حكم الشام حكماً مستمراً دام ما يزيد على أربعين سنة، فنشأ نشأه الأمراء الأرسطراطيين، يشرب الخمر، و يسمع الغناء، و يمارس الصيد، و يتخذ القيان، و يتفكّه بما يلهو به المترفون من اللعب بالقروء، و المعافرة بالكلاب و الديكة (الأغاني ٣٠٠/١٧ و ٣٠١ و البصائر و الذخائر م ٢٦٦/٤ و أنساب الأشراف ج ٤ ق ٢ ص ١ و ٣) حتى وصفه أبو حمزة الخارجي، بأنّه: يزيد الخمرور، و يزيد الصقور، و يزيد الفهود، و يزيد الصيود، و يزيد القروء (السيادة العربية ١٤٣).

و كان تصرفه و هو ولي عهد، يستره لين أبيه مع الناس، فلما مات انكشفت أعماله للناس فلم يحتملها أحد منهم، لقرب عهدهم بأيام الخلفاء الراشدين (١١-٤٠) فاضطّروا إلى قتاله.

و كانت أيّام حكمه ثلاث سنوات لم تخل واحده منها، من عظيمه من العظائم، ففي السنه الأولى قتل الحسين عليه السلام و أهل بيت رسول الله صلوات الله عليه، فضحى بالدين يوم الطفّ (الأغاني ٢٢/٩) و في السنه الثانيه استباح مدينه رسول الله صلوات الله عليه و انتهك حرّمات أهلها ذبحاً و نهبا و انتهاك حرّمات (اليقوبى ٢٥٣/٢) فشفى بذلك غيظه من الأنصار الذين عاونوا في انتصار المسلمين في موقعه بدر حيث قتل في مبارزه واحده أبو جدّته هند، و عمّها، و أخوها (الأغاني ١٨٩/٤) ذلك الغيظ الذي لم يطق كتمانها و هو أمير، فطلب من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار، فأبى و أشار عليه بالأخطل (العقد الفريد ٣٢١/٥) فهجاهم، و وصفهم باللؤم، و عبّرههم بأنهم يهود، فلما ذبح أهل المدينه، كان جنود يزيد يقاتلونهم و يقولون لهم: يا يهود (أنساب الأشراف ٣٧/٢/٤) و لما عرضت على يزيد جريده بأسماء قتلى أهل المدينه، تملكه

العجب من كثرتهم، وقال: يا عجباً، قاتلنى كلّ أحد، حتى ابن خالتي، وقال:

ما أرى أنّه بقى بالمدينه أحد (الأغانى ٣٢٥/٨ و ٢٤٠/١٤)، ثم تمثّل بقول ابن الزبيرى، الذى شمت بقتل المسلمين فى يوم أحد، فقال: [رسائل الجاحظ ١٩-٢٠]:

ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لاستطالوا و استهلّوا فرحا ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا الغرّ من ساداتهم و عدلناه بيدر فانعدل

و فى السنه الثالثه، استباح الكعبه، حرم الله سبحانه و تعالى، و سفك فيها الدماء، و أحرقتها (اليقوبى ٢٥٣/٢ و أنساب الأشراف ج ٤ ق ٢ ص ١ و الفخرى ١٢٣)، و قضى فى سنه حكمه الثالثه، فختم بهلاكه صحيفه سوداء ملوّثه، حتى أنّ رجلا ذكره فى مجلس الخليفه الصالح عمر بن عبد العزيز، فقال: أمير المؤمنين يزيد، فقال له عمر: تقول أمير المؤمنين، و أمر به، فضرب عشرين سوطا (تاريخ الخلفاء ٢٠٩).

ص: ٣٣٩

بين الإسكندر و ملك الصين

حدّثني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، إملاء من حفظه، قال:

قرأت في بعض الأخبار للأوائل، أنّ الإسكندر (١) لما انتهى إلى الصين، و حاصر ملكها (٢)، أتاه حاجبه، و قد مضى من الليل شرطه، فقال له: هذا رسول ملك الصين بالباب، يستأذن عليك.

فقال: أدخله (٣).

فوقف بين يدي الإسكندر، و سلّم، و قال: إن رأى الملك أن يخليني، فعل.

فأمر الإسكندر من بحضرتة بالانصراف، و بقي حاجبه، فقال: إنّ الذي جئت له لا يحتمل أن يسمعه غيرك.

فقال: فتشوه، ففتش، فلم يوجد معه شيء من السلاح.

فوضع الإسكندر بين يديه سيفاً مسلولاً، و أخرج حاجبه، و كلّ من كان عنده، و قال له: قف بمكانك، و قل ما شئت.

فقال له: إنّني أنا ملك الصين، لا -رسوله، و قد جئت أسألك عمّا تريده، فإن كان مما يمكن الانقياد إليه، و لو على أشقّ الوجوه (٤)، قبلته، و غنيت أنا و أنت عن الحرب.

قال الإسكندر: و ما آمنك منّي؟

ص: ٣٤٠

١- الإسكندر الكبير ذو القرنين، ابن فيلبس: ترجمته في حاشية القصّه ٢٢٥ من الكتاب.

٢- في المستجاد: و نازل ملكها.

٣- في المستجاد: فقال: ائذن له.

٤- في المستجاد: أصعب الوجوه.

قال:علمى بأنك رجل عاقل،و ليس بيننا عداوه،و لا مطالبه بذحل، و أنت تعلم أنك إن قتلتنى لم يكن ذلك سببا لأن يسلم إليك أهل الصين ملكهم، و لم يمنعهم قتلى من أن ينصبوا لأنفسهم ملكا غيرى،ثم تنسب أنت إلى غير الجميل (١)،و ضدّ الحزم.

فأطرق الإسكندر،و علم أنه رجل عاقل،فقال:الذى أريده منك، ارتفاع مملكتك لثلاث سنين عاجلا،و نصف ارتفاعها فى كلّ سنه.

قال:هل غير ذلك شىء؟

قال:لا.

قال:قد أجبتهك.

قال:فكيف يكون حالك حينئذ؟

قال:أكون قتيل أوّل محارب،و أكله أوّل مفترس.

قال:فإن قنعت منك بارتفاع ثلاث سنين،كيف يكون حالك؟

قال:أصلح مما كانت،و أفسح مدّه.

قال:فإن قنعت منك بارتفاع سنه؟

قال:يكون ذلك كامالا لأمر ملكى،و موفيا لجميع لذاتى (٢).

قال:فإن اقتصرت منك على ارتفاع السّدى؟

قال:يكون السّدى موفرا،و يكون الباقي للجيش و لسائر الأسباب.

قال:قد اقتصرت منك على هذا،فشكره،و انصرف.

فلما طلعت الشمس،أقبل جيش ملك الصين حتّى طبّق الأرض،و أحاط بجيش الإسكندر حتّى خافوا الهلاك،و تواثب أصحابه فركبوا،و استعدّوا للحرب.

فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين،و عليه التاج،و هو راكب،

١- فى المؑتجاد: عىن الجهل.

٢- فى المؑتجاد: مؑحفا بملكى؁ و مذهباً لؑمىع لذاتى.

فلما رأى الاسكندر، ترجّل.

فقال له الاسكندر: غدرت؟

قال: لا و الله.

قال: فما هذا الجيش؟

قال: إنى أردت أن أريك أنني لم أطعك من قله و لا- من ضعف، و أنت ترى هذا الجيش، و ما غاب عنك منه أكثر، و لكنى رأيت العالم الأكبر (١) مقبلا عليك، ممكنا لك ممن هو أقوى منك، و أكثر عددا، و من حارب العالم الأكبر غلب، فأردت طاعته بطاعتك [١٣٦ ظ] و الذله لأمره بالذله لك.

فقال الإسكندر: ليس مثلك من يؤخذ منه شىء، فما رأيت بينى و بينك أحدا يستحق التفضيل، و الوصف بالعقل، غيرك، و قد أعفيتك من جميع ما أردته منك، و أنا منصرف عنك.

فقال ملك الصين: أما إذ فعلت ذلك، فلست تخسر.

فلما انصرف الاسكندر، أتبعه ملك الصين، من الهدايا، بضعف ما كان قرره معه (٢).

ص: ٣٤٢

١- فى المستجاد: العالم الأثير.

٢- لم ترد هذه القصه فى م و لا فى غ، و وردت فى كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للتوخى ص ٤٦-٤٩.

بين إسحاق الموصلي و غلامه فتح

أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي-فيما أجاز لي روايته عنه، بعد ما سمعته منه-قال: حدّثني الحسن بن يحيى (١)، قال:

كان لإسحاق الموصلي غلام يقال له:فتح، يسقى الماء لأهل داره على بغلين من بغاله دائما.

قال إسحاق:فقلت له يوما:أيش خبرك يا فتح؟

قال:خبري أن ليس في هذه الدار أشقى مني و منك،أنت تطعم أهل الدار الخبز،و أنا أسقيهم الماء.

فاستظرفت قوله،و ضحكت منه،و قلت له:فأى شيء تحب؟

قال:تعتنني،و تهب لي البغلين،لأستقي عليهما لنفسي.

ففعلت (٢).

ص:٣٤٣

١- أبو عيسى الحسن بن يحيى بن الحسين بن زهير الربعي المقرئ:ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٥٤/٧ و قال:إنه توفي سنة ٣٠٣.

٢- لم ترد هذه القصّة في م و لا في غ.

أنسب بيت قالته العرب

أخبرني أبو الفرج، قال: حدّثني خلف بن وضاح (١)، قال: حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي (٢)، قال:

حملت دينا بعسكر المهدي (٣)، فركب المهديّ يوماً بين أبي عبيد الله (٤)، و عمر بن بزيع (٥)، و أنا وراءه في موكبه على بردون قطوف (٦)، فقال: ما أنسب بيت قالته العرب؟

فقال أبو عبيد الله: قول امرئ القيس:

و ما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال: هذا أعرابيّ قحّ.

ص: ٣٤٤

١- في تاريخ بغداد للخطيب ٧٠/١١: [١] خالد بن وضاح.

٢- في تاريخ بغداد للخطيب ٧٠/١١: [٢] عبد الأعلى بن عبيد الله بن محمد بن صفوان بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي بن خلف الجمحي المكي، من أشرف قريش، و من أهل الفضل و العلم و الأدب، و لى قضاء المدينة للمهدي بعد موت أبيه.

٣- عسكر المهدي: المحلّة المعروفه ببغداد بالرصافه بالجانب الشرقي (المفترق صقعا ٣١٠) أقول: هي الآن المحلّة التي تقع فيها المقبره الملكيه بالأعظميه.

٤- أبو عبيد الله معاويه بن يسار، وزير المهدي (١٠٠-١٧٠): أوحد الناس في عصره حذقا، و خبره، و كتابه، و زر للمهدي، و دسّ عليه الربيع الحاجب، فأفسد ثقته المهدي به، فعزله، و مات معزولا (الاعلام ١٧٤/٨).

٥- عمر بن بزيع، مولى المهدي: كان أثيرا عند المهدي، يشرب النبيذ في مجلسه، و المهدي لا يشرب، و يحضر معه في رحلات صيده، و ظل أثيرا لديه، و لدى ولديه موسى و هارون، و ولى للمهدي في السنه ١٦٢ دواوين الأزّمه، و لم تكن هذه الدواوين موجوده في أيام بنى أميه، و أول من أسسها عمر بن بزيع، راجع تفصيل ذلك في حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب.

٦- البردون: دابّه الحمل الثقيل، و الدابّه القطوف: التي تسيء السير و تبطي.

فقال عمر بن بزيع: قول كثير يا أمير المؤمنين:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

فقال: ما هذا بشيء، وما له يريد أن ينسى ذكرها، حتّى تمثّل له؟

فقلت: عندي حاجتك يا أمير المؤمنين.

قال: الحق بي.

فقلت: لا لحاق بي، ليس ذلك في دابّتي.

فقال: أحملوه على دابّه.

قلت: هذا أوّل الفتح، فحملت على دابّه، فلحقته.

فقال: ما عندك؟

فقلت: قول الأحوص يا أمير المؤمنين:

إذا قلت إنّي مشتبّ بلقائها

فحمّ التلاقي بيننا زادني سقما [١١٢ ر]

فقال: أحسنت، حاجتك؟

قلت: على دين.

قال: اقضوا دينه.

فقضى ديني (١).

ص: ٣٤٥

١- لم ترد هذه القصّة في م ولا في غ.

تقلد الإنفاق على عسكريين فأفاد في

أقل من شهر سبعمائة ألف درهم

ذكر ابن عبدوس في كتابه، كتاب الوزراء: حدث أحمد بن محمد بن زياد (١)، قال: قال لي الريان بن الصلت:

كنت في خدمه الفضل بن سهل (٢)، فيما كنت فيه، من ثقته و استنامته، على ما كنت عليه.

فدعاني في وقت من الأوقات، إلى أن يضم إلي أربعة آلاف من الشاكريه و الجند، و يقودني عليهم، و يجريني مجرى قواده، فامتنعت عليه من ذلك، و أعلمته أنني لا أقوم بذلك، و لا أصلح له، و لا آمن أن أ تقلد منه ما يقع فيه التقصير، فيسقط حظي عنده، و منزلتي لديه.

فأنكر ذلك عليّ أشد الإنكار، و عاودني فيه مراراً، فلم أجبه إليه، فلما رأى إقامتي على الامتناع، جفاني، و أعرض عني، و امتدت الأيام على هذا، حتى أدانى ذلك إلى الاختلال الشديد الذي أضربى.

فدخل إليّ غلامى يوماً، فأعلمنى أنه لا - نفقه عنده، و لا - مضطرب له في احتيالها، لامتناع التجار عن إعطائه، لتأخر ما لهم علينا عنهم، و أنه لا علف لدوابنا، و لا قوت لنا.

ص: ٣٤٤

١- أبو علي أحمد بن محمد بن زياد بن أيوب: ترجم له الخطيب في تاريخه ٩/٥ و ١٠ و قال: إنه توفي سنة ٣١٠.

٢- أبو العباس الفضل بن سهل السرخسى، وزير المأمون: ترجمته في حاشية القصة ٥٥ من الكتاب.

فأومات إلى عمامه ملحم (١) كانت بحضرتي، وأمرته ببيعها، و صرف ثمنها فيما يحتاج إليه، فباعها بثمانيه دراهم.

و ورد عليّ في ذلك اليوم كتاب وكيلى على أهلى، بمدينه السّلام، يعلمنى ضيق الأمر عليه فيما يحتاج إلى إقامته للعيال، وإنّه التمس من التّجار مقدار ألفى درهم، فلم يجيبوه إليها، فعظم عليّ ما ورد من ذلك، و ضاقت بى [١٣٧ ظ] المذاهب.

فبينما أنا قاعد فى عشيه يومى ذلك، إذ أتانى رسول الفضل يأمرنى بحضور الدار، و المقام فيها، إلى عند خروجه من دار المأمون، فحضرتها بعد صلاه العتمه، فأقمت، إلى أن خرج الفضل فى وقت السحر، فلقيته، و بين يديه خرائط كثيره محموله.

فقال: صلّيت صلاه اللّيل؟

قلت: نعم.

فقال: لكننى ما صلّيت، فكن هاهنا إلى أن أصلى، فصلّى، ثمّ انفتل من صلاته، فدعانى.

فقال: أ تدرى ما هذه الخرائط؟

قلت: لا.

قال: هذه ثمانى و ستون خريطه وردت، و قرأتها، و أجت عنها بخطّى، فدعوت اللّله بحسن المعونه و التوفيق.

ثمّ قال لى: يا ريان، إن أبا محمّد الحسن بن سهل قد دفع إلى واسط،

ص: ٣٤٧

١- الملحم: القماش الذى سداه إبريسم، و لحمته غير إبريسم (قاله ميخائيل عواد فى رسوم دار الخلافه ص ٩٠) أقول: اختصّت مرو بالثياب الملحم (لطائف المعارف ص ٢٠١).

و رأى أمير المؤمنين أن يمدّه بدينار بن عبد الله (١) و نعيم بن خازم (٢) في عشرة آلاف رجل، و أن يقلدك الإنفاق عليهم في عسكريهما، و أن يجرى لك في كل شهر عشرة آلاف درهم، و لكاتبك ثلاثة آلاف درهم، و لقرطيسك ألف درهم، و أن يوظف لك على كل عسكري عشرة أجمال لحملك، أو مائه دينار عوضاً

ص: ٣٤٨

١- دينار بن عبد الله: من كبار القواد في الدولة العباسية، و هو من موالى الرشيد، و ارتفعت منزلته في أيام المأمون، و خلف الحسن بن سهل في السنة ٢٠٣ على القيادة العامة في العراق، و ولى للمأمون عدّه ولايات و إليه تنسب دار دينار، في الجانب الشرقي من بغداد، بين سوق الثلاثاء و نهر دجلة (معجم البلدان ٥١٨/٢) [١] يعني أنّها كانت على النهر إما في موضع المستنصريه، أو في جوارها، و هذه الدار هي التي نزل بها الأمير الموفق أبو أحمد طلحة بن المتوكل، لما ورد بغداد منفاً إلى البصرة و واسط بأمر من أخيه المعتز (الطبري ٣٧٧/٩)، و [٢] هو أحد ملوك المخزّم الذين هجّاهم دعبيل الخزاعي، فقال: و من يشتري منى ملوك المخزّم أبع حسناً و ابني هشام بدرهم و أعطى رجاء فوق ذاك زياده و أمنح ديناراً بغير تندّم فإن طلبوا منى زياده زدتهم أبا دلف و المستطيل ابن أكتّم يزيد بالحسن: الحسن بن سهل، وزير المأمون، و يا بني هشام، أحمد و على من رجال الدولة العباسية، ثانيهما قتله المأمون، راجع تفصيل ذلك في كتاب بغداد لابن طيفور ١٤٦، و رجاء: رجاء بن أبي الضحّاك، ابن عم الفضل بن سهل وزير المأمون (الطبري ٥٤٠/٨) و [٣] أبى دلف: القائد العربي القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجليّ، و بابن أكتّم، القاضي يحيى بن أكتّم قاضي المأمون، راجع أخبار دينار بن عبد الله في الكامل لابن الأثير ٣٥٦/٦ و ٣٨١ و [٤] الطبري ٥٦٩/٨ و ٥٩٣ و ٦٠٦ و [٥] العيون و الحدائق ٣٥٧/٣ و ٤٥٦ و تاريخ بغداد لابن طيفور ١٢٢.

٢- نعيم بن خازم: أحد قواد الدولة العباسية، كان في جيش الرشيد لما سافر إلى طوس سنة ١٩٢ (الطبري ٣٤١/٨)، و [٧] في السنة ١٩٦ لما عقد المأمون للفضل بن سهل على المشرق و جعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم، و سماه: ذا الرئاستين، أي رئاسه السيف، و رئاسه القلم، حمل له اللواء نعيم بن خازم (الطبري ٤٢٤/٨)، [٨] ثم انحاز إلى صف إبراهيم بن المهدي، و خاض معارك عدّه، كانت آخرها المعركة التي أسر فيها قرب واسط (الطبري ٥٦٢/٨)، [٩] فأحضر أمام الحسن بن سهل حافياً، حاسراً، و هو يقول: ذنبي أعظم من السماء، ذنبي أعظم من الأرض، فقال له الحسن: على رسلك أيها الرجل، لا بأس عليك، قد تقدّمت لك طاعه، و حدّث لك توبه، و ليس للذنوب بينهما موضع، و ما ذنبك في الذنوب، بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو (العقد الفريد ١٥٧/٢ و [١٠] عيون الأخبار ١٠٥/١).

عنها، ثم أمر لي في ذلك الوقت، أن تحمل إليّ أرزاق ثلاثة أشهر، فما صليت الصبح حتى حمل إليّ اثنان و أربعون ألف درهم، و أخذ في تجهيز العسكرين.

قال: و بعث إليّ الفضل بفرس من دوابّه و أمرني أن أبعث به إلى نعيم بن خازم، و أعلمه أنّه خصّه به، و أنّه من خيله التي يركبها، فوجهت به إلى نعيم بن خازم، فأظهر السرور و الابتهاج بذلك، و التعظيم له، و وهب لغلّامى عشره آلاف درهم، و بعث إليّ بخمسين ألف درهم.

فكتبت بذلك إلى الفضل، فكتب على رقعتى: أردد على نعيم ما بعث به إليك.

و ما وهب لغلّامك، و اقبض لنفسك عوضا منه، مائه و عشرين ألف درهم.

ثم أمر بعد أيام لدينار، بسبعمائه ألف درهم صلّه و معونه، و لنعيم بن خازم بخمسمائه ألف درهم، فبعثت بها إليهما، فبعث إليّ كلّ واحد منهما بخمسين ألف درهم.

فكتبت إلى الفضل رقعته، فأعلمته فيها بما فعلاه، فوقع على ظهرها:

اقبل من دينار ما بعث به إليك، و اردد إلى نعيم ما بعث به، و اقبض لنفسك عوضا من ذلك مائه ألف درهم.

قال: و سرنا عن مرو، فلما صرنا فى الطّريق، وورد علىّ كتاب الفضل، يأمرني فيه، أن أحمل الى دينار ألف درهم و خمسمائه ألف درهم، و إلى نعيم ألف درهم، ففعلت، فحمل إليّ دينار مائه ألف درهم، و خمسين ألف درهم، و بعث إليّ نعيم مائه ألف درهم، فقبلت من دينار ما بعث به، و رددت على نعيم ما بعث به، حسبما حدّ لي فى رقعتي الأولى و الثانية، و لم أكتب بالخبر فى ذلك إلى الفضل، لئلا يتوهّم علىّ استدعاء العوض، و كتب له بذلك صاحب خبر (١)، كان له فى السرّ علينا، فوقع على ظهر كتابه إليّ،

ص: ٣٤٩

١- صاحب الخبر: راجع حاشيه القصّه ١٤٣ من هذا الكتاب.

قد علمت أنك أمسكت عن الكتابه إليّ بما فعله نعيم و دينار، و ما كان من ردّك على نعيم ما بعث به، ثلاثاً- أتوهم عليك الاستدعاء للصله، و قد رأيت أن تقبض لنفسك عوضاً عن ذلك مائتي ألف درهم.

قال الريان: فلم تمض سبعة و عشرون يوماً، حتّى حصل عندي سبعمائة ألف درهم.

ص: ٣٥٠

المأمون بخراسان ينقلب حاله

من أشد الضيق إلى أفسح الفرج

و ذكر في كتابه عن جبريل بن بختيشوع (١) في خبر طويل، أنه سمع المأمون يقول:

كان لي بخراسان يوم عجيب، فأولى الله فيه بإحسانه جميلاً، لما توجه طاهر بن الحسين (٢) إلى علي بن عيسى بن ماهان (٣)، كما قد عرفتموه من ضعف طاهر وقوه علي، وقر (٤) في نفوس عسكري جميعاً، أن طاهراً ذاهباً، ولحق أصحابي إضاقة شديده، وظهرت فيهم خلّه عظيمه، و نفذ ما كان [١٣٨ ظ] معي، فلم يبق منه لا- قليل و لا- كثير، و أفضيت إلى حال كان أصلح ما فيها الهرب، فلم أدر إلى أين أهرب، و لا كيف آخذ، و بقيت حائراً متفكراً.

فأنا- و الله- كذلك و كنت نازلاً- في دار أبوابها حديد، و لي مستشرفات (٥) أجلس فيها إذا شئت، و عدد غلmani ستّة عشر غلاماً، لا أملك غيرهم، و إذا بالقواد و الجيش جميعاً قد شغبوا، و طلبوا أرزاقهم، و وافوا جميعاً يشتموني، و يتكلمون بكلّ قبيح.

ص: ٣٥١

- ١- جبريل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع الجنديسابوري: طبيب هارون الرشيد، و الأمين من بعده، و لما ولي المأمون سجنه، ثم أطلقه و رفع منزلته، توفي سنة ٢١٣ (الأعلام ١٠٠/٢) و له ترجمه مفصّله في تاريخ الحكماء ١٣٢-١٤٦.
- ٢- أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، ذو اليمينين: ترجمته في حاشيه القصّه ١٠١ من الكتاب.
- ٣- علي بن عيسى بن ماهان، القائد العباسي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٠١ من هذا الكتاب.
- ٤- وقر: ثبت و بقي (أساس البلاغه للزمخشري ٥٢٢/٢).
- ٥- المستشرفات: المرتفعات التي يشرف منها الانسان و يطلّ على ما تحته.

فكان الفضل بن سهل بين يديّ، فأمر بإغلاق الأبواب، وقال لي:

قم فاصعد إلى المجلس الذي يستشرف فيه، إشفاقا عليّ من دخولهم، و سرعه أخذهم إيتاي، و تعليلا لي بالصعود.

فقلت: القوم يدخلون الساعة، فيأخذوني، فلأن أكون بموضعي، أصلح.

فقال لي: يا سيدي اصعد، فوالله، ما تنزل إلا خليفه.

فجعلت أهزأ به، و أعجب منه، و أحسب أنه إنما قال ما قال، ليسمعني (1)، و أركنت للهرب من بعض أبواب الدار، فلم يكن إلى ذلك سبيل، لإحاطه القوم بالدار و الأبواب كلها.

فألح عليّ أن أصعد، فصعدت و أنا وجل، فجلست في المستشرف، و أنا أرى العسكر.

فلما علموا بصعودي اشتدّ كلبهم، و شتمهم، و ضجيجهم، و بادروني بالوعيد و الشتم، فأغلظت على الفضل بن سهل و قلت له: أنت جاهل، غررتني، و لم تدعني أعمل برأيي، و ليس العجب إلا ممن قبل منك، و هو في هذا كله، يحلف أنني لا أنزل إلا خليفه، و غيظي عليه، و تعجّبي من حمقه، و مواصله الأيمان أنني لا أنزل خليفه، مع ما أشاهده، و الحال يزيد، أشدّ عليّ ممّا أقاسيه من الجند.

ثمّ وضع القوم النار في شوكة جمعوها، و أدنوه من الدار، و نقبوا في سورها عدّه نقوب، و ثلموا منه قطعه، فذهبت نفسي خوفا و جزعا، و علمت أنني بين أن أحترق، و بين أن يصلوا إليّ فيقتلوني، فهممت بأن ألقى نفسي إليهم، و قدّرت أنّهم إذا رأوني استحيوا منّي، و أقصروا.

و جعل الفضل بن سهل يقبّل يدي و رجلي، و يناشدني أن لا أفعل، و يحلف لي أنني لا أنزل إلا خليفه، و في يده الأسطراب، ينظر فيه في الوقت بعد الوقت.

ص: ٣٥٢

فلَمَّا اشتدَّ علىَّ الأمر، واستحكمت اليأس، قال لي: يا سيدي، قد -والله- أتاك الفرج، أرى شيئاً في الصحراء قد أقبل، و معه فرجنا، فازددت من قوله غيظاً، وأمرت غلماني بتأمل الصحراء، فلم أر، ولم يروا شيئاً.

و جدَّ القوم في الهدم و الحريق، حتَّى هممت -لما داخلني- أن أرمى بالفضل إليهم.

فقال الغلمان: إننا نرى في الصحراء شيئاً يلوح، فنظرت فإذا شبح، و جعل يزيد تبياناً، إلى أن تبينوا رجلاً على بغله، ثمَّ قرب، فإذا هو يلوح، و قرب من العسكر، و قويت له قلوبنا، و رأى الجند ذلك فتوقّفوا، و خالطهم، فإذا هو يقول: البشري، هذا رأس علي بن عيسى بن ماهان معي في المخلاه (١)، فلَمَّا رأوا ذلك أمسكوا [١١٣] ر[عنا، و انقلبوا بالدعاء، و السرور بالظفر و الفتح.

فقال لي الفضل بن سهل: يا سيدي، ائذن لي في إدخال بعضهم، فأذنت له، فشرط عليهم أن لا يدخل إلا من يريد، فأجابوا إلى ذلك، و سمى قوما من القوم، فأدخلهم.

فكان أوّل من دخل عليّ، عبد الله بن مالك الخزاعي (٢)، فقَبِل يدي، و سلّم عليّ بالخلافه، ثمَّ أدخل القوَاد بعده، واحداً، واحداً، ففعلوا مثل ذلك، فأطفا الله -عزّ و جلّ- النائرة، و وهب السلامه، و قلّدني الخلافه، فظفرت

ص: ٣٥٣

١- كان جيش الأيمن يشتمل على خمسين ألف فارس بقيادة علي بن عيسى بن ماهان، و جيش المأمون، أقل من أربعة آلاف فارس، بقيادة طاهر بن الحسين، و التقيا بالرى، فانكسر جيش الأيمن، و قتل قائده، و كتب طاهر إلى المأمون بالفتح، قال: بسم الله الرحمن الرحيم، كتابي إلى أمير المؤمنين، و رأس علي بن عيسى بين يدي، و خاتمه في إصبعي، و جنده مصرّفون تحت أمري، و السلام (ابن الأثير ٢٤٥/٦).

٢- عبد الله بن مالك الخزاعي: ترجمته في حاشيه القصه ١٣٠ من هذا الكتاب.

من أموال علي بن عيسى بن ماهان، و ما فى عسكره، بما أصلحنا به أمور جندنا.

ثم ذكر تمام الحديث.

و حدّثنى بهذا الخبر، أبو محمّد الحسن بن محمّد الصلحى، قال: حدّثنى أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّه (١)، قال: قال الفضل بن مروان: كنت مع المأمون، و قد خرج إلى نواحى الإسحاقى ليتصيّد فى [١٣٩ ظ] جماعه من عسكره قليله، فذكر هذا الخبر بطوله، و صدره و عجزه على ما فى كتاب ابن عبدوس، ممّا لم أذكره، فذكر فيه هذه القطعه من الخبر، على قريب ممّا هى مذكوره هاهنا (٢).

ص: ٣٥٤

١- أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّه الحرانى الطيب: كان طيب المقتدر، و كان المقتدر فرض أن ليس لأى طيب ببغداد أن يزاول مهنته، إلّا بإذن من سنان يطلق له فيه مزاولة المهنة، على أن يعيّن له ما يصلح أن يتصرّف فيه (يعنى الاختصاص)، و قد أحصى عدد الأطباء فى ذلك الوقت ممن أجاز بمزاولة المهنة، فى جانبى بغداد، فبلغ عددهم ثمانمائه و نيف و ستون رجلا، سوى من استغنى عن امتحانه لاشتهاره بالتقدّم فى صناعته، و سوى من كان فى خدمه السلطان، إذ لم يدخل هؤلاء تحت الإحصاء، و إليه كتب الوزير أبو الحسن على بن عيسى بأن يفرد أطباء يدخلون إلى المسجونين فى كلّ يوم و يحملون معهم الأدوية و الأشربه، و كتب إليه مره أخرى بأن ينفذ أطباء و معهم خزانه أدويه و أشربه إلى خارج بغداد يطوفون بالسواد، و يقيمون فى كلّ صقع منه مدّه ما تدعو الحاجه لإقامتهم لمعالجه من فيه، و هو ما يسمّى اليوم بالمستوصفات السيّاره، و بناء على إشارته أنشأ المقتدر بيمارستانا (مستشفى) بباب الشام، سمّى اليمارستان المقتدرى، و فى نفس السنه أنشأت السيّده أم المقتدر بيمارستانا آخر، سمّى باسمها، تولّت هى الصرف عليه من مالها، راجع فى ترجمه سنان، فى كتاب تاريخ الحكماء ١٩٥-١٩٠ النصيحه التى أسداها للأمير الأمراء بجكم التركى فى تدبير صحّته و تصرّفاته.

٢- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ.

طلب الولايه على بزندات

البحر و صدقات الوحش

و ذكر أيضا في كتابه، قال: حدثني محمد بن مخلد، و كان يلقب لبد، لطول عمره (١)، و روى عنه المدائني الكاتب، عن أبيه مخلد بن يزيد:

أنّ المأمون، أول ما قدم العراق، خطر له أن يقلد الأعمال، الشيعة الذين قدموا معه من خراسان، فطالت عطله كتياب السواد و عماله، و كانوا يحضرون داره في كل يوم، حتى ساءت أحوالهم.

فخرج يوما بعض مشايخ الشيعة، و كان مغفلا، فتأمل وجوههم، فلم ير فيهم أسن من مخلد بن يزيد، فجلس إليه، و قال له: إن أمير المؤمنين أمرني أن أتخير ناحيه من نواحي الخراج، صالحه المرفق، ليوقع بتقليدي إياها، فاختر لي ناحيه.

ص: ٣٥٥

١- إن تلقيب من طال عمره، لبد، يستند إلى قصه متداوله، و هي أن لقمان، عاش عمر سبعة نسور، كلما هلك واحد، خلفه آخر، عمر كل نسر ثمانون سنه، و هلك منها سته، و كان السابع لبد، فكان لقمان يقول له: انهض لبد، قال أبو السري الخزرجي في معاذ بن مسلم النحوي (وفيات الأعيان ٢١٨/٥ و ٢١٩، و [١] الحيوان للجاحظ ٤٢٣/٣ و ٤٢٤ و ٣٢٧/٦ و ٣٢٨). [٢] إن معاذ بن مسلم رجل ليس لميقات عمره أمد قد شاب رأس الزمان و اكتهل ال دهر و أثواب عمره جدد يا بكر حواء كم تعيش و كم تسحب ذيل الحياه يا لبد قد أصبحت دار آدم خربت و أنت فيها كأنك الودت تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداق و الرمذ

فقال: لا أعرف لك عملاً أولى بك من بزندات (١) البحر، و صدقات الوحش.

فقال له: أكتبه لي، فكتبه له مخلد، فعرض الشيعي الرقعه على المأمون، و سأل تقليده ذلك العمل.

فقال له: من كتب لك هذه الرقعه؟

فقال: شيخ من الكتاب، يحضر الدار في كل يوم.

فقال: هلمه.

فلما دخل، قال له المأمون: ما هذا يا جاهل؟ تفرغت لأصحابي (٢)؟

فقال له: يا أمير المؤمنين، أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يصل إلى أيديهم من الخزائن و الأموال، و أما شروط الخراج، و حكمه، و ما يجب تعجيل استخراجها، و ما يجب تأخيرها، و ما يجب إطلاقه، و ما يجب منعه، و ما يجب إنفاقه، و ما يجب الاحتساب به، فلا يعرفونه، و تقليدهم يعود بذهاب الارتفاع، فان كنت يا أمير المؤمنين لا تثق بنا، فضمّ إلى كل واحد منهم رجلاً منّا، فيكون الشيعي يحفظ المال، و نحن نجمعه.

فاستطاب المأمون رأيه و كلامه، و أمر بتقليد عمال السواد و كتابه، و أن يضمّ إلى كل واحد منهم، واحداً من الشيعة، و ضمّ مخلد إلى ذلك الشيخ، و قلده ناحيه جليله (٣).

ص: ٣٥٦

١- في ظ: ترندات، و في ه ٨/٢: بريدات، و قال ميخائيل عواد: هي البزندات، و يقصد بها الحواجز التي توضع في وجه الماء لتصدّه، و تحمي الشاطئ من التأكل، و من طغيان الماء على ما خلفه من الأراضي و الزروع، و إنها في العراق تسمى: المسنّيات، مفردها: مسنّاه، و السكور، مفردها: سكر، بكسر السين، و في مصر، تسمى: الجسور، أقول: اسمها الصحيح: بزندات، فارسيه، بند: بمعنى سدّ، و بز: بمعنى قاعده (المعجم الذهبي).

٢- سبب غضب المأمون على مخلد، لأنّه هزأ بالخراساني، إذ لا- تبني سدود أو مسنّيات على البحر، و لا- تفرض صدقه على الوحش.

٣- لم ترد هذه القصّه في م و لا في غ و لا في ر.

المنصور يقتل مؤدب ولده جعفر ظلما

و ذكر في كتابه:

أنَّ المنصور ضمَّ رجلا يقال له فضيل بن عمران (١) الكوفى إلى جعفر ابنه (٢)، يكتب له، و يقوم بأمره.

و كانت لجعفر حاضنه تعرف بأُم عبيده، فثقل عليها مكان فضيل، فسعت به إلى أبى جعفر، و ادّعت عنده أنه يلعب بجعفر، فبعث المنصور، مولاة الريّان (٣)، و هارون بن غزوان، مولى عثمان بن نهيك (٤)، إلى الفضيل، و أمرهما بقتله، و كتب لهما منشورا بذلك، فصارا إليه فقتلاه.

ص: ٣٥٧

١- سماه صاحب تاريخ الموصل ص ١٩٨: [١] الفضيل بن غزوان.

٢- جعفر بن أبى جعفر المنصور: أكبر أولاد المنصور، و به يكتى، و هو و المهدي من أمّ واحده، و يقال له جعفر الأكبر، تميّزا له عن جعفر آخر من أولاد المنصور، هو ابن الكرديّ (الأغانى ٨١/٦) و [٢] يقال له جعفر الأصغر، و كان جعفر الأكبر خليعا ماجنا، و كان يصرع فى اليوم مرات، و كان يزعم إنّه يعشق امرأه من الجنّ، و هو مجتهد فى خطبتها، و جمع أصحاب العزائم عليها، و هم يغرونه، و يعدونه بها، و يمّونه (الأغانى ٢٨٨/١٣ و ٢٨٩) و [٣] لذلك فإنّ المنصور قدّم عليه المهدي، و بايعه بولاية العهد، فغضب جعفر، راجع ما قاله فى هذا الموضوع، فى الأغانى ٢٨٧/١٣، و [٤] مات جعفر فى حياه أبيه، فحزن عليه حزنا شديدا، و لما عاد من دفنه طلب من أنشده قصيده أبى ذؤيب فى رثاء أولاده و هى التى مطلعها: أ من المنون و ربيها تتويج (الأغانى ٢٧٢/٦ و ٢٨٨/١٣).

٣- الريّان مولى المنصور: يظهر أنّه كان أحد جلاديه أيضا، فقد بعثه لقتل مؤدب ولده جعفر، و بعثه إلى البصره لقتل المغيره بن الفزع، أحد المستأمنين (العيون و الحقائق ٢٥٥/٣) و كان أثيرا لدى المنصور، حتى إنّه كان أحد من نزل فى قبره عند دفنه (ابن الأثير ٢٢/٦).

٤- أبو يزيد عثمان بن نهيك: من قواد الدّولة العباسيّة، كان قائد حرس المنصور، و هو أوّل من ضرب بسيفه أبا مسلم، لما أراد المنصور قتله، و لما ثار الراونديه على المنصور فى السنه ١٤١ أصيب بين كتفيه بسهم، فمرض و مات (الطبرى، ٣٦٢/٧، ٣٨٩، ٤١٨، ٤٤٢، ٤٧٤، ٤٧٦، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٤٩١-٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٨٨، [٧] ابن الأثير ٣٨٦/٥، ٤٣٩، ٤٤٢، ٤٧٤، ٤٧٦، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦).

و كان الفضيل دينا، عفيفا، فقيل للمنصور في ذلك، و أنه أبرأ الناس ممّا قرف به، فأحضر المنصور غلاما من غلمانة، و جعل له عشرة آلاف درهم، إن أدركه قبل أن يقتل، فصار إليه، فوجده قد قتل، و لم يجفّ دمه.

و اتصل خبر قتله بجعفر بن أبي جعفر، فطلب الريان، فلمّا جاء به، قال له: ويلك، ما يقول أمير المؤمنين في قتل رجل مسلم بغير جرم؟

فقال له الريان: هو أمير المؤمنين، يفعل ما يشاء.

فقال له جعفر: يا ماصّ بظر أمّه، أكلمك بكلام الخاصّه، فتكلّمني بكلام العامّة؟ جرّوا برجله، فألقوه في دجله.

قال الريان: فأخذوا- و الله- برجلي، فقلت: أكلمك بكلمه، ثمّ اعمل ما شئت.

فقال: ردّوه، فرددت، فقال: قل.

فقلت له: أبوك إنّما يسأل عن قتل فضيل بن عمران وحده؟ و متى يسأل عنه، و قد قتل عمّه عبد الله بن علي (١)، و قتل عبد الله بن الحسن، و عشرات من أولاد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم (٢)، و قد قتل من أهل الدنيا ما لا يحصى

ص: ٣٥٨

١- عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس (١٠٣-١٤٧): عمّ المنصور، من أعظم القواد، هزم مروان الحمار بالزاب، و تبعه إلى دمشق، و قتل من أعيان بني أميّة بالرملة ثمانين رجلا، و ظلّ أميرا على الشام مدّة خلافة ابن أخيه السّفاح، و كان يؤمّل أن يخلفه، فلما خلفه المنصور، ثار عليه، فانتدب المنصور له أبا مسلم الخراساني، و انكسر جيش عبد الله، و فرّ هو إلى إخوانه بالبصرة، فأمنه المنصور، و اعتقله، و أسكنه في دار أساسها من الملح، و أجرى عليه الماء فانهدم البيت عليه (ابن الأثير ٥/٥٨٢ و [١] الاعلام ٤/٢٤١ و [٢] العيون و الحقائق ٣/٢٥٨ و خلاصه الذهب المسبوك ٧٧)، و [٣] في مروج الذهب ٢/٢٤١ إنّه قتل خنقا، و خنقت معه جاريه له، ثمّ وضعها في الفراش متعانقين، و هدم عليهما البيت.

٢- راجع ما صنعه المنصور بآل الحسن في حاشية القصّه ٣١٨ من هذا الكتاب.

و لا يعدّ (١)، هو إلى أن يسأل عن فضيل بن عمران جوشانه (٢) تحت خصى فرعون.

قال: فضحك، و قال: خلّوا عنه، لعنه الله، فأفّلت منه (٣).

ص: ٣٥٩

١- سأل المنصور ابن أبي ذؤيب: ناشدتك الله أي الرجال أنا عندك؟ فقال: أنت- و الله- عندي شرّ الرجال، لأنك استأثرت بـ مال الله و رسوله، و سهم ذوى القربى و اليتامى و المساكين، و أهلكت الضعيف، و أتعبت الأقوياء فى أموالهم، و سفكت الدماء فى غير حقّها، فما حجّتك؟ فقال أبو جعفر: ويحك، أ تـقل؟ أنظر ما أمامك، قال: نعم، قد رأيت أسيافا، و إنّما هو الموت، و لا بدّ منه، فما لا- بدّ منه، عاجله خير من آجله (واسطه السلوك فى سياسه الملوك ٢٧)، و لما ثقل المنصور، و هو فى طريقه إلى مكّه، قال للربيع: بادر بى إلى حرم ربّى و أمنه، هاربا من ذنوبى، و إسرافى على نفسى (الطبرى ١١٤/٨) و [١] دخل سفيان الثورى على المهدي بمكّه، فوعظه و شدّد عليه، فقال المهدي: لو كان المنصور حيّا، ما احتمل هذا الكلام منك، فقال سفيان: لو أخبرك المنصور بما لقي، ما استقرّ بك مجلسك (البصائر و الذخائر ج ٢ [٢] ق ٢ ص ٨١٤ و ٨١٥).

٢- فى الأصل جودابه، و فى الطبرى ١٠٠/٨ [٣] جردانه، و أحسب أنّ الصحيح ما أثبتناه: جوشانه، من جوش الفارسيّه: جوب تظهر على الجلد مثل حبّ الشباب (المعجم الذهبى).

٣- لم ترد القصّه فى م، و لا فى غ، و ردت فى الطبرى ١٠٠/٨ [٤] مبتوره و فى تاريخ الموصل لابن أياس ص ١٩٨.

مالك بن طوق يتزوج المهناه بنت الهيثم الشيباني

وجدت في كتاب أبي الفرج الحنطبي المخزومي الكاتب: أنّ محمّد [١٤٠ ظ] بن عبد الحميد الجشمي قال:

حججت سنه ثلاث و أربعين و مائتين، فأنا في بعض المنازل راجعاً، إذ رأيت فقراء، بالبادية يستميحون (١)، فوفقت منهم على جاريه تصدّق، بوجه كأنه القمر حين استدار، أو كقرن الشمس حين أثار، فرددت طرفي عنها، و استعدت بالله من الفتنة بها، فلم تزل تذهب و تجيء، فيما بين رجال الحجّ، و تعود إلى رحلي، فوفقت.

فقلت لها: ما تستحين أن تبدين هذا الوجه في مثل هذا الموضوع، بحضرة الخلائق.

فلطمت وجهها، و قالت:

لم أبده حتّى تقضت حيلتي فبذلته و هو الأعزّ الأكرم

و يعزّ ذاك على إلاّ أنّه دهر يجور كما تراه و يظلم

قد صنته و حجبه حتّى إذا لم يبق لي طمع و مات الهيثم

أبرزته من حجبه مقهوره و الله يشهد لي بذاك و يعلم

كشف الزمان قناعه في بلده قلّ الصديق بها و عزّ الدرهم

أصبحت في أرض الحجاز غريبه و أبو ربيعه أسرتي و محلّم

قال: فأعجبنى ما رأيت من جمالها، و فصاحتها، و أدبها، و شعرها، فبررتها، و قلت لها: ما اسمك؟

ص: ٣٦٠

١- الميح: اغتراف الماء بالكفّ، و منه اشتقت الاستماحة، أي طلب العطاء.

قالت: أنا المهنيّاه بنت الهيثم الشيباني، و كان أبي جاراً لبني فزاره، فاعتلّ، و استنفد ماله، و توفّي، و تركني فقيره، فاحتجت إلى التكفّف (١).

قال: و رحلنا، فلّمّا صرنا بالرحبه، دخلت إلى مالك بن طوق (٢) مسلّماً، فسألني عن طريقي و سفري، و ما رأيته من الأعاجيب فيه، فحدّثته بحدِيث الجارِيه، فأعجب به، و استطرف الأبيات، و كتبها منّي، و رحلت إلى منزلي بالشام.

فلّمّا كان بعد أيّام من اجتماعنا، أتاني رسوله يستزيرني، فصرت إليه، فبينما أنا جالس عنده يوماً، فإذا خادمان قد جاءا معهما أكياس مختمومه، و تخوت ثياب مشدوده، فوضعها بين يديّ.

فقلت لمالك: ما هذا؟

ص: ٣٤١

١- التكفّف: مدّ الكفّ إلى الناس للاستعطاء.

٢- أبو كلثوم مالك بن طوق بن عتّاب التغلبي: أمير، فارس، جواد، فصيح، شاعر (الأعلام ١٣٧/٦)، [١] بنى الرحبه في خلافه المأمون (معجم البلدان ٧٦٤/٢ و [٢] مرصد الاطلاع ٦٠٨/٢) و [٣] إليه تنسب، و ولّى أمره دمشق للمتوكّل في السنه ٢٣٢ (فوات الوفيات ٢٩٤/٢ و [٤] معجم الأنساب و الأسرات الحاكمه ٤٣) و لما اختصم المستعين و المعتز، كان في جانب المستعين (الطبرى ٢٨٧/٩ و [٥] ابن الأثير ١٤٢/٧ و [٦] تجارب الأمم ٥٧٩/٦) و توفّي في الرحبه، سنه ٢٦٠ (ابن الأثير ٢٧٤/٧) [٧] أقول: أورد ياقوت رحمه الله في معجم البلدان ٧٦٤/٢ عند حديثه عن الرحبه، قصّه خلاصتها أنّ مالك بن طوق كان من ندماء الرشيد، و أنّه رافقه في حرّاقه في الفرات، و أنّ الرشيد منحه أرض الرحبه، فبناها، و أنّه عصى بعد ذلك على الرشيد، فحاربه، و أسره، ثمّ منّ عليه و أطلقه، و نقل عنه القصّه صاحب فوات الوفيات في ترجمه مالك بن طوق ٢٩٤/٢، و هذا القول لا يعلق بقبول، فإنّ من ينادم هارون الرشيد لا بد أن يكون قد تجاوز العشرين، و آخر مرّه مرّ فيها الرشيد بالفرات، في السنه ١٩٠ لما غزا الصائفه (الطبرى ٣١٩/٧) و حيث أنّ مالك بن طوق توفّي في السنه ٢٦٠ فيقتضى أن يكون قد تجاوز التسعين من عمره، يضاف إلى ذلك أنه لا يوجد ذكر للرحبه في كتب التاريخ في أيّام الرشيد مطلقاً، و القصّه و الشعر اللذان أوردهما ياقوت و صاحب فوات الوفيات، حصلت بين المعتصم و بين أحد الخارجين عليه، و هو تميم بن جميل السدوسي، راجع القصّه رقم ٣٩٣ من هذا الكتاب، و كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ١١٧-١١٩.

قال: هذا حقّ دلالتك على المهناه بنت الهيثم الشيباني، التي أظفرتني الله منها بما كانت أمنيته تقصر عنه، وهي أنفذت إليك بهذا من مالها، و لك من مالي ضعفه.

فقلت: كيف كان خبرها؟

فقال: إنك لما انصرفت، أنفذت رسلا إلى البادية، أثق بعقولهم و أمانتهم، فما زالوا يسألون عنها، حتى ظفروا بها، فحملوها، و وليها معها، فتزوجتها، فرأيت منها ما زاد على ما كان زرعه حديثك عنها في نفسي، و قد افضت عليها من دنياي، بحسب تمكّنها من قلبي، [١١٤ ر] فسألتنى عن سبب طلبى إياها، فأخبرتها بخبرك، و كتبت أستزيرك لأعزفك هذا، و أفضى حقك، و قد أمرت لك بعشرين ألف درهم، و عشر تخوت ثياب.

قال عبد الحميد: و كانت أمّ عدّه من أولاده (١).

ص: ٣٤٢

١- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ.

بين ابن أبي البغل عامل أصبهان

و أحد طلاب التصرف

حدّثني أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني (١)، قال:

كان أبو الحسين بن أبي البغل (٢) يتقلّد بلدنا (٣)، فقدم عليه شيخ من الكتّاب يطلب التصرف، وأورد عليه كتباً من الحضرة، يذكرون فيها طول عطلته، و محلّه من الصنّاعة، و يسألونه تصريفه، فسلم إليه الكتب، فتركها ابن أبي البغل بين يديه، و كانت كثيرة، و كان فيه حدّه و ضجره، فاستكثرها، و فضّ منها واحداً، فقرأه، و أقبل على شغله، من غير أن يقرأ باقي الكتب.

فقال له الرجل: إن رأيت أن تقف على باقي الكتب.

فضجر، و تغيّظ، و قال: أليس كلّها في معنى واحد؟ قد- و الله- بلينا بكم يا متعطلين، كلّ يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفاً، لو كانت

ص: ٣٦٣

١- أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصبهاني: ذكره التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة و أخبار المذاكره في القصص ٥٦/١ و ٧٨/٢ و ٧٩/٢ و في القصّيه ١٥٦/٣ قال عنه: إنّه ضمن عماله البصره من الوزير المهلبى، في شركه ابن أخته أبي على الحسن بن على بن مهدي الأصبهاني، و أبي الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الأهوازي.

٢- أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى، المعروف بابن أبي البغل: من كبار العمال في الدوله العباسيّه، كان عاملاً على أصبهان، و رغب في الوزاره، و توسّطت له أمّ موسى القهرمانه، و أحسّ الخاقاني الوزير بذلك، فقبض عليه، و استنقذته أمّ موسى، فأعيد إلى أصبهان، و لما قبض على أمّ موسى، صرف عن عمله، و صودر أولاً، و ثانياً، و اعتقل، و كان في خشيه القتل لما ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات فكتب في تقويم لديه: اليوم ولد محمد بن أحمد بن يحيى (يعنى نفسه) و له إحدى و ثمانون سنه (تجارب الأمم ١٤٠، ٨٤، ٤٣، ٢١/١، و الوزراء ٥١-٣٨٢).

٣- في ظ: البصره، و التصحيح من ه و من القصّه ٧٨/٢ من نشوار المحاضره.

خزائن الأرض لي، لكنت قد نفدت، يا هذا، مالك عندي تصرّف، و لا عمل شاغر (١) فأردّه إليك، و لا في مالي فضل فأبرك، فدبّر أمرك بحسب ذلك، هذا و الرجل ساكت.

فلما سكن ابن أبي البغل، قام الرجل، و قال: أحسن الله جزاءك [١٤١ ظ] و فعل بك و صنع، و أسرف في الشكر و الدعاء له، و ولى منصرفا.

فقال ابن أبي البغل: ردّوه، فرجع.

فقال له: يا هذا، هو ذا تسخر منّي، على أيّ شيء تشكرني؟ على إياسى لك من التصرّف، أو على قطع رجائك من الصلّه، أو قبيح ردّي لك، أو ضجري عليك؟ أم تريد خدعتي بهذا الفعل؟.

فقال: و الله، ما أريد خداعك، و ما كان منك من قبيح الردّ فغير منكر، لأنك سلطان، و لحقك ضجرج، و لعلّ الأمر كما ذكرته من كثرة الواردين عليك، و قد بعلت (٢) بهم، و اتفق لقوّه نحسى، أن كان هذا الرد القبيح وقع في بابي، و لم أشكرك إلا في موضع الشكر، لأنك صدقتني عمّا في نفسك من أوّل وهله، و أعتقت عنقي من رقّ الطمع، و أرحنتني من التعب بالغدوّ و الرواح إليك، و خدمه قوم أستشفع بهم إليك، و كشفت لي ما أدبّر به نفسي، و كسوتني جديده، و بقيه نفقتي معي، و لعلّي أتحمّل بها إلى بلد آخر، في وجه أحد سواك.

قال: فأطرق ابن أبي البغل، و مضى الرجل، فرفع رأسه، فاستدعاه، و اعتذر إليه، و أمر له بصله، و قال له: خذ هذه، إلى أن أقلّدك ما يصلح لك، فإنّي أرى فيك مصطنعا.

فلما كان بعد أيام قلّده عملا جليلا، و صلحت حال الرجل معه (٣).

ص: ٣٦٤

١- العمل الشاغر: الخالي ممن يقوم به، و الأرض الشاغرة: الخاليه ممن يضبطها و يحميها.

٢- بعل: تحيّر، فلم يدر ما يصنع.

٣- وردت القصّه في كتاب نشوار المحاضر و أخبار المذاكره للقاضي النوخى برقم ٧٨/٢، و [١] لم ترد في م و لا في غ.

بين جحظه البرمكى و محبره بن

أبى عبّاد الكاتب

حدّثنى أبو الفرج الأصبهاني، عن جحظه (١)، أنه قال:

اتّصلت علىّ إضاقه، حتّى بعث فيها كلّ ما أملك، و بقيت و ليس فى دارى غير البوارى، فأصبحت يوما أفلس من طنبور مقطّع الأوتار (٢)، ففكرت فى الحيله، فوقع لى أن أكتب إلى محبره الكاتب (٣)، و كنت أجاوره بالبصره، و كان منقرسا (٤)، يلازم بيته، حتّى صار لا- يمكنه الحركة، إلّا- أن يحمل فى محفّه (٥)، و كان ظريفا، عظيم النعمه، كثير الشرب و القصف، فأتطايب عليه، ليدعونى، أو يبزنى بشىء، فكتبت إليه:

ص: ٣٤٥

١- أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكى، المعروف بجحظه (٢٢٤-٣٢٤): برمكى، كاتب، شاعر، مغنّ حاذق، طنبورى فائق، قبيح الوجه، لُقّب بجحظه، لجحوظ عينيه، لُقّب به عبد الله بن المعتز، و قال فيه ابن الرومى: ثبتت جحظه يستمدّ جحوظه من فيل شطرنج و من سرطان و ارحمتا لمناديه تحمّلوا ألم العيون للذّه الآذان (معجم الأدباء ٣٨٣/١ و [١] وفيات الأعيان ١٣٤/١)، [٢] راجع فى كتاب قطب السرور ص ١٦٢-١٦٥ قصّيته مع الشابّه البغداديّه التى أقسمت أن تبذل نفسها لأقبح الناس وجها، و راجع بقيه أخباره فى نشوار المحاضره ١٥١، ٩٦، ٩٥، ٩٤/٢، ٩٠، ٩١، ١٥/٤، و [٣] ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥/٥، ٦٧/٧.

٢- المثل البغداديّ المشهور: أفلس من طنبور بلا وتر.

٣- أبو جعفر محمد بن يحيى بن أبى عباد جابر بن يزيد بن الصباح العسكرى، المعروف بمحبره الكاتب: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٩٩ من الكتاب.

٤- النقرس: ورم يحصل فى مفاصل القدم و إبهامها.

٥- المحفّه، بكسر الميم و فتح الحاء: سرير يحمل عليه المريض أو المسافر.

ما ذا ترى فى جدى (١) و برمه (٢) و بوارد (٣)

و قهوه (٤) ذات لون يحكى حدود الخرائد

و مسمع (٥) يتغنى من آل يحيى بن خالد

إن المضيع لهذا نزر المروءه بارد

قال: فما شعرت إلا بمحفة محبره، يحملها غلمانه، إلى دارى، و أنا جالس على بابها.

فقلت: لم جئت، و من دعاك؟

قال: أنت [١١٥ ر].

قلت: إنما قلت ما ذا ترى، و عنيت فى منزلك، و لم أقل أنه عندى، و بيتى - و الله - أفرع من فؤاد أم موسى.

فقال: قد جئت الآن، و لا أرجع، و لكن أحضر من دارى، ما أريد.

فقلت: ذاك إليك، فدخل الدار، فلم ير فيها إلا باريه.

فقال: يا أبا الحسن، هذا و الله فقر مدقع.

فقلت: هو ما ترى.

ص: ٣٦٦

١- الجدى: تصغير الجدى، و هو ابن المعز فى السنه الأولى (كتاب التلخيص للعسكرى ١/٦٢٣) و يسميه البغداديون: قوزى، أحسبها تركيه.

٢- البرمه: القدر من الحجر (المنجد)، و ربما سمي بهذا الإسم طعام يصنع فى ذلك القدر، أو أنه البرمه المعروفه الآن فى بغداد، و هى حلوى تتخذ من الجوز و السكر و تلف فى رقاقه فتكون كالإصبع.

٣- البوارد: الألوان التى تؤكل بارده، ذكر بعضها صاحب كتاب الطبيخ ٥٦-٥٩ و منها البزماورد المسمى الآن بالساندويج (القصة ٤٩٢ من هذا الكتاب) و الوسط (القصة ١٨٥ من الكتاب).

٤- القهوه: الخمر، و قد أصبح هذا الإسم الآن مقصورا على شراب البن، و اشتق منه اسم المقهى، و هو الموضع الذى تشرب فيه القهوه.

٥- المسمع: المغنى، و السماع: الغناء، إلا أن كلمه السماع، تكاد تكون مقصوره على الغناء الذى يحصل فى حلقات الأذكار عند الصوفيه.

فانفذ إلى داره، فجاءوه بفرش حسنه، وآله، وقماش، وآنيه، وطعام كثير من مطبخه، وألوان الأشربه، والفواكه، والمشام، وعبى المجلس، وفرش الفرش، وجلس يومه يشرب على غنائى و غناء مغنّيه دعوتها له كانت تألفنى.

فلما كان من الغد، سلّم الّى غلامه كيسا فيه ألفا درهم، ورزقه ثياب صحاحا و مقطوعه، من فاخر الثياب، و استدعى محفّته فجلس فيها، و شيعته.

فلما بلغ آخر الصّحن، قال: مكانك يا أبا الحسن، فكلّ ما فى دارك هو لك، فلا تدع أحدا يأخذ منه شيئا.

و قال للغلمان: اخرجوا بين يديّ، فخرجوا، و أغلقت بابى على قماش يساوى ألّوفا كثيره (١).

ص: ٣٤٧

١- وردت القصّه فى نشوار المحاضره ٩٠/٤ و [١] فى المنتظم ٢٨٤/٦ و [٢] لم ترد فى م و لا فى غ.

تاجر خراسانى يجد الفرج

عند صاحبه الكرخى

حدّثنى عبيد الله بن محمّد العبقسى، عن بعض تجّار الكرخ ببغداد، قال:

كنت أعمل رجلا من الخراسانيه، أبيع له فى كلّ موسم متاعا، فأنتفع من سمسرتة بألوف دراهم.

فلَمّا كان سنه من السنين تأخّر عنّى، فأثر ذلك فى حالى، و تواترت علىّ محن، فأغلقت دكّانى [١٤٢ ظ] و جلست فى بيتى، مستترا من دين لحقنى، أربع سنين.

فلَمّا كان فى وقت الحاجّ، تتبعت نفسى خبير الخراسانى، طمعا فى إصلاح أمرى به، فمضيت إلى سوق يحيى (١)، فلم أعط له خيرا، فرجعت، فنزلت الجزيره و أنا تعب مغموم.

ص: ٣٦٨

١- سوق يحيى: محلّه ببغداد، فى الجانب الشرقى، منسوبه إلى يحيى بن خالد البرمكى، أقطعه إيّاها الرّشيد، و انتقلت إلى أمّ جعفر، ثم إلى طاهر بن الحسين، و خربت عند ورود السلاجقه إلى بغداد، و تقع بين الرصافه (منطقه المقبره الملكيه الآن) و دار المملكه (أى المخزّم التى هى الآن العلوازيه)، راجع معجم البلدان ١٩٥/٣، و [١] حيث أنه تقع شمالى المخزّم محلّه باب الطاق (هى الآن الصرافيه)، فتكون محلّه سوق يحيى، واقعه على دجله شمالى باب الطاق (الصرافيه)، بينها و بين الرصافه (منطقه المقبره الملكيه)، و يظهر من القصّه أنه كان فى النهر مقابل محلّه سوق يحيى، جزيره يرتادها الناس للسباحه، أقول: هذه الجزيره كانت واسعه المساحه، يقابلها من جهه الغرب الحريم الطاهرى، الذى كان يقيم فيه أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر (الطبرى ٣٠٧، ٢٨٣/٩) و [٢] فيها كان عامه بغداد يجتمعون و يتظاهرون ضدّ أميرهم (الطبرى ٣٢٧/٩) و فيها صلّى المستعين صلاه العيد لما كان محصورا ببغداد فى السنه ٢٥١ (الطبرى ٣٤٣/٩).

و كان يوما حارا، فنزلت إلى دجله، فتغسلت، و سعدت، فابتلّ موضع قدمي، فقلعت رجلي قطعه من الرمل، انكشفت عن سير (١).

فلبست ثيابي، و جلست مفكرا أولع بالسير، فلم أزل أجّره حتّى ظهر لي هميان (٢) موصول به، فأخذته، فإذا هو مملوء دنانير، فأخفيته تحت ثيابي، و وافيت منزلي، فإذا فيه ألف دينار.

فقويت نفسى قوّه شديده، و عاهدت الله عزّ و جلّ، أنّه متى صلحت حالى، و عادت، أن أعرفّ الهميان، فمن أعطاني صفته، رددته عليه.

و احتفظت بالهميان، و أصلحت أمرى مع غرمائي، و فتحت دكانى، و عدت إلى رسمى من التجاره و السمسره، فما مضت إلا ثلاث سنين حتّى حصل فى ملكى ألوف دنانير.

و جاء الحجّ (٣)، فتتبعتهم لأعرفّ الهميان، فلم أجد من يعطينى صفته، فعدت إلى دكانى.

فبينما أنا جالس، إذا رجل قائم حيال دكانى، أشعث، أغبر، وافى السبال (٤)، فى خلقه سؤال الخراسانيه (٥) و زيهم، فظننته سائلا، فأومأت إلى دريهمات لأعطيه، فاسرع الانصراف، فارتبت به، فقممت، و لحفته، و تأملته، فإذا هو صاحبى الذى كنت أنتفع بسمسرتة فى السنه بألوف دراهم.

فقلت له: يا هذا، ما الذى أصابك؟ و بكيته رحمه له.

فبكى، و قال: حديثى طويل.

ص: ٣٦٩

١- السير: قدّه من الجلد مستطيله، ما زال هذا اسمها ببغداد.

٢- الهميان: فارسىه: حزام عريض يودع فى باطنه المال و يشدّ على الوسط، ما زال هذا اسمه ببغداد.

٣- الحجّ: بضم الحاء و تشديد الجيم، الحجّاج و الحجّيج، مفردها: حاج.

٤- وافى السبال: يريد أنّه لم يقص شيئا من شاربه، و تركه يدور حول فمه، و يتهدّل على شفّتيه.

٥- السؤال: جمع سائل، و هو الشّاذ.

فقلت: البيت، و حملته إلى منزلى فأدخلته الحمام، و ألبسته ثيابا نظافا، و أطعمته، و سألته عن خبره.

فقال: أنت تعرف حالى و نعمتى، و إنى أردت الخروج إلى الحجّ فى آخر سنه جئت إلى بغداد، فقال لى أمير البلد: عندى قطعه ياقوت أحمر كالكفّ، لا قيمه لها عظاما و جلاله، و لا تصلح إلا للخليفه، فخذها معك، فبعها لى ببغداد، و اشتر لى من ثمنها متاعا طلبه، من عطر، و طرف، بكذا و كذا، و أحمل الباقي مالا.

فأخذت القطعه الياقوت، و هى كما قال، فجعلتها فى هميان جلد، من صفته كيت و كيت، و وصف الهميان الذى وجدته، و جعلت فى الهميان ألف دينار عينا من مالى، [١١٦ ر] و حملته فى وسطى.

فلما جئت إلى بغداد، نزلت أسبح عشيا فى الجزيره التى بسوق يحيى، و تركت الهميان و ثيابى بحيث ألاحظها.

فلما صعدت من دجله، لبست ثيابى عند غروب الشمس، و أنسيت الهميان، فلم أذكره إلى أن أصبحت، فعدت أطلبه، فكأن الأرض ابتلعتة.

فهوّنت على نفسى المصيبه، و قلت: لعلّ قيمه الحجر ثلاثة آلاف دينار، أغرمها له.

فخرجت إلى الحجّ، فلما رجعت، حاسبتك على ثمن متاعى، و اشترت للأمير ما أرادته، و رجعت إلى بلدى، فأنفذت إلى الأمير ما اشتريته، و أتيته، فأخبرته بخبرى.

و قلت له: خذ منى تمام ثلاثة آلاف دينار، عوضا عن الحجر.

فقطع فىّ، و قال: قيمته خمسون ألف دينار، و قبض علىّ، و على جميع ما أملكه من مال و متاع، و أنزل بى صنوف المكاره، حتى أشهد علىّ فى جميع

أملاكي (١)، وحبسني سبع سنين، كنت يرد علي فيها العذاب.

فلما كان في هذه السنه، سأله الناس في أمري، فأطلقني.

فلم يمكنني المقام ببلدي، و تحمّل شماته الأعداء، فخرجت على وجهي، أعالج الفقر، بحيث لا أعرف، و جئت مع الحجّ الخراساني، أمشي أكثر الطريق، و لا أدري ما أعمل، فجئت إليك لأشاورك في معاش أتعلّق به.

فقلت: قد ردّ الله عليك بعض ضالتك، هذا الهميان الذي وصفته، عندي، و كان فيه ألف دينار [١٤٣ ظ] أخذتها، و عاهدت الله تعالى، أنني ضامننا لمن يعطيني صفه الهميان، و قد أعطيتني أنت صفته، و علمت أنه لك، و قمت، فجئته بكيس فيه ألف دينار.

و قلت له: تعيش بهذا في بغداد، فإنك لا تعدم خيرا إن شاء الله.

فقال لي: يا سيدي الهميان بعينه عندك، لم يخرج عن يدك؟

قلت: نعم.

فشهق شهقه، ظننت أنه قد مات معها، و غشى عليه، فلما أفاق بعد ساعه، قال لي: أين الهميان؟

فجئته به، فطلب سكيناً، فأتيته بها، فخرق أسفل الهميان، و أخرج منه حجر ياقوت أحمر، أشرق منه البيت، و كاد يأخذ بصرى شعاعه، و أقبل يشكرني، و يدعو لي.

فقلت له: خذ دنانيرك.

فحلف بكلّ يمين، لا يأخذ منها، إلاّ ثمن ناقه، و محمل، و نفقه تبلغه، فبعد كلّ جهد أخذ ثلاثمائة دينار، و أحلّني من الباقي، و أقام عندي، إلى أن عاد الحاج، فخرج معهم.

ص: ٣٧١

١- أشهد عليه في جميع أملاكه: يعني أنه أجبره على الإشهاد بأنه باعها للأمير.

فلما كان العام المقبل، جاءني بقریب مما كان یجیننی به سابقا من المتاع.

فقلت له: أخبرنی خبرک.

فقال: مضیت، فشرحت لأهل البلد خبری، و أریتهم الحجر، فجاء معی وجوههم إلى الأمير، و أعلموه القصه، و خاطبوه فی إنصافی.

فأخذ الحجر، و ردّ علیّ جمیع ما كان أخذه منّی، من متاع، و عقار، و غیر ذلك، و وهب لی من عنده مالا.

و قال: اجعلنی فی حلّ مما عدّبتک و آذیتک، فأحللته.

و عادت نعمتی إلى ما كانت علیه، و عدت إلى تجارتي و معاشی، و کلّ هذا بفضل الله تعالی و برکتک، و دعا لی.

و كان یجیننی بعد ذلك، حتّی مات (١).

ص: ٣٧٢

١- لم ترد هذه القصه فی م و لا فی غ.

أضاع هميانه فى طريق الحجّ

و وجدّه أحوج ما يكون إليه

حدّثنى عبيد الله بن محمّد الصروى (١): قال حدّثنى أبى:

أنّ رجلا حجّ، و فى وسطه هميان فيه دنانير و جواهر، قيمه الجميع ثلاثه آلاف دينار، و كان الهميان ديباج أسود (٢).

فلما كان فى بعض الطريق، جلس يبول، فانحلّ الهميان من وسطه و سقط، و لم يعلم بذلك إلاّ بعد أن سار من الموضع فراسخ.

و اتّفق أنّ رجلا جاء على أثره، فجلس يبول مكانه، فرأى الهميان، فأخذه، و كان له دين، فحفظه.

قال الرّجل، فلم يؤثّر فى قلبى ذهابه، لكثره مالى، فاحتسبته عند الله تعالى، و تغافلت.

و كان [١١٧ ر] معى تجاره بأموال عظيمه، فقضيت حجّى، و عدت إلى بلدى.

فلما كان بعد سنين، افتقرت لمحن توالى عليّ، حتّى لم يبق لى شىء،

ص: ٣٧٣

١- أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الصروى: شاعر، أديب، كان منقطعا إلى أبى العباس سهل بن بشر، عامل الأهواز، و له مدائح فى القاضى التنوخى، مؤلّف هذا الكتاب، و نقل عنه التنوخى كثيرا من القصص فى كتابيه نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، و هذا الكتاب، راجع القصص ٩٧/٢ و ١٤٩/٢ و ١٥٧/٢ و ١٥٨/٢ و ٥٥/٧ و ٦٦/٧ و ١١١/٧ من كتاب نشوار المحاضره، و [١] الصروى: نسبه إلى الصراه. نهر ببغداد.

٢- الدّيباج: القماش الذى سداه و لحمته حرير، راجع حاشيه القصّه ١٩٧ من هذا الكتاب.

فهربت على وجهي من بلدي، وقد أفضيت إلى الصدقه عليّ، و زوجتي معي، فأويت إلى بعض القرى، فنزلت في خان خراب (١).

فأصاب زوجتي الطلق، و ما أملك غير دائق و نصف فضّه، و كانت ليله مطيره، فولدت.

ص: ٣٧٤

١- الخان: فارسيه: الحانوت، و أصل الكلمه آرامي، و تطلق على الدكان و المخدع و الماخور (الألفاظ الفارسيه المعربه ٥٨) ثم أطلقت على المواضع التي ينزلها المسافرون مما يطلق الآن عليه اسم الفندق، و ما تزال في العراق أماكن عدّه تسمّى الخان، لأنها بنيت مواضع لنزول المسافرين الذين يقدمون لزياره الأماكن المقدسه في العراق، في سامراء و الكاظمين، و كربلاء و النجف، مثل: خان بنى سعد، خان آزاد، خان المحموديه، خان الحصوه، خان النصّ (خان النصف، في منتصف الطريق بين كربلاء و النجف) قال معروف الرصافي: نزلت الخان في بلدي كأني أخو سفر تقاذفه الدروب و عشت معيشه الغرباء فيه لأنني اليوم في وطني غريب و لا بن الرومي قصيده كلّها غرر، ذكر فيها الخان، كتبها إلى أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابه لما ندبه للخروج من أجل تصريفه، مطلعها [الملح و النوادر للحصري ٢٤٥ و ٢٤٦] [١] دع اللوم إن اللوم عون النوائب و لا تتجاوز فيه حدّ المعاتب قال فيها: لقيت من البرّ التباريح بعد ما لقيت من البحر ابيضاض الذوائب سقيت على ربيّ به ألف مطره شغفت لبغضيتها بحبّ المجادب فملت إلى خان مرتّ بناؤه مميل غريق الثوب لهفان لائب فما زلت في خوف و جوع و وحشه و في سهر يستغرق الليل و اصب يؤرّقني سقف كأني تحته من الوكف تحت المدججات الهواضب و كم خان سفر خان فانقضّ فوقهم كما انقضّ صقر الدجن فوق الأرناب و قال الشاعر: [أخبار القضاء ١/١٨٧] [٢] يا أيها السائل عن حالتي نزلت في الخان على نفسي يغدو على الخبز من خابز لا يقبل الرهن و لا ينسى آكل من كيسي و من كسرتي حتّى لقد أوجعني ضرسي

فقال: يا هذا، الساعه أموت، فأخرج، وخذ لي شيئاً أتقوى به.

فخرجت أتخيط في الظلمه و المطر، حتى جئت إلى بقال فوقفت عليه، فكلمني بعد كل جهد، فشرحت له حالتي، فرحمني، وأعطاني بتلك القطعه حلبه، وزيتاً، أغلاهما عنده، وأعارني غضاره جعلته فيها، فمشيت أريد موضعى، فزلقت، فانكسرت الغضاره، وذهب ما فيها.

فورد على أمر عظيم، ما ورد على مثله قط، وأقبلت أطم، وأبكي، وأصيح، فإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في دار، وقال: ويلك، مالك تبكى، ما تدعنا ننام، فشرحت له قصتي.

فقال: هذا البكاء كله بسبب دائق و نصف؟

فتداخلى من الغم أكثر من الأول، فقلت: يا هذا، والله، ما لما ذهب عندي محل، ولكن بكائي رحمه لنفسى مما دفعت إليه، وإن زوجتى و ولدى الساعه يموتان جوعاً، والله، وإلا فعلى و على، وحلفت بأيمان مغلظه، لقد حججت فى سنه كذا، وأنا أملك من المال، ما ذهب منى هميان فيه دنانير و جواهر بثلاثه آلاف [١٤٤ ظ] دينار، ما فكرت فيه، و هو ذا ترانى الآن أبكى بسبب دائق و نصف فضّه (١)، فاسأل الله العافيه و السلامه، و لا تعيرنى فتبتلى بمثل بلواى.

فقال لى: بالله عليك، ما كان صفه هميانك؟

فلطمت رأسى، و قلت: ما يقنعك ما خاطبتنى به و ما تراه من صورتى، و قيامى فى الطين و المطر، حتى تتلهى بى، و أى شىء ينفعى و ينفعك من صفه هميانى، و قد ضاع من كذا و كذا سنه، و مشيت.

و إذا هو قد خرج يصيح بى: تعال خذ هذا، فقدّرتّه يتصدق علىّ، فجئتّه.

ص: ٣٧٥

١- الدائق: سدس الدرهم.

فقال: أيش صفة هميانك؟ و قبض على يدي، فلم أقدر أتخلص منه، فوصفت له همياني.

فقال لي: أدخل، فدخلت منزله.

فقال: أين زوجتك؟

فقلت: في الخان الفلاني.

فأنفذ غلمانها، فأتوا بها، فأدخلها إلى حرمه، فأصلحوا أمرها، و أطعموها ما احتاجت إليه، و كساني كسوه حسنه، و أدخلني الحمام، و أصبحت عنده في عيشه طيبه.

فقال لي: أقم عندي أياما لأضيفك، فأقمت عنده عشره أيام، فكان يعطيني في كل يوم عشرين ديناراً، و أنا متحير من عظيم بزه، بعد شدّه جفائه.

فلما كان بعد ذلك، قال لي: أيّ شيء تتصرف فيه؟

فقلت: كنت تاجراً.

فقال: أقم عندي، و أنا أعطيك رأس مال فتتجر في شركتي.

فقلت: أفعّل.

فدفع إليّ مائتي دينار، و قال لي: اتجر بها ها هنا.

فقلت: هذا معاش، قد أغناني الله تعالى به، يجب أن ألزّمه، فلزّمته.

فلما كان بعد شهر، ربحنا، فجبته، فقلت له: خذ ربحك.

فقال لي: اجلس، فجلست.

فأخرج إليّ همياني، و قال: أ تعرف هذا؟

فحين رأيته، شهقت شهقه غشى عليّ منها.

ثم أفقت بعد ساعه، فقلت له: يا هذا، أملك أنت أم نبّي؟

فقال: لا، و لكنّي ممتحن بحفظ هميانك منذ كذا و كذا سنه، فلما سمعتك تلك الليله تقول ما قلته، و أعطيتني علامته، أردت أن أعطيك هو،

فخشيت أن تنشق مرارتك من الفرح، فأعطيتك تلك الدنانير التي أوهمتك أنها هبة لك، وإنما أعطيتك ذلك كله من هميانك، و الدنانير المائتان، قرض، فخذ هميانك و اجعلني في حلّ.

فأخذته، و دعوت له، و رددت عليه القرض، و رجعت إلى بلدي، و بعت الجوهر [١١٨ ر] و أضفت ثمنه إلى الدنانير، و اتّجرت بها، فما مضت إلا سبّيات، حتّى صرت صاحب عشرة آلاف دينار، و صلحت حالي، فأنا في فضل الله تعالى، أعيش إلى الآن (١).

ص: ٣٧٧

١- لم ترد القصّه في م و لا في غ.

الوزير علي بن عيسى يقول: ليتني تمنيت المغفرة

حدّثني أبو سهل بن زياد القَطَّان (١)، صاحب علي بن عيسى، قال: كنت مع علي بن عيسى (٢) بمكّه، حين نفى إليها (٣)، فدخلنا في حرّ شديد، وقد كدنا نتلف، فطاف علي بن عيسى (٤)، وسعى (٥)، وجاء فألقى نفسه كالميت من الحرّ والتعب، وقلق قلقا شديدا.

وقال: أشتهى علي الله عزّ وجلّ، شربه ماء بثلج.

فقلت له: يا سيّدنا، تعلم أنّ هذا ما لا يوجد بهذا المكان.

فقال: هو كما قلت، ولكنّ نفسي ضاقت عن ستر هذا، فاستروحت إلى المنى.

قال: وخرجت من عنده، فرجعت إلى المسجد الحرام (٦)، فما استقررت

ص: ٣٧٨

١- أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد بن عبّاد المعروف بالقَطَّان (٢٥٩-٣٥٠): أديب، شاعر، راويه للأدب، ترجم له الخطيب البغدادي (٤٥/٥-٢٤٠٤)، و [١] لقب بالقَطَّان لأنّه أقام بدار القطن فنسب إليها، ويتّضح من هذه القصّه أنّه كان متين العلاقة بالوزير علي بن عيسى بحيث رافقه إلى مكّه لما نفى، كما أنّه في القصّه ٦٣/٣ من كتاب نشوار المحاضرته يتحدّث عن علي بن عيسى في أمور لا يعرفها إلاّ الخواص.

٢- أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح وزير المقتدر: ترجمته في حاشية القصّه ١٦٣ من الكتاب.

٣- كان ذلك في السنه ٢٩٦، راجع تجارب الأمم ١٣/١.

٤- الطواف: الدوران حول الكعبه سبعا، وهو من أركان فعل الحجّ، قال تعالى: *و ليَطُوفُوا بالبيت العتيق (٢٩ م الحج ٢٢)*.

٥- السعي: التردد بين الصفا و المروه سبعا، وهو فرض سواء كان في الحجّ [٢] في أيّامه المعلومه، أو في العمره، قال تعالى: *إنّ الصفا و المروه من شعائر الله، فمن حجّ البيت أو اعتمر، فلا جناح عليه أن يطوّف بهما (١٥٨ م البقره ٢)*، لزياده التفصيل راجع معجم البيان في تفسير القرآن ٢٣٨/٢-٢٤٠.

٦- المسجد الحرام: أنظر التفصيل في آخر القصّه.

فيه، حتى نشأت سحابه، فأبرقت، و أرعدت رعدا متصلا شديدا، ثم جاءت بمطر يسير، و برد كثير.

فبادرت إلى الغلمان، فقلت: اجمعوا، فجمعنا شيئا كثيرا، و كان على بن عيسى نائما.

فلما كان وقت المغرب، خرج إلى الصلاة، فقلت له: أنت و الله مقبل، و النكبه زائله، و هذه علامات الإقبال، فاشرب الثلج كما طلبت.

و جئته إلى المسجد الحرام بأقداح مملوءه بالأشربه (١) و الأسوقه (٢)، مكبوسه بالبرد، فأقبل يسقى ذلك من كان بقربه من الصوفيه و المجاورين و الضعفاء، و يستزيد، و نحن نأتيه بما عندنا من ذلك، و كلما قلت له: اشرب، يقول:

حتى يشرب الناس.

فخبأت من البرد مقدار خمسه أرتال، و قلت [١٤٥ ظ] له: لم يبق شيء.

فقال: الحمد لله، ليتنى كنت تمنيت المغفره، بدلا من تمنى الثلج، فلعلى كنت أجاب.

ص: ٣٧٩

١- الأشربه، مفردها: شراب، كل ما يشرب، و يسمى الآن ببغداد: شربت، و يجمع على شرابت.

٢- الأسوقه، مفردها سويق، بفتح السين، و فى بغداد يلفظ بضمها و تلفظ القاف كافا فارسيه: الناعم من الدقيق، و كل ما صلح أن يكون دقيقا، يمكن أن يتخذ منه السويق، و أعلى أنواعه سويق اللوز، و يخلط بالسكر أو العسل، و يصب عليه الماء، و يضاف إليه الثلج فى وقت الصيف، و يقال أن المنصور سمّ وزيره أبا جهم، فى سويق اللوز، قال الشاعر: تجنّب سويق اللوز لا تشربنه فشرب سويق اللوز أردى أبا جهم و يتخذ فى جنوب الجزيره العربيه سويق النبق، و سويق الشعير معروف فى بغداد إلى الآن، فإن أهلها عند احتفالهم بالنيروز، يصنعون أنواع، الحلوى و المخلط، و من جمله ذلك سويق الشعير، مخلوطا بدبس التمر، و فى القصه ٧٩/٥ من كتاب نشوار المحاضره ذكر القاضى التتوخى أن شخصا أخبره فى السنه ٣٦٠ أنه كان يصنع فى بغداد فى كل سنه ٢٨٠ كرا من سويق الحمص و يستهلك كله فى نفس السنه.

فلما رجع إلى بيته حلفت عليه أن يشرب، فما زلت أداريه حتى شرب منه بقليل ماء و سويق، و تقوّت به باقى ليلته (١).

ص: ٣٨٠

١- وردت القصة في نشوار المحاضرة ١٠٦/٤، و [١] في المنتظم ٣٥١/٦، و [٢] لم ترد في م و لا في غ.

المسجد الحرام: المسجد، بفتح الجيم: ما يمس الأرض من الأعضاء عند السجود، و بكسر الجيم: الموضع الذى يسجد فيه، و الجمع فى كليهما: مساجد (المنجد)، و الحرام: المقدس، و منه سميت مكه و المدينه: المنطقه الحرام، و الحرمان (دائره المعارف الإسلاميه ٣٦١/٧) و المسجد الحرام هو الكعبه، سميت الكعبه، لتربيعها (معجم البلدان ٤/٦١٦-٦٢٦).

و لم يكن للمسجد الحرام فى أيام النبى صلوات الله عليه و أبى بكر سور يحيط به، فضيقت الناس على الكعبه، و ألصقوا دورهم بها، فاشترى عمر تلك الدور، و هدمها، و زادها فى المسجد، و اتخذ للمسجد جدارا دون القامه، كانت المصاييح توضع عليه، و لما استخلف عثمان زاد فى سعه المسجد، و اتخذ فيه الأروقه حين وسّعه (معجم البلدان ٤/٥٢٥-٥٢٦) ثم وسّعه المنصور (أحسن التقاسيم ٧٥).

و أقصى ما وصلت إليه سعه المسجد الحرام ثلاثين ألف مترا مربعا، فأقدمت الحكومه العريبه السعوديه على عمل من أشرف الأعمال و أكرمها عند الله و الناس، إذ زادت فى سعه المسجد إلى خمسه أضعاف مساحته الأولى، فبلغت مساحته مائه و خمسين ألف متر مربع، و شيدت حوله أروقه محيطه بالمسجد على طابقين بلغ من علوها أنّ سقف الطابق الثانى منها، قارب فى علوه رءوس المآذن القديمه فى المسجد، و سقفت المسعى بين الصفا و المروه، و شادت عليه طابقين، و كان البناء جميعه بالرخام البديع، فاكتسى المسجد الحرام رداء من الجمال و البهاء، لم أشاهد مثله فى أى مكان من أماكن العباده الأخرى، فإننى شاهدت الفاتيكان، و كنائس روما، و الإسكوريال، و جامع قرطبه، و جامع دمشق، و جوامع القسطنطينيه، و جوامع أصبهان، و المراقد المقدسه فى العراق و إيران و فى جميعها ما يبهر الناظر، و لكنّها لا- تماثل بناء المسجد الحرام و لا- تقاربه، و أدارت بسور المسجد الحرام، رجه عظيمه السعه أحاطت به من جميع جهاته، تنفذ منها طرق إلى خارج مكه، اضطرت لانفاذ بعضها أن نحتت الصخور، فصحّ فى ذلك المثل القائل: همم الرجال، تطلع الجبال.

فتى ورث مالا فأتلفه ثم آل أمره إلى صلاح

حدّثني عبيد الله بن محمّد الصروي، أيضا، عن أبيه، قال:

كان يجاورنا ببغداد فتى من أولاد الكتاب، ورث مالا جليلا، فأتلفه في القيان (١)، و أكله إسرافا، حتّى لم يبق منه شيء، و احتاج إلى نقض داره، فلم يبق منها غير بيت يكّنه.

فحدّثني بعض من كان يعاشره و انقطع عنه لما افتقر، قال:

قصّده يوما بعد انقطاعي عنه نحو سنه، لأعرف خبره، فدخلت إليه، فوجدته نائما في ذلك البيت، في يوم بارد، على حصير خلق، قد توطأ قطنا

ص: ٣٨٢

١- القيان: الجوارى المغنّيات اللواتى يعدّهن أصحابهنّ للغناء و المجالسه إمّا في دور أصحابهنّ، أو يخرجن إلى دور من يطلبهنّ لقاء جذر، و هنّ المسّميات في زماننا هذا بالارتستات، و قد أفرد أبو الطيّب الوشاء، في كتابه: الموشى، بابا في وصفهنّ و الكلام عن تصرفاتهنّ، جاء فيه بكلّ طريف نادر، بدأه بقوله: اعلم أنّه لم يتل أحد من أهل المروءات و الأدب، و أهل التظرف و الأرب، و لا امتحن سراه الفتيان، ببيته هي أعظم من هوى القيان، و وصف في كتابه كيفيه تصرف القينه إذا رأّت في المجلس فتى له غنى و يسار، و كيف تمنحه نظرها و تغمزه بطرفها، و تشير إليه بكفّها، و تغنى له على كاساته، و تميل إلى مرضاته، و تشرب من فضله كأسه، حتى توقع المسكين في حبالها، فإذا خوت عقله، و صارت شغله، أخذت في طلب الهدايا السريّه، و تمارضت من غير سقم، و شكت من غير ألم، و فصدت من غير علّه، لتجيئها هدايا ذوى الوجد، في المرض و الفصد، حتى إذا نفذ اليسار، و أحسّت بالإفلاس، أظهرت الملل، و أعلنت البدل، و تبرّمت بكلامه، و ضجرت بسلامه، و طلبت عليه العلل، و تفقّدت منه الزلل، و تتبعت عليه سقطاته، و تيمّمت عثراته، و صرفت عنها هواه، و مالت إلى سواه، راجع كتاب الموشى، باب صفه ذمّ القيان ص ١٣٤ و ما بعدها، و للجاحظ رساله في القيان، جمعت فأوعت. و وصفت فضل الشاعره القيان، فقالت من أبيات [أعلام النساء ١٧٥/٤]: ويحك إنّ القيان كالشرك ال منصوب بين الغرور و العطب لا يتصدّين للفقير، و لا يطلبن إلاّ معادن الذهب

كأنه حشو فراش، و تغطى بقطن كان فى لحاف، فهو بين ذلك القطن كأنه السفرجل (١).

فقلت له: ويحك، بلغت إلى هذا الحد.

فقال: هو ما ترى.

فقلت: فهل لك حاجه.

قال: أو تقضيها؟

فظننت أنه يطلب منى شيئا أسعفه به، فقلت: إى و الله.

فقال: أشتهى أن تحملنى إلى بيت فلانه المغنيه، حتى أراها، و هى التى كان يتعشقا، و أتلف ماله عليها.

و بكى، فرحمته، فمضيت إلى منزلى، فأتيته من ثيابى بما لبسه، و أدخلته الحمام، و حملته إلى بيتى، فأطعمته، و بخرتة، و ذهبنا إلى دار المغنيه.

فلما رأتنا، لم تشك أن حاله قد صلحت، و أنه قد جاءها بدراهم، فبشت فى وجهه، و سألته عن حاله، فصدقها عن حاله، حتى انتهى إلى ذكر الثياب، و أنها لى.

فقال له فى الحال: قم، قم.

فقال: لم؟

فقال: لثلاث- تجىء ستنى، فتراك، و ليس معك شىء، فتجرد على، لم أدخلتك، فاخرج بزا (٢)، حتى أصعد فأكلمك من فوق، فخرج، و جلس ينتظر أن تخاطبه من روزنه فى الدار، إلى الطريق، فأقلت عليه مرقه سكباچ (٣)،

ص: ٣٨٣

١- أدركت البقالين ببغداد و هم يعرضون السفرجل فى دكاكينهم، و قد أحيط من فوقه و من تحته بالقطن، و يتضح من هذه القصة أن هذا الآيين فى عرض السفرجل، كان متبعا منذ عهد القاضى التتوخى، أى منذ أكثر من ألف عام، و لعل السبب فى ذلك أن القطن يحفظه من التعرض للفساد، كما أنه يحول دون أن يسحق بعضه بعضا، و العامه ببغداد الآن يسمون السفرجل: حيوه.

٢- بزا: يعنى خارج الدار، (كتاب أخلاق الوزيرين ص ١٤٩)، أقول: لم تزل الكلمه مستعمله ببغداد.

٣- السكباچ: مرق يصنع من اللحم و الخلل و مواد أخرى، راجع كتاب الطبيخ للبغدادى ١٣ أقول: السكباچ شديد الحموضه، لموضع الخلل فيه، و العامه ببغداد، إذا شكوا من حموضه طعام، قالوا: حامض كأنه سكباچ.

فصيرته آيه و نكالا.

فبكي، و قال لي: بلغ أمرى إلى هذا؟ أشهد الله، و أشهدك، أتى تائب.

فضحكت منه، و قلت: أى شىء تنفعك التوبه الآن و قد افتقرت؟

فرددته إلى بيته، و نزع ثيابه عنه، و تركته بين القطن، كما كان أولاً، و حملت ثيابه فغسلتها و انقطعت عنه، فما عرفت له خبراً.

و بعد نحو ثلاث سنين، بينما [١١٩ ر] أنا ذات يوم بباب الطاق، إذا أنا بـغلام يطرق (١) لرجل راكب، فرفعت رأسى، فإذا به على بردون فاره (٢)، بمركب فضّه، خفيف، مليح، و ثياب حسنه، و كان أولاً يركب من الدواب أفخرها، و من المراكب أثقلها.

فلما رآنى، قال لي: يا فلان، فعلمت أنّ حاله قد صلحت، فقَبِلت فخره.

و قلت: سيدي أبو فلان.

قال: نعم، قد صنع الله تعالى، و له الحمد، البيت، البيت، فتبعته إلى منزله، فإذا بالدار الأولى، قد رمّها، و جصّصها، من غير بياض، و طبّقها (٣)، و بنى فيها مجلسين متقابلين، و خزائن، و مستراح، و جعل باقى ما كان فيها، صحناً كبيراً، و قد صارت حسنه، غير أنّها ليست بذلك الأمر الأول.

فأدخلنى إلى حجره منها، كان يخلو فيها قديماً، قد أعادها كأحسن

ص: ٣٨٤

١- يطرق: يركض أمام الدابته، و يصيح: الطريق.

٢- الفاره: التّشيط القويّ.

٣- طبّق الدار: فرش أرضها بالطابوق، مفردها: طابوقه، و هى آجره عريضه مسطّحه تفرش بها الأرض، و ما زالت هذه الكلمه مستعمله ببغداد.

ما كانت، وفيها فرش حسنه، وفي داره ثلاثه غلمان، قد جعل كلّ خدمتين إلى واحد منهم، وقد أقام على حرمه خادما كان لأبيه، و له سائس هو شاكريّه (١)، و شيخ بواب كان يصحبه قديما، و وكيل يتسوّق له (٢).

فجلس، و أجلسني، و أحضر فاكهه قليله، في آله مقتصده مليحه، و جاءوا بعدها بطعام نظيف، كاف، غير مسرف و لا مقصّر، فأكلنا، ثمّ نام، و لم تكن تلك عادته، و مدّت ستاره، و أحضرت مشامّ و رياحين، في صواني و زبديّات، و الجميع متوسّط مليح، غير مسرف [١٤٦ ظ]، فانتبه، فصلّى، و تبخّر بقطعه ندّ ٩، و بخّرني بقطعه عود مطرّى (٣)، و قدّم بين يديه صينيّه فيها من مطبوخ العنب (٤) شيء حسن، و قدّم بين يديّ صينيّه فيها نبيذ التمر (٥)، جيّد.

فقلت: يا سيّدى ما هذه الترتيبات التي لست أعرفها.

ص: ٣٨٥

١- الشاكري: أصلها: جاكري، فارسيه، بمعنى خادم، ثم صرفت إلى من يعنى بالدائه خارج الإصطبل، و يعدو معها إذا ركبها سيّده، و يمسك بعنانها إذا نزل عنها، راجع القصّه ٢٨٣ من هذا الكتاب.

٢- السوق: موضع البياعات، و التسوّق: البيع و الشراء في السوق، يقال: تسوّق القوم، إذا باعوا و اشتروا (لسان العرب)، و التسوّق عند البغداديين الآن، مقصور على الشراء من السوق فقط، تقابله الكلمه الانكليزيه، و كان لكلمه التسوّق، عند البغداديين في القرن الرابع الهجري، معنى آخر، هو: الخوض في سيره الناس، و اتّهامهم بالباطل، راجع كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، للقاضي التنوخي، القصّه رقم ٤٥/٤ ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨.

٣- الندّ: عود يتبخّر به، و العود: ضرب من الطيب يتبخّر به أيضا، و خير أنواعه الهندي المندلي، نسبه إلى مندل، من بلاد الهند، و كلّما كان أصلب، كان أجود، و امتحان جودته إذا كانت فيه رطوبه بأن يوضع عليه نقش الخاتم، فينطبع، و إذا كان يابسا، فالنار تفصح عنه، و من خصائصه ثبات رائحته في الثوب أسبوعا و أكثر (لطائف المعارف- حاشيه الصحيفه ٢١٥) لزياده التفصيل راجع نهايه الأرب ٢٣/١٢-٤٢.

٤- مطبوخ العنب: إذا نبذ العنب أو التمر أو الزبيب، دون عرضه على النار، فهو نبيذ، فإذا عرض على النار، سمّي مطبوخا، لتفريقه عن غير المطبوخ.

٥- نبيذ التمر: راجع حاشيه القصّه ٢٠٩ من هذا الكتاب

فقال: دع ما مضى، فإنّ الحال لا تحتمل الإسراف، فأقبل يشرب، و أنا أساعده، فتغنّى من وراء الستاره، ثلاث جوارى فى نهايه طيب الغناء، كلّ واحده منهنّ أطيّب من الّتى أنفق عليها ماله.

فلما طابت أنفسنا، قال لى: تذكر أيّامنا الأوّله؟

قلت: نعم.

قال: أنا الآن فى نعمه متوسّطه، و ما قد أفدته من العقل، و العلم بأمر الدنيا و أهلها، يسليّنى عمّا ذهب منّى، و هو ذا ترى فرشى، و آلتى، و مركوبى، و إن لم يكن ذلك بالعظيم المفرط، ففيه جمال، و بلاغ، و تنعم، و كفايه، و هو مغن عن الإسراف، و التخرق، و التبذير، و قد تخلّصت من تلك الشده، تذكر يوم عاملتنى فلانه المغنّيه، بما عاملتنى؟

قلت: نعم و الحمد لله الّذى كشف ذلك عنك، فمن أين هذه النعمه؟ قال: مات مولى لأبى، و ابن عمّ لى، فى يوم واحد بمصر، فحصل لى من تركتهما أربعون ألف دينار، فوصل أكثرها إلىّ، و أنا بين القطن كما رأيتنى، فحمدت الله، و اعتقدت التوبه من التبذير، و أن أدبّر ما رزقته، فعمرت هذه الدار بألف دينار، و اشتريت الفرش، و الآله، و الجوارى بتسعه آلاف دينار، و سلّمت إلى بعض التجار الثقات، ألفى دينار، يتجر لى بها، و أودعت بطن الأرض عشره آلاف دينار، للحوادث، و ابتعت بالباقي ضيعه تغلّ لى فى كلّ سنه نفقتى هذه الّتى شاهدتها، فما أحتاج إلى قرض، و لا استزاده، و لا تقبل غلّه، إلّا و عندى بقيه من الغلّه الأوّله، فأنا أتقلّب فى نعمه الله، عزّ و جلّ، كما ترى، و من تمام النعمه، إنى لا- أعاشرك، و لا- أحدا ممّن كان يحسّن لى السرف، يا غلمان، أخرجوه.

قال: فأخرجت، فو الله ما أذن لى بعدها فى الدخول عليه (١).

ص: ٣٨٦

١- وردت القصّه فى نشوار المحاضره ٩٣/١، و لم ترد فى م و لا فى غ.

أبو يوسف القاضي يأكل اللوزينج بالفسق

و حدّثني أبي، قال: بلغني أنّ أبا يوسف (١) صحب أبا حنيفة (٢)، ليتعلم العلم، على فقر و شدّه، و كانت أمّه تحتال له فيما يتقوّته يوماً بيوم، فطلب يوماً ما يأكل، فجاءته [١٢٠ ر] بغضاره (٣) مغطاه، فكشفها، فإذا فيها دفاتر.

فقال: ما هذا؟.

فقلت: هذا الذي أنت مشغول به نهارك أجمع، فكل منه.

فبكي، و بات جائعا، و تأخر عن المجلس من الغد، حتّى احتال فيما أكله، ثمّ مضى إلى أبي حنيفة، فسأله عن سبب تأخره، فصدقه.

فقال له: أ لا عزفتني فكنت أمدّك؟ و لا يجب أن تغتم، فإنّه إن طال عمرك، فستأكل اللوزينج (٤) بالفسق.

قال: فلما خدمت الرشيد، و اختصت به، قدّم بحضرته يوماً، جام

ص: ٣٨٧

-
- ١- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، قاضي الرشيد: ترجمته في حاشية القصّه ١٢٨ من الكتاب.
 - ٢- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠-١٥٠): إمام الحنفيه، الفقيه، المجتهد، المحقّق، أحد الأئمه الأربعة عند أهل السنّه، ولد و نشأ بالكوفه، يبيع الخبز، و يطلب العلم، ثم انقطع للتدريس و الإفتاء، أريد على القضاء أكثر من مرّه فامتنع و كان عالماً، عاملاً، زاهداً، عابداً (الأعلام ٤/٩).
 - ٣- الغضاره: الصحف المتّخذة من الطين اللازب الحرّ.
 - ٤- اللوزينج: حلوى تصنع بأن يبسط العجين المرقّق، و يوضع عليه اللوز المسحوق و السكر الناعم معجوناً بماء الورد، ثم يطوى و يلفّ، و يقطع قطعاً صغاراً، و يصب عليه الشيرج، و يغمر بالجلاب المضاف إليه ماء الورد، و ينثر عليه الفسق المدقوق (كتاب الطبيخ للبغدادى ٧٦)، اقرأ في مروج الذهب ٥٣٦/٢ و وصف ابن الرومى للوزينج، أقول: و البغداديون الآن يسمّون اللوزينج: بقلّاه، فارسيه: باقلّوا.

فيه لوزينج بفسق، فدعاني إليه، فحين أكلت منه، ذكرت أبا حنيفه، فبكيت، وحمدت الله تعالى، فسألني الرّشيد عن قصّتي، فأخبرته
(١).

ص: ٣٨٨

١- وردت القصّه في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التّوخي ١/١٣٤ و [١] لم ترد في م و لا في غ.

الشيخ الخياط و أذانه فى غير وقت الأذان

حدّثنى أبو الحسن محمّد بن عبد الواحد الهاشمى (١):

أنّ شيخا من التجّار، كان له على بعض القوّاد، مال جليل ببغداد، فمأطله به، و جرده إيّاه، و استخفّ به.

قال: فعزمت على التظلم إلى المعتضد (٢)، لأننى كنت تظلمت إلى عبيد الله بن سليمان الوزير (٣)، فلم ينفعننى ذلك.

فقال لى بعض إخوانى: علىّ أن آخذ لك المال، و لا تحتاج إلى أن تتظلم إلى الخليفة، قم معى الشاعه، فقامت معه.

ص: ٣٨٩

١- أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى: أحد الأشخاص الذين نقل عنهم القاضى التّوخى كثيرا من الأحاديث التى دونها فى كتابيه، نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، و [١] كتاب الفرج بعد الشدّه، و نقل عنه فى نشوار المحاضره [٢] شيئا من شعره الّذى لا- يرتفع إلى مرتبه الوسط (القصّه ٤١/١ من نشوار المحاضره) و [٣] كان الهاشمى قاضيا بالبصره ثم عزل فى السنه ٣٥٦ (القصّه ٨٠/٢ من نشوار المحاضره) [٤] اراجع القصص ٥/١ و ١٧٢/١ و ١٧٥/١ و ٣٦/٢ من كتاب نشوار المحاضره.

٢- المعتضد، أبو العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق: ترجمته فى حاشيه القصّه ٦٥ من الكتاب.

٣- أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير المعتمد و المعتضد: ترجمته فى حاشيه القصّه ٦٦ من الكتاب.

فجاء بى إلى خيَّاط فى سوق الثلاثاء (١)، يخيِّط، و يقرئ القرآن فى مسجد، فقَصَّ عليه قصَّتى، فقام معنا.

فلما مشينا، تأخرت، و قلت لصديقى: لقد عرَّضت هذا الشيخ، و إيانا، لمكروه عظيم، هذا إذا حصل على باب الرجل، صفع، و صفعنا معه، هذا لم يلتفت [١٤٧ ظ] إلى شفاعة فلان، و فلان، و لم يفكر فى الوزير، فكيف يفكر فى هذا الفقير؟

فضحك، و قال: لا عليك، امش، و اسكت.

فجئنا إلى باب القائد، فحين رأى غلمانة الخيَّاط، أعظموه و أهواوا التقبيل يده، فمنعهم من ذلك، و قالوا: ما جاء بك أيها الشيخ، فإنَّ صاحبنا راكب، فإن كان لك أمر يتم بنا بادرنا إليه و إلَّا فادخل، و اجلس إلى أن يجىء، فقويت نفسى بذلك، و دخلنا و جلسنا.

و جاء القائد، فلما رأى الشيخ أعظمه إعظاما تاما، و قال: لست أنزع ثيابى، أو تأمرنى بأمر ك.

فخاطبه فى أمرى، فقال: و الله، ما عندى إلَّا خمسة آلاف درهم تسأله أن يأخذها، و أعطيه رهنا فى باقى ماله.

فبادرت إلى الإجابة، فأحضر الدراهم، و حليا بقيمه الباقي، فقبضت

ص: ٣٩٠

١- سوق الثلاثاء: قال ياقوت فى معجم البلدان ١٩٣/٣ إنَّ فيه اليوم سوق بزَّ بغداد الأعظم، أقول: و ما زال هو سوق البزازين الأعظم ببغداد، و ذكره ابن بطَّوطه الذى زار بغداد فى عهد السلطان أبى سعيد ابن السلطان خدابنده، فقال: إنَّ أعظم أسواق الجانب الشرقى فى بغداد، يعرف بسوق الثلاثاء، كلُّ صناعه فيه على حده، و فى وسط هذا السوق المدرسه النظاميه العجيبه التى صارت الأمثال تضرب بحسنها، و فى آخره المدرسه المستنصرية (مهذب الرحله ١٧٥/١)، أقول: يتَّضح من هذا الوصف أنَّ سوق الثلاثاء يشتمل على سوق الهرج الذى أمام المستنصرية، و يمتد بامتداد ما نسميه الآن سوق المصبغه، ثم يلتفَّ حتى يمر على خان دله، و ينتهى بالطريق العام الذى هو الآن شارع الرِّشيد، راجع بحثنا عن دار مؤنس التى اقتطعت منها المدرستان النظاميه و المستنصرية، فى حاشيه القصه ١٦٣ من الكتاب.

ذلك منه، وأشهدت عليه الرجل، وصدىقى، أن الرهن عندى إلى أجل، فإن حلّ الأجل و لم يعطنى، فقد وكننى فى بىعه، و قبض مالى من ثمنه، فخرجنا، و قد أجاب إلى ذلك.

فلما بلغنا مسجد الخياط، قلت له: قد ردّ الله تعالى علىّ هذا المال بسببك، فأحبّ أن تأخذ منه ما أحببت، بطيبه من قلبى.

فقال: ما أسرع ما كافأتنى على الجميل بالقيح، انصرف، بارك الله لك فى مالك.

فقلت: قد بقيت لى حاجه.

قال: قل.

قلت: تخبرنى عن سبب طاعته لك، مع تهاونه بأكثر أهل الدوله.

فقال: قد بلغت مرادك، فلا تقطنى عن شغلى، و ما أعيش به.

فألححت عليه، فقال: أنا رجل أصلى بالناس فى هذا المسجد، و أقرئ القرآن، منذ أربعين سنه، و معاشى من هذه الخياطه، لا أعرف غيرها.

و كنت منذ دهر، قد صلّيت المغرب، و خرجت أريد منزلى، فاجتزت بتركيّ كان فى هذه الدار، و امرأه جميله مجتازه، و قد تعلق بها و هو سكران، ليدخلها داره، و هى ممتنعه تستغيث، و ليس من أحد يغيثها، أو يمنعه منها، و تقول فى جملة كلامها: إن زوجى قد حلّف علىّ بالطلاق، أن لا أبيت براً (1)، فإن بيّتنى، خرب بيتى، مع ما يرتكبه منى من الفاحشه.

قال: فرفقت به و سألته تركها، فضرب رأسى بدبّوس (2) كان فى يده،

ص: ٣٩١

١- براً: تعبير بغدادى، يراد به ما كان خارجاً، فيقال: براً البيت، أى فى خارجه، و يقابله تعبير بغدادى آخر هو: جوّ، أى ما كان داخله، فيقال: جوّ البيت، أى فى داخله.

٢- الدبّوس: مقمحه أو عصا من الحديد أو الخشب، فى رأسها شىء كالكره (المنجد)، أقول: البغداديّون الآمن، يسمّون العصا الصلبه، إذا كان فى رأسها كره من القير: مگوار، أو مگيار، نسبه للكبير

فشجني (١)، و لكمني، و أدخل المرأة بيته.

فصرت إلى منزلي، و غسلت الدم، و شددت الشجّه، و استرحت، و خرجت لصلاه العشاء الآخره.

فلما صلينا، قلت لمن معي في المسجد: قوموا بنا إلى عدوّ الله، هذا التركي، لننكر عليه، و لا نبرح، أو نخرج المرأة.

فقاموا، و جئنا فضججنا على بابه، فخرج إلينا في عدّه غلمان، فأوقع بنا، و قصدني من بين الجماعه، فضربني [١٢١ ر] ضربا عظيما كدت أتلف منه، فحملني الجيران إلى منزلي كالتالف، فعاجلني أهلي، و نمت نوما قليلا، و قمت نصف الليل، فما حملني النوم، للألم، و الفكر في القصّه.

فقلت: هذا قد شرب طول ليلته، و لا- يعرف الأوقات، فلو أذنت، لوقع له أنّ الفجر قد طلع، و أطلق المرأة، فلحقت بيتهما قبل الفجر، فسلمت من أحد المكروهين.

فخرجت إلى المسجد متحاملا، و صعدت المناره، فأذنت، و جلست

ص: ٣٩٢

١- شجّه: ضربه على رأسه فجرحه، و في بغداد يقولون: فشخه، و هي فصيحه، بمعنى لطمه، و أهل القرى المحيطه ببغداد و في جنوبها يقولون: فجّه، و هي فصيحه أيضا، بمعنى: شقّه.

أطلع منها إلى الطريق، أترقب خروج المرأة، فإن خرجت، وإلا أقمت الصلاة، لئلا يشك في الصباح، فيخرجها.

فما مضت إلا ساعه، والمرأه عنده، حتى رأيت الشارع قد امتلأ خيلا، ورجالا، و مشاعل، و هم يقولون: من أذن الساعه؟ ففزعت، و سكت.

ثم قلت: أخطبهم، لعلى أستعين بهم على إخراج المرأة، فصحت من المناره: أنا أذنت.

فقالوا لى: انزل، و أجب أمير المؤمنين.

فقلت: دنا الفرج، فنزلت، فإذا بدر، و عدّه غلمان، فحملنى، و أدخلنى على المعتضد، فلما رأيت، هبت، و ارتعت، فسكن منى.

و قال: ما حملك على أن تغز المسلمين بأذانك فى غير وقته، فيخرج ذو الحاجه [١٤٨ ظ] فى غير وقتها، و يمسك المرید للصوم (١)، فى وقت قد أباح الله له الأكل فيه، و ينقطع العسس و الحرس عن الطواف؟

فقلت: يؤمننى أمير المؤمنين، لأصدقه.

فقال: أنت آمن.

فقصصت عليه قصه التركى، و أريته الآثار.

فقال: يا بدر، على بالغلام الساعه و المرأة، و عزلت فى موضع.

فمضى بدر، و أحضر الغلام و المرأة، فسألها المعتضد عن الصورة، فأخبرته بمثل ما أخبرته.

فقال لبدر: بادر بها الساعه إلى زوجها، مع ثقه يدخلها دارها، و يشرح لزوجها القصه، و بأمره عنى بالتمسك بها، و الإحسان إليها.

ص: ٣٩٣

١- الإمساك: انقطاع من أراد الصيام عن تناول الطعام و الشراب استعدادا للصوم، و يكون الإمساك اعتبارا من طلوع الفجر [١] الثانى، تطبيقا لما جاء فى القرآن: و كلوا، و أشربوا، حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ثم أتموا الصيام إلى الليل (١٨٧ م البقره ٢).

ثم استدعاني، فوقفت بازائه، فجعل يخاطب الغلام، وأنا واقف أسمع.

فقال له: كم جراتك؟

قال: كذا وكذا.

قال: وكم عادتك (١)؟

قال: كذا وكذا.

قال: وكم صلاتك؟

قال: كذا وكذا.

قال: وكم جاريه لك؟

قال: كذا وكذا، فذكر عدّه جوارى.

قال: فما كان فيهنّ، وفي هذه النعمة العريضة، كفايه عن ارتكاب معصية الله تعالى، وخرق هيبة السلطان، حتّى استعملت ذلك، وجاوزته إلى الوثوب بمن أمرك بالمعروف؟ فأسقط الغلام في يده، ولم يحر جوابا.

فقال: هاتوا جوالقا (٢)، ومداق الجصّ (٣)، وأدخلوه الجوالق، ففعلوا ذلك به.

وقال للفراشين: دقّوه، فدقّوه، وأنا أسمع صياحه، إلى أن مات (٤)،

ص: ٣٩٤

١- كذا ورد في ظ، ولم ترد في ر، وفي ه: وكم عطاؤك؟

٢- الجوالق: بضم الجيم، وبكسرهما، جمعها جوالق، بفتح الجيم: العدل من الصوف أو الشعر، وأحسب أنّ الجملة الواردة في القصة: هاتوا جوالقا، من تصرّف النساخ، وصحيحها، ما ورد في نشوار المحاضرة، [١] في القصة ١٧٢/١ قال المعتضد: هاتم جوالق، و هاتم، لغه بغداديه في هاتوا.

٣- مدقّه الجصّ: عصا من الخشب الثقيل، بعرض الكفّ، أو أعرض قليلا، وسمكها ثلاثة أصابع أو أكثر قليلا، ولها مقبض، يدقّ بها الجصّ ليصير ناعما، صالحا لاستعماله في أعمال البناء.

٤- روى المؤرخون عن المعتضد ألوانا من العذاب، فقد شوى أحد الخارجين عليه، وهو حيّ (القصة ٧٣/١ من كتاب نشوار المحاضرة) و عدّب وزيره إسماعيل بن بلبل بأنواع العذاب، وجعل في عنقه غلا فيه رمانه حديد، والغلّ و الرمانه مائه و عشرون رطلا، و ألبسه جبّه صوف قد صيّرت في ودك الأكارع،-

فأمر به، فطرح في دجله، و تقدّم إلى بدر، أن يحمل ما في داره.

ثم قال لي: يا شيخ، أيّ شيء رأيت من أجناس المنكر، كبيراً كان أو صغيراً، أو أيّ أمر عنّ لك، فمر به، و أنكر المنكر، و لو على هذا- أو ما إلى بدر (١)- فإن جرى عليك شيء، أو لم يقبل منك، فالعلامه بيننا أن تؤذّن في مثل الوقت المذى أذنت فيه، فإنّي أسمع صوتك، و أستدعيك، و أفعل هذا بمن لا يقبل منك.

فدعوت له، و انصرفت.

و انتشر الخبر في الأولياء و الغلمان، فما خاطبت أحداً بعدها في إنصاف أحد، أو كفّ عن قبيح إلاّ أطاعني كما رأيت، خوفاً من المعتضد.

و ما احتجت إلى الأذان في مثل ذلك الوقت (٢).

ص: ٣٩٥

١- قول المعتضد للشيخ المؤذّن: إن رأيت منكراً، فأنكره، و لو على ه [١] ذاء، و أشار إلى بدر، دليل على عظم المنزله التي كان يتمتع بها بدر، و هو بدر بن خير، و أبوه خير من موالى المتوكل، و كان بدر في خدمه ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه، ثم اتصل بالمعتضد في أيام الموفق و قرب من قلبه، و أصبح أثيراً عنده عالى المرتبه، حتى كان تلتمس به الحوائج، عند المعتضد، و كان جميل الصورة جداً، و كان المعتضد يفرح إذا رآه، و كانت منزلته هذه من المعتضد، السبب في إشعال نار الحسد في قلوب كثير من رجال الدوله و القواد له، فلمّا مات المعتضد، و استخلف المكتفى و كان بينه و بين بدر تباعد، استغلّ رجال الدوله هذا التباعد، فأغروا المكتفى به، و احتال عليه القاسم بن عبيد الله الوزير، فكتب له أماناً، ثم غدر به و قتله. (مروج الذهب ٥٢٨/٢ و المنتظم ٣٤/٦-٣٦).

٢- وردت القصّه في كتاب نشوار المحاضره للتتوخي برقم ١٧٢/١ و لم ترد في م و لا في غ.

أحيحه بن الجلاح أكبّ على إصلاح ضيعته

وجدت في بعض الكتب:

أنّ أحيحه بن الجلاح (١)، أسرع في ماله فأتلفه مع إخوان له، حتّى افتقر، فهجروه و قطعوه، و احتاج إليهم في الشىء اليسير فمنعوه، فلحقته شدّه، و ضرّ و جهد.

فمات بعض أهله، فوزّته مالا، و ضيعه خرابا، تعرف بالزوراء، فأخذ المال، و خرج إلى الضيعه يعمرها به، فطمع فيه القوم الذين أنفق ماله عليهم، فكتبوا إليه يعتذرون ممّا جرى، و يرغّبونه في مواصلتهم، و معاشرتهم، و كان أديبا، فكتب إليهم:

إنّي مكبّ على الزوراء أعمارها إنّ الكريم على الإخوان ذو المال

كلّ النداء إذا ناديت يخذلني إلا نادائي إذا ناديت يا مالي [١٢٢ ر]

فأيسوا منه، و كفّوا عنه، و ثابت حاله، و حسنت ضيعته (٢).

ص: ٣٩٦

١- أبو عمرو أحيحه بن الجلاح بن الحريش الأوسى: شاعر جاهلى، شجاع، كان سيد الأوس فى الجاهليّه، و كان له حصنان بالمدينه، توفى سنه ١٣٠ قبل الهجره (الاسلام ١/٢٦٣).

٢- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ و لا ه.

و روى حمّاد (١)، عن [أبي] صدقه (٢)، و كان يحضر مجلس الرشيد مع المغنين، فربّما غنّى، و ربّما لم يغنّ، قال: فدعانا الرشيد يوماً، فدخلنا، و الستاره دونه، و هو من خلفها جالس، فقال خادم من خلفها: غنّ يا ابن جامع (٣)، فاندفع يغنّى بهذا الصوت:

قف بالمنازل ساعه فتأمل هل بالديار لزائر من منزل

أولا ففيم توقّفى و تلدّدى وسط الديار كأننى لم أعقل

ما بالديار من البلى و لقد أرى أن سوف يحملنى الهوى فى محمل

و أحقّ من يبكى بكلّ محلّه عرضت له فى منزل للمعول

عان بكلّ حمامه سجعت له و غمامه برقت بنوء الأعزل [١٤٩ ظ]

يبكى فتفضحه الدموع فعينه ما عاش مخضله كفيض الجدول

فقال الخادم: ليغنّ هذا الصوت منكم من كان يحسنه، فغنّى كلّ من أحسنه منهم، فكأنّه لم يطرب له.

ص: ٣٩٧

١- حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١١٩.

٢- فى الأصل: صدقه، و أحسب أنّ المقصود أبا صدقه و اسمه مسكين بن صدقه، و هو مغنّ مدنى، أقدمه الرشيد من الحجاز فى أيامه، و كان مليح الغناء، طيب الصوت، خفيف الروح، لطيف النادره، و كان من أشدّ الناس طمعا، و ألحهم فى المسأله، و ليم على ذلك، فقال: و ما يمنعنى من ذلك، و اسمى مسكين، و كنيته أبو صدقه، و اسم ابنى صدقه، و اسم امرأتى فاقه، راجع ترجمته فى الأغانى ٢٨٩/١٩-٢٩٩.

٣- أبو القاسم إسماعيل بن جامع السهمى القرشى: من أكابر المغنين الملحنين، و ولد بمكه، و انتقل إلى المدينه، و احترف الغناء، فاشتهر، و رحل إلى بغداد، فاتصل بالرشيد، و حظى عنده، و كان من أقران إبراهيم الموصلى، توفى سنه ١٩٢ (الأعلام ٣٠٦/١).

فأقبل الخادم عليّ، فقال: إن كنت تحسن أن تغنيه، فغنيه.

فقلت: نعم، فعجبوا من إقدامي على صوت لم يستطع من جماعتهم، فغنيته.

فقال الخادم: أحسنت، والله، فأعده، فأعدته، وأعاد الاستحسان، والأمر بإعادته على ذلك سبع مرّات.

ثم قال لي الخادم: قم يا [أبا] صدقه، فادخل، حتّى تغني أمير المؤمنين بحيث يراك، فدخلت، والمغنون كلّهم محجوبون (1)، فغنيته
إيّاها، ثلاث مرّات، فطرب في جميعهنّ.

ص: ٣٩٨

١- كان الخلفاء الأمويون، معاوية، و مروان، و عبد الملك، و الوليد، و سليمان، و هشام، و مروان بن محمد، بينهم و بين الندماء ستاره، فكان إذا طرب الخليفة للمغنيّ، أو رقص، أو تجرّد، لا- يراه إلا- خواصّ جواريه، و إذا ارتفع من خلف الستاره صوت، قال صاحب الستاره: يا جاريه كفى، انتهى، أقصرى، يوهم الندماء أنّ الفاعل لذلك بعض الجوارى، أمّا الباقيون من خلفاء بني أميه، فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا أو أن يتجرّدوا، و يحضروا عراه بحضرة الندماء و المغنين، و على ذلك لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك و الوليد بن يزيد في المجون و الرفث و التجرّد بحضرة الندماء. لا يباليان ما صنعنا، أمّا عمر بن عبد العزيز، فإنّه ما طنّ في سماعه حرف غناء منذ أفضت الخلافة إليه، إلى أن فارق الدنيا، أمّا قبلها، لما كان أمير المدينه، فكان يسمع الغناء، و لا يظهر منه إلاّ الأمر الجميل، و لا يخرج السرور إلى السخف (التاج ٣٢ و ٣٣)، و استسقى الأخطل يوما في حضره عبد الملك بن مروان، و أراد خمرا، فقال له عبد الملك: أو عهدتني أسقى الخمر لا أمّ لك، لو لا حرمتك بنا، لفعلت و فعلت (الأغاني ٢٩٤/٨) و [١] كان هشام بن عبد الملك لا يشرب، و لا يسقى أحد بحضرته مسكرا، و كان ينكر ذلك، و يعاقب عليه (الأغاني ٧٧/٦). و [٢] كان أبو العباس السفّاح، أوّل الخلفاء العباسيين، في أوّل أيامه، يظهر للندماء، ثم احتجب (التاج ٣٣)، أمّا المنصور فكان لا يظهر لندمائه بشرب و لا غناء، بل يجلس و بينه و بين الندماء ستاره، و بينهم و بينها عشرون ذراعا، و بينها و بينه كذلك، أمّا المهدي، فكان في أوّل أمره يحتجب عن الندماء، و كان يسمع المغنين جميعا، و يحضرون مجلسه، فيغنونه من وراء الستاره، لا يرون له وجهها، إلاّ فليح بن أبي العوراء (الأغاني ٣٦٠/٤) [٣] ثم ظهر لهم (تاريخ الخلفاء ٢٦٩ و [٤] محاضرات الأدباء ٦٩٤/٢) [٥] إلا أنّه كان لا يشرب النبيذ (الأغاني ١٦٠/٥) [٦] لا- تحرّجا، و لكن كان لا يشتهي (الطبري ١٦٠/٨)، [٧] أمّا الهادي فكان يتناول المسكر، و يلعب (تاريخ الخلفاء ٢٧٩)، و [٨] كان الرشيد في أخلاق المنصور، أي إنّه كان لا يظهر للندماء، و إذا أراد أن يشرب شرب

و قال: أحسنت يا [أبا] صدقه.

فلما سمعت ما خصني به من استحسانه، قلت: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثا عجيبا، أ فلا أحدثك به يا أمير المؤمنين، لعله يزداد حسنا.

فقال: بلى، هات.

فقلت: كنت يا سيدي، عبدا لبعض آل الزبير، و كنت خياطا مجيدا، أخط القميص بدرهمين، و السراويل بدرهم، و أؤدى ضريبتى الى سيدي فى كل يوم درهمين، و آخذ ما فضل عن ذلك، فبينما أنا ذات يوم منصرفا، و قد خطت قميصا لبعض الطالبين، و قد أخذت منه درهمين، و انصرفت إلى موضع يجتمع فيه المغنون، كنت أقصده إذا فرغت من شغلى، لشغفى بالغناء،

فلما صرت بحذاء بركه المهدي، إذا أنا بسوداء على رقبتها جزه، تريد أن تملأها من ماء العقيق (1)، و هى تغنى بهذا الصوت، أحسن غناء يكون، فأصابنى من الطرب بغنائها ما أذهلنى عن كل شىء.

فقلت لها: فداك أبى و أمى، ألقى على هذا الصوت.

فقلت: استحسنته؟

فقلت: إى و الله.

فقلت: و حقّ القبر و من فيه، لا أعدته إلا بدرهمين.

فدفعت الدرهمين إليها، فأحدرت جرّتها عن رقبتها فارغه، فوضعتها

ص: ٣٩٩

١- العقيق: مسيل ماء شقّه السيل خارج المدينة، للتفصيل راجع القصّه ٤٨٤ من الكتاب.

على الارض، و جلست عليها، و كأننى أنظر إلى فقحتها و قد برزت عن الجرّه نحو ذراع، و أقبلت تلقيه علىّ، و توقّع على الجرّه، حتّى أخذته، ثمّ أخذت الجرّه على رقبتها، و انصرفت.

فحين انصرفت، أنسيت الصوت و لحنه، حتّى كأننى لم أسمعه قط، فبقيت متحيّرا لا أدرى ما أصنع، و انصرفت إلى سيّدى بأسوأ حال، و أكسف بال.

فلما رآنى، قال: هات ضريبتك [١٢٣ ر].

فلجلجت فى كلامى، و قلت: يا سيّدى، اسمع حديثى.

فقال: يا ابن اللّخناء (١)، أبى تتعرّض؟

فبطحنى، و ضربنى مائه مقرعه، و حلق رأسى و لحيّتى، و منعى قوتى، و كان أربعه أرغفه، فلم يكن شىء من ذلك، أشدّ علىّ، من ذهاب الصوت منّى، و بتّ ليلتى أسوأ خلق الله حالا، و أنا لا أعرف الجاريه، و لا موضعها، و لا لمن هى.

فلما أصبحت، خرجت ولها أطلبها فى الموضع العذى لقيتها فيه، و أسأل الله أن يحوج أهلها إلى الماء، حتّى تخرج لتأتيهم به، فأراها، فلم أزل أطلبها، لا أعمل شيئا إلى العصر.

فبينما أنا كذلك، و إذا بها قد أقبلت، فلما رأتنى، و ما بى من الوله، قالت لى: مالك، أنسيت الصوت؟

فقلت: إى و الله، و ضربت مائه مقرعه، و منعت قوتى ليلتى، و حلقت رأسى و لحيّتى.

ص: ٤٠٠

١- اللّخناء: المرأه المنتنه المغابن أى مطاوى الجسد، و البغدادى العامى إذا أقذع، قال: ابن الجايفه، و المعنى واحد فى الكلمتين.

فقلت: دع هذا عنك، فو ربّ الكعبه، لاسمعته منّي، فضلا عن أخذه، إلا بدرهمين.

فقلت: الله، الله، فيّ، فيمرّن عليّ الليله مثل ما مرّ عليّ البارحه، فارحميني.

فقلت: قد سمعت اليمين، و ذهبت لتمضي.

فقلت: اصبري، و جئت إلى بقال كان يعاملني، فرهنت عنده الجلمين (1)، على درهمين، و جئت بهما إليهما، فأخذتهما، و جعلتهما في فيها.

فلما بدأت بالصوت، ذكرته، فقلت: الله، الله، ردّي عليّ الدرهمين، فلا حاجه بي إلى غنائك.

فقلت: أنت أحق، و لست تعرف هذا الأمر، لئن لم أردده عليك مائه مرّه ما حصل لك منه شيء، و جلست على الجره، فغنته مائه مرّه، أعدّها عليها [١٥٠ ظ] حتى فهمته، و صرت به أمهر منها، و انصرفت.

فساعه فارقتها، لحقتني الندامه، و قلت: سيلحقتني الليله أكثر ممّا لحقتني البارحه، لفقد الجلمين.

فرجعت إلى مولاي، فحين رأني، قال: هات ضربيتك.

فقلت له: اسمع منّي.

قال: أيّ شيء اسمع، يا ابن الفاجر، أ ما كفاك ما مرّ بك أمس، و وثب إلى السوط.

فقلت له: اسمع، و اصنع ما شئت.

فقال: هات، فغنته الصوت.

ص: ٤٠١

١- الجلمان: المقص، ذكر بلفظ التشبيه، لأنّ المقصّ له عضادتان، قال رجل في لحيته: لها درهم للدهن في كلّ ليله و آخر للحناء بيتدران و لو لا نوال من يزيد بن مزيد لصوت في حافاتهما الجلمان

فقال: أحسنت، والله، يعز علي ما أصابك، أما الضرب فقد مضى، ولا حيله فيه، وأما قوتك فمردود، وأما ضربيتك، فساقطه عنك ما عشنا و لو متّ أنا و عيالي جوعاً، فأنت اليوم واحداً منّا أبداً ما بقينا، فهذا خير الصوت.

و كان المغنّون الذين حضروا، إبراهيم الموصلي، و ابنه إسحاق، و ابن جامع، و مسلم بن سلام.

فأمر لكل واحد منهم بألف دينار، و أمر لي بعشره آلاف دينار، مثل ما أمر لجماعتهم، ثم استدعى ألف دينار، فقال: خذ هذه بدل المائة مفرعه التي ضربت.

فانصرفت، و المغنّون يتعجبون ممّا جرى (١).

ص: ٤٠٢

١- لم ترد القصّه في م و لا في غ و لا في ه.

الوليد بن يزيد يستقبل البريد بموت هشام

و حَدَّثَ المنذر بن عمرو، و كان كاتباً للوليد بن يزيد بن عبد الملك، قال:

أرسل إليّ الوليد صبيحه اليوم أهدى أته فيه الخلافه، فقال لي: يا أبا الزبير، ما أتت عليّ ليله أطول من البارحه، و عرضت لي أمور حدثت نفسي فيها بأمر، و هذا الرجل قد جدّ بنا، فاركب بنا.

فركبنا جميعاً، و سرنا نحو ميلين، فوقف على تلّ، فجعل يشكو إليّ هشاماً، إذ نظر إليّ رهج (١) قد أقبل، و قعقه البريد.

فتعوذ بالله من شرّ هشام، و قال: إنّ هذا البريد، قد أقبل، بموت حيّ، أو هلك عاجل.

فقلت: لا- يسؤك الله أيها الأمير، بل يسرّك و ينفعك، إذ بدا رجلاّن على البريد مقبلان، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب، فلمّا رأيا الوليد نزلاً، و سلّما عليه بالخلافه، فوجم، فجعل يكرران عليه السّلام بالخلافه.

فقال لهما: و يحكما ما الخبر، أمات هشام؟.

قالا: نعم.

قال: فمرحبا بكما، ما معكما؟.

قالا: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن، فقرأ الكتاب، و انصرفنا.

و سأل عن عياض بن سالم، كاتبه أهدى كان هشام قد حبسه، و ضربه، فقالا: لم يزل محبوساً، حتّى نزلت بهشام مصيبه الموت، فلمّا بلغ إلى حال لا يرجى معها الحياه له، أرسل عياض إلى الخزان: احتفظوا بما في أيديكم،

ص: ٤٠٣

١- الرهج: ما أثير من الغبار.

و لا يصل أحد إلى شيء منه، فأفاق هشام إفاقه، فطلب شيئاً، فمنعه الخزان، فقال: أرانا كنا خزاناً للوليد، وقضى من ساعته.

فخرج عياض لوقته من السجن عند ما قضى هشام، فغلق الأبواب، و ختمها، و أمر بهشام، فأنزل عن فراشه، و منعهم أن يكفّنوه من الخزان، فكفّنه غالب مولاه، و لم يجدوا قممها (١) يسخن فيه الماء، حتى استعاروه.

و ذكر باقى الحديث ممّا لا يتعلّق بهذا الباب (٢).

ص: ٤٠٤

١- القمقم: له مدلولات عدّه، منها: الحلقوم، و منها: القنينة أو الإبريق من الزجاج أو الفضة، يملأ بماء الورد، و يرشّ على من يراد تطهيره، و منها: الوعاء من النحاس يسخن فيه الماء، و وجدت القاضى التّوخى فى نشوار المحاضر، فى القصّيه ٣٠/٢ قد سمّاه: مسينه، و لعلها معرّبه عن مسين الفارسيه، أى المصنوع من النحاس، أو مخفّف مسخنه، أى الوعاء الذى يسخن فيه الماء، و البغداديون الآن يسمونها: مصخنه، بالصاد، و بعضهم يسميها: مشربه (قاله المحامى حسين جميل)، أمّا أهل المناطق المحيطه ببغداد، فإنّهم ما يزالون يسمونها: القمقم، و يلفظون القاف كافا فارسيه.

٢- لم ترد القصّه فى م و لا فى غ و لا ه.

الباب الخامس: من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال، إلى سراح و سلامه و صلاح حال

١٥١٥ رسول الله يمنّ على هوازن، و يطلق لهم أسراهم، و يردّ عليهم ما غنم منهم

١٥٢٩ الوزير القاسم، يعتقل ثلاثة أمراء عباسيين

١١٥٣ البحترى و أبو معشر، يؤصّلان عند المعتزّ أصلا

١٦١٥٤ أبو سعيد الثغرى، يعتقل، و يعدّب

١٨١٥٥ البحترى يهنئ إبراهيم بن المدبر

٢٠١٥٦ يمنع ابن أبى سبره علنا، و يجيزه سرا

٢٦١٥٧ بال فى ثيابه خوفا منه، ثم بال على قبره

٢٩١٥٨ لقاء بين الجدّ الرومى النصرانىّ و الحفيد العربىّ المسلم

٣٢١٥٩ يحتال لإخراج أحد أصحابه من الحبس

٣٤١٦٠ شامى عظيم الجاه، من بقايا بنى أمية

٤٣١٦١ ابن الفرات، يتحدّث عن اعتقاله و تعذيبه

٥١١٦٢ كتاب ابن ثوابه باستيزار ابن الفرات

٥٢١٦٣ خرج من حبس المقتدر، و نصب مستشارا للوزير ابن مقله

٦٠١٦٤ من مكارم القاضى أحمد بن أبى دؤاد

أ- سيّد العرب أحمد بن أبي دؤاد

١٦٣ب- إطلاق الكتّاب من حبس الواثق

١٦٦ج- إنقاذ أبي دلف من موت محقّق

١٦٥٧٦٤٥ الصريفيّ الكاتب، يعلّم العمال حسن الصرف

١٦٦٨٥٨٥ الخليفة المعتضد يتخبّر على وزيره

١٦٧٩٢١٦٧ الوزير عبيد الله بن سليمان يجازى على الإساءة بالاحسان

١٦٨١٠١١٦٨ أسد كالح، و كبش ناطح، و كلب نابح

١٦٩١٠٤١٦٩ القرمطى، يبعث رسولا إلى المعتضد

١٠٨١٨٠ كفى بالأجل حارسا

١١٢١٧١ يرتجع من مال مصادرته مائه ألف دينار

١١٤١٧٢ قد ينتفع الإنسان فى نكبته بالرجل الصغير

١١٦١٧٣ أبو العتاهيه يحبس لامتناعه عن قول الشعر

١٢٠١٧٤ الفيض بن أبي صالح، و مروءته

١٢٢١٧٥ كيف تخلّص أعشى همدان من أسر الديلم

١٢٤١٧٦ يحتال للخلاص من حبس نجاح بن سلمه

١٢٥١٧٧ يهب أحد أتباعه خمسه آلاف ألف درهم

١٢٧١٧٨ يتنازل لأحد أتباعه عن عشره آلاف ألف درهم

١٣١١٧٩ أبو عمر القاضى يشيب فى ليله واحده

١٣٧١٨٠ قضى ليلته معلّقا فى بادهنج

١٤١١٨١ ابن الفرات، يصفح عمّن أساء إليه

١٤٢١٨٢ أراد أن يسير بسيره الحجّاج، فقتلوه

١٤٩١٨٣ افتنه ثور ببغداد، فتنفرج عن برىء مجبوس

ص: ٤٠٦

١٥٢١٨٤ الصدفة تنجى عامل كوثى من القتل

١٥٤١٨٥ الأمين يغضب عمه إبراهيم بن المهدي، ثم يرضى عنه

١٥٦١٨٦ يتخلصون من المحنة بأيسر الأسباب

١٥٨١٨٧ عبد الله بن طاهر يطلق الطوسي من حبسه

١٥٩١٨٨ المأمون يغضب على فرج الرخجى، ثم يرضى عنه، و يقلده فارس و الأهواز

١٦٠١٨٩ محبوس يتحدث عن هلاك الحجاج

١٦٢١٩٠ يحسن إلى كاتب بغا الكبير على غير معرفه منه له

١٦١٩١ كيف تخلص عمر بن هبيرة من السجن

١٦٨١٩٢ كيف تخلص قيسه بن كلثوم من أسره

١٧٢١٩٢ جاءه الفرغ من حيث لم يحتسب

١٧٥١٩٤ العلوي الصوفي يحتال للخلاص من سجن المعتصم

١٨٠١٩٥ حسن سيرته كانت سبب اعتقاله

١٨٤١٩٦ محمد الحمداني يحل محل أخيه في إماره الموصل

١٩١١٩٦ أسره الروم في أيام معاويه، و أطلقوه في أيام عبد الملك

٢٠٦١٩٨ يستنقذ المذحجين من أسر بنى مازن

الباب السادس: من فارق شدة إلى رخاء، بعد بشرى منام لم يشب صدق تأويله بكذب الأحلام

٢٠٩١٩٩ ما عرض المعتضد في أيامه للعلويين، و لا آذاهم، و لا قتل منهم أحدا

٢١٣٢٠٠ سليمان بن وهب يتفائل بمنام رآه و هو محبوس

٢١٦٢٠١ لم يقصد النهابة دار الحسن بن مخلد لأنه كان متعطلا

٢٢١٢٠٢ اتخذ من رؤيا ادعى أنه رآها، سببا للتخلص من حبس سيف الدوله

٢٢٣٢٠٣ خراسانى يودع بدره من المال لدى أبى حسان الزيادى، فيسارع إلى انفاقها

٢٣٣٢٠٤ حبسه المهديّ، وأطلقه الرشيد

٢٣٩٢٠٥ المهدي يطلق علويًا من حبسه لمنام رآه

٢٤١٢٠٦ المعتمد يطلق بريئين من حبسه لمنام رآه

٢٥٢٢٠٧ أبو بكر المادرائي، يولّى عاملاً و هو على صهوه جواده

٢٥٤٢٠٨ أدرك أبا محمد الأزرق الأنباري

٢٥٩٢٠٩ اعتقلهم الوزير ابن الزيّات، وأطلقوا لموت الواثق

٢٦٤٢١٠ من شعر سليمان بن وهب لما حبس

٢٦٦٢١١ بين الوزير المهلبى و الحسين السمرى

٢٦٨٢١٢ رأى فى المنام أنّ غناه بمصر

٢٧٠٢١٣ خزيمة بن خازم يصرف الحزانى، و يعقد له على طريق الفرات

٢٧٦٢١٤ بين الوزير على بن عيسى و العطار الكرخي

٢٧٩٢١٥ طاهر بن يحيى العلوى، و جرايته من الحاج الخراسانى

٢٨٢٢١٦ قصّه العلويه الزمنه

٢٨٩٢١٧ أبو القاسم السعدى يرى مناما، فيتوب عن فعل المنكر

٢٩٢٢١٩ أبو جعفر بن بسطام له قصّه فى رغيّف

٢٩٤٢١٩ بينما كان يترقّب القتل، وافاه الفرج فى مثل لمح البصر

٢٩٦٢٢٠ المنصور العباسيّ، يرى مناما، فيرفع الظلامه عن محبوس

٢٩٧٢٢١ صاحب الشرطة بيغداد يرى مناما يرشده إلى القاتل و يبرئ فيجا مظلوما

٣٠٣٢٢٢ اعزم على قتله ثم من عليه و أطلقه

٣٠٧٢٢٣ محمد بن سليمان الكاتب دخل مصر أجيرا، ثم دخلها أميرا

٣١٢٢٢٤ شفاه منام رآه أحد أصحابه

٣١٥٢٢٥ رأى الاسكندر رؤيا، تبعها انتصاره على دارا ملك الفرس

٣١٦٢٢٦ رؤيا عبد الله بن الزبير، و تعبيرها

٣١٨٢٢٧ رأى فى منامه أنه قد صرع خصمه فكان تعبير رؤياه أن الخصم هو المنتصر

٣٢١٢٢٨ الرشيد يولّى أخاه إبراهيم بن المهدي دمشق

٣٢٦٢٢٩ يرى مناما و هو محبوس فيطلق من حبسه

٣٢٨٢٣٠ يكره شخصا على العمل ثم يحبسه و يعدّبه

٣٣٠٢٣١ رأى فى منامه أن قد أخرجت من داره اثنتى عشره جنازه

٣٣١٢٣٢ وهب بن متبه يصاب بالإملاق ثم يعطيه الله من فضله

٣٣٢٢٣٣ درس فى الإيثار

الباب السابع: من استنقذ من كرب و ضيق خناق، بإحدى حالتى عمد أو اتفاق ٣٣٤٢٣٤ محمد بن زيد العلوى يضرب مثلا عاليا فى

النبيل

٣٤٠٢٣٥ بين الإسكندر و ملك الصين

ص: ٤٠٩

٣٤٣٢٣٦ بين إسحاق الموصلي و غلامه فتح

٣٤٤٢٣٧ أنسب بيت قالته العرب

٣٤٤٢٣٨ تقلد الإنفاق على عسكريين فأفاد في أقل من شهر سبعمائه ألف درهم

٣٥١٢٣٩ المأمون بخراسان ينقلب حاله من أشد الضيق إلى أفسح الفرج

٣٥٥٢٤٠ طلب الولاية على بزندات البحر و صدقات الوحش

٣٥٧٢٤١ المنصور يقتل مؤدب ولده جعفر ظلما

٣٦٠٢٤٢ مالك بن طوق يتزوج المهناه بنت الهيثم الشيباني

٣٦٣٢٤٣ بين ابن أبي البغل عامل أصبهان و أحد طلاب التصرف

٣٦٥٢٤٤ بين جحظه البرمكي و محبره بن أبي عباد الكاتب

٣٦٨٢٤٥ تاجر خراساني يجد الفرج عند صاحبه الكرخي

٣٧٣٢٤٦ أوضاع هميانه في طريق الحج و وجده أحوج ما يكون إليه

٣٧٨٢٤٧ الوزير علي بن عيسى يقول: ليتني تمّيت المغفره

٣٨٢٢٤٨ فتى ورث مالا فأتلفه ثم آل أمره إلى صلاح

٣٨٧٢٤٩ أبو يوسف القاضي يأكل اللوزينج بالفسق

٣٨٩٢٥٠ الشيخ الخياط و أذانه في غير وقت الأذان

٢٩٦٢٥١ أحيجه بن الجلاح أكب على إصلاح ضيعته

٣٩٧٢٥٢ مجلس غناء بمحضر الرشيد

٤٠٣٢٥٣ الوليد بن يزيد يستقبل البريد بموت هشام

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

